مكتبة الآثار السلفية

عقائد السلف

للأئمة

أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي

دكتور

علي سامي النشار

عمار جمعي الطالبي

الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية

جلال حزي وشركاه

١٩٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لم يعتن الباحثون فى مجال العقائد الإسلامية ، وأصولها ، بدراسة أو تحليل العقائد السلفية التى تعتمد على صريح القرآن ، وناطق السنة ، والحقيقه أن دراسة الإسلام وعقائده ، لا يمكن أن تكون قائمة على سوقها إن لم تتناول ماكتبه السلف من أهل القرن الثالث والرابع ، وما صنفه من نهج نهجهم من بعدهم ، على توالى العصور ، إلى عهد ابن تيمية (+ ٧٢٨ هـ) ، ومن أخذ عنه من الأعلام ، حتى عصرنا هذا .

ولذلك رأينا أن نتجه لدراسة هذا الجانب الأساسى فى مجال الدراسات الإسلامية ، وأن نعطيه ما يستحقه من عناية واهتمام ، ونعتقد أن أول خطوة فى هذه الدراسة إنما هى نشر هذه المؤلفات الدفينة ، وبعث هذه الرسائل والنصوص التى غفل أكثر الناس عنها ، حتى إن المؤسسات الثقافية الكبرى عندنا كالأزهر ، وبقية الجامعات لم تولها أى اهتمام ولا اعتبار فى مناهجها ودراستها ، ذلك أن الدارسين اعتمدوا على كتب المتأخرين المشوبة بكثير من الأنظار الغريبة الدخيلة . وآراء عهد انحطاط الحضارة الإسلامية ، مع أن المنهج العلمى التاريخى الصحيح ، يقتضى أن نرجع إلى الأصول الأولى قبل كل شىء .

لقد صنف السلف من أهل القرن الثالث والرابع مؤلفات ، ورسائل كثيرة فى هذا المجال العقائدى الإسلامى ، فتكلم فى ذلك أبو عبد الرحمن عبد الله ابن المبارك بن واضح الحنظلى (+ ١٨١ هـ) وأبو سعيد يحى بن سعيد بن فروخ التميمى القطان البصرى المحدث الحجة الناقد [+ ١٩٨ هـ] وابن أبى شيبة أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسى [+ ٢٢٥ هـ] وألف فى ذلك كتاب السنة ، ويحى بن يحى بن بكير بن عبدالرحمن بن يحى الحنظلى الحافظ [+ ٢٢٦ هـ]

وأبو عبدالله نعيم بن حماد المروزى [+ ٢٢٨ ﻫ] ، وعبد الله بن محمدبن عبدالله الجعفى شيخ البخارى [+ ٢٢٩ ﻫ] الذى ألف « كتاب الردعلى الجهمية» والإمام أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم المعروف بابن راهوية شيخ البخارى أيضا [+ ٢٣٨ ﻫ] ، وألف الإمام أحمد بن حنبل [+ ٢٤١ ﻫ] كتاب « الرد على الجهمية والزنادقة » وصنف الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى [+ ٢٥٦] « كتاب خلق أفعال العباد » و « الرد على الجهمية » وألف أبو بكر أحمد بن محمد بن هانىء الأثرم البغدادى تلميذالإمام أحمد [+ ٢٧٣ ﻫ] « كتاب السنة» وصنف أبوعلى حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال تلميذ الإمام أحمد ابن حنبل أيضاً [+ ٢٧٣ ﻫ] « كتاب السنة » .

وكتب أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى [+ ٢٧٥ ﻫ] «كتاب السنة » وكذلك فعل أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبل الشيبانى البصرى [+ ٢٧٧ ﻫ] فألف « كتاب السنة » وصنف عثمان بن سعيد الدارمى تلميذ يحيى بن معين [+٢٨٠ﻫ] « كتاب الرد على الجهمية » وكتاب « الرد على بشر المريسى » ، وأبوعبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل [+ ٢٩٠ ﻫ] ، وصنف أبو بكرأحمد بن على بن سعيد المروزى [+ ٢٩٢ ﻫ] « كتاب السنة » وألف أيضا أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن مندة العبدى [+ ٣٠١ ﻫ] « كتاب التوحيد[١] » وتكلم فى ذلك أبو العباس ابن سريج [+٣٠٦ﻫ] وصنف أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال مرتب آثار الإمام أحمد بن حنبل [+٣١١ ﻫ] «كتاب السنة» وألف أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة [+ ٣١١ ﻫ] « كتاب التوحيد » .

وكتب أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهانى العسال [+ ٣٤٩ ﻫ] « كتاب السنة » وألف أيضا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى

---

(١) عبد القادر بن أحمد الدوسى بن بدران الدمشقى (+١٣٠٨ ﻫ) المدخل الى مذهب الامام أحمد بن حنبل (إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ١٣٣٨ ﻫ) ص ١٦٣ .

[+ ٣٦٠ هـ] « كتاب السنة » وكذلك أيضا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر ابن حيان [+ ٣٦٩] فإنه كتب « كتاب السنة » وألف عبيد الله بن محمد بن بطة العكبرى [+ ٣٨٧ هـ] « كتاب الإبانة » وصنف أبو القاسم هبة الله بن الحسن الرازى اللالكائى [+ ٤١٨ هـ] « كتاب السنن » وكتب فى ذلك من المغاربة أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكى الأندلسى [+ ٤٢٩ هـ] « كتاب الأصول » وصنف أيضا فى ذلك أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبدالله الأنصارى الهروى [+ ٤٣٤ هـ] « كتاب السنة » وألف أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقى [+ ٤٥٨ هـ] كتاب الأسماء والصفات وتكلم فى ذلك فى عدة كتب حافظ المغرب بلا منازع أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى [+ ٤٦٣] وغير هؤلاء كثير(١) .

وابتدأت آراء الجهمية فى القرن الثانى للهجرة ، ولم تلبث مقالة الجهمية هذه ، أن انتشرت فى المائة الثالثة ، وتولى إذاعتها ، والدعاية لها ، والكتابة فيها بشر المريسى [+ ٢١٨ هـ] وهو فقيه ومتكلم ، ينسب إلى المرجئة أحيانا ، وينسب أحيانا أخرى إلى الجهمية ، ويذكر ابن تيمية أن أصل الجهمية ومقالتها يرجع إلى عناصر دخيلة على الإسلام ، لأن جهم بن صفوان [+ ١٢٨ هـ] أخذ مقالته عن جعد ابن درهم ، وقيل أيضا إن جعد بن درهم أخذ التعطيل عن أبان بن سمعان ، وأخذها أبان عن طالوت ، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودى ، أما جعد بن درهم فهو من أرض حران التى كانت فيها عناصر كثيرة من الصابئة والفلاسفة ، ومن ثم فإن مقالة الجهمية ترجع إلى عناصر فلسفية وصابئية ، ويهودية ، وقد أخذ الفارابى [+ ٣٣٩] نفسه عن فلاسفة حران ، كما أخذ جهم بن صفوان عن البوذية أو السمنية ، ولما انتشرت آراء الجهمية ومذهبها فى التعطيل وإنكار الصفات وفى القول بخلق القرآن تصدى لها الأئمة من سلف هذه

---

(١) ابن تيمية ، الفتوى الحموية الكبرى ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ، وطبعت بنفقة محمد صالح بن حسن نصيف ، مطبعة السلفية ، مكة المكرمة ، ١٣٥١ هـ ، ص ١٧ — ٢٠

الأمة بالرد ، وببيان ضلالها وإنحرافها ، وأخذها بما لا يتسق مع الكتاب والسنة، ولا مع نصوصها الصريحة ، الناطقة المبينة ، الواضحة ، التى ليلها كنهارها ، لا يضل عن فهمها إلا من أعمته الغواية ، أو وقع صريعا تحت أقدام الصابئة والفلاسفة ، والدخلاء من الملل والنحل الزائفة ، فتكلم فى ذلك مالك ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الله بن المبارك وغيرهم(١) ، وحذروا من مقالاتهم ، ومذاهبهم ، وناضلوا عن الدين . وبنشوء مقالة الجهمية ؛ نشأ التأويل الذى اعتبر أصل الفتنة فى تعطيل النصوص ، والتجاوز بها عن معانيها التى وضعت لها لغة وشرعا إلى معانى وآراء مدخولة ، تتحملها الباطنية ، والغنوصية ومن اليها من الجمعيات السرية التى كانت ترمى إلى هدم الشريعة ؛ وإضلال معتقديها ، وبلبلة ما استقر فى قلوبهم ؛ وامتزج بنفوسهم ، من عقائد واضحة ؛ لا لبس فيها ، ولا شائبة من غموض .

وبذلك يتضح لنا أن السلف هم أول من رد على منكرى الصفات ، وليس إنكار الصفات إلا رأيا فلسفيا ، تسرب إلى صفوف المسلمين ، ويمكن لنا القول بأن رد السلف على أهل التعطيل يعتبر أول خطوة فى الرد على النزعات الفلسفية فى تاريخ الإسلام ، ذلك الرد الذى توسع فيه من جاء بعد ذلك من الخلف ، الذى لم يستطع التخلص من آثار الفلسفة تمام التخلص ، رغم نقضه لها ، ومدافعتها؛ كما فعل الكثيرون من أصحاب المقالات .

وقد وصلتنا نماذج جيلة من هذه الردود ، ومن هذا النقد المنهجى السلفى ، للمقالات المخالفة ، والآراء الدخيلة . ومن هذه النماذج الناقدة التى ردت على الزنادقة والجهمية ، كتاب « الرد على الجهمية والزنادقة » لأحمد بن حنبل إمام أهل السنة ، وناصر الملة . الذى رأينا أن نفتتح به هذا السفر من رسائل السلف وكتبهم . ويحسن بنا أن نترجم لمؤلف كل رسالة أو كتاب ثم نقول كلمة عن رسالته أو مؤلفه . ونبدأ بشيخ السنة وإمام السلف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

---

(١) ن م . ص ١٥

١ - الإمام أحمد بن حنبل .

هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان[١] ولذلك يلقب بالشيباني ، حملت به أمه بمرو وولدته ببغداد فى شهر ربيع الأول سنة ١٦٤ هـ أما أبوه فهو والى سرخس واسمه محمد توفى سنة ١٧٩ هـ نشأ ببغداد، وتولت أمه تربيته ، وظهرت عليه لوائح النجابة فى صباه ، ومن شدة رغبته فى أخذ الحديث أنه كان يذهب إلى المساجد مبكرا حتى إن أمه كانت تشفق عليه . وتدعوه لأن ينتظر حتى يصبح الناس[٢] ، ولم يقتصر فى أخذ العلم على علماء بغداد فقط ، بل إنه رحل الى الكوفة ، والبصرة ، ومكة والمدينة ، واليمن والشام ، وأرض فارس ، وخراسان ، ثم عاد الى بغداد .

ابتدأ الاشتغال بالحديث وعمره ست عشرة سنة ، وكان أول سفر له ، رحلته الى الكوفة سنة ١٨٣ هـ وذهب الى البصرة سنة ١٨٦ هـ ودخل مكة للطلب على يد الإمام سفيان بن عيينة سنة ١٨٧ هـ ورحل الى اليمن للأخذ على المحدث المشهور عبد الرزاق الصنعانى سنة ١٩٧ هـ ، وقد قال فيه الإمام الشافعى [+ ٢٤٠] : [أحمد بن حنبل إمام فى ثمان خصال : إمام فى الحديث ، امام فى الفقه ، إمام فى اللغة ، إمام فى القرآن . إمام فى الفقر . إمام فى الزهد ، إمام فى الورع . إمام فى السنة)[٣] . أخذ الإمام أحمد عن شيوخ كثيرين أحصاهم الحافظ عبد الرحمن بن الجوزى فى كتابه . مناقب الإمام أحمد بن حنبل[٤] . وأخذ

(١) أبو اليمن مجير الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمى (٨٦٠ - ٩٢٨هـ)، المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الامام أحمد ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ ص ٦

(٢) ن . م . ص ٧

(٣) ن . م ص ٩

(٤) نشره محمد أمين الخانجى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، (١٣٤٩ هـ) ص ٣٣ - ٥٦

عنه جم غفير من الشيوخ والأئمة . فى الحديث والفقه . وغيرهما .

ذهب الإمام أحمد إلى أن الإيمان قول وعمل . وإلى أنه يزيد وينقص . أما موقفه من القول بخلق القرآن . فهو معروف فى تاريخ الأمة الاسلامية .

إذ كان موقفه فى تلك الفتنة التى امتحن فيها أشد أمتحان ، موقفا فريداً ، رائعا . لم يقف أحد من الفقهاء ، ولا من المحدثين ذلك الموقف الذى وقفه الإمام أحمد . وبه أثبت أن المسلم الحق لا تزعزعه الزلازل . ولا تأخذ قلبه الفتن . ولا توهنه الشدائد ولا تقف أمامه الصعاب ، مهما يكن مصدرها أو مأتاها . لم ترتعد فرائص أحمد بن حنبل من قوة السلطان . إذ وقف صابرا محتسبا . أمام المأمون ، والمعتصم ، والواثق . وما كان قد سلط عليه من عذاب . وضرب السياط المبرح ، الذى قام به جلادوه ، الذين أسالوا دمه ، ومزقوا من جسده . وحبسوه فى ظلمات السجن ، ولكنه ثبت ، وصبر ، واشتد مراسه .

ومات الخلفاء الثلاثة ، وبقى من بعدهم، محييا للسنة ، قاتلا للبدعة . ولذلك سماه أهل عصره : ناصر السنة وقامع البدعة ، وإمام أهل السنة . وساعده على ذلك المتوكل ، الذى ناصر السنة ، ورفع المحنة ، وأمر بنشر أحاديث الصفات والرؤية[1] ولقد أوذى كثير من المحدثين معه ، وامتحنوا ولقوا فى سبيل ذلك مالقوا أمثال أبى نعيم بن دكين ، وأبى عمرو الحارث بن مسكين ، والإمام أحمد ابن نصر الخزاعى ، وأبا مسهر الغسانى ، عبدالله الأعلى بن مسهر ، ولكن اشتهر من بين هؤلاء جميعا إمام أهل السنة أحمد بن حنبل .

أما مايتعلق بالصفات فإنه صرح فيما يرويه ابنه عبد الله بقوله : (هذه الأحاديث

(١) مقدمه محمد محيى الدين عبد الحميد ، المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الامام أحمد س ١٢ .

نرويها كما جاءت)(١) وقال أيضا بأن ما يرجع إلى عالم الغيب لا ينبغى الخوض فيه ، وإنما يفوض أمره إلى الله ، وصرح بذلك وبينه فقال : « من صفة المؤمن من أهل السنة ، والجماعة إرجاء ما غاب عنه من الأمور ، إلى الله» .

كما جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة يرون ربهم » فيصدقها ولا يضرب لها الأمثال (٢) ووقف من أهل الكلام موقفا معارضا . فقال : (لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة)(٣) ولم يقبل أبدا آراء الواقفة ، واللفظية ، والجهمية ، والقدرية ، إذ انه أعتبرها من أهل البدع ، المخالفة للسنة ، وقد عبر لنا عن جملة من الاعتقادات فيما رواه ابن الجوزى عن عبد الملك بن أبى القاسم عن عبد الله بن محمد الأنصارى عن أبى يعقوب وأحمد بن حمزة ، وغيرهما عن أحمد بن محمد بن عيسى عن يعقوب بن إسحق عن سعيد بن خشنام مولى بنى هاشم عن محمد بن يونس السرخسى عن محمد بن حميد الأندرانى .

قال . قال أحمد بن حنبل : صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله . وأقر بجميع ما جاءت به الأنبياء والرسل . وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه : ولم يشك فى إيمانه . ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب وأرجأ ماغاب عنه من الأمور إلى الله ، وفوض أمره إلى الله ، ولم يقطع بالذنوب . العصمة من عند الله ، وعلم أن كل شىء بقضاء الله ، وقدره . الخير والشر جميعاء ،ورجا لمحسن أمة محمد ، وتخوف على مسيئهم . ولم ينزل أحدا من أمة محمد الجنة بالإحسان ؛ ولا النار

---

(١) أبو الفرج ؛ عبد الرحمن بن الجوزى ، مناقب الامام أحمد بن حنبل ، ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(٢) ن . م . ص ١٥٦ .

(٣) ن . م . ص ١٥٦ .

بذنب اكتسبه . حتى يكون الله الذى ينزل خلقه حيث يشاء ، وعرف حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم . وقدم أبا بكر وعمر عثمان . وعرف حق على بن أبى طالب ، والزبير وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، على سائر الصحابة، فإن هؤلاء التسعة الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبل حراء .

فقال النبي . صلى الله عليه وسلم « اسكن حراء فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد » والنبي دعا شرهم ؛ وترحم على جميع أصحاب محمد صغيرهم وكبيرهم ، وحدث بفضائلهم ؛ وأمسك عما شجر بينهم .

وصلاة العيدين والخوف والجمعة والجماعات مع كل أمير أو فاجر والمسح على الخفين فى السفر والحضر . والتقصير فى السفر ، والقرآن كلام الله ، وتنزيله ، وليس بمخلوق . والإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، والجهاد ماض ، منذ بعث الله محمدا إلى آخر عصابة ، يقاتلون الرجال ، لا يضرهم جور جائر ، والشراء والبيع حلال إلى يوم القيامة ، على حكم الكتاب والسنة ، والتكبير على الجنائز أربعا، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح .

ولا تخرج عليهم بسفك ، ولا تقاتل فى فتنة وتلزم بيتك ، والإيمان بعذاب القبر ، والإيمان بمنكر ونكير ، والإيمان بالحوض والشفاعة ، والإيمان بأن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ، وأن الموحدين يخرجون من النار ، بعدما امتحنوا، كما جاءت الأحاديث فى هذه الأشياء عن النبي صلى الله عليه وسلم ،ولا نضرب لها الأمثال . هذا ما أجتمع عليه العلماء فى الآفاق(١) .

---

(١) ابن الجوزى ، مناقب الامام أحمد ، ص ١٦٥ — ١٦٦ .

مؤلفاته :

من أشهر مصنفاته كتاب السنة العظيم ، المسمى « بالمسند » يضم بين دفتيه ثلاثين ألف حديث ابتدأ فى تصنيفه سنة ١٨٠ هـ وكان يوصى ابنه بالعناية به ويقول له : (احتفظ بهذا المسند ، فإنه سيكون للناس إماما)(١) .

ومن مؤلفاته « التفسير » وبه مائه ألف وعشرون ألف حديث ، وألف « الناسخ والمنسوخ » ، « والمقدم والمؤخر فى كتاب الله » ، « وجوابات القرآن» ، و« التاريخ » و « حديث شعبة » و « والمناسك » الصغير ، والكبير والرد على الزنادقة فى دعواهم التناقض على القرآن ، و « الرد على الجهمية » وفضائل الصحابة » ، وكتاب الزهد .

ومع هذا فقد كان يمنع من كتابة كلامه ومسائله(٢) .

١ — كتاب الرد عل الزنادقة والجهمية :

من أهم الكتب التى وصلتنا عن السلف فى مجال الرد على الزنادقة والمشككين فى القرآن ، والمتأولين له على غير تأويله ، وفى مجال النضال عن الكتاب ، ومدافعة الطاعنين فيه ، والمحرفين لمعانيه ، بطريق التأويل الزائغ ، وقد حاول بعضهم(٣) أن يشكك فى نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد بن حنبل ، والواقع أن

---

(١) العليمى ، المنهج الأحمد ، ص ١٩ ، مناقب الامام أحمد لابن الجوزى ، ص ١٩١

(٢) ن . م . ص ١٩١ ، و ص ١٩

(٣) كما فعل الشيخ زاهد الكوثرى ، فى تعليقه على كتاب ابن قتيبة (+ ٢٧٦ هـ) « الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية » مكتبة القدسى ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ ص ٥٥ بدعوى إن نسبته إليه إنما كانت تعزى إليه فى القرن الرابع الهجرى عن طريق رواية مجهولة ، وأتى بعلل قادحة — حسب تصوره — المتن والسند . ولا ندرى ماهى هذه العلل القادحة ، التى صرح بأنه ذكرها فى موضع آخر ، ولم نجد لها ذكرا فى تعليقاته التى نعلمها .

الخلال (+ ٣١١ هـ) رواه عن طريق ابن أحمد بن حنبل وهو عبد الله ، وقد نص الخلال على هذا الكتاب فى كتابه « السنة » وأورده بجملته ، لأنه قد جمع فى هذا الكتاب نصوص الإمام أحمد ، وكلامه . وقد قلده فى هذا البيهق فجمع فى كتابه الذى سماه « جامع النصوص » ، كلام الشافعى ونصوصه[١] ، وقد أورد ابن القيم خطبـــة كتاب « الرد على الزنادقة والجهمية » فى كتابه « إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية[٢] وعدة مسائل منه[٣] .

قال الخلال . كتبت هذا الكتاب من خط عبد الله ، وكتبه عبد الله من خط أبيه[٤] واحتج القاضى أبو يعلى فى كتابه المشهور « بإبطال التأويل » ببعض نقول من كتاب « الرد على الزنادقة والجهمية » ونسبها إلى أحمد بن حنبل ، وكذلك ابن عقيل نقل عنه ، ما نقله فى بعض ، كتبه ونسبه إلى الإمام أحمد[٥] .

وقد ذكر ابن القيم أيضا أن أصحاب الإمام أحمد بن حنبل نقلوا عنه هـذا الكتاب قديما وحديثاً ، وعنهم نقل البيهق وعزى ذلك إلى أحمد بن حنبل ، ونسبه إليه أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية .

قال ابن القيم « ولم يسمع عن أحد من متقدمى أصحابه ولا متأخريهم طعن فيه[٦]» ، ومن الأدلة التى تثبت صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام أحمد بن حنبل

---

(١) ابن القيم ، إجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، القاهرة ، (دون تاريخ) ص ٦٥ .

(٢) ص ٩٥

(٣) ص ٩٥ — ٩٩

(٤) ن . م . ص ١٠٠

(٥) ن ، م . ص ١٠٠

(٦) ن . م ص ١٠

أن القاضى أبا الحسين بن القاضى ابن يعلى قال .أبى قرأت فى كتاب أبى جعفر محمد بن أحمد صالح بن أحمد بن حنبل ، قال قرأت على أبى صالح بن أحمد ، هذا الكتاب فقال :

هذا كتاب عمله أبى فى مجلسه ردا على من احتج بظاهر القرآن ، وترك مافسره رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يلزم أتباعه »(١) ، ويبدو أن الذى جعل بعض الكتاب يطعن فى نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد بن حنبل هو ورود « الخضر ابن المثنى » فى سند الرواية ، لأن الكتاب رواه أبو بكر عبد العزيز غلام الخلال، عن الخلال عن الخضر بن المثنى المذكور عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ، غير أن الخضر بن المثنى هذا مجهول ؛ والرواية عن مجهول مقدوح فيها ، ومطعون فى سندها .

وقد تكفل الجواب عن هذا ابن القيم فى كتابه « إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية » فذكر أن الخلال قال : إنه كتبه عن خط عبد الله بن أحمد ، وكتبه عبدالله من خط أبيه ، ومن جهة أخرى فإنه قد عرف الخلال الخضر ، وروى عنه ، ولا يضر جهالة غيره له(٢) ، وأغلب الظن أن الخلال أسنده إلى الخضر بن المثنى لأنه أحب أن يتصل سنده على طريقة أهل الحديث والآثار ، يضاف إلى ذلك أن الخضر كان صغير السن حين أخذ الكتاب عن عبدالله، ولم يكن من المعمرين ، ولا من الأئمة المشهورين بالعلم ، ولم يرو الخلال عن الخضر هذا الكتاب وحده ، بل روى عنه عدة آثار عن الإمام أحمد بن حنبل .

وذكر هذا الكتاب باعتباره من مؤلفات الإمام أحمد بن حنبل أيضا أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمى (٨٦٠ — ٩٢٨ هـ) . فى كتابه «المنهج الأحمد فى تراجم أصاب الإمام أحمد»

---

(١) ن ، م : ص ١٠١

(٢) ن : م : ص ١٠٠

ولكن يفهم منه أن الكتاب كتابان ، الرد على الزنادقة فى عواهم التناقض على القرآن ، كتاب منفرد ، « والرد على الجهمية » كتاب آخذ مستقل ، حيث قال : (والرد على الزنادقة فى دعواهم التناقض فى القرآن ، والرد على الجهمية)(١) .

ومما يدلنا على أنهما كتابان مستقلان ، أننا وجدنا فى بعض المكتبات مخطوطات لهذا الكتاب فلاحظنا أن « الرد على الجهمية » وجد مستقلا ، فى نسخة مخطوطة ، عن « الرد على الزنادقة » فى مكتبة « روان كشك » توجد نسخة من الرد على الجهمية كتب سنة ١٠٨٤ ، رقمها ٥١٠/٥ بها ١١ ورقة مقاس ١٧/٢٩سم وهو النص الخاص « بالرد على الزنادقة » فقط ، وكذلك نسخة الظاهرية ضمن مجموع رقم ١١٦ من ص ١ — ٢٣ فإنها رغم أنه كتب عليها : « الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى . . . » إلا أنها لا تشتمل إلا على نص « الرد على الجهمية ولم يتفطن إلى ذلك ناشر هذه النسخة السيد محمد فهر شقفه(٢) .

ونشر ذلك اعتقادا منه أنه كتاب كامل ؛ مع أنه لم ينشر إلا نصفه ، وتوجد نسخة أخرى فى مكتبة « روان كشك » مخطوطة تشتمل على الرد على الزنادقة وعلى الجهمية فى آن واحد ، وهى واقعة تحت رقم ٥١٠/٤ وبها ٨٥ورقة ومقاسها ١٧/٢٩ سم(٣) .

وقد جاء بعد ذلك الشيخ محمد بن أحمد السفارينى الأثرى الحنبلى(١١٤٤ — ١١١٨ هـ) فلخص فى كتابه « لوامع الأنوار البهية ، وسواطع الأسرار الأثرية ،

---

(١) المنهج الأحمد ص ١٩

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية للامام أحمد بن حنبل ، حققه وقدم له : محمد فهر شقفه ، منشورات مكتبة ابن الهيثم ، — حماه : ص ١٩ .

(٣) فهرس المخطوطات المصورة ، تصنيف فؤاد سيد ، القاهرة ، ١٩٥٤ جـ ١ ص ١٢٥ .

لشرح الدرة المضية فى عقد الفرقة المرضية (١) ماكتبه فى ذلك ابن القيم، وأثبت أن الكتاب من مؤلفات الإمام أحمد بن حنبل (٢) .

أما من أثبته من غير أصحاب الإمام أحمد فهو ابن النديم الذى ذكر له كتبا عديدة ومنها الرد على الجهمية ، فقال : (وله من الكتب : كتاب العلل ، كتاب التفسير . كتاب الناسخ والمنسوخ ، كتاب الزهد ، كتاب المسائل ، كتاب الفضائل ، كتاب الفرائض ، كتاب المناسك ، كتاب الإيمان ، كتاب الأثرية ، كتاب طاعة الرسول ، كتاب الرد على الجهمية ، كتاب المسند يحتوى على نيف وأربعين ألف حديث) (٣) .

ولكن ابن الجوزى لم يذكر هذا الكتاب، وإن كان قد نص على أنه لم يحص جميع مؤلفات ابن حنبل فقال (وأشياء أخر) (٤) ، وذكره أيضا ابن حجر العسقلانى فى شرح لصحيح البخارى (٥) :

موضوع الكتاب :

يشتمل هذا الكتاب على قسمين ، يرد الإمام فى القسم الأول منه ، على الزنادقة الذين كانوا يشككون الناس فى القرآن ، ويأخذون آيات معينة مقطوعة عن سياقها ، وعن جملة القرآن ، ويدعون أنها متناقضة مع آيات أخرى ، وأخذوا بعض المتشابه من القرآن وضلوا به ، وأضلوا ، وزاغوا عن الحق ، فأجاب أحمد بن

---

(١) طبع هذا الكتاب فى مطابع دار الأصفهانى وشركاه بجدة سنة ١٣٨٠ ﻫ على نفقة الشيخ على آل ثانى حاكم قطر . وبه تعليقات لمفتى الديار النجدية ، الشيخ عبد الرحمن ابا طين (+ ١٢٨٢) ، وهو كتاب يقع فى جزئين . وبه ٩٥٨ صفحة . بالجزء الأول ٤٧٨ ص ، وبالثانى ٤٨٠ ص .

(٢) ص ٦٦ — ٦٧ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ط . فلوجل (١٨٧٢ م) ص ٢٢٩

(٤) مناقب الامام أحمد ص ١٩١

(٥) فتح البارى ، ج ١٣ ص ٤٢٢

حنبل عن جميع ما ادعوا فيه من التناقض ، وسلك فى ذلك منهجا موضوعيا ، وهو أنه يسوق قول الزنادقة . ودعواهم ، ثم يأخذ بعد ذلك فى الرد عليهم،وبيان وجه الحق ، واعتمد فى ذلك على تفسير القرآن بالقرآن ، والنظر إليه فى جملته مما أفحم به هؤلاء الذين لم يفهموا القرآن فى جملته ، واقتطعوا منه آيات ، ثم زعموا أنها متناقضة ، واعتمد ابن حنبل كذلك على أصول اللغة العربية ومواصفاتها ، وعلى لسان العرب ، وقانونه فى مخاطباتهم ، ومحاوراتهم ، تلك اللغة التى لم يكن هؤلاء الزنادقة على معرفة بها، ولا على اطلاع على أسرارها اطلاع الإمام ابن حنبل عليها ، وعلى ما يتصل بها من مواصفات الشرع ، وألفاظه واستعمالاتها ، وبين بذلك زيف دعوى الزنادقة ، وبهرجة مزاعمهم الواهية ، ومطاعنهم الخائبة ، فى سوق الدعاوى الفاشلة ، الباطلة .

أما القسم الثانى فهو يشتمل على رد الإمام على فرقة الجهمية وعلى رأسها زعيمها الأول ، ومؤسس بدعتها ، جهم بن صفوان (+ ١٢٨ هـ) الذى تأثر بعناصر فلسفية فى نفى الصفات ، وبعناصر يهودية وصابئة ، وبوذية ، فى ترمذ ، والكوفة ، وحران ، فطلع على الناس ببدعته فى نفى الصفات ، والجبر ، وخلق القرآن ، لأن الله — فى نظره — لا يمكن أن يتصف بصفة تكون مشتركة بينه وبين خلقه .

فذلك — فى تصوره — يقتضى التشبيه ، إلا أنه أثبت أن الله قادر وفاعل لأن العبد لا يوصف بقدرة ، ولا بفعل .

وزعم أيضا أن الله يتصف بعلوم حادثة لا فى محل ، وأنه لا يجوز أن يعلم الشىء قبل وجوده وخلقه ، ووافقه فى ذلك هشام بن الحكم الشيعى ، وسلب عن الإنسان كل اختيار وإرادة ، وكسب ، وجعله بمثابة جماد أو شجرة أو ماء وزعم أيضا أن الإيمان معرفة فقط ، وأنه لا يتبعض ، ولا ينقسم إلى اعتقاد وقول وعمل ، وأن المعارف والاعتقادات لا تزيد ولا تتفاضل(١) .

---

(١) عبد القادر بن أحمد بن بدران الدمشقى ، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ص ١٤ — ١٥ .

ولذلك كله اشتد السلف فى الرد عليه ، لأن مذهبه يؤدى إلى تعطيل الصفات ، وإلى تعطيل التكليف والشرع ؛ وإبطال النبوات والرسالات ، ما دام يعتقد أن الإنسان لا كسب له ، ولا اختيار ، وإنما هو ريشة فى مهب الرياح .

ولذلك نجد الإمام أحمد بن حنبل قد ردفى هذا الجزء من الكتاب على الجهمية فى مسألتين أساسيتين وهما مسألة الصفات ومسألة خلق القرآن ويمكن القول بأن جهم بن صفوان أول من قال بوحدة الوجود فى تاريخ الإسلام وذلك أنه حينما سئل عن الله قال : (هو هذا الهواء ، مع كل شىء ، وفى كل شىء ، ولا يخلق من شىء)[١] .

وأخرج البخارى عن طريق عبد العزيز بن أبى سلمة قال : (كلام جهم صفة بلا معنى ، وبناء بلا أساس ، ولم يعد قط فى أهل العلم ، وقد سئل عن رجل طلق امرأته قبل الدخول ، فقال تعتد امرأته)[٢] وقال . عبد الله بن المبارك :

ولا أقول بقول جهم إن له ... قولا يضارع قول الشرك أحيانا

وأخرج ابن أبى حاتم (+ ٣٢٧ هـ) فى كتابه الرد على الجهمية من طريق خلف بن سليمان البلخى ، قال : (كان جهم من أهل الكوفة ، وكان فصيحا ، ولم يكن له نفاذ فى العلم ، فلقيه قوم من الزنادقة فقالوا له : صف لنا ربك الذى تعبده ، فدخل البيت لا يخرج مدة ، ثم خرج فقال : هو هـــذا الهواء مع كل شىء)[٣] .

---

(١) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، بشرح صحيح البخارى ، المطبعة البهية القاهرة ١٣٤٨ هـ جـ ١٣ ص ٢٩٥ .

(٢) ن . م . ص ٢٩٥ .

(٣) ن . م . ص ٢٩٥ .

وأخرج ابن خزيمة فى كتاب التوحيد ، وعنه أيضا أخذ البيهقى فى كتابه «الأسماء والصفات» قال : (سمعت أبا قدامة يقول سمعت أبا معاذ البلخى يقول : كان جهم على معبر ترمذ ، وكان كوفى الأصل ، فصيحا ، ولم يكن له علم ؛ ولا مجالسة أهل العلم فقيل له صف لنا ربك،فدخل البيت لا يخرج كذا ، ثم خرج بعد أيام فقال : هو هذا الهواء ، مع كل شىء ؛ وفى كل شىء ، ولا يخلو منه شىء)(١) .

ويروى أن أبا حنيفة قال:(بالغ جهم فى نفى التشبيه حتى قال: إن الله ليس بشىء)(٢)، ولم ينكر السلف على الجهمية الجبرية فحسب وإنما أجمعوا على ذم الجهمية بسبب إنكار الصفات،حتى زعموا أن القرآن ليس كلام الله ، وأنه مخلوق(٣) .

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد قال فى شأن جهم : (انه كان من أهل خراسان ، من أهل ترمذ . وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه فى الله تعالى ، فلقى أناسا من المشركين يقال لهم السمنية . . .)(٤) .

وذكر مناظرته مع هؤلاء السمنية الذين سألوه : هل رأى إلهه ؟ وهل سمع كلامه ؟ أوشم رائحته ؟ أو أحس به ؟ فقال لهم : لا،فقالوا له : فما يدريك إذن أنه إله ؟ فتحير جهم فى أمره ، وترك الصلاة أربعين يوما ، ثم احتج عليهم بحجة تشبه حجة النصارى ، وهى الاستدلال بالروح ، أو الحلول(٥) .

وذكر أيضا أن جهم بن صفوان بنى كلامه على ثلاث آيات متشابهة وهى قوله تعالى : (ليس كمثله شىء) (الشورى /١١) وقوله : (وهو الله فى السموات

---

(١) ن . م . ص ٢٩٥ .

(٢) ن . م : ص ٢٩٤ .

(٣) ن . م . ص . ١٩٤ .

(٤) الرد على الجهمية والزنادقة ص ٦٠ .

(٥) ن . م . ص ٦٦ .

والأرض) (الأنعام /٣) ، وقوله : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (الأنعام /١٠٣) وتأول القرآن على غير تأويله .

وكذب بأحاديث رسول الله وهو غير عالم بها ولا بصحتها أو سقمها ،وذهب إلى أن من وصف الله بشيء مما وصف الله به نفسه فى القرآن أو فى الحديث كان مشبها ، فأضل بذلك كثيرا من الناس .

وذكر الإمام أحمد بن حنبــــل أنه أثر فى جماعة من أصحاب أبى حنيفة (+ ١٥٠ هـ) . وفى جماعة من أصحاب عمرو بن عبيد المعتزلى البصرى (+ ١٤٢ هـ) ؛ فأصبح الجهمية يقولون فى الله : (ليس كمثله شيء من الأشياء ، وهو تحت الأرضين السبع ، كما هو على العرش ، ولا يخلو منه مكان ، ولا يكون فى مكان دون مكان ، ولم يتكلم ولا يتكلم ، ولا ينظر إليه أحد فى الدنيا ، ولا الآخرة ، ولا يوصف ، ولا يعرف بصفة ، ولا يفعل (؟) ولا له غاية ؛ ولا له منتهى ، ولا يدرك بعقل ، وهو وجه كله ؛ وهو علم كله،وهو سمع كله ، ولا بصر كله ، هو نوركله ، وهو قدرة كله ، ولا يكون فيه شيئان . ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له أعلى ، ولا أسفل ،ولانواحى ، ولاجوانب ، ولا يمين ولاشمال، ولاهو خفيف ، ولاثقيل،ولاله لون ،ولا له جسم ،وليس هو بمعمول ،ولامعقول وكلما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه ، فهو على خلافه)[1] .

وليس هذا الأسلوب السلبى ، إلا نفس أسلوب المعتزلة والفلاسفة الذين ينفون الصفات ، وليس ذلك غريبا فقد نص ابن تيمية فى هذا الكتاب على أن أصحاب عمرو بن عبيد المعتزلى قد تأثروا بالجهمية وأخذوا عنهم.كما تأثر أصحاب أبى حنيفة أيضا بهم . بل ان ابن قتيبة (+ ٢٧٦ هـ) صرح بأن أبا حنيفة نفسه تكلم فى القرآن ، كما تكلم جهم بن صفوان[2] .

(١) الرد على الزنادقة والجهمية ص ٦٧ — ٦٨ .

(٢) رد الامام الدرامى عثمان بن سعيد ، على بشر المريسى العنيد ص ٥٠٢ .

وعارض عثمان بن سعيد الدارمى (+ ٢٨٠ هـ) الذين قلدو أبا حنيفة فقال : (فبؤسالك ، ولأصحابك الذين قلدتم دينكم أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمد بن الحسن ، فى أكثر ما تفتون ، بما لا تقعون من أكثره على كتـــاب ولا سنة)(١) .

وذهب الجهمية إلى أن الله شىء لا كالأشياء . إلا أن الإمام أحمد ابن حنبل يرد على ذلك بأنه إذا كان شيئا لا كالأشياء ، فمعنى ذلك أنه لا شىء عند أهل العقل،وأنه عدم محض .

وأبان عن أن الجهمية لا يؤمنون بشىء وإنما يستترون بذلك دفعا للشناعة التى تلحقهم إذا ما أعلنوا بما يعتقدون ، وأبانوا عنه ظاهرا ، صريحا ، للناس .

وليس هناك دليل فى القرآن ، يدل على أنه مخلوق ، وأما مااستدل به الجهمية من قوله تعالى : (إنا جعلناه قرآنا عربيا) [الزخرف/١] فان جعل فى هذه الآية لاتدل على الخلق ، كما زعم هؤلاء الجهمية ، وذلك لأن جعل فى القرآن وردت على وجهين بالنسبة للمخلوقين ، الوجه الأول بمعنى التسمية مثل قوله تعالى : (الذين جعلوا القرآن عضين) [الحجر/٩١].

وقوله تعالى :(وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) [الزخرف/١٩] أى أنهم سموا القرآن عضين ، وسموا الملائكة إناثا ، والوجه الثانى بمعنى فعل من أفعال المخلوقين .

وذلك كقوله تعالى : (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) [البقرة/١٩] ، وأما جعل بالنسبة لله،فقد وردت بمعنى خلق،وعلى معنى غير خلق .

ومما ورد فى القرآن على معنى خلق قوله تعالى : (الحمد لله الذى خلق السموات الأرض ، وجعل الظلمات والنور) [الأنعام/١] أى خلق الظلمات والنور وأمثال ذلك كثيرة فى القرآن .

(١) الرد على الجهمية ص ٦٨ .

وأما ما ورد على غير معنى خلق فمثل قوله تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ، ولا سائبة) (١٠٣/المائدة) ومثل قوله : (إنى جاعلك للناس إماما) (البقرة/٢٤) فجعل فى هاتين الآيتين ليست بمعنى خلق (١) .

وادعى الجهمية أن القرآن هو غير الله ، وأنه فعل الله ، وإذا غيرا فإنه يكون مخلوقا ، إلا أن ابن حنبل وصف هذه الدعوى بأنها من المغاليط ، لأن الله لم يصرح فى القرآن بأنه هو أو غيره ، وإنما قال إنه كلامه ، فسميناه بما سماه الله به .

ومن جهة أخرى فإن الله ميز وفصل بين قوله ، وبين خلقه فقال : (ألا له الخلق والأمر) (الأعراف /٥٤) فكل مخلوق من المخلوقات داخل فى قوله : (ألا له الخلق) ؛ وأما ما ليس بخلق فهو قوله : (والأمر) والأمر هنا هو قوله،وقوله هو كلامه(٢) .

وبين بعد ذلك أصول العربية فى الوصل والفصل بين التراكيب اللغوية ،بما لا يجعل الشك يتطرق إلى ما يذهب إليه من التفسير ، والإبانة لمعنى القول والأمر والخلق وغير الخلق(٣) .

وفرق أحمد بن حنبل أيضا بين الشىء وبين القول لأن الشىء ما كان بقوله ، وليس الشىء هو أمره ، أو قوله فالمخلوق إنما هو المقول له كن ، لا الـ « كن » نفسها ، وذلك أن الجهمية ، أدعت أن القرآن شىء وبما أنه شىء فهو مخلوق لأن الله قال : (خالق كل شىء)(٤)، وإذا كان القرآن شيئا فإنه غير داخل فى الأشياء المخلوقة

(١) ن . م . ص ٩٦ — ٧١

(٢) ن : م : ص ٧٣

(٣) ن . م . ص ٧٤

(٤) ن . م . ص ٧٦

أما قوله تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) (العنكبوت/٤٥) فالمراد بالذكر هنا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه مذكر ومبلغ ، لأن هذه الآية انفردت بذكر النبي ، ولذلك وصف بأنه محدث لأن النبي ، كان لا يعلم ،فلما علمه الله ، كان ذلك محدثا له (١) .

وليس فيما استدل به الجهمية ، من قوله :(تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته) (النساء/١٧١) وبما أن الله سمى عيسى كلمة ،وبما أن عيسى مخلوق فالكلمة مخلوقة ، أى أن القرآن مخلوق ليس فى ذلك أى دليل ، وذلك لأن عيسى تجرى عليه أوصاف لا تجرى على القرآن ، ولا يجوز لنا أن نقيس القرآن على عيسى ، فعيسى مخلوق ، « بكن » وليس عيس هو « الكن » ، وإنما كان « بالكن» والكن من الله قوله ، وكلامه ، وليس مخلوقا(٢) .

وكذلك قوله تعالى : (وروح منه) فى شأن عيسى ،فعيسى ليس من ذات الله كما تزعم النصارى ، حيث أعلنت أنه من ذات الله، كما أن الخرقة يقال فيها إنها من هذا الثوب ، لأن عيسى كان بالكلمة ، وليس هو كلمة إنما هو أثر الكلمة ، ومخلوقها ، ومعنى روح الله هنا ، أنها روح كانت بكلمة الله ، ومخلوقة بأمره ، كما يقال عبد الله ، وأرض الله(٣) فهى فعل من أفعال الله وخلق من مخلوقاته.

وقول الله هو الحق وبالحق خلق الله السموات والأرض، وليس قوله شيئا كائنا حادثا، كما حدثت الأشياء التى توجد فى السموات والأرض(٤) .

ورد على الجهمية بعد ذلك فيما يتعلق بالرؤية ،(٥) ، وبتكليم الله تعالى لموسى

---

(١) ن : م : ص ٨٢

(٢) ن : م : ص ٨٣

(٣) ن : م : ص ٨٣

(٤) ن : م : ص ٤٨

(٥) ن : م : ص ٨٥

عليه السلام[١] ورد عليهم أيضا قولهم إن صفات الله مخلوقة ، وإنكارهم الاستواء على العرش ، وتأويلهم له[٢] ، ومذهبهم فى المعية[٣] ثم نقد رأيهم فى الأحاديث التى أستدلوا بها على أن القرآن مخلوق حادث[٤] ، ثم تأويلهم لقول الله تعالى ، : (هو الأول والآخر)[٥] ورد مذهبهم فى أن الله نور كله ، وبهذا ختم هذه الرسالة الناقدة لمنهج الزنادقة ، والجهمية ، فى تأويل الايات المتشابهة وفى دعوى التناقض فى القرآن .

ولكن بقى سؤال وهو هل أن الجهمية التى رد عليها الإمام أحمد بن حنبل هى مقالة جهم بن صفوان،أم أنه يقصد بذلك المعتزلة أيضا،وقد لقبوا بالجهمية عند كثير من السلف المتقدمين والمتأخرين ؟

يرى الشيخ السلفى المعاصر جمال الدين القاسمى (+ ١٣٣٢ هـ) أن المقصود بالجهمية فى هذه الرسالة إنما هم المعتزلة وقال : (فالإمام أحمد فى كتابه الرد على الجهمية ، والبخارى فى الرد على الجهمية،ومن بعدهم إنما يعنون بالجهمية ، فيه المعتزلة، لأنهم كانوا فى المتأخرين أشهر بهذه المسائل من الجهمية ، ولكن كان غرض المتقدمين بالرد والمناقشة ، الجهمية لأنها الأم لغيرها ، والسابقة على سواها فى الظهور ، بل هى أول فئة ظهرت فى الإسلام بمذهب التأويل[٦] .

---

(١) ن : م : ص ٨٧

(٢) ن : م : ص ٩٢

(٣) ن : م : ص ٩٥

(٤) ن : م : ص ١٠٠

(٥) ن : م : ص ١٠٠

(٦) القاسمى ، كتاب تاريخ الجهمية والمعتزلة ، مطبعة المنار ، القاهرة ، ١٣٣١ ص ٤٤ — ٤٥ وكان قد طبع فى المجلد السادس عشر من مجلة المنار .

أى أنه أعتبر أحمد بن حنبل والبخارى من السلف المتأخرين،أما من قبلهما من المتقدمين ، والواقع أنه يمكن لنا القول بأن رسالة أحمد بن حنبل قصد بها الرد على الجهمية المعتزلة والجهمية الأولى ، لأنه ابتدأ بذكر جهم بن صفوان وبذكر تاريخه وصفاته ، ثم ذكر بعد ذلك أنه تأثر به جماعة من أصحاب أبى حنيفة ، وأصحاب عمرو بن عبيد المعتزلى،لأن الفرقتين قد اشتركتا فى عدة مقالات ، قال الإمام ابن تيمية : (لما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات فى أوائل المائة الثالثة على عهد المأمون ، وأخيه المعتصم . ثم الواثق ، ودعوا الناس إلى التجهم ، وإبطال صفات الله تعالى ، وطلبوا أهل السنة للمناظرة ، لم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط بل كانت مع جنس الجهمية من المعتزلة ، والنجارية والضرارية ، وأنواع المرجئة . فكل معتزلى جهمى . وليس كل جهمى معتزليا . لكن جهم أشد تعطيلا . لأنه ينفى الأسماء والصفات . وبشر المريسى كان من المرجئة . ولم يكن من المعتزلة . بل كان من كبار الجهمية(١) .

وقد استعنا فى تحقيق نص «الردعلى الزنادقةوالجهمية» بنسخةطبعت بمطبعةالإمام بمصر (دون تاريخ) تقع فى ٤٦ص وهى التى رمزنا إليها بالالف و بنسخةأخرى طبعت بحماه بتحقيق محمد فهر شقفه . (١٣٨٦ هـ/١٩٦٧) معتمدا فى ذلك على مخطوطة فى الظاهرية تحت رقم ١١٦ ضمن مجموع . ولكن هذه النسخة ينقصها « الرد على الزنادقة » ورمزنا إلى هذه النسخة بحرف (ب) .

ورأينا أن نلحق بكتاب الإمام أحمد بن حنبل فقرة فى الرد على الجهمية أيضا لأحد تلاميذه وأصحابه المحدث الثقة أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى الحافظ المتوفى سنة ٢٧٥ هـ الذى ذكر الذهبى عنه أنه كان يتشبه بشيخه الإمام أحمد، ويحذو حذوه . وهو نص مأخوذ من كتابه « مسائل الإمام أحمد » الذى نشره وقدم له الشيخ رشيد رضا . كما حققه الشيخ بهجت البيطار وقارنه بنسخة أخرى

---

(١) منهج السنه النبوية ؛ جـ ١ ص٢٥٦ .

فى الظاهرية تعتبر من أقدم مايوجد فيها من المخطوطات إذ أنها نسخت سنة٢٦٦هـ أى فى حياة المؤلف نفسه (١) .

وقد طبع بمطبعة المنار ، القاهرة ١٣٥٣ هـ ويقع هـــذا النص فيه من ص ٢٦٢ــ ٢٧٤ . وأكثر ماورد فى هذه الفقرة مروى عن الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله ورضى عنه .

٢ ــ خلق أفعال العباد للامام البخارى .

أما مؤلفه فهو أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن إسماعيل ابن إبراهيم ، بن المغيرة ، بردزبه . الجعفى ولد فى ١٣ شوال سنة ١٩٤ هـ ببخارى قرب سمرقند الواقعة الآن تحت سيطرة الاتحاد السوفياتى ، تلك المدينة العظيمة فى تاريخ الإسلام ، ولـكنك إذا دخلتها اليوم وجدت مساجدها قد خربت ، وآثارها الإسلامية القديمة آيلة إلى الاندراس ، وبها قبر قثم بن عباس الصحابى الجليل ، وبخارى مدينة كبيرة من بلاد التركستان على نهر زرافستان وقد فتحت فى منتصف القرن الأول الهجرى ، وأصبحت مركزا هاما من مراكز الثقافة الإسلامية (٢) ، وماتزال بها مدرسة للعلوم الإسلامية إلى اليوم .

ولد البخارى فى أسرة صالحة ذات ثراء وعلم وتقى ، ومات والده وهو طفل ، فحدبت أمه عليه ورعته خير رعاية ، وحجت به أمه ، ورجعت إلى بخارى . أما ابنها فقد بقى فى الحجاز ، معتكفا على العلم . وعلى لقاء شيوخه ، والأخذ عنهم . أخذ عن شيوخ كثيرين فى موطنه وفى غير موطنه من بلاد الإسلام ، فقد حدث عن الداخلى ، ومحمد بن يوسف البيكندى ، وهارون بن الأشعث قال البخارى

---

(١) مسائل الامام أحمد بن حنبل ص (م) .

(٢) لجنة أحياء كتب السنة ، التعريف بأمير المؤمنين فى الحديث ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ ص ١٥ .

(فلما طعنت فى ست عشرة حفظت كتب ابن المبارك ، ووكيع ، وعرفت كلام هؤلاء) (١) ويذكر لنا أيضا أنه لقى مايزيد على ألف شيخ من شيوخ الحديث قال : (لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز ، والعراق ، والشام ، ومصر ، وخراسان ، فما رأيت واحدا منهم ، يختلف فى هذه الأشياء : إن الدين قول وعمل ، وأن القرآن كلام الله (٢)) ونص على دخوله إلى بلدان كثيرة فقال : (دخلت إلى الشام ومصر ، والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، واقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصى كم دخلت الكوفة ، وبغداد مع المحدثين) (٣) ، وأحصى من كتب عنهم الحديث فقال : (كتبت عن ألف وثمانين نفسا ، ليس منهم إلا صاحب حديث) (٤) وكان يجالس أحمد بن حنبل فى بغداد ، ولما ودعه أسف ابن حنبل لوداعه ، قال البخارى : (دخلت بغداد ثمان مرات كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل ، فقال لى آخر ماودعته : ياأبا عبد الله ، تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان ؟) (٥) ، ومن أشهر شيوخه فى الحديث سريح بن النعمان ، وأحمد بن حنبل ، وأبو مسلم بن عبد الرحمن بن أبى يونس ، وأبو نعيم الفضل بن دكين ، والحسن بن عطية ، ومحمد بن عبد الله الأنصارى ، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسى ، وأحمد بن عبد الملك الحرانى ، وإسماعيل بن عبد الله الرقى ، ومحمد بن يوسف الفريابى ، وأبو اليمان بن نافع ، وحيوة بن شريح ، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى ، وأبو الوليد أحمد بن محمد الأرزقى ، وأصبغ بن الفرج وسعيد بن أبى مريم ، ويحيى بن عبد الله بن بكير ، ويحيى بن بشر الزاهد

---

(١) ابن حجر ، فتح البارى ج ١ ص ١٩٣

(٢) السبكى ، طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢١٧

(٣) ابن حجر ، هدى السارى ، ص ١٩٤

(٤) ن . ذ . ص ١٩٤

(٥) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢١٧

ومحمد بن يحي الصائغ ، ومحمد بن مقاتل ، وقد أحصى المؤرخون وأصحاب الحديث شيوخ البخارى فى خمس طبقات(١) .

أما ما يتعلق بحفظه ، وقدرته على استحضار الحديث ، فأمر ليس له نظير ، إذ حدثنا عن نفسه أنه يحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتى ألف حديث غير صحيح ،(٢) وأخرج كتابه الجامع من نحو ستمائه ألف حديث ، وصنعه فى ستة عشر سنة(٣) ، وكان يحفظ الحديث من سماعه مرة واحدة . لما أتاه الله من قدرة عجيبة على الحفظ والاستظهار .

مصنفاته :

من أعظم مؤلفاته كتابه فى الحديث المسمى « بالجامع الصحيح » والذى أشتهر عند الناس بصحيح البخارى ، يذكر ابن حجر أنه رواه عنه تسعون ألفا ، ومنها الأدب المفرد(٤) ، ورفع اليدين فى الصلاة(٥) ، والقراءة خلف الإمام(٦) ، وبر الوالدين ، والتاريخ الكبير(٧) ، والتاريخ الأوسط ، والتاريخ الصغير(٨) . وخلق أفعال العباد(٩) وكتاب الضعفاء(١٠) ، والجامع الكبير ، والمسند الكبير ،

---

(١) ن : م : ص ٢٠٢

(٢) طبقات الشافعية ص ٢٢١

(٣) طبع بالقاهرة ١٣٧٥ هـ .

(٤) طبع فى الهند ١٢٥ هـ

(٥) طبع فى الهند سنة ١٢٩٩ هـ

(٦) طبع فى الهند بعناية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١ — ١٣٦٢ هـ فى أربع مجلدات تحتوى على ثمانية أجزاء .

(٧) طبع فى الهند فى طبع حجرى عام ١٣٢٥ هـ

(٨) طبع فى الهند ١٣٠٦ .

(٩) له كتابان بهذا الاسم ، الضعفاء الكبير والضعفاء الصغير وقد طبع الضعفاء الصغير فى الهند عام ١٣٢٥ هـ

أما التاريخ الأوسط فتوجد نسخة منه مخطوطة فى حيدر آباد بالهند وكذلك كتاب الضعفاء الكبير فإنه توجد منه نسخة فى (باتنه) وذكر ذلك المستشرق برو كلمان (التعريف بالبخارى ص ٨٧).

التفسير الكبير ، وتوجد منه نسخة فى المكتبة الوطنية فى الجزائر وأخرى فى المكتبة الوطنية فى باريس[١] ، كتاب الأشربة ، كتاب الهبة ، كتاب أسامى الصحابة ، كتاب الوحدان ، كتاب المبسوط ، كتاب العلل، كتاب الكنى ، كتاب الفوائد ، كتاب سنن الفقهاء ، كتاب قضايا الصحابة ، والتابعين .

وقد سلك فى كتابه « الجامع الصحيح» منهجا نقديا ، وشروطا فى الرواة غاية فى الضبط ، والعناية ، والتحرى ، مما جعله من أصح الكتب التى وصلتنا فى الحديث .

والمصنف الذى يهمنا هنا إنما هو كتابه « خلق أفعال العباد » وقد طبع هذا الكتاب « فى المطبع الأنصارى الواقع فى الدهلى » باهتمام المولوى عبد المجيد[٢] . وهو يقع من ص ٦٩ — ٩٦ . وذلك فى سنة ١٣٠٦ هـ فى طبعة حجرية ، وهو من أهم الكتب التى وصلتنا فى مجال العقائد السلفية التى عزمنا على بعثها والاهتمام بها ، ولم يشك أحد فى ثبوت نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه ، وذلك أنه رواه عنه يوسف بن ريحان بن عبد الصمد ، والفربرى [٣] .

وذكره ابن حجر ونقل عنه فى شرحه لصحيح البخارى ، فى عدة مواضع وخاصة فى آخر شرحه ، حين بين معانى كتاب البخارى ، فى « التوحيد والرد على الجهمية » نقل قوله : (قال البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد : بلغنى أن جهما كان يأخذ عن الجعد بن درهم ، وكان خالد القسرى وهو أمير العراق . خطب فقال: إنى مضح بالجعد بن درهم لأنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم

(١) التعريف بأمير المؤمنين فى الحديث ، ص ٧٢ .

(٢) وقد كتب ذلك على اول السفر الذى طبع به مع كتاب إعلام اهل العصر بأحكام ركعتى الفجر ، وكتاب العلو ، وكتاب القول المحقق .

(٣) التعريف بالبخارى ص ٧٢ .

موسى تكليما)[١] ، وقال ابن حجر أيضا ناقلا عن البخارى ، من كتابه « خلق أفعال العباد » :

(ثم وجدت بيان مراده فى كتابه الذى أفرده فى خلق أفعال العباد ، فقال : اختلف الناس فى الفاعل ، والفعل ، والمفعول)[٢] .

ونقل عنه أيضا تفرقته بين ذكر الله وذكر العبدفقال : (قال البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد بين بهذه الآية أن ذكر العبد غير ذكر الله عبده ، لأن ذكر العبد الدعاء والتضرع ، والثناء ، وذكر الله الإجابة)[٣] ونقل منه رأى البخارى فى مسألة كسب الإنسان أفعاله[٤] .

موضوع الكتاب :

تحدث فيه البخارى عن القرآن أولا . ورد فيه على الجهمية القائلين بخلقه . ويشبه حديثه فى ذلك ، حديث الإمام أحمد بن حنبل « فى الرد على الزنادقة والجهمية » .

وقد نسب إلى الإمام البخارى أنه كان يقول : لفظى بالقرآن مخلوق . وأنه لما سئل عن ذلك أجاب بقوله : القرآن كلام الله غير مخلوق . وأفعال العباد مخلوقة» والامتحان بدعة (٥) .

---

(١) ابن حجر ، فتح البارى ، جـ ١٣ ص ٢٩٥ .

(٢) ن : م : ص ٣٧٥ .

(٣) ن : م : ص ٤١٨ .

(٤) ن : م : ص ٤٢٠ .

(٥) هدى السارى ص ٢٠٣ .

ولكن سائله نسب إليه أنه قال: «لفظى بالقرآن مخلوق»، وقد رد على ذلك بقوله: (من زعم من أهل نيسابور. وقومس. والرى. وهمذان. وبغداد. والكوفة. والبصرة. ومكة. والمدينة أنى قلت: «لفظى بالقرآن مخلوق» فهو كذاب. فإنى لم أقله. إلا أنى قلت: أفعال العباد مخلوقة)(١). وقد صرح فى كتابه «خلق أفعال العباد» بمذهبه فى القرآن فقال: والقرآن كلام الله غير مخلوق)(٢).

وأما أفعال العباد فقد بين لنا أنها مخلوقة. فقال: (سمعت عبد الله بن سعيد يقول: سمعت يحى بن سعيد يقول: مازلت أسمع من أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة. قال أبو عبد الله (أى البخارى) حركاتهم وأصواتهم: واكتسابهم .وكتابتهم مخلوقة. فأما القرآن المتلو، المبين، فى المصاحف، المسطور، المكتوب. المدعى فى القلوب، فهو كلام الله، ليس بخلق. قال الله (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم)(٣).

وبين أن المداد والرق أو الورق الذى كتب فيه القرآن فهو مخلوق. قال البخارى: (فأما المداد والرق ونحوه فإنه خلق. كما أنك تكتب «الله» فالله فى ذاته هو الخالق. وخطك واكتسابك من فعلك. لأن كل شىء دون الله، يصنعه، وهو خالق)(٤).

وكذلك أصوات العباد، فإنها مخلوقة مؤلفة. قال: (وأن أصوات العباد مؤلفة حرفا، فيها التطريب والغمز واللحن، والترجيع)(٥).

---

(١) طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٢٣ .

(٢) ص ١٣٦ .

(٣) ن : م : ص ١٣٨ .

(٤) ن : م : ص ١٤٠ .

(٥) ن : م : ص ١٤٦ .

وأما مايروى من أن الإمام أحمد بن حنبل كان يقول بقدم الصوت والحرف أو أنه كان يبدع من يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فإنه غير صحيح ، قال البخارى : (فأما مااحتج بن الفريقان لمذهب أحمد ويدعيه كل لنفسه فليس بثابت كثير من أخبارهم ، وربما لم يفهموا دقة مذهبه ، بل المعروف عن أحمد ، وأهل العلم ، أن كلام الله غير مخلوق ، وماسواه مخلوق ، وأنهم كرهوا البحث ، والتنقيب عن الأشياء الغامضة ، وتجنبوا أهل الكلام ، والخوض والتنازع ، إلا فيما جاء فيه العلم ، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

ولكن يمكن أن يفهم من البخارى أن التلفظ بالقرآن مخلوق ، وذلك أنه بين أن التلاوة مخلوقة ، والمتلو غير مخلوق ، فقال : فبين أن التلاوة من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأن الوحى من الرب ، ومنه قول عائشة ، رضى الله عنها : (ماكنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيا يتلى) ، فبينت رضى الله عنها : أن الإنزال (من الله ، وأن الناس يتلونه) (٢) .

وبما أنه صرح بأن أصوات العباد مخلوقة لأنها من الأفعال ، فالتلاوة إذن مخلوقة وليست التلاوة إلا التلفظ بالقرآن ، ومن أجل هذا نسبوا إلى البخارى أنه قال : « لفظى بالقرآن مخلوق » لأنه لازم مذهبه فى خلق التلاوة والأصوات وللبخارى منهج فى الاستدلال فى غاية الدقة وذلك أنه يورد النصوص من القرآن والسنة ، وكلام السلف ، ثم يستخلص منها مذهبه فيما يذهب إليه من عقائد وآراء ، وماهذا المنهج إلا منهج استقرائى ، شديد التتبع للنصوص . وفحصها والإستنتاج منها ، بكل حذر ، ودقة ، واحتياط ، ولم نر لأحد من المؤلفين هذه الدقة المنهجية التى سار عليها البخارى فى هذا الكتاب الجليل ، ويمكن القول إن هذا المنهج سار عليه أهل الحديث قاطبة . ولكن البخارى قد تفوق فى هذا ، فلم يكن له نظير ، ولا شبيه .

---

(١) ن : م : ص ١٥٤

(٢) ن : م : ص ١٦١

وقد بين لنا غاية البيان أن التلاوة غير المتلو ، وأن القراءة غير المقروء فقال: (وهذا واضح بين عند ماكان عنده أدنى معرفة أن القراءة غير المقروء) [١] ، وقال أيضا : (القراءة هى التلاوة ، والتلاوة غير المتلو) [٢] وقال :(وإنما نسب إلى العباد القراءة لا القرآن ، لأن القرآن كلام الرب ، جل ذكره ، والقراءة فعل العبد ، ولا يخفى معرفة هذا القدر إلا على من أعمى الله قلبه ، ولم يوفقه ، ولم يهده سبيل الرشاد ، وليس لأحد أن يشرع ، فى أمر الله عز وجل ، بغير علم . كما زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا ، وألفاظنا به شىء واحد، والتلاوة هى المتلو ، والقراءة هى المقروء ، فقيل له : إن التلاوة فعل التالى ، وعمل القارىء ، فرجع وقال ظننتها مصدرين ، فقيل له : هلا أمسكت كما أمسك كثير من أصحابك) [٣] .

فهو يرد هنا على من زعم أن التلفظ بالقرآن قديم ؛ وأن فعل التلاوة أو القراءة قديم ، كما زعم بعض الناس فى عصره ، وغلوا فى القول بغير علم ، ولا هدى ، ولا بصيرة ، وأضلوا ناسا كثيرين ، فقالوا بقدم الصوت والحرف، ويبدو فى أغلب الظن أن البخارى رحمه الله ألف هذا الكتاب فى بيان خلق أفعال العباد ليبين من خلاله إلى الناس أن تلاوة القرآن ، وكتابته ، كل ذلك مخلوق . مادام فعلا للانسان ، وعملا من أعماله ، التى تنسب إليه ، ويحدثها ، ويقوم بها وبين لنا أن سبب ضلال كثير من الناس إنما هو جهلهم بمعانى اللغة العربية وعجمتهم [٤] .

وليس اللفظ هو المدلول به عليه ، فاذا تلفظ الإنسان بلفظ الله ، فليس الله هو لفظه به ، قال البخارى : فإن اللفظ غير الذى تلفظ به ، لأنك تلفظت بالله ،

---

(١) ن : م :ص ١٩٩

(٢) ن : م : ص ٢٠٠

(٣) ن : م : ص ٢٠٠ —٢٠١

(٤) ن : م : ص ٢٠١

وليس الله هو لفظك ، وكذلك تلفظ بصفة الله ، بقول الله ، وليس قولك : الله هو الصفة ، إنما تصف الموصوف ، فأنت الواصف ، والله الموصوف بكلامه ، كالواصف الذى يصف بكلام غير الله،وأما الموصوف بصفته وكلامه فهو الله)[١] .

وإذا كان الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه قد قال :

« لاتعجبنى قراءة حمزة » فليس معنى ذلك أنه قال : « لايعجبنى القرآن » [٢] .

وحلل الإمام البخارى الفعل والمفعول والفاعل تحليلا فى غاية الدقة والبراعة ، قال : فالفعل إنما هو إحداث الشىء ، والمفعول هو الحدث لقوله : (خلق السموات والارض) (الأنعام ٧٣) فالسموات والأرض مفعول ، وكل شىء سوى الله بقضائه فهو مفعول ، فتخليق السموات فعله ، لأنه لايمكن أن تقوم سماء بنفسها ، من غير فعل الفاعل ، وإنما تنسب السماء إليه ، لحال فعله ، ففعله من ربوبيته حيث يقول : (كن فيكون) (يس ٨٢) ولكن منه صنعته،وهو الموصوف به ، كذلك قال رب السماوات ورب الأشياء [٣] ، فالفعل عنده إنما هو صفة ، أما المفعول فغيره ، والوصف إنما هو قول القائل ، فاذا قيل :

هذا رجل طويل ، وجميل ، فالطول والجمال صفتان للرجل ، وقول القائل أو لفظ اللافظ إنما هو وصف ، وإذا قال القائل : الله رحيم أو عليم أو قدير ، فقول هذا القائل واللافظ وصف، أما الرحمة أو العلم ، أو القدرة فذلك كله صفات ،فكأن الوصف هو اللفظ ، أما الصفة فهى المعنى[٤] ، ثم بين لنا مذاهب المسلمين فى الفعل والفاعل والمفعول فقال :

(واختلف الناس فى الفاعل والمفعول والفعل فقالت القدرية : الأفاعيل كلها من البشر ، ليست من الله ، وقالت الجبرية الأفاعيل كلها من الله ، وقالت الجهمية:

---

(١) ن . م . ص ٢٠٤ .

(٢) ن . م : ص ٢٠٥ .

(٣) ن . م . ص ٢١٠ — ٢١١

(٤) (١) — ٢١٢ .

الفعل والمفعول واحد، ولذلك ، قالوا « كن » مخلوق (١) ، وقال أهل العلم: التخليق فعل الله ، أفاعيلنا مخلوقة ، لقوله تعالى : (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق) (الملك ١٤) يعنى السر والجهر من القول ، فعل الله صفة الله ، والمفعول غيره ، من الخلق) (٢) .

وبذلك بين لنا البخارى مذاهب الناس فى الفعل والمفعول والتكوين والمكون، والأمر والمأمور ، وفرق بين الفعل الذى هو صفة الله ، وبين المفعول وهو ما ينشأ عن الفعل ، فالفعل قديم لأنه صفة من صفات الله وهو التكوين، والمفعول مخلوق قال البخارى فى كتاب التوحيد والرد على الجهمية : (فعل الرب تبارك وتعالى وأمره ، فالرب بصفاته وفعله ، وأمره ، وهو الخالق ، هو المكون غير مخلوق ، وما كان بفعله ، وأمره ، وتخليقه ، وتكوينه ، فهو مفعول مخلوق مكون) (٣) .

وقد ذهب جماعة من السلف كأبى حنيفة وغيره إلى أن التكوين صفة لله قديمة، وهو قوله كن ، وجميع أفعاله ترجع إلى صفة التكوين هذه ، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدى ، وذهب آخرون كابن كلاب والأشعرى إلى أن صفة التكوين حادثة ، والسبب الذى جعلهما يذهبان إلى ذلك أنهما خشيا أن يلزم من القول بقدم التكوين ، قدم المكون ، أو المخلوقات،ولذلك ألزموا ابن كلاب والأشعرى أنهما قالا بحلول الحوادث بالله ، لأنهما قالا بحدوث التكوين أى بحدوث أفعاله (٤) .

أما البخارى فقد ذهب مذهب السلف كأبى حنيفة ، وغيره ، ويبدو أنه يقصد بالجهمية فى هذا السياق أصحاب جهم بن صفوان ، الذين ذهبوا إلى أن الفعل والمفعول واحد ، ولذلك قالوا بخلق القرآن وبخلق « كن » التى هى صفة التكوين .

---

(١) فى الأصل : «قالوا لكن مخلوق» والتصحيح من فتح البارى، ج ١٣ ص ٣٧٥ .

(٢) ن . م . ص ٢١٢

(٣) فتح البارى ج ١٣ ص ٣٧٥

(٤) ابن حجر ، فتح البارى ج ١٣ ص ٣٧٥

وهذا يلزم الأشاعرة أيضا،لأنهم قالوا بأن الفعل والمفعول واحد ، والدليل على ذلك أنهم قالوا بأن صفة التكوين حادثة ، ولذلك لم تتسق نظرية الأشاعرة هنا ، مع مذهبهم فى الصفات ، وفى قولهم إن الله لاتحل به الحوادث،والذى انتهى إليه البخارى من بيان التخليق والخلق ، والفعل والمفعول ، هو أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن تلاوته وقراءته وكتابته وحفظه فى القلوب فعل للعبد أو مفعول له والمفعول مخلوق (١) ، وبالجملة فإن الامام البخارى قد بين فى هذا الكتاب أفعال العباد ، ورد فيه أيضا على الجهمية التى تشمل المعتزلة والجهمية الأولى ، ورد فيه أيضا على المعطلة الذين يعطلون النصوص عن دلالاتها ، ويعطلون الله عن صفاته العلى ، وأسمائه الحسنى .

٣ — الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة :

أما مؤلف هذا الكتاب فهو إمام من أئمة الحديث ، وعلم من أعلام اللغة ، والأدب ، ومناضل من المناضلين عن السنة ، المدافعين عن الروح الإسلامية ضد التيارات الدخيلة، والعناصر الأجنبية، وأوشاب الحضارة الوثنية التى غزت الحضارة الإسلامية فى عهده .

ولد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى مرو فى سنة ٢١٣ هـ ونشأ ببغداد ، أخذ عن إسحاق بن (راهويه) وأبى اسحاق ابراهيم بن سفيان بن سليمان وأبى حاتم السجستانى ، وذكر ابن تيمية أن ابن قتيبة من المنتسبين إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل فقال : (وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد واسحاق ، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة ، وله فى ذلك مصنفات متعددة)(٢)

ويقال إنه كان معظما عند أهل المغرب ، وكانوا يتهمون من وقع فى ابن قتيبة أو استجاز الوقيعة فيه بالزندقة ، ويقولون : كل بيت ليس فيه شىء من تصنيفه ،

(١) خلق أفعال العباد ص ٢١٣

(٢) ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، نشر محمد زهرى النجار ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م . ط من مقدمة الناشر . نقلا عن تفسير سورة الاخلاص لابن تيمية .

لاخير فيه) وابن قتيبة فى أهل الحديث والسنة كالجاحظ فى أهل الاعتزال إذ أنه خطيب أهل السنة ، وكاتبهم الأعظم ، كما أن الجاحظ ، كاتب المعتزلة وأديبهم الأكبر[١] وتوفى سنة ٢٧٦ هـ .

مؤلفاته :

بلغت مؤلفاته زهاء ثلاثمائة مصنف ، منها أدب الكاتب ، وغريب القرآن ، وغريب الحديث ،وعيون الأخبار ، ومشكل القرآن ،ومشكل الحديث ،وطبقات الشعراء ، والأشربة ، وإصلاح الغلط ، وكتاب التفقيه ، وكتاب الخيل ، وكتاب اعراب القرآن ، وكتاب الأنواء ، وكتاب المسائل والجوابات ، وكتاب الميسر والقداح ، والاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة .

وقد دافع فى كتابه « تأويل مختلف الحديث » عن المحدثين ، الذين استجاز المعتزلة وغيرهم ثلبهم : وامتهانهم ، واتهامهم برواية الباطل : والتناقض فى الحديث : وأدى ذلك الى اختلاف بين المسلمين ، وتقطع العصم : وكثرة النحل : وتكفير بعضهم لبعض وكل يحتج بالحديث : ويدافع عن مذهبة : بالاستشهاد به والاستدلال بنصه : سواء فى ذلك الخارجى والرافضى والقدرى :والجهمى والمعتزلى، والمرجئ : وذكر أن أهل الكلام يقولون فى مقالاتهم (مالا يعلمون :ويفتنون الناس بما يأتون،ويبصرون القذى فى عيون الناس،وعيونهم تطرف على الأجذاع ويتهمون غيرهم فى النقل : ولايتهمون آراءهم فى التأويل)[٢] . لأن معانى الكتاب والسنة : ومافيهما من حكم : وبدائع لاتدرك بمنهج المتكلمين الخائضين فى الجوهر والعرض ، والتولد والطفرة : والكمية : والكيفية ، والأينية[٣] ولكنهم يريدون أن يتزعموا : وأن تكون لهم رئاسة وأتباع : ومقالات وآراء : وذهب الى أن منهجهم لايستقيم ، لانهم فيه مختلفون : غير متحدين : فليس فيهم

---

(١) ابن تيمية : تفسير سورة الاخلاص ص ٨٦

(٢) تاويل مختلف الحديث ، ص ١٣

(٣) ن . م . ص ١٤

واحد إلا وله مذهب قائم بنفسه فى الدين : يدين به : ويدعو اليه : ويستهوى اليه أتباعا : وإخوانا . والخطر فى ذلك أنهم لم يختلفوا فى الفروع وانما اختلفوا فى الأصول فى التوحيد : وفى صفات الله [١] .

أما كتاب « الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة » فقد دفع الى تأليفه بسبب اختلاف المحدثين بعد أن كانوا متحدين،وافتراقهم بعد أن كانوا على كلمة واحدة : وعلى منهج واحد : قال ابن قتيبة : (وكان آخر ماوقع من الاختلاف، أمرا خاصا باصحاب الحديث: الذين لم يزالوا بالسنة ظاهرين وبالأتباع قاهرين، يداجون بكل بلد ولا يداجون . . . الى أن كادهم الشيطان بمسالة لم يجعلها الله تعالى أصلا فى الدين : ولافرعا . . . . فنما شرها : وعظم شانها : حتى فرقت جماعتهم وشتت كلمتهم : ووهنت أمرهم وأشمتت حاسديهم)[٢]: وصرح ابن قتيبة بغرضه من تأليف هذا الكتاب : وبغايته : فذكر أن غايته بيان اختلاف أهل الحديث فى اللفظ بالقرآن . مما أدى الى أن كفر بعضهم بعضا :وبغض فريق منهم فريقا آخر ، مع أن هذا الاختلاف لايوجب قطع الألفة ، ولا يؤدى الى الوحشة : وما كان ينبغى أن يؤدى اليها : لأنهم متفقون على أصل واحد وهو أن « القرآن كلام غير مخلوق » قال ابن قتيبة :

(ثم انتهى بنا القول الى ذكر غرضنا من هذا الكتاب وغايتنا من اختلاف أهل الحديث ، فى اللفظ بالقرآن وتشانئهم ، واكفار بعضهم بعضا ، وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة ، ولا مما يوجب الوحشة ، لأنهم مجمعون على أصل واحد وهو « القرآن كلام الله غير مخلوق) [٣] . ولكن قبل أن يدخل فى بيان اختلاف أهل الحديث فى شأن التلفظ بالقرآن : قدم لذلك بمقدمة رد فيها على غلو الجهمية : فى التأويل وفى التعطيل، تأويل الآيات والأحاديث : وتعطيل للصفات وسلك فى الرد

---

(١) ن . م . ص ١٥

(٢) الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، ص ٢٢٤

(٣) ن . م . ص ٢٤٥

عليهم منهجا اعتمد فيه على دلالات اللغة وأوضاعها العربية . ولم ينهج فى ذلك منهج المتكلمين قال ابن قتيبة :

(فقدمت القول فيه بذكر بعض ماتأولته الجهمية فى الكتاب والحديث ... ولم أعد فى أكثر الرد عليهم طريق اللغة . فاما الكلام فليس من شأننا . ولاأرى أكثر من هلك إلا به . وبحمل الدين . على مايوجبه القياس) (١) . وذلك لأن المعتزلة ذهبوا الى أن العدل يقتضى أن يكون الانسان فاعلا ، وقاسوا معانى العدل الالهى على العدل الانسانى . ولما نظروا فى كتاب الله وجدوه يناقض رأيهم فاولوه ، بتأويلات مستكرهة . وأخرجوه مخارج بعيدة . وعرض لعدة تأويلات وأبطلها لأنها مخالفة لدلالات الألفاظ،وأوضاع اللغة العربية التى أنزل بها القرآن ، ولكن يعقب على ذلك بأنه لما رأى جماعة من أهل الإثبات افراط أهل القدر قابلوهم بغلو ، وعارضوا افراطهم بإفراط آخر ، فقالوا بمذهب جهم فى الجبر المحض ، وجعلوا العبد لا يستطيع شيئا ، ولايفعل فعلا على الحقيقة(٢)، وتعمق جماعة أخرى فى بيان معنى التوحيد ونفى التشبيه عن الخالق ، فأدى غلوهم فى ذلك إلى نفى الصفات، ولما رأى جماعة من المسلمين إفراط هؤلاء فى النفى ، والغلو فى التأويل فى هذا الشأن ، عارضوهم بغلو آخر ، وإفراط فى التمثيل ، فذهبوا إلى القول بالتشبيه المحض ، والقول بالحدود ، وجعلوا الألفاظ الواردة فى الحديث على ظاهرها ، وقالوا فيها بالكيفية ، وجاءوا بأحاديث منكرة كحديث عرق الخيل ، وحديث عرفات (٣) ، وعقب على ذلك بالقول بأن كلا الفريقين غالط . (وقد جعل الله التوسط منزلة العدل ، ونهى عن الغلو فيما دون صفاته ، من أمر ديننا فضلا عن صفاته ،ووضع عنا أن نفكر فيه كيف كان ؟ وكيف قدر ؟وكيف خلق ؟ .

---

(١) ن . م . ص ٢٢٥

(٢) ن : م : ص ٢٣١

(٣) ن : م : ص ٢٤٣ .

ولم يكلفنا مالم يجعله فى تركيبنا ، ووسعنا) (١)

ولكنه عاد فصرح بمذهبه الذى هو مذهب السلف فقال : (وعدل القول فى هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها ، فنؤمن بالرؤية ، والتجلى ، وأنه يعجب ، وينزل إلى السماء وأنه على العرش استوى ، وبالنفس واليدين ، من غير أن نقول فى ذلك بكيفية أو بحد أو أن نقيس على ما جاء مالم يأت ، فنرجو أن نكون فى ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غدا إن شاء الله تعالى)(٢).

وجاء قوم وهم الرافضة فغلوا فى حب على ، وفى تقديمه على من قدمه رسول الله من الصحابة ، فادعوا أنه شريك النبي فى النبوة ، وأن الأئمة من بعده يعلمون الغيب ، فقابل جماعة اخرى ذلك بغلو فى تأخير على وبخسه حقه ، ونسبوه إلى الممالأة على قتل عثمان ، وجعلوه من أئمة الفتن، ولم يوجبوا له اسم الخلافة بدعوى أن الناس لم يتفقوا عليه،مع أنهم أوجبوها ليزيد بن معاوية لإجماع الناس عليه ، ومن أجل هذا تحامى كثير من المحدثين أن ينقلوا فضائل على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، وأن يحدثوا بالأحاديث التى وردت فى شأنه مع أنها أحاديث لها مخارج صحاح (٣).

واعتنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص ومعاوية ، ويريدون بذلك غمزه ، والاستنقاص منه (٤).

وإذا ذكرت فضائله وقرابته من رسول الله (تعرت الوجوه ، وتنكرت العيون وطرت حسائك الصدور) (٥) وعقب ابن قتيبة على ذلك فقال : (وهذا هو الجهل

---

(١) ن : م : س ٢٤٣ .

(٢) ن م . س ٢٤٤

(٣) ن : م : س ٢٤٤

(٤) ن . م . س ٢٤٤ .

(٥) ن . م . س ٢٤٤

بعينه ، والسلامة لك أن لا تهلك بمحبته ، ولا تهلك ببغضته ، وأن لاتحمل ضغنا عليه بجناية غيره ، فإن فعلت فأنت جاهل مفرط فى بغضه) (١) .

ثم أخذ بعد ذلك فى بيان اختلاف المحدثين فى اللفظ بالقرآن ،فبين أن جماعة منهم اعتقدت أن القراءة هى القرآن غير مخلوقة ، وذهب جماعة أخرى إلى أن القراءة عمل ، وأنها غير القرآن وأن من زعم أن القراءة غير مخلوقة فقد زعم أن أعمال العباد أيضا غير مخلوقة ، ووقعت بسبب ذلك حيرة ، ونزلت بلية ، ففزع الناس إلى العلماء ليبينوا لهم ما اختلفوا فيه ، ولكن هؤلاء العلماء أنفسهم اختلفوا عليهم فذهبت طائفة منهم إلى أن القراءة فعل محض ، وبذلك فهى مخلوقة كسائر أفعال الإنسان المخلوقة والقرآن غير القراءة وتابع هذه الطائفة جماعة من الأتباع، وذهبت طائفة أخرى إلى أن القراءة هى القرآن بعينه ، ومن قال بأن القراءة فعل مخلوق فقد زعم أن القرآن أيضا مخلوق ، وتابع هذا الفريق أيضا جماعة أخرى من الأنصار والأتباع ، وأخذوا بمقالتهم فى ذلك .

أما الطائفة الثالثة فقد رأت أن الكلام فى هذه المسألة بدعة ، لاينبغى أن يتكلم الناس فيها ، ولا أن يخوضوا فى أمرها ، واختلفت الروايات والنقول عن الإمام أحمد بن حنبل — فيما يرى ابن قتيبة — وادعاه كل فريق ، وحكى عنه قولا ، وروى رواية ، ومن عجيب مانسبوه إليه وهو مما لايشك أحد فى بطلانه وفى أنه كذب عليه ، قولهم :

(من زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمى ، والجهمى كافر ، ومن زعم أنها غير مخلوقة ، فهو مبتدع ، وكل بدعة ضلال) (٢) .

قال ابن قتيبة فى أمر نسبة هذا القول إلى الإمام أحمد بن حنبل :

(فكيف يتوهم على أبى عبد الله مثل هذا القول ؟ وأنت تعلم أن الحق لايخلو

---

(١) ن . م . ص ٢٤٣

(٢) ن . م . ص ٢٤٦

من أن يكون فى أحد الأمرين) (١) ،

ولم يعذر ابن قتيبة أيضا الذين أرادوا السكوت والتجاهل ، بعد أن وقعت الفتنة ، وإنما يمكن أن يكون السكوت مستحسنا ، أما بعد أن انتشرت الفتنة هذا الانتشار ، وليس يمكن السكوت على أمر من الدين ، ولا تحتمل غرائز الناس السكوت عنه ، ونقد أشد النقد بعض المحدثين الذين ينصبون أنفسهم للتحديث وهم لا تمييز لهم ، ولا بصارة ، ولا علم ، وليس لبعض هؤلاء المحدثين إلا تقدم السن ، وأنه قد سمع ابن عيينة أو يزيد بن هارون أو غيرهما (٢) .

ثم بين لنا مذهبه فقال : (وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن أن القراءة لفظ (٣) واحد يشتمـــل على معنيين أحدهما عمل ، والآخر قرآن).

وتعرض لمسألة أخرى اختلف فيها المحدثون وهى مسألة الإيمان ، وهل هو مخلوق أو غير مخلوق ، وذهب جماعة إلى أنه غير مخلوق ، وهذا يؤدى إلى القول بأن أفاعيل الإنسان غير مخلوقة قال ابن قتيبة : (فياسبحان الله ، ما أعجب هذا ، وأعجب قائليه ؟) (٤) .

وذهب جماعة أخرى إلى أن روح الإنسان غير مخلوق مستدلين على ذلك بقوله تعالى : (ونفخت فيه من روحى) وليس هذا إلا مذهب النصارى فى الحلول، حلول اللاهوت فى الناسوت ، وقرر ابن قتيبة أن الإيمان مخلوق، لأنه لفظ باللسان وعقد بالقلب ، واستعمال للجوارح ، وهذه كلها أفعال العباد (٥) ، مخلوقة،وذهب

---

(١) ن : م : ص ٢٤٦

(٢) ن . م . ص ٢٤٧ — ٢٤٨

(٣) ن : م . ص ٢٤٨

(٤) ن : م . ص ٢٥٠

(٥) ن : م : ص ٢٥١

إلى أن الله خالق الروح أيضا (١)، وهو مذهب جميع المسلمين، وبهذا انتهى كتاب ابن قتيبة الذى يعتبر وثيقة من أهم الوثائق فى بيان اعتقادات أهل السلف وغلو بعض الناس فى التنزيه، وغلو بعضهم الآخر فى التشبيه، واختلاف المحدثين فى اللفظ بالقرآن.

٤ — الرد على الجهمية للامام أبى سعيد الدارمى.

أما مؤلفه عثمان بن سعيد الدارمى السجزى، أخذ الأدب عن ابن الأعرابى، والفقه عن أبى يعقوب البويطى، وأخذ الحديث عن يحي بن معين، وعن على ابن المدينى، ودخل البصرة وأخذ بها الحديث عن يحي بن معين، ودخل الشام وبه أخذ عن الحسن بن على والأثرم، ومحمد بن صالح كيلجة، وبدمشق عن ابراهيم بن عبد الله، بن العلاء وأخذ عن غيرهم من الشيوخ لا تعد كثرة، ولا تحصى. وتوفى سنة ٢٨٠ هـ وقيل سنة ٢٨٢ هـ، ودفن بهراة.

وأما الكتاب فهو من أقوى هذه الكتب أسلوبا، ومن أمتنها حجة، ولم نر أحدا يضارعه فى جمال الأسلوب وعنف اللهجة، وجزالة الألفاظ، وقوة الشكيمة، وأخذ الخصم من رقبته، وذبحه من نحره، وقصم ظهره، ولا عجب فى ذلك فهو من تلاميذ ابن الأعرابى اللغوى العظيم، والأديب الأكبر. وقد قال ابن قيم الجوزية فى كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية» فى شأن كتابين من كتب الدارمى، وهما الرد على الجهمية وكتاب «النقض على بشر المريسى»:

(وكتاباه من أجل الكتب المصنفة فى السنة، وأنفعها وينبغى لكل طالب سنة، مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه. وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يوصى بهذين الكتابين أشد الوصية،

---

(١) ن. م: ص ٢٥١

ويعظمهما جدا، وفيهما من تقرير التوحيد، والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس فى غيرهما) [١] . رد فى هذا الكتاب على الجهمية وعلى دعاة الضلال، والمغرضين من ذوى الملل والديانات الآخرى وعلى المعطلة فعقد بابا فى الإيمان بالعرش [٢] ، وبابا آخر فى الاستواء [٣]، وبابا فى الاحتجاب [٤] وبابا فى النزول [٥] وبابا فى الإيمان بكلام الله تبارك وتعالى [٦] ذهب فيه إلى أن زعيم القائلين بخلق القرآن إنما هو الوليد بن المغيرة الذى حكى عنه القرآن فى قوله تعالى : (إن هذا إلا قول البشر) (المدثر / ٢٥) ، وأنه لافرق بين قوله هذا وقول الجهمية والمعتزلة بأن القرآن مخلوق ، قال أبو سعيد :

(وكذلك صار لأتباعه الذين تلقفوا منه هذه الكلمة خزى وتباب فى كل شىء من أمرهم) [٧] . واحتج الإمام الدارمى على الواقفة ، الذين قالوا : لانقول فى القرآن مخلوق، ولا غير مخلوق ،قال الدارمى : (أما قولكم «مبتدع» فظلم وحيف فى دعواكم حتى تفهموا الأمر وتعقلوه ، لأنكم جهلتم أى الفريقين أصابوا السنة والحق، فيكون من خالفكم مبتدعة عندكم ، والبدعة أمرها شديد ، والمنسوب إليها سىء الحال بين أظهر المسلمين ، فلا تعجلوا البدعة حتى تستيقنوا) [٨] وعقدا بابا آخر فى الاستدلال على كفر الجهمية [٩] وبابا فى قتل الزنادقة والجهمية [١٠] وبه ختم الكتاب

وتوجد نسخة من هذا الكتاب فى المكتبة الظاهرية ، وقد استعنا بنشرة GöstA ViTEsTAM ، ليدن ١٩٦٠ .

٥ — **رد الامام الدرامى عثمان بن سعيد على المريسى العنيد** . ألفه الإمام الدارمى الذى سبق أن ترجمنا له ، أما الكتاب فقد رد فيه على بشر المريسى وهو

---

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، ص ١١٠

(٢) ص ٢٦٣ (٣) ص ٢٦٧ (٤) ص ٢٨٣

(٥) ص ٢٨٤ (٦) ص ٢٢٤ (٧) ص ٣٣٨

(٨) ص ٢٣٤ (٩) ص ٣٤٦ (١٠) ص ٣٥٢

بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي ، وهو من أصحاب الرأي ، درس الفقه الحنفي على القاضي أبي يوسف ، واتجه اهتمامه إلى الاشتغال بالكلام ، وغلا في القول بخلق القرآن ، وروى شيئا يسيرا من الحديث عن حماد بن سلمة ، وسفيان بن عيينة ، وأبي يوسف القاضي ، وهو من المرجئة أيضا وقد توفي سنة ٢١٨ هـ وقيل سنة ٢١٩ هـ .

أما الكتاب فيبدو أن سبب تأليفه يعود إلى أن أحد أصحاب بشر المريسي رد على الإمام الدارمي ، في كتابه «الرد على الجهمية» ولذلك صنف هذا الكتاب ليرد عليه وعلى شيخه المريسي خاصة لأنه كان عمدته ، وكان يورد كلامه وحججه . قال الدارمي: أما بعد فقد عارض مذاهبنا في الإنكار على الجهمية ممن بين ظهريكم معارض وانتدب لنا منهم مناقض ، ينقض ماروينا فيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه بتفاسير المضل المريسي الجهمي)[1] وكان رده عليه قويا كأقوى مايكون الرد ، وكان أسلوبه فيه أيضا في غاية المتانة والجمال ، كما سبق أن أشرنا في كتابه «الرد على الجهمية» رد في كتابه هذا على بشر المريسي ، وعلى أهل الاعتزال مذاهبهم في الصفات ، وفي التاويل فعقد بابا في « أسماء الله وأنها غير مخلوقة » [2] وبابا «في النزول»[3] وآخر «في السمع والبصر» وفي الرؤية[4] وأبوابا أخرى كثيرة في مسائل شتى، ترجع كلها إلى الصفات وإلى التاويل، ولا نريد أن نطيل في الحديث على هذا الكتاب، فان القارىء سيجد فيه متعة عند قراءته ، ولكن يوجد فيه بعض الغلو في الإثبات ، وفي تكفير المخالفين ، حيث أطلق على الله بعض الأسماء التي لم ترد في الكتاب والسنة كالحركة مثلا ، وقد نبه إلى ذلك الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله فقال : (لولا أنه أتى فيه ببعض ألفاظ دعاه إليها عنف الرد ، وشدة الحرص على إثبات صفات الله وأسمائه التي كان يبالغ بشر المريسي الضال المارق وشيعته في نفيها

(١) رد الامام الدارمي ، عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ، ص ٣٥٩

(٢) ص ٣٦٣

(٣) ص ٣٧٧

(٤) ص ٤١٣

غير أنه كان الأولى والأحسن أن لا يأتى بها وأن يقتصر على الثابت من الكتاب والسنة الصحيحة ، كمثل «الجسم والمكان والخير» فإننى لا أوافقه عليها ، ولا استجيز إطلاقها ، لأنها لم تأت فى كتاب الله ولا فى سنة صحيحة) (١) ، وقال الذهبي أيضا فى هذا الكتاب : (فى كتابه بحوث عجيبة مع المريسى ، يبالغ فيها فى الإثبات ، والسكوت عنها أشبه بمنهج السلف فى القديم والحديث) (٢) .

وقد استعنا فى نشر هذا الكتاب بطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ

٦ ــ ملحق من التفسير المسمى : محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمى .

رأينا أن نلحق بهذه المجموعة من الرسائل قطعة من تفسير الإمام محمد جمال الدين القاسمى السلفى المعاصر ، تحافيها نحو السلف فى التفسير ، وفى بيان مسالة الصفات وخاصة مسألة الاستواء ومسالة المعية اعتمد فيها على آراء السلف ، وعلى ماذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل ، وابن تيمية .

ويعتبر محمد جمال الدين من أعلام دمشق ، وكبار علمائها فى العلوم الاسلامية والعربية ، ويكفى تفسيره للدلالة على عظمة الرجل ، وعلو كعبه فى الفهم ، وسعة المعرفة ، والإحاطة بعلوم الشرع .

هو محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل ابن أبى بكر المعروف بالقاسمى نسبة إلى جده المذكور ، وكان أبوه معروفا بالحلاق وهو فقيه الشام ومن العلماء الصالحين ، فى تلك الديار ، ولد ضحوة الاثنين ٨ جمادى الأول سنة ١٢٨٣ هـ ١٧ ايلول ١٨٦٦ بدمشق .

أخذ القرآن عن الشيخ عبد الرحمن المصرى ، والكتابة عن الشيخ محمود القوصى ، وأخذ أكثر العلوم الإسلامية بالمدرسة الظاهرية ، فدرس على شيوخ أعلام مثل الشيخ رشيد الذى أخذ عنه التوحيد والصرف والنحو والمنطق والبيان والعروض ،

---

(١) مقدمة على كتاب الرد على شرح المريسى ، مطبعة انصار السنة المحمدية القاهرة ١٣٥٨ هـ ص ك — ل .

(٢) ن . م . ص ل

وأخذ التجويد عن الشيخ أحمد الحلوانى، وأخذ أيضا عن الشيخ سليم العطار والشيخ بكرى العطار ، والشيخ حسن جبينه الدسوقى وغيرهم .

وأصبح بعد ذلك فقيها من أعظم الفقهاء، وأصوليا ومفسرا ، ومحدثا ، وأديبا كما كان على جانب عظيم من التقوى ، وقد ترجم له الشيخ رشيد رضا رحمه الله فى مجلة المنار ، المجلد السابع عشر، وقال فيه :(صديقنا الصفى، وخلنا الوفى، وأخونا الروحى) ، وقد بلغت رسائله ، وتصانيفه ٧٩ مؤلفا وقد اعتمدنا فى ترجمته على مقدمة الشيخ محمد بهجت البيطار على كتاب محمد جمال الدين القاسمى المسمى قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (١) وعلى مقدمة ابن الشيخ محمد جمال الدين أيضا لهذا الكتاب ، وهو الشيخ ظافر القاسمى (٢) .

وتوفى الشيخ محمد جمال الدين القاسمى رحمه الله فى رجب ١٣٣٢هـ ١٨ نيسان ١٩١٤ ، ودفن فى مقبرة « الباب الصغير » بدمشق .

وفى خاتمة هذه المقدمة نود أن نشكر الشيخ محمد رشاد غانم جزيل الشكر ،على تكرمه بجميع مافى مكتبته العامرة بالذخائر السلفية ، ووضعه تحت تصرفنا، وإليه يرجع الفضل فى إخراج هذه المجموعة من الرسائل السلفية النادرة ، التى تفضل فأعارها لنا ، كما أعار كثيرا من المراجع والرسائل التى اعتمدنا عليها فى إخراج هذه الكتب .

(الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) .

الدكتور على سامى النشار
استاذ الفلسفة الاسلامية
بجامعة الاسكندرية

الاسكندرية

عمار الطالبى
الأستاذ المساعد
بجامعة الجزائر

٢٧ جمادى الثانى ١٣٩٠ هـ
٢٩ أغسطس ١٩٧٠

---

(١) تحقيق وتعليق محمد بهجت البيطار ، ط ٢ القاهرة ه ، ١٤٨٠هـ/١٩٦١ ص ٨
(٢) ن . م . ص

الرد على الزنادقة والجهمية
لإمام أهل السنة
أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)



بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا أبو طاهر المبارك بن المبارك بن المعطوش [1] ، فى كتابه ، أن أبا الغنائم [2] ، محمد بن أحمد [3] بن محمد المهتدى [4] بالله [5] أجازلهم أن أباالقاسم [6] عبد العزيز بن على الأزجي [7] ، أجازلهم عن أبى بكر عبد العزيز ، المعروف بغلام الخلال [8] أداء [9] ، قال : أخبرنى الخضر بن المثنى الكندى [10] قال :

---

(١) ب : المعطوشى . وهو تصحيف . والمعطوش هو ابن هبة الله العطار ، اعتبره الذهبى مسند أهل العراق ، ولد سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ ، أخذ من أبى على بن المهدى ، وأبى الغنائم بن المهتدى بالله وتوفى سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ . (الذهبى ، العبر ٤/٣١٠ ، ابن حجر ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، القسم الرابع ص ١٣٠١) .

(٢) ب : أبا القاسم ، وهو غلط من الناسخ .

(٣) ب : محمد

(٤) أ : المهدى ، وهو تصحيف .

(٥) الهاشمى الخطيب ، روى عن البرمكى ، وأبى الحسن القزوينى ، توفى سنة ٥١٧ هـ/١١٢٣ ، (الذهبى ، العبر ٤/٤١) .

(٦) ب : أبا الغنائم وهو غلط .

(٧) ب : الأزحى . والأزجى بفتح الألف والزاى ، نسبة إلى باب الأزج ، وهى محلة ببغداد (اللباب) واسمه أبو القاسم عبد العزيز بن على الخياط ، محدث سنى توفى سنة ٤٤٤ هـ/١٠٥٢ (الذهبى ، العبر ٣/٣٠٦) .

(٨) هو عبد العزيز بن جعفر بن أحمد له مؤلفات كثيرة ، توفى سنة ٣٦٣ هـ/٩٧٤ وكان من الزهاد العباد (الذهبى ، العبر ، ٢/٣٣٠)

(٩) أ : أداء

(١٠) أ : — أخبرنى الخضر بن المثنى الكندى قال . وفى طبقات الحنابلة لأبى يعلى:=

أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل (١) رحمه الله تعالى (٢) قال :

هذا ما أخرجه أبى رحمه الله ، فى الرد على الزنادقة ، والجهمية ، فيما شكت فيه ، من متشابه القرآن ، وتأولته (٣) على غير تأويله .

قال (٤) أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ورضى عنه (٥) :

الحمد لله الذى جعل فى كل زمان ، فترة من الرسل ، بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى (٦) ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم .

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عقال الفتنة ، فهم مختلفون فى الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة (٧) الكتاب ، يقولون على الله ، وفى الله (٨) ، وفى كتاب الله (٩) بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون (١٠) عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين (١١) .

= خضر بن مثنى الكندى . وذكره فى رجال الطبقة الثانية ، ونص على أنه نقل عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أشياء ومنها الرد على الجهمية ونقل فقرات منه (أبو الحسين محمد ابن أبى يعلى ، طبقات الحنابلة ، نشر الشيخ محمد حامد الفقى ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٥٢ ج ٢ ص ٤٧ — ٤٨) .

(١) ولد عبد الله سنة ٢١٣هـ/٨٢٨ وتوفى سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣.

(٢) ب : تعالى . (٣) : ب وتأولوه .

(٤) ب : فقال

(٥) ب : — رحمه الله تعالى ورضى عنه .

(٦) ب : — ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى .

(٧) ب : متفقون على مخالفة . (٨) ب : — وفى الله

(٩) ب : وفى الكتاب . (١٠) ب : يشتبه .

(١١) ب : الضالين .

[الرد على الزنادقة]

باب بيان ماضلت فيه الزنادقة (١) من متشابه القرآن

قال أحمد فى قوله عز وجل : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) [٥٦ / النساء] ، قالت الزنادقة . فما بال جلودهم التى عصت قد احترقت، وأبدلهم جلودا غيرها ،فلا نرى إلا أن الله يعذب جلودا لم تذنب حين يقول : (بدلناهم جلودا غيرها) فشكوا فى القرآن ، وزعموا أنه متناقض .

فقلت : إن قول الله : (بدلناهم جلودا غيرها) ليس يعنى جلودا غير

---

(١) تطلق الزندقة على الثنوية وخاصة المانوية كما تطلق على من أسر الكفر وأظهر الإيمان (ابن حجر ، فتح البارى ج ١٢ ص ٢٢٦ – ٢٢٧) والواقع أن معنى الزندقة اتسع فاصبح يشمل أصحاب البدع والمجون كما يشمل أهل الالحاد (د. عبد الرحمن بدوى ، من تاريخ الإلحاد فى الاسلام ص ٢٥) ويشمل أيضا المعتزلة الذين اعتبرهم الامام أحمد بن حنبل زنادقة (الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، مناقب الامام أحمد بن حنبل ، مكتبة الخانجى ، ص ١٥٨ حيث صرح بأن : علماء المعتزلة زنادقة) وذلك لأنهم كانوا على صلة بالمانويين يجادلونهم ويتأثرون بهم . وأغلب الظن أن الامام أحمد بن حنبل يرد هنا على الزنادقة أمثال ابن الراوندى (+ ٢٤٥ هـ) المعاصر له وهو أشهر الملاحدة وقد طعن ابن الراوندى فى القرآن فى كتابه « الدامغ » وربما كانت هذه الأقوال التى ردها ابن حنبل وفندها من أقواله التى بثها فى كتبه التى لم تصل الينا ، وما وصل الينا لايعدو أن يكون شذرات قليلة أوردها ابن الجوزى فى كتابه (المنتظم فى تاريخ الامم حوادث ٢٩٨ هـ) وبما أن الطعن فى القرآن يتصل بالقول بأنه مخلوق فقد جمع إمام السلفية بين الرد على الزنادقة وعلى الجهمية الذين يقولون بخلق القرآن . وجملة القول إن الامام أحمد يقصد بالزنادقة هنا الذين يزعمون أن القرآن متناقض ويثيرون حوله الشكوك والظنون والاوهام كما يفهم ذلك من استعراضه لأقوالهم ونقضها واحدا تلو الآخر .

جلودهم ، وإنما يعنى بدلناهم جلودا غيرها ، تبديلها تجديدها ، لأن جلودهم إذا نضجت ، جددها الله ، وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام ، ووجوه كثيرة ، وخواطر [١] يعلمها العلماء .

وأما قوله عز وجل . (هذا يوم لاينطقون ، ولايؤذن لهم فيعتذرون) [٣٥/المرسلات] ثم قال فى آية أخرى . (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) [٣١/الزمر] فقالوا كيف يكون هذا من الكلام المحكم ، قال. (هذا يوم لاينطقون) ثم قال فى موضع آخر (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فزعموا أن هذا الكلام ينقض بعضه بعضا ، فشكوا فى القرآن .

أما تفسير (هذا يوم لاينطقون) ، فهذا أول ماتبعث الخلائق ، على مقدار ستين سنة لاينطقون ، ولايؤذن لهم فى الاعتذار ، فيعتذرون ، ثم يؤذن لهم فى الكلام فيتكلمون ، فذلك قوله . (ربنا أبصرنا ، وسمعنا ، فارجعنا نعمل صالحا) [١٢/السجدة] ، فاذا أذن لهم فى الكلام فتكلموا ، واختصموا فذلك قوله . (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) عند الحساب ، وإعطاء المظالم ، ثم يقال لهم بعد ذلك ، (لاتختصموا لدى) أى عندى ،(وقد قدمت إليكم بالوعيد) [٢٨/ق] فإن العذاب مع هذا القول كائن .

وأما قوله .(ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما) [٩٧/الاسراء] وقال فى آية أخرى .(ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة [٥٠/الأعراف] فقالوا . كيف يكون هذا من الكلام؟المحكم (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما) ثم يقول فى موضع آخر ، أنه ينادى بعضهم بعضا ؟ فتشكوا فى القرآن من أجل ذلك .

أما تفسير (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ،) [٤٤/الأعراف] (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) فإنهم أول مايدخلون النار يكلم بعضهم بعضا .

---

(١) كذا فى الأصل .

وينادون . (يامالك ليقض علينا ربك ، قال إنكم ما كثون) [٧٧/الزخرف] ويقولون (ربنا أخرنا إلى أجل قريب) [٤٤/ابراهيم] (ربنا غلبت علينا شقوتنا) [١٠٦/المؤمنون] فهم يتكلمون حتى يقال لهم . (اخسأوا فيها ولاتكلمون) [١٠٨/المؤمنون] فصاروا فيها عميا وبكما وصما ،وينقطع الكلام، ويبقى الزفير والشهيق ، فهذا تفسير ماشكت فيه الزنادقة من قول الله .

وأما قوله . (فلا أنساب بينهم يومئذ ، ولا يتساءلون) [١٠١/المؤمنون] وقال فى آية أخرى . (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) [٥٠/الصافات]فقالوا: كيف يكون هذا من المحكم ؟ فشكوا فى القرآن من أجل ذلك .

فأما قوله عز وجل : (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) فهذا عند النفخة الثانية ، إذا قاموا من القبور ، لايتساءلون ، ولاينطقون فى ذلك الموطن ، فاذا حوسبوا ، ودخلوا الجنة والنار ، أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، فهذا تفسير ماشكت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (ماسلككم فى سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين) [٤٣/المدثر] وقال فى آية أخرى . (فويل للمصلين) [٤/الماعون] فقالوا إن الله قد ذم قوما كانوا يصلون ، فقال . (ويل للمصلين) ، وقد قال فى قوم إنهم إنما دخلوا النار لأنهم لم يكونون يصلون فشكوا فى القرآن من أجل ذلك ، وزعموا أنه متناقض .

قال . وأما قوله . (فويل للمصلين) عنى [1] بها المنافقين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، حتى يذهب الوقت،(الذين يراؤون) [٦/الماعون] يقول إذا رأوهم صلوا ، وإذا لم يروهم لم يصلوا .

وأما قوله ، (ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين) [٤٢/المدثر]

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعل صوابه ، فعنى .

يعنى (١) الموحدين المؤمنين ، فهذا ماشكت فيه الزنادقة .

وأما قوله عز وجل : (خلقكم من تراب) [١١/فاطر] ثم قال : (من طين لازب) [١١/الصافات] ثم قال : (من سلالة) [١٢/المؤمنون] ثم قال : (من حمإ مسنون) [٢١/الحجر] ثم قال : (من صلصال كالفخار) [١٤/الرحمن] فشكوا فى القرآن وقالوا : هذا ملابسة (٢) ينقض بعضه بعضا ... نقول ، هذا بدء خلق آدم ، خلقه الله أول بدء من تراب ، ثم من طينة حمراء وسوداء وبيضاء من طينة طيبة وسبخة ، فكذلك ذريته طيب ، وخبيث ، أسود وأحمر ، وأبيض ، ثم بلّ ذلك التراب فصار طينا ، فذلك قوله ، (من طين) فلما لصق الطين بعضه ببعض ، فصار طينا لازبا بمعنى لاصقا : ثم قال (من سلالة من طين)[١٢/المؤمنون] يقول : مثل الطين إذا عصر انسل من بين الأصابع ، ثم نتن فصار حمأ مسنونا ، فخلق من الحمأ ، فلما جف صار صلصا لا كالفخار ، يقول ، صار له صلصلة كصلصلة الفخار ، له دوى كدوى الفخار .

فهذا بيان خلق آدم ، وأما قوله : (من سلالة من ماء مهين) [٨ / السجدة] فهذا بدء خلق ذريته ، من سلالة يعنى النطفة إذا انسلت من الرجل ، فذلك قوله : (من ماء) يعنى النطفة ، (مهين) يعنى ضعيف . فهذا ما شكت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (رب المشرق والمغرب) [٢٨ / الشعراء] (ورب المشرقين ورب المغربين) [١٧ / الرحمن] (ورب المشارق والمغارب) [٤٠ / المعارج] فشكوا فى القرآن ، وقالوا كيف يكون هذا من الكلام المحكم ؟

أما قوله : (رب المشرق والمغرب) فهذا اليوم الذى يستوى فيه الليل والنهار، أقسم الله بمشرقه ومغربه ، وأما قوله : (رب المشرقين ، ورب المغربين) فهذا

---

(١) كذا فى الأصل ولعله : فيعنى .

(٢) كذا فى الأصل ولعله . لبس أو تلبيس .

أطول يوم فى السنة ، وأقصر يوم فى السنة ، أقسم الله بمشرقهما ومغربهما ، وأما قوله: (رب المشارق ورب المغارب) فهو مشارق السنة ومغاربها ، فهذا ما شكت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (وأن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) [٤٧ / الحج] وقال فى آية أخرى : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) [٥ / السجدة] وقال فى آية أخرى : (تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبراً جميلا) [٤ / المعارج] فقالوا : فكيف يكون هذا من الكلام المحكم ، وهو ينقض بعضه بعضاً ؟ .

قال . أما قوله : (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) فهذا من الأيام التى خلق الله فيها السموات والأرض كل يوم كألف سنة ، وأما قوله : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة) وذلك أن جبرائيل كان ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم ، ويصعد إلى السماء فى يوم كان مقداره ألف سنة ، وذلك أنه من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام ، فهبوط خمسمائة ، وصعود خمسمائة عام ، فذلك ألف سنة .

وأما قوله : (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) يقول : لو ولى حساب الخلائق غير الله ، ما فرغ منه فى يوم مقداره خمسون ألف سنة ، ويفرغ الله منه مقدار نصف يوم من أيام الدنيا ، إذا أخذ فى حساب الخلائق . فذلك قوله : (وكفى بنا حاسبين) [٤٧ / الأنبياء] يعنى سرعة الحساب .

وأما قوله : (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا ، أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون — إلى - قوله : — والله ربنا ما كنا مشركين) [٢٣ / الانعام] فانكروا أن كانوا مشركين ، وقال فى آية أخرى : (ولا يكتمون الله حديثاً) [٤٢ / النساء] فشكوا فى القرآن ، وزعموا أنه متناقض .

أما قوله : (والله ربنا ما كنا مشركين) وذلك أن هؤلاء المشركين إذا رأوا ما يتجاوز الله عن أهل التوحيد يقول بعضهم لبعض : إذا سألنا نقول : لم نكن مشركين، فلما جمعهم الله ، وجمع أصنامهم. وقال (أين شركائى الذين كنتم تزعمون) [٢٢ / الأنعام] قال الله : (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ، ما كنا مشركين) فلما كتموا الشرك ، ختم على أفواههم و أمر الجوارح فنطقت بذلك . فذلك قوله : (اليوم نختم على أفواههم ، وتكلمنا أيديهم ، وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) [٦٥ / يس] فأخبر الله عز وجل عن الجوارح حين شهدت ، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة .

أما قوله عز وجل : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة) [٥٥ / الروم] وقال : (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا) [١٠٣ / طه] وقال : (إن لبثتم إلا يوما) [١٠٤ / طه] وقال : (إن لبثتم إلا قليلا) [٥٢ / الإسراء] ومن أجل ذلك شكت الزنادقة .

أما قوله : (إن لبثتم إلا عشرا) وذلك إذا خرجوا من قبورهم ، فنظروا إلى ما كانوا يكذبون به من أمر البعث ، قال بعضهم لبعض : إن لبثتم فى القبور إلا عشر ليال ، واستكثروا العشر ، فقالوا : إن لبثتم إلا يومافى القبور، ثم استكثروا اليوم فقالوا : (إن لبثتم إلا قليلا) ثم استكثروا القليل فقالوا : (إن لبثتم إلا ساعة من نهار) فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) [١٠٩ / المائدة] قالوا لا علم لنا ، وقال فى آية أخرى : (ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على على ربهم) [١٨ /هود] فقالوا : وكيف يكون هذا فيقولون : لا علم لنا ، وأخبر عنهم أنهم يقولون : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ؟ فزعموا أن القرآن ينقض بعضه بعضاً .

أما قوله : (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) ، فإنه يسألهم عند

زفرة جهنم فيقول : ماذا أجبتم فى التوحيد ؟ فتذهب عقولهم عند زفرة جهنم فيقولون : لا علم لنا ، ثم ترجع إليهم عقولهم من بعد فيقولون : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [٢٣ / القيامة] وقال فى آية أخرى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) [١٠٣ / الأنعام] فقالوا كيف يكون هذا ؟ يخبر أنهم ينظرون إلى ربهم ، وقال فى آية أخرى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فشكوا فى القرآن وزعموا أنه ينقض بعضه بعضا .

أما قوله : (وجوه يومئذ ناضرة) يعنى الحسن والبياض (إلى ربها ناظرة) يعنى تعاين ربها فى الجنة .

وأما قوله : (لا تدركه الأبصار) يعنى فى الدنيا دون الآخرة ، وذلك أن أن اليهود قالوا لموسى : (أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) [١٥٣ / النساء] فماتوا وعوقبوا لقولهم : (أرنا الله جهرة) وقد سألت مشركو قريش ، النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا (أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) [٩٢ / الإسراء] فلما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم هذه المسألة قال الله تعالى : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) [١٠٨ / البقرة] حين قالوا : (أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) الآية فأنزل الله سبحانه يخبر أنه لا تدركه الأبصار أى أنه لا يراه أحد فى الدنيا ، دون الآخرة فقال : (لا تدركه الأبصار) يعنى فى الدنيا ، أما فى الآخرة فإنهم يرونه . فهذا تفسير ما شكت [فيه] (١) الزنادقة .

---

(١) سقط « فيه » من الأصل .

وأما قول موسى (سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين)[١٤٣/الاعراف] وقال السحرة (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين [٥١/ الشعراء] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) إلى قوله : (وأنا أول المسلمين) [١٦٣ /الأنعام] قالوا . فكيف قال موسى : (وأنا أول المؤمنين) وقد كان قبله إبراهيم مؤمنا(١) ويعقوب واسحق ، فكيف جاز لموسى أن يقول : (وأنا أول المؤمنين) ، وقالت السحرة : (أن كنا أول المؤمنين) ، وكيف جاز للنبى أن يقول : (وأنا أول المؤمنين) وقد كان قبله مسلمون كثير ، مثل عيسى ومن تبعه ، فشكوا فى القرآن ، وقالوا : إنه متناقض .

أما قول موسى : (وأنا أول المؤمنين) فإنه حين قال : (رب أرنى انظر إليك ، قال : لن ترانى)[١٤٣/الاعراف] ولايرانى أحد فى الدنيا ، إلا مات (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقا فلما أفاق قال : سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) [١٤٣/ الاعراف] يعنى (٢) أول المصدقين، أنه لايراك أحد فى الدنيا إلا مات .

وأما قول السحرة : (أن كنا أول المؤمنين) يعنى(٢) أول المصدقين بموسى من أهل مصر من القبط .

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم (وأنا أول المسلمين) يعنى من أهل مكة . فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة .

وأما قوله:(أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) [٤٦/غافر] وقال فى آية أخرى . (فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) [١١٥ / المائدة] وقال فى آية أخرى . (ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار)[١٤٥/النساء] فشكوا فى القرآن، وقالو : إنه ينقض بعضه بعضا .

---

(١) فى الأصل مؤمن (٢) كـذا فى الأصل (٣) كـذا فى الأصل

أما قوله : (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) يعني[1] عذاب ذلك الباب الذى هم فيه ، وأما قوله : (فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) وذلك [2] أن الله مسخهم خنازير فعذبهم بالمسخ ، ما لم يعذب سواهم من الناس ، وأما قوله : (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) لأن [3] جهنم لها سبعة أبواب : جهنم ، ولظى ، والحطمة ، وسقر ، والسعير ، والجحيم ، والهاوية ، وهم فى أسفل درك فيها .

وأما قوله تعالى : (ليس لهم طعام إلا من ضريع) [٦ / الغاشية] ثم قال (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم [٤٣/ الدخان] فقد أخبر أن لهم طعاما غير الضريع ، فشكوا فى القرآن، وزعموا أنه متناقض .

أما قوله : (ليس لهم طعام إلا من ضريع) يقول [4] : ليس لهم طعام فى ذلك الباب ، إلا من ضريع ، ويأكلون الزقوم فى غير ذلك الباب ، فذلك قوله : (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) [١١ / محمد] ثم قال فى آية أخرى : (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) [٦٢ / الأنعام] فقالوا : كيف يكون هذا من الكلام المحكم : يخبر أنه مولى من آمن . ثم قال : (وأن الكافرين لا مولى لهم) فشكوا فى القرآن .

أما قوله : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا) يقول [5]. ناصر الذين آمنوا ، (وأن الكافرين لا مولى لهم) يقول : لا ناصر لهم .

وأما قوله : (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) لأن [6] فى الدنيا أرباب

---

(١) كذا فى الأصل
(٢) كذا فى الأصل
(٣) كذا فى الأصل
(٤) كذا فى الأصل
(٥) كذا فى الأصل
(٥) كذا فى الأصل

باطل ، فهذا ما شكت فيه الزنادقة

وأما قوله : (إن الله يحب المقسطين) [٤٢ / المـائدة] وقال فى آية أخرى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) [١٥ / الجن] فقالوا : كيف يكون هذا من الكلام المحكم ؟

أما قوله : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) يعنى[١] العادلون[٢] بالله ، الجاعلون[٣] له عدلا ، من خليقته، فيعبدونه مع الله ، وأما قوله : (وأقسـطوا إن الله يحب المقسطين) يقول : اعدلوا فيما بينكم وبين الناس إن الله يحب الذين يعدلون . وقال فى آية أخرى : (أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) [٦٠/النمل] يعنى يشركون. فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (والمؤمنون والمؤمنات بعضـهم أوليـاء بعض) [٧١ / التوبة] ، وقال فى آية أخرى . (والذين آمنوا ولم يهـاجروا ما لـكم من ولا يتهم من شىء حتى يهاجروا) [٧٦ / الأنفال] وكان عند من لا يعرف معناه ينقض بعضه بعضاً .

أما قوله : (الذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا) ، يعنى من الميراث ، وذلك أن الله حكم على المؤمنين لما هاجروا إلى المدينة أن لا يتوارثوا إلا بالهجرة ، فإن مات رجـل بالمدينة مع النبى صـلى الله عليه وسلم وله أولياء بمكة لم يهاجروا ، كانوا لا يتوارثون ، وكذا إن مات رجل بمكة وله ولى مهاجر مع النبى ، صلى الله عليه وسلم . كان لا يرثه المهاجر، فذلك قوله : (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء) من الميراث،(حتى يهاجروا) فلما كثر المهاجرون، رد ذلك الميراث إلى الأولياء هاجروا،أولم يهاجروا. وذلك قوله:(وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين)

---

(١) كذا فى الأصل . (٢) كـذا فى الأصل (٣) كذا فى الأصل

[٧٥/الأنفال] وأما قوله : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) [٧١/التوبة] يعنى فى الدين ، والمؤمن يتولى المؤمن فى دينه ، فهذا تفسير ماشكت فيه الزنادقة .

وأما قوله لابليس : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) [٤٢/الحجر] وقال موسى حين قتل النفس (هذا من عمل الشيطان) [١٥/القصص] فشكوا فى القرآن، وزعموا أنه متناقض .

أما قوله : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) يقول عبادى الذين استخلصهم الله لدينه ليس لابليس عليهم سلطان أن يضلهم فى دينهم أو عبادة ربهم ، ولكن يصيب منهم من قبل الذنوب ، فاما الشرك فلا يقدر إبليس أن يضلهم عن دينهم ، لأن الله سبحانه استخلصهم لدينه .

وأما قول موسى : (هذا من عمل الشيطان) يعنى من تزيين الشيطان ، كازين ليوسف ، ولآدم وحواء ، وهم عباد الله المخلصون ، فهذا تفسير ماشكت فيه الزنادقة .

وأما قول الله للكفار (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) [٣٤/الجاثية] وقال فى آية أخرى : (فى كتاب لايضل ربى ولا ينسى) [٥٢/طه] فشكوا فى القرآن .

أما قوله : (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) يقول : نترككم فى النار (كما نسيتم) كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا .

وأما قوله . (فى كتاب لايضل ربى ولاينسى) يقول . لايذهب من حفظه ولاينساه .

وأما قوله تعالى : (ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى ،

وقد كنت بصيراً) [١٢٥/طه] وقال فى الآية الأخرى . (فبصرك اليوم حديد) [٣٢/قّ] فقالوا فكيف يكون هذا ، من الكلام المحكم ؟ فيقول : إنه أعمى ، ويقول : (فبصرك اليوم حديد) فشكوا فى القرآن .

أما قوله . (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن حجته ، وقال : (رب لم حشرتنى أعمى) عن حجتى ، (وقد كنت بصيرا) بها مخاصما بها (١) فذلك قوله . (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) [٦٦/القصص] يقول : الحجج (فهم لايتساءلون) [٦٦/القصص] وأما قوله : (فبصرك اليوم حديد) وذلك أن الكافر إذا خرج من قبره ، شخص بصره ، ولا يطرف بصره . حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث فذلك قوله . (لقد كنت فى غفلةمن هذا ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) يقول : غطاء الآخرة ، فبصرك يحد النظر لايطرف حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث ، فهذا تفسير ماشكت فيه الزنادقة .

وأما قوله لموسى : (اننى معكما أسمع وأرى) [٤٦/طه] وقوله فى موضع آخر . (إنا معكم مستمعون) [١٥/الشعراء] وقالوا . كيف قال :(إننى معكما)؟ وقال فى آية أخرى . (إنا معكم مستمعون) [١٥/الشعراء] فشكوا فى القرآن من أجل ذلك .

أما قوله : (إنا معكم) فهذا فى مجاز اللغة ، يقول الرجل للرجل : أنا سنجرى عليك رزقك ، إنا سنفعل بك كذا ، وأما قوله : (إننى معكما أسمع وأرى) فهو جائز فى اللغة ، يقول الرجل الواحد للرجل : سأجرى عليك رزقك أو سأفعل بك خيرا .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢) : وكذلك الجهم (٣) وشيعته ، دعوا الناس إلى

---

(١) فى الأصل : لها .

(٢) ب : — قال الامام أحمد رحمه الله .

(٣) ذكر ابن تيمية أن ابا حنيفة قال : أتانا من خراسان ضيفان ضالان الجهمية (جهم) =

المتشابه من القرآن والحديث ، فضلوا (١) وأضلوا بكلامهم بشرا (٢) كثيرا .

— فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله ، أنه كان من أهل خراسان ، من أهل ترمذ (٣) . وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه في الله تعالى (٤)، فلقى أناسا من المشركين (٥) يقال لهم السمنية (٦) فعرفوا الجهم ، فقالوا له : — نكلمك (٧) فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا . وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك ، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له :

— ألست تزعم أن لك إلها ؟ قال الجهم : نعم . فقالوا له : فهل رأيت (٨) إلهك (٩). ؟ . قال : لا .قالوا : فهل سمعت كلامه ؟ . قال : لا .قالوا فشممت (١٠)

= والمشبهة (مقاتل بن سليمان) وجهم هو أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندى مولى بنى راسب ويقال إن أصله من الكوفة ، ثم ظهر بترمذ وخرج الحارث بن سريج الذى خرج على أمراء خراسان وزعم جهم أنه خرج داعيا للكتاب والسنة والشورى ، وكان فى آخر عهد بنى أمية ، فقتله والى خراسان سالم بن أحوز المازنى ، وممزى قتله الى نصر بن سيار، ويذكر ابن تيمية أيضا ان جهم بن صفوان كان يناظر السمنية فشككوه فى إيمانه (الرد على المنطقيين ص ٤٢٩) ونقل ذلك عن أحمد بن حنبل ومصدره هو هذا النص من الرد على الجهمية وكان يجادل المتكلمين وينسب إليه أنه قال حين سئل عن ربه : (هو هذا الهواء مع كل شيء وفى كل شيء ولا يخلو من شيء) وهذا تصريح بوحدة الوجود المخالفة تمام المخالفة للاسلام) مجموعة التفسير لابن تيمية ص ٣٨٨) .

(١) ب — فضلوا . (٢) أ : معشر

(٣) ب : الترمذ . (٤) أ : — تعالى .

(٥) أ : من الكفار .

(٦) السمنية نسبة الى سومنات بلدة بالهند وهم البوذية وأظهر نحلة لهم القول بالتناسخ.

(٧) ب : تكلم . (٨) أ : + عين

(٩) ب : الهتك . (١٠) أ : أشممت .

له رائحة . ؟ . قال : لا . قالوا : فوجدت له حساً [1] ؟ . قال : لا . قالوا : فوجدت له مجسا ؟ قال : لا . قالوا : فما يدريك أنه إله ؟ ! . قال: فتحـّير الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يوما . ثم أنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى ، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذى فى عيسى هو روح الله من ذات الله ، فإذا أراد أن يحدث أمرا دخـل فى بعض خلقه ، فتكلم عـلى لسان خلقه ، فيأمر بما يشاء [2]، وينهى عما شاء ، وهو روح غائبة[3]عن الأبصار .

ـــ فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة ، فقال للسنى :

ـــ ألست تزعم أن فيك روحا . ؟ . قال : نعم ، فقال [4] : هل [5] رأيت روحك ؟ ، قال : لا . قال : فسمعت كلامه . ؟ . قال : لا . قال : فوجدت له حسا أو مجسا . ؟ . قال : لا . قال فكذلك الله لايرى له وجه ، ولايسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، ولا يـكون فى مكان دون مكان ، ووجد ثلاث آيات (٦) من المتشابه . قوله : (ليس كمثله شىء) [١١/الشورى] (وهو الله فى السموات والأرض)[٣/الأنعام] ،لا(تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) [١٠٣/الأنعام] ، فبنى أصل كلامه على هذه الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله ، وكذب بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعم أن من وصف (٧) الله بشىء (٨) مما وصف به نفسه فى كتابه أو حدث عنه رسوله ، كان كافرا ، وكان من المشبهة ، فأضل بكلامه بشرا كثيرا ، وتبعه (٩) على قوله رجال

---

(١) ب : مجسا

(٢) أ : هاء .

(٣) أ : غائب .

(٤) ب : قال .

(٥) أ : فهل .

(٦) أ : + من القرآن .

(٧) ب : + من .

(٨) ب : شيئا .

(٩) ب : واتبعه .

من أصحاب أبي حنيفة (١) . وأصحاب عمرو بن عبيد (٢) بالبصرة . ووضع دين الجهمية . فإذا سألهم (٣) الناس عن قول الله (٤) : (ليس كمثله شيء) يقولون : ليس كمثله شيء من الأشياء ، وهو تحت الارضين السبع (٥) ، كما هو على العرش ولايخلو منه مكان ، ولايكون فى مكان دون مكان ، ولم يتكلم ، ولايتكلم (٦) ولاينظر (٧) إليه أحد فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، ولا يوصف ، ولايعرف بصفة ، ولا يفعل ؟ ولا له غاية ، ولا له منتهى . ولا يدرك بعقل ،وهو وجه كله، وهو علم كله ، وهو سمع كله ، وهو بصر كله ، وهو نور كله ، وهو قدرة كله ، ولا يكون فيه (٨) شيئان (٩)، ولا يوصف بوصفين مختلفين ، وليس له أعلى ،ولا

---

(١) فقيه العراق الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى ، ولد سنة ٨٠ هـ ورأى أنسا وروى عن عطاء بن أبى رباح وتفقه على حماد بن أبى سليمان المتوفى سنة ١٢٠هـ وتوفى مسجونا سنة ١٥٠ هـ وقبره فى بغداد بحيى الأعظمية . ونسب إليه أنه يرى ماتقول به الجهمية من عدم خلود النار ، ولكن ماوجد فى كتابه الفقة الأكبر يتعارض مع هذا لأنه يرد على الجهمية هذا القول وهو فى الواقع يميل إلى المرجئة ويرى استاذنا الدكتور النشار أن المقصود بأبى حنيفة هنا هو واصل بن عطاء الذى يكنى بأبى حذيفة فوقع الخطأ من النساخ لأن أبا حنيفة لم يكن بالبصرة كما هو فى النص وانما كان بالكوفة وفند الزعم بأن أبا حنيفة كان من الجهمية وهو مانقله الخطيب فى تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٧٤ (نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ج ١ ص ٢٦٩ .الذهبى العبر ج ١ ص ٢١٤ — ٢١٥) .

(٢) عمرو بن عبيد البصرى المعتزلى توفى سنة ١٤٢ هـ وقيل ١٤٣ هـ كان من أصحاب الحسن البصرى فيما يذكر الذهبى ثم اعتزل عنه كما اعتزل واصل بن عطاء . (الذهبى ، العبر ج ١ ص ١٩٣) وتوجد بين المعتزلة والجهمية أوجه تشابه كنهج الاثنين فى التأويل وكالقول بخلق القرآن ونفى الصفات وغيرهما .

(٣) ب : فسألهم .
(٤) ب : قوله .
(٥) ب : السابعة .
(٦) أ : ولاتكلم .
(٧) ب : ولاينظر .
(٨) أ : فيه .
(٩) ا : شيئين

أسفل ، ولا نواحى ، ولا جوانب ، ولا يمين ، ولا شمال ولا هو خفيف ولا ثقيل (١) ولا له لون (٢) ولا له جسم وليس هو بمعمول (٣) ولا معقول .

— وكلما خطر على قلبك أنه شىء تعرفه فهو على خلافه ، قال أحمد : وقلنا هو شىء (٤) .

— فقالوا : هو شىء لا كالأشياء ، فقلنا : إن الشىء الذى لا كالأشياء ، قد عرف أهل العقل ، أنه لاشىء .

— فعند ذلك ، تبين للناس أنهم لايؤمنون بشىء (٥) ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون فى (٦) العلانية .

— فإذا قيل لهم : من تعبدون ؟. قالوا : نعبد من يدبر أمر هذا الخلق ،فقلنا : هذا الذى يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لايعرف بصفة . قالوا : نعم . فقلنا : قد عرف المسلمون أنكم لاتؤمنون بشىء (٧) ، وإنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرونه (٨) . فقلنا لهم : (٩) هذا الذى يدبر هو الذى كلم موسى . قالوا : لم يتكلم ولايكلم (١٠) ، لأن الكلام لايكون إلا بجارحة ، والجوارح عن الله منفية .

— فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله ،ولايعلم أنهم إنما

---

(١) ب : ولا هو ثقيل ولا خفيف

(٢) ب : ولا له نور — (٣) ب : — بمعمول

(٤) ب : — قال أحمد : وقلنا هو شىء

(٥) : لايثبتون شيئا بشىء . ويمكن أن يكون صوابه لايثبتون شيئا لشىء

(٦) أ : من — (٧) أ : لاتثبتون شيئا بشىء

(٨) أ : تظهرون — (٩) ب : لهم

(١٠) ب : ولايتكلم

يعود قولهم إلى ضلالة وكفر [١] .ولايشعر أنهم لايقولون قولهم إلا [٢] فرية فى الله .

فمما يسأل عنه الجهمى يقال له : تجد فى كتاب الله أنه يخبر عن القرآن [٣] أنه مخلوق ؟ فلا يجد . فيقال له : فتجده [٤] فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن القرآن مخلوق — فلا يجد . فيقال له : فمن أين [٥] قلت . ؟ فسيقول : من قول الله : (إنا جعلناه قرآنا عربيا) [١/الزخرف] . وزعم أن « جعل » بمعنى « خلق » [٦]. فكل مجعول هو مخلوق ، فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد أن يلحد فى تنزيله « ويبتغى الفتنة فى تأويلها . وذلك أن — جعل — فى القرآن من المخلوقين على وجهين ، على معنى التسمية [٧] وعلى معنى فعل من أفعالهم وقوله : (الذين جعلوا القرآن عضين) [٩١/الحجر] ، قالوا هو شعر وأنباء [٨] الأولين وأضغاث أحلام . فهذا على معنى التسمية [٩] .

— قال (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) [١٩/ الزخرف] يعنى أنهم سموهم إناثا .

— ثم ذكر « جعل » على [١٠] غير معنى التسمية [١١] فقال: (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) [١٩/البقرة] ، فهذا [١٢] على معنى فعل من أفعالهم،

---

(١) ب : — ولا يعلم أنهم انما يعود قولهم الى ضلاله وكفر

(٢) أ : إنما يعودا لى قولهم

(٣) ب : القرآن

(٤) أ : فنجد

(٥) أ : فلم

(٦) أ : — « جعل » بمعنى « مخلوق »

(٧) ب : تسمية

(٨) ب : وأساطير

(٩) ب : تسمية

(١٠) ب : جعل

(١١) ب : تسمبة

(١٢) ب : — فهذا

— وقال (حتى إذا جعله نارا)، هذا على معنى فعل، فهذا[1] جعل المخلوقين. ثم جعل من أمر[2] الله على معنى « خلق » وجعل على معنى غير خلق[3] لا يكون إلا خلق[4] ولا يقوم إلا مقام خلق خلقا[5] لا يزول عنه المعنى — وإذا قال[6] الله « جعل » على غير معنى خلق لا يكون خلق، ولا يقوم مقام خلق، ولا يزول عنه المعنى.

— فمما؟ قال الله « جعل » على معنى « خلق » قوله :(الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) [١/الأنعام] يعنى وخلق الظلمات والنور.

وقال (وجعل لكم السمع والأبصار) [٧٨/النحل] يقول: وخلق لكم السمع والأبصار[7] وقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) [١٢/الاسراء]. ويقول: (وخلقنا الليل والنهار آيتين).

— وقال: (وجعل الشمس سراجا) [١٦/نوح] وقال: (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها) [١٨٩/الأعراف] يقول: خلق منها زوجها[8] يقول: وخلق من آدم حواء. وقال: (وجعل لها رواسى) [٦١/النحل] يقول: وخلق لها رواسى[9] ومثله فى القرآن كثير.

— فهذا وما كان مثله[10] لا يكون إلا على معنى خلق.

---

(١) ب : — فهذا
(٢) أ : — أمر
(٣) ب : — وجعل على معنى غير خلق
(٤) ب : — خلق
(٥) ب : — خلقا
(٦) أ : فاذا
(٧) ب : — يقول وخلق لكم السمع والأبصار
(٨) ب : — يقول : خلق منها زوجها.
(٩) أ : — وخلق لها رواسى.
(١٠) أ : مثاله

— ثم ذكر — جعل — على غير معنى — خلق ، قوله : (ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة) [١٠٣/المائدة]. لايعنى ما خلق الله من بحيرة ولاسائبة .

— وقال الله (١) لإبراهيم .(إنى جاعلك للناس إماما) [٢٤/البقرة] ،لايعنى إنى خالق للناس إماما ، لأن خلق ابراهيم كان متقدما .

— وقال ابراهيم : (رب اجعل هذا البلد آمنا) [٣٥/ابراهيم] .

— وقال ابراهيم : (رب اجعلنى مقيم الصلاة) [٤٠/إبراهيم] لايعنى اخلقنى مقيم الصلاة .

— وقال (يريد الله ألايجعل لهم حظا فى الآخرة (٢)) [١٧٦/آل عمران].

— وقال لأم موسى : (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) [٧/القصص] . لايعنى و(٣) خالقوه من المرسلين ـ لأن (٤) الله وعد أم موسى أن يرده إليها ، ثم يجعله من بعد ذلك (٥) رسولا .

وقال : (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم (٦)) [٣٧/الأنفال] .

— وقال : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) [٥/القصص] (٧) .

---

(١) أ : — الله

(٢) أ : + لايعنى : يريد الله أن لايخلق لهم حظا فى الآخرة .

(٣) أ : — و
(٤) ب : ان

(٥) ب : — ذلك
(٦) أ : + لايعنى فيخلقه فى جهنم

(٧) أ : + لايعنى ونخلقهم أئمة ونخلقهم الوارثين

ـــ وقال (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) [١٤٣/الأعراف] لايعنى وخلقه دكا [١].

ـــ ومثله فى القرآن كثير . فهذا وما كان على مثاله لايـكون على معنى خلق . فاذا قال الله « جعل » على معنى خلق ، وقال « جعل » على غير معنى خلق ، فبأى حجة قال الجهمى . جعل - على معني - خلق ؟ فان رد الجهمى الجعل [٢] إلى المعنى الذى وصفه الله فيه وإلا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون . فلما قال الله . (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)[٣] [٣/الزخرف] وقال (لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين وقال) فإنما يسرناه بلسانك » [٩٧/مريم] فلما جعل الله القرآن عربيا ويسره بلسان بنبيه صلى الله عليه وسلم ،كان ذلك فعلا من أفعال الله تبارك وتعالى،جعل القرآن به عربيا يعنى هذا بيان لمن اراد الله هداه مبينا،وليس كما زعموا معناه أنزلناه بلسان العرب وقيل بيناه[٤].

ـــ ثم إن الجهم ادعى أمراً آخر وهو من المحال فقال : ـــ

ـــ أخبرونا عن القرآن ، أ [٥] هو الله ، أو غير الله ؟ . فادعى فى القرآن أمرا يوهم الناس . فإذا سئل الجاهل عن القرآن ، هو الله ، أو غير الله ؟ فلابد له من أن يقول بأحد القولين . فان قال : هو الله . قال له الجهمى : كفرت . وإن قال : [٦] هو غير الله ، قال : صدقت . فلم لا يـكون غير الله مخلوقا ؟ فيقع فى نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمى [٧] .

(١) لايعنى وخلقه دكا

(٢) أ : جعل

(٣) أ : + يقول جعله عربيا ، جعله جعلا على معنى فعلا من افعال الله على غير معنى خلق وقال فى سورة الزخرف (أنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) .

(٤) ب : ـــ مبينا وليس كما زعموا معناه أنزلناه بلسان العرب وقيل بيناه .

(٥) ب : ـــ هذا

(٦) ب : ـــ أ

(٧) أ : ـــ هو

ــ وهذه المسألة من الجهمى (١) من المغاليط. فالجواب (٢) للجهمى إذا سأل فقال : أخبرونا عن القرآن ، هو الله أو غير الله : ؟ . قيل له : وإن الله جل ثناؤه (٣) لم يقل فى القرآن إن القرآن أنا. ولم يقل : غيرى . وقال : هو كلامى ، فسميناه باسم سماه الله به ، فقلنا : كلام الله ـ فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين ، ومن سماه باسم (٤) غيره كان من الضالين .

ــ وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه ، ولم يسمه قولا فقال (ألا له الخلق والأمر) [٥٤/الأعراف] . فلما قال : ألا له الخلق (٥) ، لم يبق شيىء مخلوق (٦) إلا كان داخلا فى ذلك .

ثم ذكر ماليس بخلق فقال (والأمر) فأمره هو قوله، تبارك الله رب العالمين (٧) أن يكون قوله خلقا .

ــ وقال : (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم) [٤/الدخان] ، ثم قال القرآن : (أمرا من عندنا) [٥/الدخان] .

وقال : (لله الأمر من قبل ومن بعد) [٤/الروم] .

ــ يقول : لله القول من قبل الخلق ، ومن بعد الخلق ، فالله يخلق ويأمر ، وقوله غير خلقه .

ــ وقال : (ذلك أمر الله أنزله اليكم) [٥/الطلاق] وقال (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) [٤٠/هود] .

---

(١) أ : + هى

(٢) أ : والجواب

(٣) ب : ثناه

(٤) أ : + من

(٥) أ : + والأمر

(٦) ب : شيئا مخلوقا

(٧) ب : بأن

[بيان مافصل الله بين قوله وخلقه]

— وذلك أن الله جل ثناه إذا سمى الشيء الواحد باسمين أو ثلاثة أسامى فهو مرسل غير منفصل (١) ، وإذا سمى شيئين مختلفين (٢)لايدعها مرسلين (٣)حتى يفصل بينهما . من ذلك قوله :

— (ياأيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) [٧٨/يوسف] فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسامى، وهو مرسل . ولم يقل ، إن له أبا وشيخا وكبيرا .

— وقال : (عسى ربه إن طلقكن أن يبد له أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات) [٥/التحريم] ، ثم قال . ثيبات وأبكارا (٤).

— فلما كانت البكر غير الثيب ،لم يدعه مرسلا حتى فصل بينهما ، فذلك قوله « وأبكارا » .

— وقال : (ومايستوى الأعمى) [١٩/فاطر] ثم قال:(والبصير)، فلما كان البصير غير الاعمى فصل بينهما .

— ثم قال (ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور) [٢١/فاطر] . فلما كان كل واحد (٥) من هذا الشيء (٦) غير الشيء الآخر فصل بينهما.

ثم قال : (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق

---

(١) أ : مفصل — (٢) ب : لم

(٣) ب : مرسلا

(٤) أ : + فهذا شيء واحد فهو مرسل فلما ذكر شيئين مختلفين فصل بينهما فذلك قوله : (ثيبات) .

(٥) ب : + منهما — (٦) ب : - من هذا الشيء

البارىء المصور) [٢٤/الحشر] فهذا (١) كله شيء (٢) واحد ، فهو مرسل ليس بمفصل (٣) .

فلذلك (٤) إذا قال الله:(ألا له الخلق والأمر) لأن(٥) الخلق غير الأمر ،فهو منفصل (٦) .

بيان ما أبطل الله أن يكون القرآن الإ وحيا وليس بمخلوق

ـــ قوله: (والنجم إذا هوى) [١/النجم] . قال : وذلك أن قريشا قالوا : إن القرآن شعر . وقالوا : أساطير الأولين . وقالوا : أضغاث أحلام . وقالوا : تقوله محمد من تلقاء نفسه . وقالوا : تعلمه من غيره ـ فأقسم الله بالنجم (٧) إذا هوى ، يعنى القرآن إذا نزل ، فقال (والنجم إذ اهوى ، ماضل صاحبكم) ، يعنى محمدا ، (وماغوى وماينطق عن الهوى) يقول: إن محمدا لم يقل هذا القرآن من تلقاء نفسه . فقال: (إن هو) ، يقول ماهو ، يعنى القرآن ، (إلاوحى يوحى) فأبطل الله أن يكون القرآن شيئا غير الوحى ، لقوله (إن هو) يقول:ماهو إلا وحى يوحى . ثم قال : (علمه) ، يعنى علم محمدا جبريل (٨) صلى الله عليه وسلم . وهو: (شديد القوى ذو مرة فاستوى) إلى قوله (فأوحى إلى عبده ما أوحى) فسمى الله القرآن وحيا، ولم يسمه خلقا .

ـــ ثم إن الجهم ادعى أمرا آخر فقال : أخبرونا عن القرآن ، هو شيء ؟ .

---

(١) ب : ـــ فهذا
(٢) أ : + اسم
(٣) ب : منفصل
(٤) أ : فكذلك
(٥) ب : كان
(٦) أ : مفصل
(٧) ب : يقوله
(٨) أ : علم جبريل محمدا

فقلنا : نعم هو شيء . فقال . (إن الله خلق كل شيء) فلم لايكون القرآن مع (١) الأشياء المخلوقة ، وقد أقررتم أنه شيء ؟ .

— فلعمري . لقد ادعى أمرا أمكنه فيه الدوى (٢) ، ولبس على الناس بما ادعى فقلنا : إن الله (٣) فى القرآن لم يسم كلامه (٤) شيئا ، إنما سمى شيئا الذى كان يقوله ، ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى : (إنما قولنا لشيء) [٤٠/النحل] فالشيء ليس هو قوله . إنما الشيء الذى كان بقوله . (٥) وفى آية أخرى (إنما أمره إذا أراد شيئا) [٨٢/يس] فالشيء ليس هو (٦) أمره ، إنما الشيء ،الذى كان بأمره .

— ومن الأعلام والدلالات أنه لايعنى كلامه مع الأشياء المخلوقة ،قال الله (٧) للريح التى أرسلها على عاد : (تدمر كل شيء بأمر ربها) [٢٥/الأحقاف] وقد أتت تلك (٨) الريح على أشياء لم تدمرها ، منازلهم ، ومساكنهم ، والجبال التى بحضرتهم ، فأتت عليها تلك الريح ولم تدمرها . وقال : (تدمر كل شيء).

— فكذلك (٩) إذا قال (خالق كل شيء) لايعنى نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة .

— وقال للملكة سبأ (وأوتيت من كل شيء) [٢٣/النمل] . وقد كان ملك

---

(١) أ : من

(٢) أ : الدعوى

(٣) أ : + سبحانه

(٤) أ : لم يسم كلامه فى القرآن

(٥) أ : + قال

(٦) أ : — هو

(٧) ب : — الله

(٨) ب : — تلك

(٩) ب : فلذلك

سليمان شيئا (١) ولم تؤته . وكذلك (٢) إذا قال :) خالق كل شىء) لايعنى كلامه مع الأشياء المخلوقة .

ـــ وقال الله لموسى : (واصطنعتك لنفسى) [٤١/طه] ، (يحذركم الله نفسه) [٢٨/آل عمران] .

ـــ وقال : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) [٥٤/الأنعام] .

ـــ وقال : (تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك) [١١٦/المائدة] .

ـــ ثم قال (كل نفس ذائقة الموت) [١٨٥/آل عمران] .

ـــ فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعنى نفسه مع الأنفس التى تذوق الموت، وقد ذكر الله عز وجل كل نفس (٣) . فكذلك إذا (٤) قال (خالق كل شىء) لايعنى نفسه ، ولا علمه ، ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة .

ـــ ففى هذا دلالة وبيان لمن عقل عن الله . فرحم الله من فكر ، ورجع عن القول الذى يخالف الكتاب والسنة ، ولم يقل على الله إلا الحق ، فان الله قد أخذ ميثاق خلقه . فقال : (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله إلا الحق) [١٦٩/الأعراف] .

ـــ وقال فى آية أخرى : (إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) [٣٣/الأعراف] فقد (٥) حرم الله أن يقال عليه الكذب وقد قال : (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) [٦٠/الزمر] فأعاذنا الله وإياكم من فتن المضلين .

ـــ وقد ذكر الله كلامه فى غير موضع من القرآن ، فسماه كلاما ، ولم يسمه

---

(١) ب : ـ شيئا و (٢) : ب ـ ولذلك
(٣) أ : نفسه (٤) أ : أن
(٥) أ : وقد

خلقا . قوله :(فتلقى آدم من ربه كلمات) [٣٧/البقرة] وقال : (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) [٧٥ / البقرة] وقال (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) [١٤٣/الأعراف] . وقال (إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) ١٤٤/الاعراف] . وقال (وكلم الله موسى تكليما) [١٦٤/النساء] وقال : (فآمنو بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته) [١٥٨/الأعراف].

— فأخبرنا الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بالله وبكلام الله .

— وقال : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) [٤٤/الأعراف] وقال: (لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى) [١٠٩/الكهف] وقال : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) [٦/التوبة] ولم يقل حتى يسمع خلق الله .

— فهذ منصوص بلسان عربى مبين لايحتاج إلى تفسير ،هومبين[1] بحمد لله :

— وقد سألت الجهمية [2] .أليس إنما قال الله:(قولوا آمنا بالله)[١٣٦/البقرة] و(قولواللناس حسنا) [٨٣/البقرة] و (قولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم) [٤٦/العنكبوت] و (قولوا قولا سديدا) [٧٠/الأحزاب] و (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) [٦٤/آل عمران] .وقال:(وقل الحق من ربكم)[٢٩/الكهف].

— وقال : (فقل سلام) [٥٤/الانعام] . ولم نسمع الله يقول : قولوا إن كلامى خلق .

— وقال : (ولاتقولوا ثلاثة انتهوا) [١٧١/النساء] .

— وقال: (ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا) [٩٤/النساء] و(لاتقولوا راعنا) [١٠٤/البقرة] ، (ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات)،

---

(١) ب : المومنين والحمد لله . (٢) أ : الجهمى .

[١٥٤/البقرة]،لاتقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله،[١٢٤/الكهف]، «فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما»[٢٣/الاسراء]، «لا تدع مع الله إلها آخر»[٨٨/القصص]، «ولا تقتلوا أولادكم من إملاق» [١٥١/الانعام] ، «لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك» [٢٩/الاسراء]، «ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق»[١٥١/الانعام]، «لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن» [١٥٢/الانعام] ، «لا تمش فى الأرض مرحا» [١٨/لقمان] .

ـــ ومثله فى القرآن كثير .

ـــ فهذا مانهى الله عنه . ولم يقل لنا لاتقولوا إن القرآن كلامى .

ـــ وقد سمّت الملائكة كلام الله كلاما ولم تسمّه خلقا ، قوله «حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم» [٢٣ / سباء) .

ـــ وذلك أن الملائكة لم يسمعوا صوت الوحى مابين عيسى ومحمد صلى الله عليه (١) وسلم ، وبينهما(٢) كذا وكذا سنة .

ـــ فلما أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، سمع(٣) الملائكة صوت الوحى كوقع الحديد على الصفا ، فظنوا أنه أمر من(٤) الساعة، ففزعوا وخرّوا لوجوههم سجدا ، فذلك قوله :(حتى ، إذا فزع عن قلوبهم) يقول : حتى إذا انجلى الفزع عن قلوبهم رفع (٥) الملائكة رؤوسهم فسأل(٦) بعضهم بعضا : فقالوا: (٧) ماذا قال ربكم، ولم يقولوا ، ماذا خلق ربكم

---

(١) أ : عليهما
(٢) أ : وبينهما
(٣) أ : سمعت
(٤) أ : + أمر
(٥) أ : رفعت
(٦) ب : فسألوها
(٧) ب : فقولوا

— فهذا بيان لمن أراد الله هداه .

— ثم إن الجهم ادعى أمرا آخر فقال :

أنا أجد آية فى كتاب الله تبارك وتعالى[١] تدل على القرآن أنه مخلوق[٢]. فقلنا: فى أى آية ؟ فقال[٣] : (ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث) [٢ /الانبياء]. فزعم أن الله قال للقرآن (محدث) وكل محدث مخلوق .

— فلعمرى، لقد شبه على الناس بهذا . وهى آية من المتشابه فقلنا فى ذلك قولا واستعنا بالله ، ونظرنا فى كتاب الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

— اعلم أن الشيئين إذا اجتمعا فى اسم يجمعها فكان أحدهما أعلى من الآخر ثم جرى عليها اسم مدح فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه ، وإن جرى عليه اسم ذم، فأدناهما أولى به ، ومن ذلك قول الله تعالى[٤] فى كتابه : (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) [٦٥ /الحج] (عينا يشرب بها عباد الله) [٦/الانسان] يعنى الأبرار دون الفجار فإذا[٥] اجتمعوا[٦] فى اسم الانسان ، واسم العباد فالمعنى[٧] فى قول الله جل ثناؤه « عينا يشرب بها عباد الله » يعنى الأبرار دون الفجار ، لقوله إذا انفرد الأبرار (إن الأبرار لفى نعيم) [١٣/الانفطار] وإذا انفرد الفجار[٨] (وإن الفجار لفى جحيم) [١٤/ الانفطار] . وقوله (إن الله بالناس لرؤف رحيم) . فالمؤمن أولى به وإن اجتمعا فى اسم الناس ، لأن المؤمن إذا انفرد أعطى المدحة[٩] لقوله « إن الله بالناس لرؤف رحيم » « وكان بالمؤمنين رحيما)

---

(١) أ : — تبارك وتعالى (٢) أ : تدل على ان القرآن مخلوق

(٣) أ : + قول الله تبارك وتعالى (٤) أ : — تعالى

(٥) ب : — يعنى الأبرار دون الفجار فإذا

(٦) ب : فاجتمعوا (٧) ب : فى المعنى

(٨) أ : الكفار (٩) أ : المديح

[٤٣/الاحزاب] وإذا انفرد الكفار جرى عليهم الذم فى قوله: (ألا لعنة الله على الظالمين) [١٨ هود]

وقال: (أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) [٨٠/ المائدة] فهؤلاء لايدخلون فى الرحمة وفى قوله: (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى فى الأرض) [٢٧/الشورى] . فاجتمع الكافر والمؤمن (١) فى اسم العبد، والكافر (٢) أولى بالبغى من المؤمنين، لأن المؤمنين (٣) انفردوا ومدحوا (٤) فيما بسط لهم من الرزق وهو قوله (٥): (وإذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) [٦٧/الفرقان] وقوله (ومما رزقناهم ينفقون) [٢/البقرة] . وقد بسط (٦) الرزق لسليمان بن داوود، ولذى القرنين، وأبى بكر، وعمر، ومن كان على مثالهم (٧) ممن بسط له، فلم يبغ .

— وإذا انفرد الكافر وقع عليه اسم البغى فى قوله لقارون (فبغى عليهم) [٧٦/القصص] ، ونمرود (٨) بن كنعان حين آتاه الله الملك، فحاج فى ربه، وفرعون حين قال موسى: (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا) [٨٨/يونس] . فلما اجتمعوا فى الاسم الواحد (٩) فجرى عليهم (١٠) اسم البغى كان الكفار (١١) أولى به . كما أن المؤمن أولى بالمدح . فلما قال الله (١٢)

---

(١) أ : فاجتمع المؤمنون والكفار — (٢) أ : والكفار
(٣) ب : + اذا — (٤) ب : — و
(٥) أ : قول الله — (٦) أ : الرزق + لداوود
(٧) ب : مثالهما — (٨) أ : نمروذ
(٩) أ : اسم واحد — (١٠) ب : عليها
(١١) أ : الكافر — (١٢) أ : + تبارك

تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) فجمع بين ذكرين . ذكر الله وذكر نبيه . فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث ، ألم تسمع إلى قوله: (ولذكر الله أكبر) [٤٥/العنكبوت] . ، (هـذا ذكرمبارك) [٥١/الأنبياء] — وإذا [1] انفرد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه جرى عليه اسم الحدث ، ألم تسمع إلى قوله : (والله خلقكم وما تعملون) [٩٥/الصافات] فذكر النبى[2] صلى الله عليه وسلم له عمل، والله له خالق محدث[3] .والدلالة على أنه جمع بين ذكرين لقوله : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) فأوقع عليه الحدث عند إتيانه إيانا وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء، إلا مبلغ[4] ومذكر . وقال الله[5] (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) [٥٥/الذاريات] . (فذكر إن نفعت الذكرى) [٩/الأعلى]. (إنما أنت مذكر) [٢١/الغاشية] .

— فلما اجتمعوا فى اسم الذكر ،جرى عليهم اسم الحدث ، وذكر النبي [6] إذا انفرد،وقع عليه اسم الخلق [7] وكان أولى [8] بالحدث من ذكر الله الذى إذا انفرد ، لم يقع عليه اسم خلق ولا حدث . فوجدنا دلالة من قول الله[9] :(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فعلمه الله ، فلما علمه الله،كان ذلك [10] محدثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

— ثم إن الجهم ادعى أمرا آخر فقال . إنا وجدنا آية فى كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق [11]. فقلنا : أى آية . ا . فقال [12] : قول الله [13] : (إنما المسيح

---

(١) أ : فإذا (٢) ب : للنبىء (٣) أ : ومحدث
(٤) ب : لايأتينا الا بالانباء مبلغ (٥) أ: + تعالى
(٦) ب : فكان الذى . (٧) أ : خلق .
(٨) ب : اولا — وكان . (٩) أ : + تعالى
(١٠) ب : — ذلك
(١١) ب : على القرآن أنه مخلوق . (١٢) ب : قال .
(١٣) أ : + تعالى .

عيسى بن مريم رسول الله وكلمته) [١٧١/ النساء] وعيسى مخلوق . فقلنا : إن الله منعك الفهم فى القرآن ، عيسى تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على القرآن ، لأنه يسميه مولوداً وطفلا وصبيا وغلاما [١] يأكل ويشرب ، وهو مخاطب بالأمر والنهى ، يجرى عليه اسم[٢] الخطاب والوعد والوعيد ،ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم ، ولا يحل لنا أن نقول فى القرآن مانقول فى عيسى . هل سمعتم الله يقول فى القرآن ما قال فى عيسى ؟ . ولكن المعنى من قول الله [٣] جل ثناؤه : (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم) . فالكلمة التى ألقاها إلى مريم حين قال له « كن» فكان عيسى بكن ،وليس عيسى هو الكن[٤]،ولكن بالكن [٥] كان ، فالكن من الله قول [٦] وليس الكن مخلوقا .

ـــ وكذب النصارى والجهمية على الله فى أمر عيسى ، وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته ، لأن [٧] الكلمة مخلوقة . وقالت النصارى عيسى روح الله من ذات الله وكلمته [٨] من ذات الله . كما يقال : إن هذه الخرقة من هذا الثوب، وقلنا نحن : إن عيسى بالكلمة كان،وليس عيسى هو الكلمة .

ـــ وأما قول الله [٩] «وروح منه» يقول :من أمره كان الروح فيه كقوله[١٠] (وسخر لكم ما فى السموات ومافى الأرض جميعا منه) [١٣/الجاثية] . يقول من أمره وتفسير [١١] روح الله إنما معناها [١٢]،أنها روح بكلمة الله خلقها الله[١٣] كما يقال : عبد الله ، وسماء الله وأرض الله [١٤] .

---

(١) ب : لأنه يجرى عليه تسمية مولود وطفل وصبى وغلام .

(٢) ب : — اسم الخطاب.

(٣) أ : قوله .

(٤) أ : كن .

(٥) أ : بكن .

(٦) ب : عز قوله .

(٧) أ : الا

(٨) أ : وكلمة الله .

(٩) أ : + تعالى .

(١٠) ب : لقوله .

(١١) أ : ويفسر .

(١٢) أ : معناه .

(١٣) ب : — الله .

(١٤) ب : — وارض الله .

— ثم إن الجهم (١) ادعى أمراً آخر فقال : إن الله يقول : (خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام) [٤/السجدة] . فزعم أن القرآن لايخلو أن يكون فى السموات (٢) أو فى الأض أو فيما بينهما ، فشبه على الناس ولبس عليهم فقلنا له :أليس إنما أوقع الله جل ثناؤه الخلق (٣) والمخلوق على (٤) مافى السموات والأرض ومابينهما ، فقالوا : نعم . فقلنا : هـل فوق السموات شىء مخلوق ؟ . قالوا : نعم . فقلنا : فإنه (٥)لم يجعل مافوق السموات مع الأشياء المخلوقة ، وقد عرف أهل العلم أن فوق السموات السبع الكرسى والعرش واللوح المحفوظ والحجب وأشياء كثيرة لم يسمها ولم يجعلها مع الأشياء المخلوقة ، وإنما وقع الخبر من الله على السموات والأرض ومابينهما .

— وقلنا فيما ادعوا ، أن القرآن لايخلو أن يكون فى السموات أو فى الأرض أو فيما بينهما . فقلنا الله : تبارك وتعالى يقول : (ماخلق الله السموات والأرض ومابينهما الا بالحق) [٨/الروم] فالذى خلق به السموات والأرض قـد كان قبل السموات والأرض ، والحق الذى خلق به السموات والأرض هوقوله لأن الله يقول الحق وقال : (فالحق والحق أقول) [٤٨/صٓ] . ويوم يقول « كن » فيكون قوله الحق (٦) ، فالحق الذى خلق به السموات والأرض قد كان قبل السموات والأرض ، والحق قوله ، وليس قوله مخلوقا .

---

(١) أ : الجهمى
(٢) أ : السماء
(٣) أ : + على
(٤) أ : — على
(٥) ب : إنه
(٦) أ : — الذى خلق به السموات والأرض هو قوله لأن الله يقول الحق وقال : (فالحق والحق أقول) ويوم يقول . (وكن) فيكون قوله الحق .

بيان ماجحدت [1] الجهمية من قول الله
(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [٢٣/القيامة]

قال أحمد رحمه الله [2] . فقلنا لهم : لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم . فقالوا : لاينبغى لأحدأن ينظر إلى ربه لأن المنظور إليه معلوم [3] موصوف لايرى إلا شيء يفعله [4] . فقلنا : أليس الله يقول:(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقالوا: إن معنى [5] (إلى ربها ناظرة) إنها [6] تنظر الثواب من ربها [7] ، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته وتلو آية [8] من القرآن (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) [٤٥/الفرقان] فقالوا : إنه حين قال (ألم تر إلى ربك) أنهم لم يروا ربهم . ولكن المعنى ألم تر إلى فعل ربك ، فقلنا : إن فعل الله لم يزل العباد يرونه ، وإنما قال: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقالوا : إنما تنظر [9] الثواب من ربها [10] فقلنا : إنها مع ماتنتظر الثواب هى ترى ربها . فقالوا : إن الله لايرى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وتلو آية من المتشابه من قول الله جل ثناؤه (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرف معنى قول الله : (لاتدركه الأبصار) وقال : (إنكم سترون ربكم) [11] . وقال لموسى :(لن ترانى) [١٤٣الاعراف] ولم يقل : لن أرى ، فأيها [12] أولى أن نتبع ، [13] النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) ب : + به
(٢) ب : — قال أحمد رحمة الله
(٣) أ : معدود
(٤) أ : إنما ترى الأشياء بفعله
(٥) أ : إنما
(٦) ب : انها
(٧) أ : الى ثواب ربها
(٨) أ : وتاويله
(٩) أ : ينتظرون
(١٠) أ : وبهم
(١١) ب : أخرجه البخارى ومسلم والترمذى
(١٢) ب : فأينا .
(١٣) أ : يتبع

حين قال : إنكم سترون ربكم . أو قول الجهمى حين قال : لا ترون ربكم . والاحاديث فى أيدى [1] أهل العلم عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أن أهل الجنة يرون ربهم ، لا يختلف فيها أهل العلم .

ــ ومن حديث سفيان (٢) عن أبى اسحق (٣) عن عامر بن سعد فى قول الله (٤) (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [٢٦/يونس] قال : النظر إلى وجه الله .

ــ ومن حديث ثابت البنانى (٥) ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى (٦) قال : إذا استقر أهل الجنة فى الجنة نادى مناد يا أهل الجنة : إن الله قد أذن لكم فى الزيادة .

---

(١) ب : يدى .

(٢) سفيان بن عيينة أبو محمد الهلالى شيخ الحجاز كوفى نزل مكة سمع الزهرى وزياد ابن علاقة وكان عالما بالتفسير وقال فيه أحمد بن حنبل : مارأيت أحداً أعلم بالسنن من ابن عيينة توفى سنة ١٩٨ هـ .

(الذهبى ، العبر جـ ١ ص ٣٢٦)

(٣) أبو اسحاق الشيبانى سليمان بن فيروز الكوفى سمع عبد الله بن أبى أوفى وجماعة توفى سنه ١٤١ هـ .

(الذهبى العبر ، جـ ١ ص ١٩٢) .

(٤) أ : قوله .

(٥) هو من التابعين معاصر للامام مالك توفى بالبصرة سنه ١٢٣ هـ والبنانى بضم الباء وفتح النون نسبه إلى بنانه وهى قبيلة عربيه (الذهبى ، العبر جـ ١ ص ١٥٦ . أسلم بن سهل الرزاز الواسطى (+ ٢٩٢ هـ) (تاريخ واسط ص ١٣٠) .

(٦) عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى الكوفى فقيه ومقرىء أخذ عن عثمان وعن على توفى سنة ٨٣ هـ (الذهبى ، العبر جـ ١ ص ٩٦) .

قال : فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله (١) لا إله إلا هو (٢) .

ـ وإنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لاينظرون الى ربهم ويحجبون عن الله ، لأن الله قال للكفار (٣) (كلا إنهم عند ربهم يومئذ لمحجوبون) [١٥/المطففين] فإذا كان الكافر يحجب عن الله ،والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر ؟

ـ والحمد (٤) لله الذى لم يجعلنا مثل جهم وشيعته ، وجعلنا ممن اتبع،ولم يجعلنا ممن ابتدع،والحمد لله وحده (٥) .

[بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى]

فقلنا . أنكرتم ذلك . ؟ . قالوا : إن الله لم يتكلم (٦) ولا يتكلم . إنما كون شيئا فعبر عن الله ، وخلق صوتا فأسمع (٧) وزعموا أن الكلام لايكون إلا من جوف ولسان وشفتين . فقلنا : هل يجوز لمكون (٨) أو غير الله أن يقول (ياموسى إنى أنا ربك) [١٢/طه] أو يقول (إنىأنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) [١٤/ طه] فمن زعم ذلك (٩) فقد زعم أن (١٠) غير

---

(١) أ : + فيتجلى لهم ذكر الحديث قال أحمد رحمه الله .

(٢) ب : روى مسلم حديثا فى معناه .

(٣) أ : ــ للكفار

(٤) أ : فالحمد

(٥) ب : والحمد لله رب العالمين .

(٦) أ : يكلم .

(٧) أ : فأسمعه

(٨) أ : أن يكون المكون غير .

(٩) أ : أن ذلك غير الله

(١٠) أ : ــ فقد زعم أن

الله (١) ادعى الربوبية (٢) كما زعم الجهم أن الله كون شيئا كان يقول ذلك المكون (ياموسى إنى أنا الله رب العالمين) [٣٠/القصص] (٣). وقد قال جل ثناؤه : (وكلم الله موسى تكليما) [١٦٤/النساء] . وقال . (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) [١٣٤/الأعراف] . وقال : (إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) [١٤٤/الأعراف] . فهذا منصوص القرآن . فأما (٤) ماقالوا: إن الله (٥) لايتكلم فكيف (٦) يصنعون بحديث الأعمش (٧) ، عن خيثمة ، عن عدى بن حاتم الطائى (٨) . قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه ما (٩) بينه وبينه ترجمان (١٠) . وأما قولهم إن الكلام لايكون إلاّ من جوف وفم وشفتين ولسان ، أليس الله قال (١١) للسموات والأرض (إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) [١١/ فصلت] . أتراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات . ؟ . وقال (وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن) [٨٩/الأنبياء] . أتراها سبحت (١٢) بجوف وفم ولسان وشفتين؟ والجوارح إذ شهدت على الكافر فقالوا : (لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى

---

(١) أ: + فقد . (٢) أ : + ولو كان

(٣) أ : + ولايجوز أن يقول انى أنا الله رب العالمين .

(٤) أ : وأما (٥) أ : + لم يتكلم

(٦) أ : كيف .

(٧) الأعمش : أبو محمد سليمان بن مهران الأسدى توفى ١٤٨ هـ وهو محدث الكوفة

(٨) عدى بن حاتم الطائى توفى سنة ٦٧ هـ وقيل ٦٨ هـ وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه .

الذهبى العبر ج ١ ص ٧٤ .

(٩) أ : ليس (١٠) متفق عليه

(١١) أ : اليس قال الله (١٢) ب: يسبحن

أنطلق كل شئ) أتراها (١) أنها (٢) نطقت بجوف وفم ولسان ؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء .

وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول (٣) بجوف (٤) ولافم ولاشفتين ولا لسان (٥) .

قال أحمد رضى الله عنه (٦) : فلما خنقته (٧) الحجج قال : —

إن الله كلم موسى، إلا أن كلامه غيره . فقلنا: وغيره مخلوق ؟ قال: نعم . فقلنا: هذا مثل قولكم الأول إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون (٨) ، وحديث الزهرى قال : لما سمع موسى كلام ربه قال : يارب هذا الذى سمعته هو كلامك . ؟ . قال: نعم ياموسى هو كلامى ، إنما كلمتك بقوة عشر آلاف لسان ، ولى قوة الألسن كلها ، وأنا أقوى من ذلك ، وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمت . قال : فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له : صف لنا كلام ربك . قال (٩): سبحان الله، وهل أستطيع أن أصفه لكم. قالوا: فشبهه . قال : هل سمعتم أصوات الصواعق التى تقبل فى أحلى حلاوة سمعتوها، فكأنه مثله (١٠) .

وقلنا للجهمية : من القائل يوم القيامة (ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس

---

(١) أ : تراها (٢) ا : — أنها

(٣) أ : تقول (٤) أ : جوف

(٥) أ : ولا لسان ولاشفتان .

(٦) ب : — قال احمد رضى الله عنه .

(٧) ب : حذقته (٨) ب : —بما تظهرون .

(٩) أ : فقال .

(١٠) رواه الطبرى فى تفسيره بلفظ قريب منه . وكذلك ابن كثير ويبد وعليه الضعف إذ في رواية ابن كثير الفضل الرقاشي وهو ضعيف عند المحدثين .

اتخذونى وأمى إلهين من دون الله[١١٦/ المائدة] . أليس الله هو القائل (١) ؟ قالوا : فيكون (٢) الله شيئا،فيعبر عن الله كما كون (٣) شيئا (٤) فعبر لموسى ، .

قلنا: فمن القائل (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ، فلنقصن عليهم بعلم) [٧/الاعراف] أليس الله هو الذى يسأل ؟ . قالوا : هذا كله إنما يكون شيئا فيعبر عن الله . قلنا (٥)قد أعظمتم على الله الفرية،حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهتموه بالأصنام التى تعبد من دون الله لأن الأصنام لاتتكلم ولاتتحرك ولاتزول من مكان إلى مكان .

فلما ظهرت عليه الحجة قال :—

إن الله يتكلم ، ولكن كلامه مخلوق . قلنا :وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق ، فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق . ففى مذهبكم قد كان فى وقت من الأوقات لايتكلم حتى خلق التكلم ، وكذلك بنو آدم . كانوا لايتكلمون حتى خلق الله(٦) لهم كلاما وقد جمعتم بين(٧) كفر وتشبيه، وتعالى الله(٨) عن هذه الصفة ، بل جمعتم (٩) نقول : إن الله لم يزل متكلما إذا شاء،ولانقول : إنه كان ولايتكلم حتى خلق الكلام (١٠)، ولا نقول : إنه قدكان لا يعلم(١١) حتى خلق علما فعلم(١٢) ولا نقول إنه

---

(١) أ : + قال
(٢) أ: يكون
(٣) أ : كونه
(٤) أ : — شيئا
(٥) أ : فقلنا
(٦) أ : — الله
(٧) ب : — جمعتم
(٨) ب : فتعالى
(٩) أ : — بل جمعتم ويبدو أنها كانت فى الهامش تصحيحا للنسخة فكتب ذلك الناسخ فى المتن لأن (جمعتم) قد سقطت منه وتصحيح النص : (بل نقول) كما فى (أ)
(١٠) أ : كلاما
(١١) ب : ولا
(١٢) أ : — فعلم

قد(١) كان ولا قدرة له(٢)حتى خلق لنفسه القدرة، ولا نقول : إنه قد(٣)كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورا ، ولا نقول: إنه قد (٤) كان ولا عظمة لهحتى خلق لنفسه عظمة .

ـــ فقالت الجهمية (٥) ، لما وصفنا الله بهذه (٦) الصفات : إن زعمتم أن الله ونوره ، والله وقدرته ، والله وعظمته ، فقد قلتم بقول النصارى حين زعموا (٧)أن الله لم يزل ونوره . ولم يزل وقدرته.

ـــ قلنا : لانقول إن الله لم يزل وقدرته ، ولم يزل ونوره . ولكن نقول : لم يزل بقدرته ونوره،لامتى قدر،ولا كيف قدر .

ـــ فقالوا : لاتكونون موحدين أبدا حتى تقولوا : قد كان الله ولا شيء.

فقلنا : نحن نقول : قد كان الله ولا شيء . ولكن إذا قلنا : إن الله لم يزل بصفاته كلها ،أليس إنما نصف إلها واحداً بجميع صفاته؟ وضربنا لهم فى ذلك مثلا، فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع ،وكرب (٨) وليف وسعف وخوص وجمار (٩) ؟ ، واسمها اسم شيء واحد ، وسميت نخلة بجميع صفاتها ، فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد ، لانقول إنه قد كان فى وقت من الأوقات ولا يقدر(١٠)حتى خلق له (١١)قدرة ، والذى ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول

---

(١) أ : ـــ قد .
(٢) أ : ـــ له
(٣) أ : ـــ قد
(٤) أ : ـــ قد
(٥) أ : الجهمى + لنا
(٦) أ : وصفنا الله عن الله هذه
(٧) أ : زعمتم
(٨) أصول السعف الغليظة
(٩) شحم النخل وقلبها
(١٠) أ : ولاقدرة
(١١) أ : ـــ له

قد كان فى وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علما (١) فعلم . والذى لا يعلم هو جاهل ، ولكن نقول : لم يزل الله عالما قادرا (٢) لامتى ، ولا كيف، وقد سمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومى (٣) فقال (ذرنى ومن خلقت وحيدا) [١١/المدثر] وقد كان هذا الذى سماه الله (٤) (وحيدا) له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه الله (وحيدا) بجميع صفاته ، فكذلك الله ، وله المثل الأعلى ، هو بجميع صفاته إله واحد .

بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش

فقلنا لهم : أنكرتم (٥) أن يكون الله على العرش ، وقد قال تعالى (٦) : — (الرحمن على العرش استوى) [٥٤/الأعراف] (٧) . وقال : (خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) ، فقالوا : هو تحت الأرض (٨) السابعة . كما هو على العرش ، فهو على العرش وفى السموات وفى الأرض وفى كل مكان ، ولا يخلو منه مكان ، ولا يكون فى مكان دون مكان . وتلوا آية من القرآن (وهو الله فى السموات وفى الأرض) [٣/الأنعام] . فقلنا : قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظم (٩) الرب شىء . فقالوا : أى مكان؟

---

(١) : — له علما (٢) أ : + مالكا

(٣) مات بعد الهجرة بثلاثة اشهر .

(٤) أ : — الله (٥) أ : + ذلك

(٦) أ : جل ثناؤه .

(٧) أ : + وقال : (ثم استوى على العرش فأسأل به خبيرا) .

(٨) ب : الأرضين (٩) ب : عظيم

فقلنا : أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش (١) والأماكن القذرة ليس فيها من عظم (٢) الرب شيء ، وقد أخبرنا أنه فى السماء فقال : (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض) [١٦/الملك] ، (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) [١٧/الملك] . وقال : (إليه يصعد الكلم الطيب) . [١٠/فاطر] ، و قال : (إنى متوفيك و رافعك إلى) [٥٥ / آل عمران] وقال (بل رفعه الله إليه) [١٥٨/النساء]

وقال : (وله من فى السموات والأرض ومن عنده) [١٩/ الأنبياء] وقال : (يخافون ربهم من فوقهم) [٥٠/النحل] . وقال : (ذى المعارج) [٣ / المعارج] وقال : (وهو القاهر فوق عباده) [١٨/الأنعام] وقال (٣) (وهو العلى العظيم) [٢٥٥/ البقرة] .

— فهذا خبر الله (٤) أخبرنا أنه فى السماء ، ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموما يقول الله جل ثناؤه : (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) [١٤٥/النساء] (وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) [٢٩/ فصلت] .

— وقلنا لهم : أليس تعلمون (٥) أن إبليس كان (٦) مكانه (٧) والشياطين

---

(١) مكان قضاء الحاجة فى البساتين

(٢) ب : عظيم

(٣) ب : — وقال

(٤) ب : — خبر الله

(٥) أ : أتعلمون

(٦) ب : مكانه

(٧) ب : مكان

مكانهم (١) ، فلم يـكن الله ليجتمع (٢) هو وإبليس فى مكان واحد ، وإنما معنى قول الله (٣) جل ثناؤه (وهو الله فى السموات وفى الأرض) يقول : هو إله من فى السموات وإله من فى الأرض ، وهو على العرش وقد أحاط علمه (٤) بما دون العرش ، ولا يخلو من علم الله مكان . ولا يـكون علم الله فى مكان دون مكان . فذلك قوله : (لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما) [١٢/الطلاق] .

— ومن الاعتبار فى ذلك ، لو أن رجلا كان فى يديه قدح من قوارير صاف وفيه شراب صاف ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يـكون ابن آدم فى القدح ، فالله (٥) وله (٦) المثل الأعلى ، قد أحاط بجميع خلقه ، من غير أن يـكون فى شىء من خلقه .

— وخصلة أخرى ، لو أن رجلا بنى دارا بجميع مرافقها ، ثم أغلق بابها وخرج منها ، كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت فى داره ، وكم سعة كل بيت ، من غير أن يـكون صاحب الدار فى جوف الدار . فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه (٧) وعلم كيف هو ، وما هو ، (٨) من غير أن يـكون فى شىء مما خلق .

---

(١) ب : + مكان — (٢) أ : يجتمع

(٣) أ : قوله — (٤) أ : بعلمه

(٥) أ : — فالله — (٦) أ : ولله

(٨) أ : ما خلق — (٨) أ : — وما هو

(بيان[1] ما تأولت الجهمية من قول الله: (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم)[2] [٧/المجادلة]

قالوا: إن[3] الله[4] معنا وفينا — فقلنا[5]: الله جل ثناؤه[6] يقول: (ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض)[٧/المجادلة]. ثم قال(مايكون من نجوى ثلاثة إلاهو رابعهم)يعنى الله بعلمه(ولاخمسة إلا هو) يعنى[7] الله بعلمه (سادسهم) ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم) يعنى بعلمه فيهم (أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم) [٧ المجادلة] .

— يفتح الخبر[8] بعلمه ويختم الخبر[9] بعلمه ويقال للجهمى: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه فقل له . هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه ؟ فإن قال : نعم فقد زعم أن الله بائن من خلقه دونه ، وإن قال : لا ، كفر)[10].

— إذا أردت أن تعلم أن الجهمى كاذب على الله حين زعم أن الله فى كل مكان ، ولا يكون فى مكان دون مكان ، فقل : أليس الله كان ولا شىء . فيقول نعم . فقل له : حين خلق الشىء خلقه فى نفسه أو خارجا[11] من نفسه فإنه يصير

---

(١) أ : + قال احمد رحمه الله

(٢) أ : + الآية

(٣) ب : — إن

(٤) أ : + عز وجل

(٥) أ : فقلت + لم قطعتم الخبر من اوله ؟ إن

(٦) أ : عز وجل

(٧) أ : + الا

(٨) (٩) ب : الخير

(١٠) مابين قوسين سقط من (ب) والصواب إسقاطه لأنه غير واضح .

(١١) أ : خارج

إلى ثلاثة أقوال (١) لابد له (٢) من واحد منها . إن زعم أن الله خلق الخلق فى نفسه كفر ، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين فى نفسه .

— وإن قال : خلقهم خارجا من نفسه ثم ،دخل فيهم ، كان هذا كفرا أيضا (٣) حين زعم أنه دخل فى مكان وحش (٤) قذر ردىء .

— وإن قال : خلقهم خارجا من نفسه، ثم لم يدخل فيهم ، رجع عن قوله أجمع . وهو قول أهل السنة .

— إذا أردت أن تعلم أن الجهمى لايقر بعلم الله فقل له : الله يقول : (ولايحيطون بشىء من علمه) [٢٥٥/البقرة] وقال: (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه) [١٦٦ / النساء] وقال : (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله)[٤١/ هود] (٥) و (٦) قال (وما تخرج من ثمرات من أكمامها وماتحمل من أنثى ولاتضع إلا بعلمه) [٤٧ / فصلت] فيقال له : تقر بعلم الله هذا الذى وقفك عليه بالأعلام والدلالات أم لا ؟

— فإن قال : ليس له علم ، كفر .

— وإن قال : لله علم محدث ، كفر ، حين زعم أن الله قد كان فى وقت من الأوقات لايعلم حتى أحدث له علما (٧) فعلم .

فإن قال : لله علم وليس مخلوقا ولامحدثا ، رجع عن قوله كله ، وقال بقول أهل السنة .

---

(١) أ : اقاويل (٢) أ : — لابد له من

(٣) أ : — ايضا (٤) ب : وحشى

(٥) أ : (فان تولوا فاعلم إنما أنزل بعلم الله)

(٦) ب : — و (٧) ب : — له علما

بيان ماذكر الله فى القرآن (وهو معكم)

وهذا على وجوه :

قال الله جل ثناؤه لموسى : (إننى معكما) [٤٦/طه] ، يقول : فى الدفع عنكما .

وقال : (ثانى اثنين إذهما فى الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا) [٤٠/التوبة] . يقول : (١) فى الدفع عنا .

وقال : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) [٢٤٩/البقرة] . يقول : فى النصر لهم على عدوهم .

وقال : (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم) [٣٥/محمد] فى النصر لكم على عدوكم .

وقال : (ولايستخفون من الله وهو معهم) [١٠٨/النساء] ، يقول : بعلمه فيهم .

وقال : (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا إن معى ربى سيهدين) [٦٢/البقرة] . يقول : فى العون على فرعون .

فلما ظهرت الحجة على الجهمى بما ادعى على الله أنه مع خلقه ، قال : هو فى كل شىء غير مماس لشىء ، ولا مباين (٢) منه ، فقلنا . إذا كان غير مباين أليس هو مماس . قال : لا . قلنا : فكيف يكون فى كل شىء غير مماس لشىء ولامباين ؟ فلم يحسن الجواب. فقال : بلا كيف فيخدع جهال الناس بهذه الكلمة وموه عليهم(٣)

---

(١) سقط مابين القوسين من (أ)

(٢) سقط مابين القوسين من (ب)

(٣) ب : — له

فقلنا له : (١) أليس إذا كان يوم القيامة ، أليس إنما هو فى الجنة والنار والعرش والهواء . قال : بلى . فقلنا : فأين (٢) يكون ربنا ؟ فقال : يكون فى كل شىء ، كما كان حين كان فى الدنيا ، فى (٣) كل شىء . فقلنا : فإن (٤) مذهبكم إن ما كان من الله (على العرش فهو على العرش وما كان من الله) (٥) فى الجنة فهو فى الجنة ، وما كان من الله فى النار فهو فى النار ، وما كان من الله فى الهواء فهو فى الهواء .

فعند ذلك تبين كذبهم على الله جل ثناؤه .

وزعمت الجهمية أن الله جل ثناؤه (٦) فى القرآن إنما هو اسم مخلوق ، فقلنا : قبل أن يخلق هذا الاسم ، ما كان اسمه ؟ قالوا : لم يكن له اسم . فقلنا : وكذلك قبل أن يخلق العلم كان جاهلا لا يعلم حتى يخلق (٧) لنفسه علما ، وكان ولا نور له حتى يخلق (٨) لنفسه نورا ، (٩) وكان ولا قدرة له حتى يخلق (١٠) لنفسه قدرة ، فعلم الخبيث أن الله قد فضحه وأبدى عورته حين زعم أن الله جل ثناؤه (١١) فى القرآن إنما هو (١٢) اسم مخلوق .

وقلنا للجهمية : لو أن رجلا حلف بالله الذى لا إله إلا هو كاذبا ، كان لا يحنث لأنه حلف (١٣) بشىء مخلوق ولم يحلف بالخالق . ففضحه الله فى هذه . وقلنا له : أليس النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء من بعدهم ، والحكام والقضاة ، إنما كانوا يحلفون الناس بالله الذى لا إله إلا هو ؟

(١) ب : — له
(٢) أ : أين
(٣) ب : وفى
(٤) أ : + فى
(٥) سقط ما بين قوسين من (ب)
(٦) أ : — جل ثناؤه
(٧) أ : خلق
(٨) أ : خلق
(٩) أ : — و
(١٠) أ : خلق
(١١) أ : — جل ثناؤه
(١٢) ب : هذا
(١٣) أ : كان حلفه

فكانوا فى مذهبهم مخطئين ، إنما كان ينبغى (١) للنبى عليه السلام (٢) ، ولمن بعده فى مذهبكم أن يحلفوا بالذى اسمه الله ، وإذا أرادوا أن يقولوا : لا إله إلا الله يقولون (٣) . لا إله إلا الذى خلق الله ، وإلا لم يصح توحيدهم . ففضحه الله بما ادعى على الله الكذب . ولكن نقول (٤) : إن الله هو الله وليس الله باسم (إنما الاسماء شىء سوى الله لأن الله إن لم يتكلم فبأى شىء خلق الخلق) (٥) قالوا (٦): أموجود عن الله أنه خلق الخلق بقوله وبكلامه . ؟ .

وحين قال : (إنما قولنا لشىء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون) [٤٠/النحل] . فقالوا : إنما معنى (قولنا لشىء إذا أردناه) « يكون » قلنا (٧) . فلم أخفيتم (٨) ؟ أن يقول له ، فقالوا : إنما معنى كل شىء فى القرآن معانيه ، وقال الله مثل قول العرب : قال الحائط ، وقالت (٩) النخلة فسقطت ، فالجهمية لا يقولون بشىء . فقلنا : على هذا أفتيتم ؟ . قالوا : نعم . فقلنا : فبأى شىء خلق الخلق إن كان الله فى مذهبكم لا يتكلم ؟ فقالوا : بقدرته . فقلنا : هى شىء ؟ . قالوا (١٠) . نعم فقلنا : قدرته مع الأشياء المخلوقة . ؟ . قالوا : نعم فقلنا : كأنه خلق خلقا بخلق وعارضتم القرآن وخالفتموه حين قال الله جل ثناؤه (خالق كل شىء) فاخبرنا الله أنه يخلق وقال) (١١) (هل من خالق غير الله) [٣/فاطر] فإنه ليس أحد يخلق غيره ، وزعمتم أنه خلق الخلق غيره فتعالى الله (١٢) عما قالت (١٣) الجهمية علوا كبيرا .

---

(١) ب : — ينبغى
(٢) أ : صلى الله عليه وسلم
(٣) أ : يقولوا
(٤) ب : يقول
(٥) سقط ما بين قوسين من (ب)
(٦) أ : — قالوا
(٧) أ : فقلنا
(٨) ب : أضفتم
(٩) أ : قال
(١٠) أ : فقالوا
(١١) سقط ما بين قوسين من (ب)
(١٢) ب : — الله
(١٣) أ : يقول

بيان ما ادعت الجهمية أن القرآن مخلوق من الاحاديث التى رويت

فقالوا : جاء فى الحديث [١] : إن القرآن يجىء فى صورة الشاب الشاحب فيأتى صاحبه فيقول : هل تعرفنى ؟ فيقول له [٢] : من أنت ؟ فيقول : أنا القرآن الذى أظمأت نهارك وأسهرت ليلك ، قال : فيأتى به الله فيقول : يارب [٣] . فادعوا أن القرآن مخلوق من قبل هذه الأحاديث . فقنالهم : القرآن لايجىء إلا بمعنى[٤] أنه [٥] قد جاء من قرأ (قل هو الله أحد)[١/الإخلاص] فله كذا وكذا . ألا ترون أن من قرأ (قل هو الله أحد)لايجيئه إلا بثوابه[٦] لأنا نقرأ القرآن فيقول: يارب[٧] ويجىء ثواب القرآن فيقول : يارب ، لأن [٨] كلام [٩] الله لا يجىء ولا يتغير من حال إلى حال . وإنما معنى أن القرآن يجىء أنما يجىء ثواب القرآن : يارب .

بيان ما تأولت الجهمية من قول الله[١٠] (هو الاول والآخر)

فزعموا أن الله هو قبل الخلق ، فصدقوا ، وقالوا : يكون الآخر بعد الخلق فلا يبقى شىء ولا أرض ولا جنة ولانار ولا ثواب ولاعقاب ولا عرش ولا كرسى .

---

(١) أ : — فقالوا : جاء فى الحديث .

(٢) أ : — له

(٣) روى الترمذى حديثا بهذا المعنى وقال حديث صحيح .

(٤) ب : — إلا بمعنى . (٥) أ : — إنه

(٦) أ : لاتجيئه بل يجىء ثوابه

(٧) ب فيقول يارب . (٨) أ : فيقول يارب لأن

(٩) أ : وكلام (١٠) أ : + تعالى

وزعموا أن شيئا مع الله لايكون ، هو الآخر كما كان ، فأضلوا بهـذا بشرا كثيرا .

وقلنا : أخبرنا الله عن الجنة ودوام أهلها فيها فقال : (لهم فيهم نعيم مقيم) [٢١/التوبة] فإذا قال جل وجهه : (مقيم) . وقال : (خالدين فيها أبدا) [٥٧/النساء] وقال : (أكلها دائم)فاذا قال الله دائم لاينقطع أبدا] (١) وقال (وماهم منها بمخرجين) [٤٨/الحجر] . وقال : (إن الآخرة هى دار القرار) [٣٩/غافر] . وقال : (إن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) [٦٤/العكنبوت] وقال : (ما كثين فيها أبدا) [٣/الـكهف] وقال : (٢) (وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون) [١٠٧/آل عمران]،وقال : (وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة) [٣٣/الواقعة] ومثله فى القرآن كثير .

وذكر أهـل النار فقال : (٣) (لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها) [٣٦/فاطر] وقال : (أولئك يئسوا من رحمتى) [٢٣/العنكبوت] . وقال :(لاينالهم الله برحمته) [٤٩/الأعراف] . وقال : (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما كثون) [٧٧/الزخرف] . وقال : (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) [٢١/ابراهيم] . وقال : (خالدين فيها أولئك هم شر البرية) [٦/البينة] . وقال : (كلما نضجت جلوهم بدلناهم جلودا غيرها) [٥٦/النساء] .

وقال : (كلما أراد أن يخرجوا منها أعيدو افيها) [٢٠/السجدة] . وقال : (إنها عليهم مؤصدة) [٨/الهزة] ومثله فى القرآن كثير .

وأما (٤) السماء والأرض فقـد بادتا (٥) لأن أهلها صاروا إلى الجنة

---

(١) سقط ما بين القوسين من (ب) (٢) أ : — وقال

(٣) أ : وقال

(٤) أ : فأما (٥) أ : زالتا

والنار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب لأنه سقف الجنة والله عليه فلا يهلك ولا يبيد .

وأما قوله : (كل شيء هالك إلا وجهه) [٨٨/القصص] . وذلك أن الله أنزل (كل من عليها فان) [٤٦/الرحمن] .

قالت الملائكة : هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء ، فأنزل الله آية [١] يخبر عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون [٢] . فقال : (كل شيء) من الحيوان (هالك) يعني ميت (إلا وجهه) أنه حي لا يموت ، فأيقنوا عند ذلك بالموت .

وقلنا للجهمية حين زعموا أن الله في كل مكان لا يخلو منه مكان . فقلنا : أخبرونا عن قول الله [٣] جل ثناؤه : (فلما تجلى ربه للجبل) [١٣٤/الأعراف] لم يتجلى [٤] للجبل إن كان فيه بزعمهم ؟ ، فلو كان فيه كما تزعمون [٥] لم يكن يتجلى لشيء هو فيه ، ولكن الله جل ثناؤه على العرش وتجلى لشيء [٦] لم يكن فيه ، ورأى الجبل شيئا [٧] لم يكن رآه قبل ذلك ؟

وقلنا للجهم : لله [٨] نور ؟ فقال : هو نور كله ، فقلنا : فالله [٩] قال : (وأشرقت الأرض بنور ربها) [٦٩/الزمر] . فقد أخبر الله جل ثناؤه أن له نورا . فلقنا : أخبرونا حين زعمتم أن الله في كل مكان وهو نور . فلم لا يضيء البيت المظلم من النور الذي هو فيه إن [١٠] زعمتم أن الله في كل مكان؟

---

(١) أ : أنه .
(٢) أ : انكم تموتون .
(٣) أ : قوله
(٤) أ : تجلى
(٥) أ : يزعمون
(٦) أ : — لشيء
(٧) ب : — شيئا .
(٨) أ : الله
(٩) أ : فالله
(١٠) ب : ان

وما بال السراج إن (١) أدخل البيت يضىء ؟

فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى (٢) .

فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن القول الذى يخالف الكتاب والسنة وقال بقول العلماء وهو قول المهاجرين والأنصار ، وترك دين الجهم (٣) وشيعته .

هذا (٤) آخره ، والحمد لله (٥) وحده وصلى لله على (٦) سيد محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

(كتبه لنفسه ، محمد بن محمد بن على بن أحمد المقدسى الحنبلى ثالث من شهر ذى الحجة الحرام سنه إحدى وعشرين وثمانمائة) .

---

(١) أ : اذا

(٢) أ : — تعالى

(٣) أ : جهم

(٤) ب : — هذا

(٥) أ : رب العالمين

(٦) ا : + أشرف الانبياء والمرسلين نبيا

ملحق فى الجهمية[1]

من كتاب مسائل الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه
تأليف أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الحافظ
المتوفى سنة ٢٧٥ هـ . الذى كان يتشبه بشيخه
الامام أحمد فيما ذكره الذهبى فى (العبر ج ٢ ص ٥٥)

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى أيام صنع بشر ماصنع - يعنى المريسى - يقول : من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب ، فإن تاب ، وإلا ضربت عنقه .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو دواد قال : سمعت أحمد ذكر له رجل أن رجلا قال : إن اسماء الله مخلوقه والقرآن مخلوق .

قال أحمد : كفر بين . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : قلت : لأحمد من قال : القرآن مخلوق أهو كافر ؟ قال : أقول هو كافر .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو دوادقال: حدثنا أحمد قال: حدثنا نوح بن ميمون قال : حدثنا بكير بن معروف ، عن المقاتل بن حيان ، عن الضحاك فى قوله عز وجل : (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم) [٧/المجادلة] قال : هو على العرش وعلمه معهم .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد قال : حدثنا شريح

---

(١) أخذ من كتاب مسائل الامام أحمد رضى الله عنه الذى نشره وقدم له الشيخ رشيد رضا رحمه الله (مطبقة المنار ، مصر ، ١٣٥٣ هـ ص ٢٦٢ - ٢٧٤) وقد اخترنا لحاقه بكتاب الرد على الجهمية والزنادقة لأحمد بن حنبل لأن أكثر ما ورد فيه مروى عنه .

ابن النعمان ، قال : حدثنا عبد الله بن نافع قال : قال مالك : الله فى السماء وعلمه فى كل مكان لايخلو من علمه مكان .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو دواد قال : سمعت أحمد ذكر له عن رجل فى شىء فى الرؤية فغضب وقال : من قال: إن الله لايرى فهو كافر .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد وسأله على بن عثام بن على حين ذكر محنة الأسرى عندفداهم ،قال أحمد:يأبون ،يعنىيأبونالإجابة ويدفعونه أشد الدفع ، قيل فيقاتلون ؟ قال : لا .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال: سمعت أحمد وقيل له فى رجل حدث بحديث عن رجل عن أبى العطوف : يعنى أن الله لايرى فى الآخرة . فقال : لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم ، ثم قال : أخزى الله هذا .

أخبرنا أبو بكر قال: حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد ذكر القرآن فقال : سمعت أبا نصر هاشم بن قاسم يقول : ليس بمخلوق .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد يقول : قيل لى ماتقول أراه فى شىء مما مضى ؟ قال فقلت : لايكون من الله شىء مخلوق . قال أبو داود : سمعت أحمد سئل ، هل لهم رخصة أن يقول الرجل كلام الله ثم يسكت ؟ قال : ولم يسكت ؟ لولا ماوقع فيه الناس كان يسعه السكوت ، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأى شىء لايتكلمون ؟

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد ذكر رجلين كانا وقفا فى القرآن ، ودعيا إليه ، فجعل يدعو عليهما وقال فى هذا لأحدهمافتنةعظيمة، وجعل يذكرهما بالمكروه . قال أبو داود . رأيت أحمد سلم عليه رجل من أهل بغداد ممن وقف فيما بلغنى فقال : اغرب لا أرينك تجىء إلى بابى - فى كلام غليظ - ولم يرد عليه السلام وقال له : ما أحوجك إلى أن يصنع بك ماصنع عمر بصبيغ .

قال أبو داود : فهمنى بصبيغ بعض ولد أحمد . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قيل له : كتب إليك فلان - رجل من المحدثين كان قذف بالوقف - كتابا يأتونك به ، قال : ماأحب كتابا مثله إذا كان على ذلك الرأى فقيل له : لعل فيه شىء ، فأذن أن يأتوا به .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قيل له : إن فلانا ، يعنى هذا الرجل ، روى عنك أنك أمرته أن يقف، قال: وأنا لم أثبته معرفة إلا بعد، وإنه ربما سألنى الانسان عن الشىء فأقف ، لا أقف إلا كراهية الكلام فيه .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قيل له : ماترى فى الصلاة خلف من يقول فى القرآن : كلام الله ، ويقف ؟ قال : يعجبنى أن يجفوا . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد يتكلم فى اللفظية وينكر عليهم كلامهم ، أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال له هارون : ياأبا عبد الله هم جهمية ؟ فجعل يقول هم وهم ولم يصرح بشىء ، ولم ينكر عليه ماقال من قوله: هم جهمية . قال أبو داود : كتبت رقعة وأرسلت بها إلى عبد الله وهو يومئذ متوار، فأخرج إلى جوابه مكتوبا فيه، قلت: رجل يقول التلاوة مخلوقة، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة والقرآن ليس بمخلوق ،ماترى فى مجانبته؟ وهل يسمى مبتدعا ؟ وعلى ما يكون عقد القلب فى التلاوة والألفاظ ؟ وكيف الجواب فيه؟ قال: هذا يجانب، وهو فوق المبتدع وما أراه إلا جهميا ،وهذا كلام الجهمية ، القرآن ليس بمخلوق، قالت : عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) [٧/ آل عمران] الآية قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فاحذروهم فإنهم هم الذين عنى الله ، فالقرآن ليس بمخلوق .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا الحسن بن الصباح البزاز قال : أخبرنا معبد أبو عبد الرحمن ثقة عن معاوية بن عمار قال : سألت جعفر

ابن محمد عن القرآن فقال : ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله . قال : أبو داود : هو معبد بن راشد الكوفى ، روى عنه موسى بن داود ورويم بن يزيد ، قال أبو داود : وسمعت الحسن بن الصباح قال : قال لى أحمد ابن حنبل كان يفتى بقول ابن أبى ليلى ، يعنى معبد ، أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا عباس بن عبد العظيم قال : حدثنى عمرو بن هارون قال : سمعت سفيان بن عيينة وسئل عن القرآن فقال : كلام الله وليس بمخلوق .

أخبرنا أبو بكر قال . حدثنا أبو داود قال . حدثنا محمد بن يونس النسائى وكان ثقة قال : سمعت وهب بن جرير يقول . القرآن ليس بمخلوق . أخبرنا أبو بكر قال . حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن ابراهيم قال : سمعت أبا النضر هاشم بن القاسم يقول : القرآن كلام الله ليس بمخلوق . أخبرنا أبو بكر قال . حدثنا أبو داود قال : حدثنا عباس العنبرى ، وأحمد بن عبدة قالا : سمعنا أبا الوليد يقول : القرآن كلام الله ، وكلام الله ليس بمخلوق .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا عباس العنبرى قال : سمعت أبا الوليد يقول . القرآن كلام الله ليس ببائن من الله . أخبرنا أبو بكر قال . حدثنا أبو داود قال : حدثنا وهب بن بقية قال : سمعت وكيع بن الجراح يقول : القرآن ليس بمخلوق . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا عباس العنبرى قال . سمعت أبا الوليد يقول : من لم يعقد قلبه على أن القرآن ليس بمخلوق فهو خارج من الإسلام .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال . سمعت إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه وهناد بن السرى ، وعبد الأعلى بن حماد وعبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريرى ، وحكيم بن سيف الرقى وأيوب بن محمد وسوار بن عبد الله والربيع ابن سليمان صاحب الشافعى وعبد الوهاب بن الحكم ومحمد بن الصباح بن سفيان وعثمان بن أبى شيبة ومحمد بن بكار بن الريان وأحمد بن جواس الحنفى ووهب بن

بقية ومن لا أحصيهم من علمائنا ، كل هؤلاء سمعتهم يقولون : القرآن كلام الله ليس بمخلوق . قال أبو داود : وبعضهم قال : القرآن غير مخلوق .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا حمزة بن سعيد المروزى قال : سألت أبا بكر بن عياش قلت يا أبا بكر ، قد بلغك ما كان من أمر ابن علية فى القرآن فما تقول ؟ . فقال : اسمع إلىّ ويلك ، من زعم لك أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو الله لا تجالسه ولا تكلمه .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا عبيد الله بن عمر ابن ميسرة قال : قال عبد الرحمن بن مهدى : لو كان إلى الأمر لقمت على الجسر فلا يمرّ بى أحد يقول : القرآن مخلوق ، إلا ضربت عنقه وألقيته قال : قال وكيع : يستتاب .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أبو بكر بن خلاد الباهلى قال : سمعت ، وكيعا يقول للمريسى : إن سئلت عنه أمرتهم أن يستتيبوه ، فإن تاب ، وإلا أمرتهم أن يسفكوا دمه أو يقتلوه أو يصلبوه .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبى رزمة قال : حدثنا أبو الوزير محمد بن أعين قال : سمعت النضر بن محمد يقول : من قال فى هذه الآية « إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى » : مخلوق ، فهو كافر . فجئت إلى عبد الله بن المبارك فأخبرته بقول النضر فقال : صدق عافاه الله ما كان ليأمر أن يعبد مخلوقا .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داوود قال : حدثنا عباس بن عبد العظيم أن محمد بن يحيى بن سعيد حدثه قال : سمعت معاذ بن معاذ يقول : من قال القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا عباس بن عبد العظيم وأحمد بن سنان قال : حدثنا شاذ بن يحي قال سمعت يزيد بن هارون يقول : من قال القرآن مخلوق فهو والله الذى لا إله إلا هو ، زنديق .

أخبرنا أبو بكر قال . حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن سنان قال : قال لى عمرو بن عثمان بن عاصم : سمعت يزيد بن هارون يقول : من قال: القرآن مخلوق فهو كافر . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم قال : حدثنا زهير بن نعيم قال : سمعت سلام بن أبى مطيع يقول : الجهمية كفار ولا يصلى عليهم . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال :سمعت الربيع بن سليمان قال : سمعت أبا يعقوب البويطى يقول: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر . قال أبو داود : سمعت أحمد بن سنان قال :سمعت يزيد بن هارون يقول: الجهمية يستتابون .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سألت أحمد بن عبد الله يونس فقال : لا يصلى خلف من قال : القرآن مخلوق ، هؤلاء كفار . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : وسألت أحمد بن صالح عمن قال القرآن مخلوق . فقال : كافر .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن سنان قال : سمعت شاذ بن يحي قال : سمعت رجلا قال ليزيد بن هارون : يا أبا خالدما تقول فى الجهمية ؟ قال: يستتابون . فقال له السائل : يا أبا خالد ، وأى شىء الجهمية ؟ فأطرق يزيد ثم رفع رأسه فقال : من توهم الرحمن على العرش استوى خلاف ما فى قلوب العباد فهو جهمى .

أخبرنا أبو بكر قال . حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن هاشم الرملى قال : حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال : ترك جهم الصلاة أربعين يوما وكان فيمن خرج مع الحارث بن سريج .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا يحي بن شبل قال : كنت جالسا مع مقاتل بن سليمان وعباد بن كثير إذ جاء شاب فقال : ما تقول فى قوله : (كل شىء هالك إلا وجهه) [القصص/ ٨٨] فقال مقاتل : هذا جهمى. ثم قال: ويحك إن جهم(١) والله ما حج هذا البيت ولا جالس العلماء ، إنما كان رجل (٢) أعطى لسانا) .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله قال : حدثنى أبى قال : قال إبراهيم بن طهمان : حدثنا من لا يتهم غير واحد أن جهما رجع عن قوله ، ونزع عنه ، وتاب إلى الله ، ما ذكرته ولا ذكر عندى إلا دعوت الله عليه ، ما أعظم ما أورث أهل القبلة من منطقه العظيم .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا الحسن بن الصباح قال : حدثنا على بن الحسن بن شقيق عن بن المبارك قال : إنا لنحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهمية .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا إبراهيم بن الحارث الانصارى قال : حدثنا إبراهيم بن عمر السكوفى قال : سمعت عبدالحميدالحمانى يقول: جهم كافر بالله . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : وحدثنا عبدالوهاب ابن عبد الحكم قال: سمعت شعيبا أبا صالح قال : وحدثنا أبو داود قال : وحدثنا أحمد بن إبراهيم قال : حدثنى الثقة قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : بشر المريسى ، وأبو بكر بن الأصم كافران حلالى(٣) الدم .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : وسمعت قتيبة بن سعيد يقول : لبشر المريسى ، كافر ، أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود . قال : حدثنا

(١) كذا فى الأصل وصوابه : جهم

(٢) كذا فى الأصل وصوابه : رجلا .

(٣) كذا فى الأصل .

إسحاق بن الصباح قال : سمعت الحسن بن علي يقول : سمعت يزيد بن هارون يقول : بشر المريسى كافر بالله . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو دواد قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم قال : محمد بن عمر الكلابى قال : سمعت وكيعا يقول : كفر المريسى .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم قال : سمعت أبا النضر هاشم يقول : (كان أبو بشر المريسى يهودى قصار صباغ [١] فى سويقة نصر بن مالك) . أخبرنا أبو بكر : حدثنا أبو داود قال : وسمعت إسحاق بن إبراهيم بن راهويه يقول : من قال : لا أقول القرآن مخلوق ، ولا غير مخلوق فهو جهمى .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت قتيبة بن سعيد قيل له : الواقفة ، فقال : هؤلاء يعنى الواقفة ـ شر ، يعنى ، ممن قال : (القرآن مخلوق) .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت عثمان بن أبى شيبة يقول : « هؤلاء الذين يقولون كلام الله ويسكتون ، شر من هؤلاء ممن قال القرآن مخلوق . أخبرنا أبو بكر قال: حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد بن صالح المصرى عمن يقول : القرآن كلام الله ولا يقول مخلوق ولا غير مخلوق قال : هذا شاك . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت عبد الله بن محمد أبو محمد الضعيف قال : « قعد الخوارج هم أخبث الخوارج ، وقعد الجهمية هم الاوقفة » [١] . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد بن إبراهيم يقول : سمعت محمد بن مقاتل العباداني ، وكان من خيار المسلمين يقول فى الواقفة : « هم عندى شر من الجهمية » . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود

---

(١) كذا فى الأصل

(٢) كذا فى الأصل : أى الواقفة .

قال : سمعت أحمد بن صالح ذكر اللفظية فقال « هؤلاء أصحاب بدعة ويدخل عليهم أكثر من البدعة » . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت إسحاق ابن إبراهيم سئل عن اللفظية فبدعهم .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي أن أحمد بن محمد بن حنبل قال له : إن اللفظية إنما يدورون على كلام جهم يزعمون أن جبريل إنما جاء بشيء مخلوق — يعني جبريل مخلوق — جاء به إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم قال : سألت أحمد بن حنبل قلت : هؤلاء الذين يقولون : إن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ؟ قال « هم شر من قول الجهمية ، من زعم هذا ، فقد زعم أن جبريل جاء بمخلوق وأن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بمخلوق .

باب في القدرة والإيمان

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال له رجل: «تلجئني القدرية إلى أن أقول : الزنا بقدر ، والسرقة بقدر ، قال : « الخير والشر من الله » . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : « سمعت أحمد سئل عن القدري يجادل ؟ قال : ما يعجبني ، قال لا يدعني ، قال ذلك أحرى أن لا تكلمه إذا كان صاحب جدال . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد يقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، الصلاة والزكاة والحج والبر كله من الإيمان ، والمعاصي تنقص الإيمان . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال: وسمعت أحمد وذكر ابن عيينة فقال: سمعته يقول: الإيمان يزيد. أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد يقول : سمعت سفيان يقول : لا يعنف من قال : الإيمان ينقص .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال : بلغني أن مالك ابن أنس وابن جريج وفضيل بن عياض قالوا : الإيمـان قول وعمل . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد يقول : إذا قال الرجل: لا أصلى فهو كافر . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال حسن يعني ابن سعيد . يعني الزيادة والنقصان ورآه . يعنى قوله : الايمان يزيد وينقص . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال : سمعت وكيعا يقول : كذا كان سفيان يقول . أخبرنا أبو بكر قال: حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد قال: حدثنا إبراهيم بن شماس قال : سمعت جرير بن عبد الحميد يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا إبراهيم بن شماس قال : سألت بقية بن الوليد وابن عياش فقالا : الإيمان قول وعمل .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن حنبل قال : حدثنا شريح بن النعمان قال : حدثنـا عبـد الله بن نافع قال : كان مالك يقول : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد قال:حدثنا ابراهيم بن شماس قال : سألت أبا اسحاق الفزارى فقلت : الإيمانقول وعمل ؟ قال : نعم . قال أبو داود قال : وسمعت ابن المبارك يقول : الإيمان قول وعمل .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال : قال يحي - يعنى القطان - الإيمان قول وعمل . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : وسمعت أحمد قال له رجل : قيل لى : أمؤمن أنت ؟ فقلت : نعـم . هـل عليّ فى ذلك شيء ؟ هل الناس إلا مؤمن وكافر ؟ فغضب أحمد وقال : هذا كلام الإرجاء قال الله عز وجل : (وآخرون مرجون لأمر الله) [التوبة / ١٠] من هؤلاء ؟ ثم قال أحمد : أليس الإيمان قول وعمل(١) ؟ فقال الرجـل : بلى . قال : فجئنا

---

(١) كذا فى الأصل .

بالقول ؟ قال : نعم . قال : فجئنا بالعمل ؟ قال : لا. قال فكيف تعيب أن تقول إن شاء الله وتستثنى ؟ قال أبو داود : فأخبرنى أحمد بن شريح أن أحمد بن حنبل كتب إليه فى هذه المسئلة : إن الإيمان قول وعمل ، فجئنا بالقول ، ولم نجىء بالعمل ، فنحن مستثنون فى العمل . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : وسمعت أحمد قال له هذا الرجل : أعلىّ فى هذا شىء إن قلت : أنا مؤمن؟ فقال أحمد : لا تقل أنا مؤمن حقا ، ولا ألبتة ، ولا عند الله .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال : سمعت سفيان يقول : إذا سئل : مؤمن إن شاء الله ؟ لم يجبه . وسؤالك إياى بدعة ، ولا أشك فى إيمانى ، وقال إن شاء الله ، ليس يكره وليس بداخل فى الشك . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال : سمعت يحي بن سعيد القطان ، يقول: ما أدركت أحداً من أصحابنا، ولا بلغنى إلا قال على الاستثناء . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال أحمد : وكان يحي يقول : الإيمان قول وعمل . قال يحي : وكان سفيان ينكر أن يقول أنا مؤمن .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : وسمعت أحمد قال : حدثنا وكيع قال : قال سفيان : الناس عندنا مؤمنون فى الأحكام والمواريث ، نرجو أن نكون كذلك ، ولا ندرى ما حالنا عند الله .

خلق أفعال العباد

للإمام البخاري (٢٥٦هـ)



بسم الله الرحمن الرحيم

باب ماذكر أهل العلم للمعطلة الذين يريدون أن يبدلوا كلام الله عز وجل

(الجزء الأول)

حدثنى الحكم بن محمد الطبرى - كتبت عنه بمكة - قال :

حدثنا سفيان بن عيينة (١) قال : أدركت مشائخنا (٢) منذ سبعين سنة ، منهم ، عمرو بن دينار (٣)، يقولون : القرآن كلام الله وليس بمخلوق .

وقال أحمد بن الحسن : ناأبو نعيم (٤) ، حدثنا سليمان القارىء قال : سمعت سفيان الثورى (٥) يقول : قال لى حماد بن أبى سليمان (٦) ، أبلغ أبا فلان

---

(١) أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالى الكوفى حافظ ، نزل بمكة سمع الزهرى وغيره قال احمد بن حنبل : مارأيت أحدا أعلم بالسنن من ابن عيينة وهو أيضا من كبار المفسرين قال ابن وهب : لاأعلم أحد أعلم بالتفسير من ابن عيينه توفى سنة ١٩٨ هـ (الذهبى ، العبر جـ١ ص ٣٢٦)

(٢) فى نسخة : مشائخنا .

(٣) عمرو بن دينار أبومحمد الجمحى عالم أهل مكة سمع ابن عباس وجابرا وغيرهما وهو محدث وفقيه . توفى سنة ١٢٦ هـ (الذهبى ، العبر جـ ١ ص ١٦٣) .

(٤) أبو نعيم الفضل بن دكين الملائى الحافظ ، محدث الكوفة روى عن الأعمش توفى سنة ٢١٩ هـ (الذهبى ، العبر جـ١ ص ٣٧٧ هـ)

(٥) أبو عبد الله سفيان سعيد الثورى فقية الكوفة وهو أمير المؤمنين فى الحديث قال فيه أحمد بن حنبل : لايتقدم سفيان فى قلبى أحد . وكان يعارض المنصور وينكر عليه ظلمه توفى سنة ١٦١ هـ (الذهبى العبر جـ١ ص ٢٥٣)

(٦) حماد بن أبى سليمان مولى إبراهيم بن أبى موسى الأشعرى توفى سنة ١٢٠ هـ (طبقات خليفة بن خياط ص ١٦٢) .

المشرك أنى برىء من دينه . وكان يقول القرآن مخلوق .

حدثنا قتيبة (١) ، حدثنى القاسم بن محمد ، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب عن أبيه عن جده قال ـ شهدت خالد بن عبد الله القسرى (٢) بواسط فى يوم إضحى وقال ارجعوا فضحوا تقبل الله منكم فإنى مضح بالجعد بن درهم (٣) زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله علوا كبيراً عما يقول ابن درهم ، ثم نزل فذبحه .

قال أبو عبد الله : قال قتيبة : بلغنى أن جهما كان يأخذ الكلام من الجعد ابن درهم .

حدثنا محمد عبد الله جعفر البغدادى قال : سمعت أبا زكريا يحى بن يوسف الزمى قال : كنا عند عبد الله بن إدريس (٤) فجاءه رجل فقال : ياأبا (٥) محمد، ماتقول فى قوم يقولون : القرآن مخلوق ؟ فقال : أمن اليهود ؟ قال : لا . قال : فمن النصارى قال : لا . قال : فمن المجوس ؟ . قال : لا . قال فمن ؟ : قال : من أهل التوحيد . قال : ليس هؤلاء من أهل التوحيد ، هؤلاء الزنادقة . من زعم (٦) أن

---

(١) أبو رجاء قتيبة بن سعيد محدث خراسان سمع مالكا و الليث توفى سنة ٢٤١ هـ (الذهبى ، العبر ، جـ١ ٤٣٣)

(٢) فى الأصل القشيرى . وهو والى هشام بن عبدالملك على العراق توفى سنة ١٢٦ هـ.

(٣) هو مؤدب بن محمد الجعدى آخر ملوك بنى مروان وهو أول من قال ببدعة خلق القرآن .

(٤) أبو محمد عبد الله إدريس الازهرى الحافظ الكوفى قال فيه احمد بن حنبل : كان نسيج وحده . توفى سنة ١٩٢ هـ .

(٥) فى الاصل : ياابا (٦) فى الاصل : رعم .

القرآن مخلوق ، فقد زعم أن الله مخلوق ، يقول الله : (بسم الرحمن الرحيم) فالله لا يكون مخلوقا، والرحمن لا يكون مخلوقا ، والرحيم لا يكون مخلوقا،وهذا أصل الزنادقة (١) . من قال هذا فعليه لعنة الله ، لاتجالسوهم ولا تناكحوهم .وقال وهب بن جرير (٢) «الجهمية الزنادقة»، إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى ،وحلف يزيد بن هارون (٣) بالله الذى لا إله إلا هو ، من قال إن القرآن مخلوق فهو زنديق ويستتاب فإن تاب وإلا قتل .

وقيل لأبى بكر بن عياش (٤) . إن قوما ببغداد يقولون : إنه مخلوق ، فقال: ويلك من قال هذا على من قال القرآن مخلوق لعنه (٥) الله وهو كافر زنديق ولاتجالسوهم .

وقال الثورى (٦) . من قال القرآن مخلوق فهو كافر - وقال حماد بن زيد : القرآن كلام الله نزل به جبرئيل مايجادلون إلا أنه ليس فى السماء إله (٧) . وقال ابن مقاتل : سمعت ابن المبارك (٨) يقول : من قال : إنى أنا الله لا إله إلا أنا . مخلوق ، فهو كافر . لاينبغى لمخلوق أن يقول ذلك . وقال أيضا :

---

(١) فى نسخة : الزندقة (٢) أبو العباس توفى سنة ٢٠٦ هـ

(٣) أبو خالد توفى سنة ٢٠٦ هـ

(٤) الإمام أبو بكر بن عياش الاسدى الكوفى مقرىء ومحدث توفى سنة ١٩٣هـ (العبر جا ص ٣١١).

(٥) فى الاصل : لعنة .

(٦) لعله يقصد محمد بن الصلت الثورى الحافظ البصرى المتوفى سنة ٢٢٨ هـ . وهناك عمار بن محمد الثورى الكوفى ابن أخت سفيان ولكنه توفى سنه ٢٨٢ هـ متأخراعن البخارى ولايقصد سفيان الثورى لانه سبق أن نقل عمله وسماه بأسمه لابلقبه .

(٧) أبو اسماعيل حماد بن زيد بن درهم الازدى وهو ثقة عند المحدثين توفى سنة ١٧٩ هـ .

(٨) الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلى المروزى قال أحمد بن حنبل : لم يكن فى زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه توفى سنة ١٨١ هـ (الذهبى ، جا ص ٢٨٠)

فلا أقول يقول الجهم أن له قولا يضارع قول الشرك أحيانا
ولا أقول تخلى من بريته رب العباد وولى الأمر شيطانا
ما قال فرعون هذا فى تجبره فرعون موسى ولا فرعون ها مانا

وقال ابن المبارك : لانقول كما قالت الجهمية إنه فى الأرض هاهنا بل على العرش استوى وقيل له : كيف تعرف ربنا ! قال : فوق سماواته على عرشه . وقال لرجل منهم : أتظنك خال (١) منه ؟ فبهت الآخر وقال : من قال : لا إله إلا هو ، مخلوق ، فهو كافر ، وإنا لنحكى كلام اليهودوالنصارىولانستطيع أن نحكى كلام الجهمية .

وقال معاوية بن عمار (٢) سمعت جعفر بن محمد يقول : القرآن كلام الله وليس بمخلوق .

وقال سعيد بن عامر : الجهمية أشر قولا من اليهود والنصارى ، قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الاديان أن الله تبارك وتعالى على العرش ، وقالوا هم : ليس على العرش شىء .

وقال ضمرة (٣) عن ابن شوذب (٤) : ترك الجهم الصلاة أربعين يوما على وجه الشك فخاصمه بعض السمنية ، فشك فأقام أربعين يوما لايصلى . قال ضمرة وقد رآه ابن شوذب .

وقال عبد العزيز بن أبى سلمة (٥) إن كلام جهم صفة بلا معنى ، وبناء بلا أساس ولم يعد قط من أهل العلم .

---

(١) كذا فى اصل ولعله خاليا ، مفعول ثان لظن ؟

(٢) لعله : معاوية بن عمرو لانه أدركه البخارى توفى سنة ٢١٤ هـ

(٣) ضمرة بن ربيعة الفلسطينى روى عن الاوزاعى توفى سنة ٢٠٢ هـ

(٤) عبد الله بن شوذب البلخى ثم البصرى ثم نزيل بيت المقدس روى عن الحسن البصرى وطبقته توفى سنة ١٥٦ هـ ويشير هذا النص إلى أنه رأى جهم بن صفوان .

(٥) لعله عبد العزيز بن أبى سليمان الذى رأى أبا سعيد الخدرى ، والمتوفى سنة ١٦٢ هـ =

— ولقد سئل جهم عن رجل طلق أمراته قبل أن يدخل بها فقال: عليها العدة. فخالف كتاب الله بجهله. وقال الله سبحانه: (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) [٤٩/الأحزاب].

وقال علي [1]: إن الذين قالوا إن لله ولدا أكفر من الذين قالوا إن الله لا يتكلم.

وقال: احذر من المريسى [2] وأصحابه فإن كلامهم يستجلب الزندقة، وأنا كلمت أستاذهم جهما فلم يثبت لى أن فى السماء إلها.

وكان إسماعيل بن أبى أويس [3] يسميهم زنادقة العراق وقيل له: سمعت أحدا يقول: القرآن مخلوق. فقال: هؤلاء الزنادقة والله، لقد فررت إلى اليمن حين سمعت العباسي يكلم بهذا ببغداد فرارا من هذا الكلام.

— وقال على بن الحسن [4]. سمعت ابن مصعب يقول: كفرت الجهمية فى غير موضع من كتاب الله، قولهم: إن الجنة تفنى. وقال: الله (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) [٥٤/ص] فمن قال: إنها تنفد [5] فقد كفر. وقال: (أكلها دائم وظلها) [٣٥/الرعد] فمن قال: إنها لاتدوم فقد كفر. وقال: (لامقطوعة

= أو هو عبد العزيز بن أبي حازم سلمة بن دينار المتوفى سنة ١٨٤ هـ وهو الأقرب

(١) لايقصد به على بن ابى طالب وإنما هو احد المحدثين وهم كثير ممن يسمون بعلى.

(٢) بشر المريسى نسبة إلى مريس قرية بمصر وهو فقيه متكلم داع الى القول بخلق القرآن روى عن حماد بن سلمه وحكم طائفة من العلماء بكفره. توفى سنة ٢١٨ هـ.

(٣) كذا فى الأصل، وهو: اسماعيل بن اويس ابو عبد الله الحافظ المدنى سمع من مالك وتوفى فى سنة ١٢٦ هـ.

(٤) على بن الحسن بن سفيان محدث مرو، كان يجادل اليهود، وكتب التوارة والانجيل. توفى سنة ٢١٥ هـ.

(٥) فى الأصل: تنفذ.

ولا ممنوعة)[٣٣/الواقعة] فمن قال إنها تنقطع فقد كفر . وقال : (عطاء غير مجذوذ)[١٠٨/هود] فمن قال :إنها تنقطع فقد كفر . وقال : أبلغوا الجهمية أنهم كفار وأن نساءهم طوالق .

وقال ابن المبارك عن معمر [1] عن قتاده [2] (وكلمة ألقاها إلى مريم) [١٧١/النساء] قال : هو قوله : كن فكان .

وقال ابن معدان : سألت الثورى (وهو معكم أينما كنتم) [٤/الحديد] قال : علمه .

وقال أبو الوليد : سمعت يحي بن سعيد يقول ، وذكر له أن قوما يقولون ، القرآن مخلوق ، فقال : كيف تصنعون بـ : (قل هو الله أحد) [١/الإخلاص] كيف تصنعون بقوله:(إننى أنا الله لا إله إلا أنا) [١٤/طه] .

وقال عفان : من قال : (قل هو الله أحد) مخلوق فهو كافر .

وقال علی بن عبد الله : (القرآن كلام الله) من قال : إنه مخلوق فهو كافر لا يصلى خلفه .

قال ركيع : من كذب بحديث إسماعيل عن قيس عن جرير عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرؤية فهو جهمى فاحذروه .

---

(١) معمر بن راشد الأزدى الحافظ البصرى صاحب الزهرى وسمع قتادة وهو من أقدم شيوخه . توفى سنة ١٥٣ هـ .

(٢) قتادة بن دعامة السدوسى أبو الخطاب الحافظ البصرى روى عن معمر عنه قال احمد بن حنبل: قل من يتقدم قتادة كان: عالما بالتفسير توفى سنة ١١٧ هـ وقيل ١١٨ هـ (الذهبى ، العبر جـ ١ ص ١٤٦).

(٣) يحيى بن سعيد التيمى الكوفى ثقة فى الحديث روى عن الشعبى توفى سنة ١٤٥ هـ

(٤) وكيع بن الجراح الرؤاسى أبو سفيان قال احمد : مارأيت أوعى ،ولا احفظ من وكيع توفى سنة ١٩٧ هـ .

وقال أبو الوليد : من قال القرآن مخلوق فهو كافر ومن لم يعقد قلبه على أن القرآن ليس بمخلوق فهو خارج من الاسلام .

قال أبو عبد الله : نظرت فى كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت أضل فى كفرهم منهم . وإنى لأستجهل من لايكفرهم إلا من لايعرف كفرهم.

وقال عبد الرحمن بن عفان . سمعت سفيان بن عيينة التى ضرب فيها المريسى فقام ابن عيينة من مجلسه مغضبا فقال : ويحكم القرآن كلام الله،قدصحبت الناس وأدركتهم ، هذا عمرو بن دينار ، وهذا ابن المنكدر (١) حتى ذكرمنصورا (٢) ، والأعمش (٣) ، ومسعر بن كدام (٤) ، فقال ابن عيينة : قد تكلموا فى الاعتزال والرفض والقدر وأمروا باجتناب القوم ، فما نعرف القرآن إلا كلام الله ، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله ، ماأشبه هذا القول بقول النصارى ، ولاتجالسوهم ولاتسمعوا كلامهم .

وقال عبد الله بن محمد : سمعت ابن عيينة وذكر المريسى فقال : ماتقول الدويبة ماتقول الدويبة ؟ استهزاء به.قال : وسمعت محمد بن عبيد (٥) يقول : جاء ذاك الخبيث فسألنى عن حديث ولو عرفته ماحدثته .

وقال الحميدى : (٦) حدثنا حصين عن مسلم بن صبيح عن شتير بن شكل

---

(١) محمد بن المنكدر التيمى المدنى الحافظ سمع من عائشة وأبى هريرة توفى سنة ١٣٠ وقيل ١٣١ هـ

(٢) فى الأصل : منصور .

(٣) الامام أبو محمد سليمان بن مهران الأسدى توفى سنة ١٤٨ هـ محدث الكوفة .

(٤) أبو سلمة الهلالى الحافظ أخذ عن قتادة وآخرين توفى سنة ١٥٥ هـ .

(٥) محمد بن عبيد الطنافسى الكوفى الحافظ توفى سنة ٢٠٥ هـ .

(٦) أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشى الحميدى قال الامام أحمد بن حنبل : الحميدى إمام . توفى سنة ٢١٩ هـ

عن عبد الله رضى الله عنه قال : ماخلق الله من أرض ولا سماء ، ولا جنة ولانار أعظم من (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) [٢٥٥/البقرة] قال سفيان فى تفسيره: إن كل شىء مخلوق ، والقرآن ليس بمخلوق ، وكلامه أعظم من خلقه ، لأنه يقول للشىء كن فيكون ،فلا يكون شىء أعظم مما يكون به الخلق والقرآن كلام الله.

وقال زهير السختيانى : سمعت سلام بن أبى مطيع (١) يقول : الجهمية كفار . وقال : عبد الحميد :جهم كافر بالله العظيم .

وقال وكيع : أحدثوا (٢) هؤلاء المرجئةالجهميةوالجهمية (٣) كفار ،والمريسى جهمى ، وعلمتم كيف كفروا . قالوا: يكفيك المعرفة،وهذا كفر . والمرجئةيقولون الإيمان قول بلا فعل . وهذا بدعة فمن قال:القرآن مخلوق فهو كافر بما أنزل على محمد صلى الله ،عليه وسلم يستتاب وإلا ضربت عنقه . وقال وكيع : على المريسى : لعنة الله ،يهودى هو أونصرانى .قال لهرجل : كان أبوه أوجدهيهوديا أونصرانيا. قال وكيع : عليه وعلى أصحابه لعنة الله ، القرآن كلام الله . وضرب وكيع إحدى يديه على الأخرى ، وقال: سىء ببغداد يقال له المريسى يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه ، وقال يزيد بن هارون : لقد حرّضت أهل بغداد على قتله جهدى ولقد أخبرت من كلامه بشىء مرّة وجدت وجعه فى صلبى بعد ثلاث .

قال على بن عبد الله : إنما كان غايته أن تدخل الناس فى كفره .

وقال عبيد الله بن عائشة : لانصل خلف من قال القرآن مخلوق ولا كرامة له ، فإن صلى وكبر كيما يحتاط لنفسه فذاك ، ويجتنبه أحب إلى ، ولأنهم يقولون شىء لاشىء ، يقولون الله لاشىء .

---

(١) أبو سعيد البصرى قال أحمد بن حنبل :ثقة صاحب سنة . توفى سنة ١٧٣ هـ

(٢) كذا بالاصل : ولعله : أحدث .

(٣) فى الاصل : الجهمية .

وقال سليمان بن داود الهاشمى(١) ، وسهل بن مزاحم: من صلى خلف من يقول: القرآن مخلوق أعاد الصلاة .

وقال بن الأسود : سمعت ابن مهدى (٢) يقول ليحيى بن سعيد : لو أن جهميا بينى وبينه قرابة مااستحللت من ميراثه شيئا ، وقال: ابن مهدى :ولو رأيت رجلا على الجسر وبيدى سيف يقول القرآن مخلوق لضربت عنقه ، وقال يزيد بن هارون : المريسى أخبر من أتانى .

قال أبو عبد الله : ما أبالى صليت خلف الجهمى والرافضى أم صليت خلف اليهود والنصارى ، ولايسلم عليهم ولايعادون ولا ينا كحون ولايشهدون ولا يؤكل ذبائحم .

وقال عبد الرحمن بن مهدى : هما ملتان : الجهمية ، والرافضية ، وقيل لأبى عبيد : (٣) إن المريسى سئل عن ابتداء خلق الأشياء عن قول الله عز وجل (إنما قولنا لشىء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون) [٤٠/النحل] فقال : كله كلام صلة. فمعنى قوله :إن يقول صلة ، كقوله: قالت السماء فأمطرت، وكقوله :قال الجدار فمال، قال : قال الله تعالى (جدارا يريد أن ينقض فأقامه) [٧٧/الكهف] والجدار لا إرادة له ، فمعنى قوله :إذا أردناه كوناه (٤) فكان ، لم يكن عند المريسى جواب أكثر من هذا . يعنى أن الله تعالى لايتكلم .

---

(١) أبو أيوب سليمان بن داود بن على الهاشمى سمع من إسماعيل من جعفر ، روى أن الأمام أحمد أثنى عليه ورشحه للخلافة توفى سنة ٢١٩ هـ .

(٢) أبو سعيد عبد الرحمن من مهدى البصرى أحد اركان الحديث بالعراق توفى سنة ١٩٨ هـ .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادى قال الامام أحمد : أبو عبيدة أستاذ . توفى سنة ٢٢٤هـ .

(٤) فى الاصل : كوناه .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : أما تشبيه قول الله : (إذا أردناه) بقوله : قالت السماء فأمطرت وقال الجدار فمال ، فإنه لايشبه ، وهـذه أغلوطة أدخلها ، لأنك إذا قلت قالت السماء ، ثم تسكت لم يدر مامعنى قالت حتى يقول فأمطرت ، وكذلك إذا قلت :أراد الجدار ثم لم يبين مامعنى أرادلم يدر مامعناه، وإذا قلت: قال الله ، اكتفيت بقوله : قال.فقال،مكتف لايحتاج إلىشيء يستدل بهعلى قال ، كما احتجت إذا قال الجدار فمـال ، وإلا لم يـكن لقال الجدار معنى ، ومن قال هذا فليس شيء من الـكفر إلا وهو دونه ، ومن قال هذا فقد قال على الله مالم يقله اليهود والنصارى ، ومذهبه التعطيل للخالق .

وقال عـلى : سمعت بشر بن المفضل (١) وذكر ابن خلوبة بالبصرة جهمى فقال : بشر هو كافر وسئل وكيع عن مثنى الأنماطى فقال : كافر ، وقال عبد الله ابن داود : لو كان عـلى المثنى الأنماطى سبيل لنزعت لسانه من قفاه ، وكان جهميا .

وقال سليمان بن داود الهاشمى : من قال القرآن مخلوق فهو كافر وإن كان القرآن مخلوقا كما زعموا ، فلم صار فرعون أولى بأن يخلد فى النار إذ قال:(أنا ربكم الأعلى) [٢٤/النازعات] وزعموا أن هذا مخلوق ، والذى قال :(إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى) هذا أيضا قد أدعى مادعى فرعون ، فلم صارفرعون أولى بأن يخلد فىالنار من هذا وكلاهما عنده مخلوق . فأخبر بذلك أبو عبيد فاستحسنه وأعجبه .

وقال أحمد بن محمد : قد تبين لى أن القوم كفار .

وقال الفضيل بن عياض (٢) : إذا قال لك جهمى : أنا أكفر برب يزول

---

(١) أحد حفاظ البصرة توفى سنة ١٨٧ هـ .

(٢) شيخ الحجاز أبو على الفضيل بن عياض المروزى تـوفى سنة ٢٨٧ هـ وقدنسب إليه ذلك يزيد بن هارون المتوفى سنة ٢٠٦ هـ .

عن مكانه. فقل أنا أومن برب يفعل مايشاء . وقال ابن عيينة : رأيت ابن إدريس قائما عند كتاب ، قلت: ماتفعل ياأبا محمد ههنا ، قال: أسمع كلام ربي من فى هذا الغلام .

وحذر يزيد بن هارون عن الجهمية وقال : من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف مايقر فى قلوب العامة فهو جهمى ، ومحمد الشيباني (١) جهمى .

وقال ضمرة بن ربيعة عن صدقة ، سمعت سليمان التيمى يقول: (لوسألت (٢) أين الله ؟ لقلت فى السماء ، فان قال فأين كان عرشه قبل السماء ؟ لقلت على الماء . فإن قال :فأين كان عرشه قبل الماء ؟ لقلت :لا أعلم قال أبو عبد الله وذلك لقوله تعالى :(ولايحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) [٢٥٥/البقرة] . يعنى إلا بما بين .

وقال ابن عيينة ومعاذ بن معاذ (٣) والحجاج بن محمد (٤) ويزيد بن هارون وهاشم بن القاسم (٥) ، والربيع بن نافع الحلبي (٦) ، ومحمد بن يوسف (٧) ، عاصم

(١) أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني قاضى القضاة الكوفى سمع أبا حنيفة ومالكا ابن مغول وهذا النص يشير الى أنه من الجهمية . توفى سنة ١٨٩ هـ .

(٢) كذا فى الاصل ، ولعله : سئلت .

(٣) معاذ بن معاذ أبو المثنى العنبرى قاضى البصرة قال أحمد : كان ثبتا وما رأيت أعقل منه توفى سنة ١٩٦ هـ .

(٤) الحجاج ابن محمد المصيصى صاحب ابن جريج أحد الحفاظ قال أحمد : ماكان أصح حديثه وأضبطه وأشد تعاهده للحروف توفى سنة ٢٠٦ هـ .

(٥) بو النضر هاشم بن القاسم الخراسانى توفى سنة ٢٠٧هـ وكان حافظا شديد التمسك بالحق والانكار على من خالفه .

(٦) ابوبة الحلبى الحافظ روى مسلم عن رجل عنه وكذلك البخارى ، توفى سنة ٢١٤هـ

(٧) أبو عبد الله محمد بن يوسف الحافظ الفريابى ادركه البخارى واخذ عن الاوزاعى والثورى ورحل إليه الامام أحمد ولكنه لم يدركه إذ بلغه موته وهو فى طريقه إليه توفى سنة ٢١٢ هـ

ابن علي بن عاصم ، ويحي بن يحي ، وأهل العلم : من قال القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال محمد بن يوسف : من قال : إن الله ليس على عرشه فهو كافر ، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر .

وقيل لمحمد بن يوسف : أدركت الناس ،فهل سمعت أحدا يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : الشيطان يكلم بهذا من يكلم بهذا فهو جهمي ، والجهمي كافر .

وحدثني أبو جعفر محمد عبد الله ثني محمد بن قدامة السلال الأنصاري قال : سمعت وكيعا يقول :لاتستخفوا بقولهم:القرآن مخلوق فإنهمن شرقولهم وإنما يذهبون إلى التعطيل .

وحدثني أبو جعفر قال : سمعت الحسن بن موسى الأشيب [1] وذكر الجهمية فقال:منهم، ثم قال : أدخل رأس من رؤساء الزنادقة يقال له شمغله على المهدي [2] فقال : دلني على أصحابك فقال : أصحابي أكثر من ذاك . فقال : دلني عليهم ، فقال : صنفان ممن ينتحل القبلة والقدرية . الجهمي إذا غلا ، قال : ليس ثم شيء وأشار الأشيب إلى السماء ، والقدري إذ غلا . قال: هما اثنان خالق خير وخالق شر ، فضرب عنقه وصلبه .

وحدثني أبو جعفر ، حدثني يحي بن أيوب [3] قال : سمعت أبا نعيم البلخي قال : كان رجل من أهل مرو صديقا للجهم ثم قطعه وجفاه . فقيل له : لم جفوته ؟

---

(١) أبو علي البغدادي تولى قضاء الموصل ثم طبرستان كان ثقة توفى سنة ٢٠٩ هـ

(٢) ابو عبد الله محمد بن ابي جعفر عبدالله بن محمد اشتهر بتتبعه للزنادقة وقتلهم والتشريد بهم وكان حسن الأخلاق مات سنة ١٦٩ هـ

(٣) يحيى بن أيوب المقابري أبو زكريا البغدادي أحد أئمة الحديث والسنة توفى سنة ٢٣٣ هـ

فقال: جاء منه مالا يحتمل ، قرأت يوما آية كذا ، وكذا نسيها يحي، فقال : ما كان أظرف محمدا فاحتملتها ! ثم قرأ سورة طه فلما قال : (الرحمن على العرش استوى) قال : أما والله لو وجدت سبيلا إلى حكها لحككتها من المصحف فاحتملتها . ثم قرأ سورة القصص فلما انتهى إلى ذكر موسى قال : ما هذا ؟ ذكر قصة فى موضع فلم يتمها ، ثم ذكر ههنا فلم يتمها ، ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه ، فوثبت عليه .

وحدثنى أبو جعفر قال : سمعت يحي بن أيوب قال : كنا ذات يوم عند مروان بن معاوية الفزارى (١) فسأله رجل عن حديث الرؤية فلم يحدثه به فقال له : إن لم تحدثنى به فأنت جهمى . فقال مروان : أتقول لى: جهمى ، وجهم مكث أربعين يوما لا يعرف ربه ؟

حدثنى أبو جعفر ، حدثنى هارون بن معروف (٢) ويحي بن أيوب قالا: قال ابن المبارك : كل قوم يعرفون ما يعبدون إلا الجهمية .

حدثنى أبو جعفر قال : سمعت يزيد بن هارون . وحدثنا حديث اسماعيل عن قيس عن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم : إنكم راؤون ربكم . فقال يزيد : من كذب بهذا فهو برىء من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وحدثنى أبو جعفر قال : ثنا أحمد بن خالد خلال قال سمعت يزيد بن هارون وذكر أبا بكر الأصم ، والمريسى فقال : هما والله زنديقان كافران بالرحمن حلال الدم .

وقال عبد الرحمن بن مهدى : من زعم أن الله لم يكلم موسى فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

(١) أبو عبد الله مروان بن معاوية الفزارى الكوفى الحافظ . قال أحمد بن حنبل ثبت حافظ ، وقال ابن المدينى ثقة (الذهبى ، العبر ج ١ ص ٣٣١) وتوفى سنة ١٩٣ هـ .

(٢) هارون بن معروف الضرير وثقة الذهبي ويكني بأبي على توفى سنة ٢٣١ هـ .

وقال مالك بن أنس (١) : القرآن كلام الله . وقال يزيد بن هارون : والذى لا إله إلا هو ماهم إلا زنادقة ، وقال : مشركون .

وسئل عبد الله بن إدريس عن الصلاة خلف أهـل البدع فقال: لم يزل فى الناس إذا كان فيهم مرضى أو عدل فصل خلفه . قلت : فالجهمية ؟ قال : لا ، هذه من المقاتل ، هؤلاء لايصلى خلفهم ولا ينا كحون وعليهم التوبة .

وسئل حفص بن غياث (٢) فقال فيهم ماقال ابن إدريس فى قتل الجهمية ، وقال: لا أعرفه . قيل له : قوم يقولون :القرآن مخلوق . قال : لاجزاك الله خيراأوردت عـلى قلبي شيئا لم يسمع به قط . فقلت : إنهم يقولونه قال : هؤلاء لاينا كحون ولايجوز شهادتهم .

وسئل ابن عيينة فقال نحو ذلك . قال : فأتيت وكيعا فوجدته من أعلمهم به فقال : يكفرون من وجه كذا ،ويـكفرون من وجه كذا ، حتى أكفرهم من كذا وكذا وجها .

وقال وكيع : الرافضية شر من القدرية ، والحرورية شر منها ، والجهمية شر هذه الأصناف . قال الله (وكلم الله موسى تكليما) [النساء/١٦٤]ويقولون: لم يكلم.ويقولون: الايمان بالقلب . وقال الحسن بن الربيع : هذا كلام أحدثوه، ولقد سألت عن حديث فى هذا الباب فسر نى ذلك .

حدثنا أبو جعفر قال : سمعت أبا المنذر يذكرعمن سمع معتمر بن سليمان (٣)

---

(١) إمام دار الهجرة صاحب الموطأ توفى سنة ١٧٩ هـ .

(٢) أبو عمر حفص بن غياث بن طلق النخعى قاضى الـكوفة روى عن الأعمش وطبقته (العبر جـ ١ ص ٣١٤) توفى سنة ١٩٤ هـ .

(٣) أبو محمد معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى الحافظ البصرى ، عابد حجة ، حافظ توفى سنة ١٨٧ هـ .

ينكر على من قال: القرآن مخلوق ويبدعه .قال أبو عبدا يقال‌لله: سلم بن أحوز [١] الذى قتل جهما .

حدثنا محمد بن كثير [٢] حدثنا اسرائيل حدثنا عثمان بن المغيرة عن سالم عن جابر رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه بالموقف فقال: ألا رجل يحملنى إلى قومه ؟ فإن قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة ، فإذا موسى فى السماء السابعة بتفضيل كلام الله .

وقال أبو ذر [٣] رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : (عطائى كلام ، وعذابى كلام) وإذا أردت شيئا فانما أقول له: كن فيكون .

وقال عبد الله بن أنيس رضى الله عنه : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يحشر العباد يوم القيامة فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب (أنا الملك وأنا الديان لاينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة واحدا من أهل النار يطلبه بمظلمة) .

وقال أبو هريرة [٤] رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم: إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعا لقوله كأنه سلسلة على صفوان

---

(١) فى الأصل : أخون .

(٢) محمد بن كثير الصنعانى ثم المصيصى روى عن الأوزعى ، محدث ، حسن الحديث . توفى سنة ١١٦ هـ .

(٣) أبو ذر الغفارى واسمه جندب كان يذهب مذهب الزهد ، والشدة فيه توفى سنة ٣٢ هـ .

(٤) قيل إنه توفى فى سنة ٤٧ هـ ، وقيل توفى سنه ٥٩ (العبر جـ ١ ص ٦٢ — ٦٣) .

(فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير)
وكذا قال ابن عباس (١) وابن مسعود (٢) رضى الله عنهما ،وأهل العلم .

وقال خباب بن الأرت (٣) رضى الله عنه : تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تقرب إلى الله بشىء أحب إليه من كلامه .

وقال نيار بن مكرم الأسلمى رضى الله عنه : لما نزلت (ألم غلبت الروم) [الروم / ١] خرج أبو بكر يصيح يقول :كلام ربى .

وكانت أسماء (٤) بنت أبى بكر رضى الله عنهما إذا سمعت القرآن قالت : كلام ربى كلام ربى .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى : فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرب على خلقه .

وقال أبو ذر رضى الله عنه : قلت : يارسول الله من أول الأنبياء ؟ قال : آدم . قلت إنه نبى . قال : نعم مكلم .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لما كلم الله موسى كان النداء فى السماء . وكان الله فى السماء .

حدثنى موسى بن مسعود ، حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الرحمن بن عابس ،

---

(١) عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وحبر الأمة ، توفى بالطائف سنة ٦٨ هـ .

(٢) عبد الله مسعود الفقيه العظيم والصحابى الجليل توفى سنة ٣٢ هـ .

(٣) خباب بن الأرت البدرى قتل شهيدا سنة ٣٢ هـ .

(٤) أم ابن الزبير ذات النطاقين من المهاجرات الأول توفيت رضى الله عنها سنة ٧٣ هـ بعد ابنها بقليل .

حدثني ناس من أصحاب عبدالله عن عبد الله رضى الله عنه قال : أصدق الحديث كلام الله .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر الشفاعة ، قال : يقول نوح : انطلقوا إلى إبرهيم فإن الله اتخذه خليلا فيأتون إبراهيم فيقول : انطلقوا إلى موسى فإن الله كلمه تكليما .

وقال أبو هريرة وابن عمر[1] رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله اصطفى موسى بكلامه وبرسالاته .

وقال عدى بن حاتم[2] رضى الله عنه قال رسول الله صلى عليه وسلم : (مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه وليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله ، لو ينظر أشأم منه فلا يرى إلا ماقدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، ولو بكلمة طيبة) .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ألا أبشرك عما لقى أبوك ؟ إن الله كلم أباك من غير حجاب) فقال له : «عبدى سلنى» فقال : يارب ردّنى إلى الدنيا حتى أقتل فيك ، قال : «فإنى قد قضيت عليهم أن لايرجعوا» قال : يارب فأبلغهم عنا . ، فأنزل الله عز وجل (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) [آل عمران / ١٦٩] قال عبد الله وهو عبدالله بن عمرو بن حرام قتل يوم أحد شهيدا وقال جبير بن مطعم[3] عن

---

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل توفى سنة ٧٣ هـ وقيل ٧٤ . (الذهبى ، العبر ، جـ ١ ص ٨٣) .

(٢) عدى بن حاتم الطائى توفى سنة ٦٧ هـ وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم: إذا أتاكم كريم قوم فاكرموه .

(٣) جبير بن مطعم بن عدى ، أسلم بعد بدر ، وتوفي سنة ٥٤ هـ .

النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله على عرشه فوق سماواته وسماواته فوق أراضيه[١] مثل القبة وقال ابن مسعود فى قوله « ثم استوى على العرش » قال العرش على الماء ، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه .

وقال قتادة [٢] فى قوله « وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله » قال: يعبد فى السماء ويعبد فى الأرض وقال ابن عباس : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) [السجده / ٥] . قال: من أيام السنة . وقال الله : (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فإذا هى تمور ، أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) [الملك/١٧] .

وقال عمران بن حصين[٣] رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى كم تعبد اليوم إلها . قال: سبعة ، ستة فى الارض وواحد فى السماء . قال : فأيهم تعد لرغبتك ولرهبتك؟ قال: الذى فى السماء قال : ، أما إنك إن أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك . فلما أسلم الحصين قال: يارسول الله ، علمنى الكلمتين اللتين وعدتنى. قال : (اللهم ألهمنى رشدى [٤] وأعذنى من شر نفسى) .

وقال بعض أهل العلم: إن الجهمية هم المشبهة لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والاصم والأبكم الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخلق وقالت الجهمية : وكذلك لا يتكلم ولا يبصر نفسه ، وقالوا : إن اسم الله مخلوق ويلزمهم أن يقولوا إذا أذن

---

(١) فى الأصل : أرضيه .

(٢) قتادة بن دعامة السدوسى البصرى قال أحمد بن حنبل : قال أن نجد من تقدم قتادة توفى سنة ١١٧ هـ .

(٣) عمران بن حصين الخزاعى فقيه أهل البصرة أرسله عمر بن الخطاب اليها . توفى سنة ٥٢ هـ .

(٤) فى الأصل : الهمنى .

المؤذن أن يقولوا: لا إله إلا الذى اسمه الله،وأشهد أن محمدا رسول الذى اسمه الله لأنهم قالوا إن اسم الله مخلوق . ولقد اختصم يهودى ومسلم إلى بعض معطليهم فقضى باليمين على المسلم ، فقال اليهودى حلفه . فقال المخاصم إليه : احلف بالله الذى لا إله إلا هو . فقال اليهودى : حلف بالخالق لا بالمخلوق ،فإن هذا فى القرآن وزعمت أن القرآن مخلوق فحلفه بالخالق ، فبهت الآخر . وقال : قوما حتى أنظر فى أمركما ، وخسر هنالك المبطلون .

حدثنا الحسن بن صباح ، ثنا معبد أبو عبد الرحمن الكوفى ، نزل بغداد ثنا معاوية بن عمار قال : سألت جعفر بن محمد عن القرآن فقال: ليس بخالق ولا مخلوق .

وقال أبو عبد الله : احتج هؤلاء[1] (يعنى الجهمية) بآيات وليس فيها احتجوا به أشد التباسا من ثلاث آيات . قوله (وخلق كل شىء فقدره تقديرا) [الفرقان/٢] فقالوا : إن قلتم : إن القرآن لاشىء كفرتم ، وإن قلتم : إن القرآن شىء فهو داخل فى الآية . والثانية قوله (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) [النساء/١٧١] قالوا : فأنتم قلتم بقول النصارى لأن المسيح كلمة الله ، وهو خالق فقلتم : إن كلام الله ليس بمخلوق ، وعيسى من كلام الله . والثالثة (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) [الأنبياء/٢] وقلتم ليس بمحدث ـ قال أبو عبيدة . أما قوله (وخلق كل شىء) فهو كما قال . وقال فى آية أخرى : (إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [النحل / ٤٠] فأخبر أن أول خلق خلقه بقوله ، وأول خلق هو من الشىء الذى قال : (وخلق كل شىء) فأخبر أن كلامه قبل الخلق ، وأما تحريفهم (إنما المسيح عيسى بن مريم) فلو كان كما قالوا لكان ينبغى أن يكون بين الدفتين (وكلمته ألقاها إلى مريم) لأن عيسى مذكر ، والكلمة مؤنثة لا اختلاف بين العرب فى ذلك ، وإنما خلق الله عيسى بالكلمة لا أنه الكلمة ، ألا تسمع الى قوله : (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح

---

(١) الحسن بن الصباح أبو على البزار سمع سفيان بن عيينه ، وكان أحمد بن حنبل يجله ويرفع قدرة . وقال أبو حاتم : صدوق . توفى ببغداد سنة ٢٤٩ هـ .

منه) يعنى جبريل عليه السلام كما قال فى آية أخرى (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا) [مريم/١٧] وقال : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) [آل عمران/٥٩] ، فخلق عيسى وآدم بقوله « كن » وليس بين هاتين الآيتين خلاف ، وأما تحريفهم (من ذكر ربهم محدث) فإنما حدث عند النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما علم الله ما لم يكن يعلم .

وقال أبو عبد الله : والقرآن كلام الله غير مخلوق ، لقول الله عز وجل : (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) [الأعراف/٥٤] فبين أن الخلائق والطلب ، والحثيث والمسخرات بأمره ، ثم شرح فقال : (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) [الأعراف/٥٤] قال ابن عيينة : قد بين الله الخلق من الأمر بقوله « ألا له الخلق والأمر » فالخلق بأمره كقوله (لله الأمر من قبل ومن بعد) [الروم/٤] وكقوله (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) [يس/٨٢] وكقوله (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) [الروم/٢٥] ولم يقل بخلقه .

حدثنا أصبغ (١) أخبرنى عبد الله بن وهب (٢) أخبرنى يحي بن أيوب عن ابن جريج (٣) عن مجاهد قال : قلت لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما (٤) القدر ؟ قال ، قال : يا مجاهد ، أين قوله : (ألا له الخلق والأمر) ؟

---

(١) أبو عبد الله أصبغ بن الفرج المصرى أخذ عن ابن وهب وابن القاسم وتوفى سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) أبو محمد عبد الله بن وهب الفهرى المصرى تفقه بمالك والليث توفى سنة ١٩٧ هـ .

(٣) أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج قال أحمد بن حنبل : كان ابن جريج من أوعية العلم . وهو فيما قيل أول من ألف من أهل الحجاز توفى سنة ١٥٠ هـ .

(٤) فى نسخة : — ما .

حدثنا عبد الله بن محمد، ثنا معاوية ثنا أبو إسحق عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة عن ابن جبير . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن يظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان ، فذكر ذلك المسلمون لأبى بكر ، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (أما إنهم سيهزمون) . فذكر ذلك أبو بكر لهم فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلا ، فإن ظهروا كان لك كذا وكذا ، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا . فجعل بينهم أجلا خمس سنين ، فلم يظهروا ، فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : (ألا جعلت أدنى ؟ قال دون العشرة . فقال سعيد : البضع مادون العشرة . قال : فظهرت الروم بعد قوله . (ألم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد) [الروم/٤] قال . فغلبت الروم ثم غلبت بعد، قال الله «لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) قال ففرح المسلمون بنصر الله . حدثنا ابن المثنى قال : ثنا محمد أبو سعيد التغلبى ثنا أبو إسحق الفزارى عن سفيان ، بهذا .

أفعال العباد

قال أبو عبد الله : فأما أفعال العباد فقد حدثنا على بن عبد الله ، ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك عن ربعى بن حراش (١) عن حذيفة رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله يصنع كل صانع وصنعته) وتلا بعضهم عند ذلك : (والله خلقكم وما تعملون) [الصافات ٩٦] ، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة .

حدثنا محمد ، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة رضى الله

---

(١) أحد عباد الكوفة وعلمائها توفى سنة ١٠١ هـ

عنه ، أن الله خلق كل صانع وصنعته . أن الله خلق صانع الخزم[1] وصنعته ، رواه وكيع عن الأعمش .

حدثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان عن ابن طاووس عن أبيه عن بن عباس رضى الله عنهما : (العجز والكيس من القدر) .

حدثنا اسماعيل ، ثنى مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاووس اليمانى قال : أدركت ناس من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم يقولون : كل شىء بقدر . وسمعت عبدالله بن عمر رضى الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل شىء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز) . فقال الليث عن طاووس عن ابن عباس رضى الله عنهما (إنا كل شىء خلقناه بقدر) [القمر/٤٩] حتى العجز والكيس .

حدثنا عمر بن محمد عن ابن عيينة عن عمر[2] عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : (كل شىء بقدر حتى العجز والكيس) . قال ابن عباس رضى الله عنهما : كل كل شىء بقدر حتى وضعك يدك على خدك.

قال أبو عبدالله بن محمد إسماعيل : سمعت عبدالله بن سعيد يقول : سمعت يحى ابن سعيد يقول : مازلت أسمع من أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة . قال أبو عبدالله : حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة ، فأما القرآن المتلو المبين المثبت فى المصاحف المسطور المكتوب الموعى فى القلوب فهو كلام الله ليس بخلق، قال الله (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) .

---

(١) كتب على هامش طبعة الهند : والخزم بالحركة شجر يتخذ من لحائه ، وبالمدينة سوق يسمى سوق الخزامين ، يريد انه يخلق الصناعة وصانعها نحو (والله خلقكم وما تعملون) ويريد بصانع الخزم صانع مايتخذ منه (مجمع البحار) .

(٢) فى نسخة عمرو .

وقال اسحق بن ابراهيم[1] : فأما الأوعية فمن يشك فى خلقها ؟ قال الله تعالى: (وكتاب مسطور فى رق منشور) [الطور / ٣] وقال : (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) [البروج / ٢٢] فذكر أنه يحفظ ويسطر ، قال : (ومايسطرون) [القلم / ١] .

حـــدثنا روح بن عبد المؤمن ، ثنا يزيد بن زريع[2] ، سعيد عن قتادة (والطور وكتاب مسطور) فقال : المسطور المكتوب ، (فى رق منشور)وهو الكتاب .

حـدثنا آدم ، ثنـا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ، (وكتاب مسطور) وصحف مكتوب فى (رق منشور) فى مصحف .

حدثناعبد اللهبن يوسف[4] أنا مالك عن محمدبن عبد الرحمنبن نوفلعنعروة عنزينب بنت أبى سلمة عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : طفت ورسول اللّـه صلى الله عليه وسلم يصلى إلى جنب البيت يقرأ (والطور وكتاب مسطور) .

قال أبو عبد اللّـه وقد بـيّن النبي صلىاللّـه عليه وسلم قول الحامدين من العباد

---

(١) أبو النضر اسحاق بن ابراهيم الدمشقى روى عن سعيد بن عبد العزيز وجماعة توفى سنة ٢٢٧ هـ

(٢) أبو معاوية يزيد بن زريع العيشى قال أحمد بن حنبل : كان ريحانة البصرة ما أتقنه وما أحفظه ؟ وهو حافظ ثبت توفى سنة ١٨٢ هـ .

(٣) زرقاء بن عمر البشكرى الـكوفى قال أحمد : كان ثقة صاحب سنة . توفى بالمدائن سنة ١٦١ هـ .

(٤) ابو محمد عبد الله بن يوسف التنيسى الحـافظ الدمشقى توفى سنة ١١٨ هـ . سمع مالـكا والليث .

ودعاءهم وصلاتهم وتضرعهم إلى اللّه بين ، ما (١) يجيبهم الحى القيوم حيث يقول الرسول : اقرأوا إن شئتم ، يقول العبد : (الحمد للّه رب العالمين) [الفاتحة / ١] يقول « حمدنى عبدى » ،

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبى السائب مولى هشام بن زهره عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : (كل صلاة لا تقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج غير تام) . فقلت يا أبا هريرة فإنى أكون أحيانا وراء الإمام . فقال : اقرأ بها فى نفسك يا فارسى فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تبارك وتعالى (قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، فنصفها لى ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل) . يقول العبد : (الحمد لله رب العالمين) يقول الله « حمدنى عبدى » . يقول العبد : (الرحمن الرحيم) [الفاتحه / ٢] يقول الله : « أثنى علىّ عبدى » . يقول العبد : (مالك يوم الدين) [الفاتحة / ٣] . يقول الله : «مجدنى عبدى». يقول العبد : (إياك نعبد وإياك نستعين) فهذه الآية بينى وبين عبدى . يقول العبد : (اهدنا الصراط المستقيم) [الفاتحة / ٥] فهذه لعبدى ولعبدى ما سأل.

قا أبو عبد الله : فأما المداد والرق ونحوه فإنه خلق ، كما أنك تكتب اللّه ، فالله فى ذاته هو الخالق ، وخطك واكتسابك من فعلك خلق ، لأن كل شىء دون الله يصنعه وهو خلق . وقال : « وخلق كل شىء فقدره تقديراً » [الفرقان / ٢] وقال : (وأنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) [الزخرف / ٤] وقال : (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) البروج / ٢٢] .

حدثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان عن زياد بن اسماعيل القرشى عن محمد بن عباد ابن جعفر المخزومى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء مشركو قريش إلى

---

(١) فى نسخة : مما

النبي صلى اللّـه عليه وسلم فخاصموه فى القدر فنزلت (إنا كل شىء خلقناه بقدر) [القمر / ٤٩] .

حدثنا قبيصة (١) ، ثنا سفيان بهذا .

حدثنا محمد بن يوسف ، ثنا يونس بن الحارث ، حدثنا عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال : نزلت هذه الآية (إن المجرمين فى ضلال وسعر) [القمر/٤٧] فى أهل القدر. ويروى فيه عن ابن عباس ومعاذ بن أنس رضى الله عنهم .

حدثنا محمد بن بشار ، ثنا غندر (٢) . حدثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال : سمعت عمرو بن عاصم قال : سمعت أبوهريرة يقول : إن أبا بكر الصديق قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أخبرنى بشىء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت . قال : (قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شىء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه ، وإذا أخذت مضجعك) .

حدثنا سعيد بن الربيع . ثنا شعبه وساق الحديث حدثنا عمرو بن عون (٤) . ثنا هشيم(٥) عن يعلى بن عطاء عن عمرو بن عاصم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أبا بكر قال : يا رسول الله هذا رب كل شىء ومليكه .

---

(١) قبيصة بن عقبة السوائى الحافظ الكوفى توفى سنة ٢١٥ هـ .

(٢) محمد بن جعفر غندر البصرى الحافظ توفى سنة ١٩٣ هـ .

(٣) عمرو بن عاصم الكلابى روى عن شعبة توفى سنة ٢٢٣ هـ

(٤) ابو عثمان عمرو بن عون الواسطى قال ابو حاتم : ثقة حجة توفى سنة ٢٢٣ هـ .

(٥) ابو معاوية هشيم بن بشير السلمى ، قال احمد : كان كثير التسبيح وهو محدث بغداد توفى سنة ١٣٨ هـ

حدثنا مسدد (١) ، حدثنا هشيم بهذا .

حدثنا على بن عياش (٢) ، ثنا شعيب بن أبى حمزة(٣) عن محمد بن المنكدر(٤) عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محموداً، الذى وعدته، حلت له شفاعتى يوم القيامة) ، ويذكر عن أنس بن مالك وغيره من أهل العلم فى قوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون)[الحجر / ٩٢] أنه لا إله إلا الله . وقال الله : (أو تلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون)[الأعراف/٤٣] وقال: (لمثل هذا فليعمل العاملون)[الصافات / ٦١] وقال : (جزاء بما كانوا يعملون)[السجدة/١٧].

وحدثنا أبو اليمان ، أنبأ شعيب عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل النبى صلى الله عليه وسلم . أى الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله ، وجهاد فى سبيله) .

حدثنا أحمد بن يونس ، وموسى بن إسماعيل قالا : ثنا ابراهيم بن سعد ، ثنا ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى الأعمال أفضل قال : (إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا ؟ . قال : جهاد فى سبيل الله . قال : ثم ماذا ؟ قال حج مبرور) .

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، ثنا إبراهيم بن شهاب عن سعيد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مثله .

---

(١) مسدد بن سرهد الحافظ البصرى توفى سنة ٢١٨ .

(٢) على بن عياش الألهانى الحمصى توفى سنة ٢١٩ هـ حافظ حمص ومحدثها .

(٣) توفى سنة ٢٦٣ هـ .

(٤) الحافظ توفى سنة ١٣٠ هـ .

حدثنا يحي بن قزعة ، ثنا إبراهيم بن سعد ، مثله .

حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا هشام ، أنبأ معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : (يانبى الله ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله) مثله .

حدثنا محمد بن عبيد الله ، ثنا عمر بن طلحة عن محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه (قيل: يارسول الله ، أى الأعمال أفضل أوخير ؟ قال : إيمان بالله وبرسوله) .

حدثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا أبان ، ثنا يحي عن أبى جعفر عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : (أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه ، وغزو لا غلول فيه ، وحج مبرور) .

حدثنا موسى ، ثنا أبان مثله .

حدثنا إبراهيم بن المنذر ، ثنا معاذ بن هشام ، ثنا أبى عن يحي ، ثنى أبو جعفر سمع أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه) ، مثله .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا خليفة بن غالب ، ثنا سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وجهاد فى سبيله) .

حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا أبو عامر ، ثنا خليفة بن غالب ، ثنا سعيد أبى سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال : أى الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وجهاد فى سبيله) .

حدثنا عبيد الله بن موسى ، ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن أبى مرواح عن

أبى ذر رضى الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وجهاد فى سبيله) .

حدثنا يحى بن بكير ، ثنى الليث عن أبى جعفر ، ثنى عروة عن أبى مراوح عن أبى ذر رضى الله عنه،أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أى الأعمال خير؟ قال: (إيمان بالله وجهاد فى سبيله) .

حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد، أراه ابن أبى ثور، قال محمد بن يوسف الغضريرى(١) الشك منى،عن عبد الملك، هوابن عميرعن موسى بن طلحه ، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أى الأعمال أفضل ؟ قال : (الإيمان بالله وجهاد فى سبيل الله وحج مبرور) .

حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا يزيد بن عطاء عن معاوية بن إسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أى الاعمال أفضل؟ قال : (إيمان بالله، وقتل فى سبيله، وحج مبرور) .

حدثنا محمد بن سعيد، أنبانا(٢) عبيدة بن حميد، عن عبد الملك بن عمير، عن عثمان بن أبى حثمة، عن جدته الشفاء رضى الله عنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وسأله رجل . أى العمل أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وجهاد وحج مبرور) .

حدثنا ضرار بن صرد، عن عبد الله بن وهب، عن موسى بن على بن رباح، عن أبيه جنادة بن أبى أمية عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : سئل النبي صلى

---

(١) فى نسخة : العزيز . ولعله الفريابى .

(٢) فى نسخة : أنبأ .

الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل ؟ قال: (إيمان بالله ،وتصديق برسوله، وجهاد فى سبيله).

وقال عبيدة [١] بن عمير، عن عبد الله بن حبشى رضى الله عنه،عن النبى صلى الله عليه وسلم : أفضل الأعمال إيمان لاشك فيه .

وقال العلاء بن عبد الجبار : ثنا سويد أبو حاتم ، ثنى عياش بن عباس بن الحارث بن يزيد عن على بن رباح عن جنادة بن أبى أمية عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، سمع النبى صلى الله عليه وسلم ، سئل أى الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وتصديق بكتابه) .

قال أبو عبد الله : فجعل النبى صلى الله عليه وسلم الإيمان والتصديق والجهاد والخير عملا . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : يخرج قوم يحقرون أعمالكم مع أعمالهم يتقرأون القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية : فبين أن قراءة القرآن هى العمل .

حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك ،عن يحيى بن سعيد ،عن محمد إبراهيم، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ،عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : (يخرج فيكم قوم يحقرون صلاتكم مع صلاتهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنا مالك بهذا .

حدثنا روح بن عبد المؤمن ، حدثنا يزيد بن زريع ، ثنا شعبة عن قتادة ، (وجعلوا له من عباده جزءا) أى عدلا .

---

(١) فى نسخة عبيد .

قال حماد بن زيد : من قال كلام العباد ليس بخلق فهو كافر .

قال أبوعبد الله: ومن الدليل على أن الله يتكلم كيف شاء،وأن أصوات العباد مؤلفة حرفا ، فيها التطريب والغمز واللحن والترجيع ، حديث أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عبد الله بن صالح ويحي بن بكير قالا : حدثنا الليث عن ابن أبى مليكة عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة رضى الله عنها عن قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت : مالكم وصلاته ، كان يصلى ثم ينام قدر ماصلى ، ثم يصلى قدر ما نام ، ثم ينام قدر ما صلى ، حتى الصبح . ونعتت قراءته فإذا قراءته حرفاً حرفاً .

حدثنا قتيبة ، ثنى الليث،عن عبد الله بن أبى مليكة ،بهذا .

حدثنا محمد بن مقاتل ، أنا عبد الله ، أنا حماد بن سلمه عن عمران بن عبد الله قال : صلى بنا رجل فى مسجد المدينة فى شهر رمضان فجاء بتلك الهنات ، يعنى تطرب ، فأنكر ذلك القاسم بن محمد وقال : يقول الله : (كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [٤٢/فصلت] .

حدثنا إسماعيل ، ثنى مالك عن عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعه ، عن أبيه أنه أخبره أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه قال له : إنى أراك تحب الغنم والبادية ، فإذا كنت فى غنمك وباديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لايسمع صوت المؤذن جن ولا إنس إلاشهد له يوم القيامة . قال أبو سعيد رضى الله عنه:سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، حدثناعبدالله ابن يوسف ، أنا مالك بهذا .

حدثنا آدم ، ثنا شعبة ، ثنا موسى بن أبى عثمان قال : سمعت أبا يحي عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (يغفر

للمؤذن مدى (١) صوته حدثنا سليمان ثنا شعبة بهذا .

حدثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة عن موسى بن أبى عثمان قال : سمعت أبا يحي قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (المؤذن يغفر له مد صوته) . حدثنا حفص بن عمر ، ثنا شعبة ، قال : أنبأنى موسى قال : سمعت أبا يحي بهذا .

حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنى أبى عن بن إسحق قال: ثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه قال: ثنى أبى عبد الله بن زيد رضى الله عنه قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس فيعمل ليضرب به للناس فى الجمع للصلاة ، أطاف بى وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت : ياعبد الله تبيع الناقوس ؟ قال وما تصنع به ؟ . قلت : أدعو به إلى الصلاة . قال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ قلت : بلى . قال : تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى عل الفلاح الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله قال : ثم استأخر عنى غير بعيد ثم قال : تقول : إذا أقيمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حى على الصلاة حى على الفلاح، قد قامت الصلاة ،قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله . قال : فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ما رأيت فقال : إن هذا رؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت ، فليؤذن به، فإنه أندى منك صوتاً . فقمت مع بلال فجعلت ألقى عليه ويؤذن فسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهو فى بيته فخرج يجرر دلوه يقول:

(١) فى نسخة : مد .

والذى بعثك بالحق لقد رأيته مثل الذى أرى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلله الحمد .

حدثنا محمد بن عبيد ، ثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن زيد قال : فأرى عبد الله بن زيد، فخرج عبد الله حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، قال: فاخرج مع بلال فألقها عليه ، وليناد بلال، فإنه أندى منك صوتاً . قال : فخرجت مع بلال إلى المسجد ، فجعلت ألقيها عليه وهو ينادى ، فسمع عمر الصوت فخرج ، فقال : يارسول الله ، والله لقد رأيت مثل الذى رأى .

حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، أخبرنى إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أبى محذورة . أخبرنى جدى عبد الملك بن أبى محذورة أنه سمع أبا محذورة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أمدد أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا سمعتم الآذان فقولوا مثل ما يقول المؤذن . وقال عمر لأبى محذورة حين سمع صوته : ماخشيت أن ينقطع مريطاؤك [1] قال: إنى حسنت لك صوتى . وقال عمر بن عبد العزيز : أذن أذانا سمحا وإلا فاعتزلنا .

حدثنا يحيي بن بكير ، ثنى الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله عنها،وذكرت الذى كان من شأن عثمان بن عفان، ووددت أنى كنت نسياً منسيا ، فوالله ما أحببت أن ينتهك من عثمان أمر قط إلا قد انتهك منى مثله، حتى والله لو أحببت قتله لقتلت، ياعبيد الله بن عدى لايغرنك أحد بعد الذى تعلم

---

(١) كتب على الهامش : المريطاء هي ما بين الصدرين إلى العانة من البطن . (الفائق) .

فوالله ما احتقرت أعمال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حتى تحم النفر الذين طعنوا فى عثمان، فقالوا له قولا لا يحسن مثله، وقرأوا قراءة لا يحسن مثلها، وصلوا صلاة لا يصلى مثلها ، فلما تدبرت الصنيع، إذا هم والله ما يقاربون أعمال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أعجبك حسن قول امرىء فقل (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) [التوبة / ١٠٥] فلا يستخفنك أحد ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل حين سأله عن الإيمان قال : تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . قال : فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ؟ قال : نعم . ثم قال : ما الإسلام ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، فذكره . قال : إذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال : نعم ، قال أبو عبد الله : فسمى الإيمان والإسلام والشهادة والإحسان ، والصلاة بقراءتها ، وما فيها من حركات الركوع ، والسجود فعلا للعبد وقال : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) [آل عمران /١٨]

حدثنا محمد بن سلام ، أنا جرير بن فروة ، عن أبى زرعة، عن أبى ذر، وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : أقبل رجل فقال : السلام عليك يا محمد ، فرد عليه . ثم قال : يا محمد ما الإيمان ؟ قال : الايمان بالله والملائكة والكتاب ، والنبيين ، وتؤمن بالقدر كله . قال : فإذا فعلت ذلك آمنت ؟ قال : نعم .

حدثنا أبو النعمان ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا مطر الوراق ، عن عبد الله بن بريدة ، عن يحيى بن يعمر ، سمع عبد الله بن عمر ، عن عمر رضى الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه رجل فقال : يارسول الله ما الإسلام ؟ قال : أن تسلم وجهك لله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت . قال : فأخبرنى بعرى الاسلام ، فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال : نعم . قال : صدقت، وساق الحديث .

حدثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا الضحاك بن نبراس ، ثنا ثابت،عن أنس رضى الله عنه قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه،إذ جاءه رجل عليه ثياب السفر ، فتخطى الناس حتى جلس بين يديه ، ووضع يديه ، على ركبتيه ، قال : ما الإسلام ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله،وإنى رسول الله،وإقام الصلاة،وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ،وحج البيت ، إن استطعت إليه سبيلا . قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ؟ قال: نعم . قال : صدقت فتعجبوا قال ماالإحسان ، قال : أن تخشى الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ولكن لها أشراط فقام ، فقال : على بالرجل فلم يجدوه . قال : ذلك جبريل جاء يعلمكم دينكم ، لم يأتنى على حال أنكرته قبل اليوم .

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، ثنى سليمان بن بلال عن شريك بن عبد الله قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ليلة أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم قال : الجبار يامحمد أنه : (لايبدل القول لدىّ) [ق/ ٢٩] أى كما فرضت عليك فى أم الكتاب ، وكل حسنة بعشر أمثالها خمسون صلاة فى أم الكتاب .

حدثنا عبد الله بن محمد الجعفى ، ثنا أبو حفص التنسى ، ثنا الأوزاعى ، ثنا يحيى بن أبى كثير ، ثنى هلال بن أبى ميمونة ثنى عطاء بن يسار ، ثنى معاوية بن الحكم ، رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله ، إنا كنا حديث عهد بجاهلية فجاء الله بالإسلام ، وبينا أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله ، فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم دعانى وقال : صلاتنا هذه لايصلح فيها شىء من كلام الناس، وإنما هى التسبيح والتكبير ، وقراءة القرآن .

حدثنا على عن محمد بن بشر العبدى ، عن بيان ، ثنا يزيد بن أبى الجعد ، ثنا جامع بن شداد عن طارق المحاربى رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى بأعلى صوته . ياأيها الناس قولوا : لا إله الا الله تفلحوا . وقال

النبى صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس : إن فيك خلقين يحبها الله ، الحلم ، والحياء . قال : جبلا جبلت عليه أو خلقامنى ؟ . قال : بل جبلا جبلت عليه . قال : الحمد لله الذى جبلنى على خلقين أحبها الله . حدثنا به أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، حدثنا يونس عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أشج عبد القيس . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له ذلك ، وزاد ، قلت : قديما كان أو حديثا ؟ قال : قديما .

حدثنا عمرو بن زرارة ، ثنا إسماعيل عن يونس . زعم عبد الرحمن بن أبى بكرة قال : قال : أشج قال النبى صلى الله عليه وسلم بهذا قلت الحمد الله الذى جبلنى على خلقين يحبها . ثنا هشيم عن يونس عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن الاشج قال : النبى صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا مسدد ، ثنا يحي عن ابن عجلان ، ثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إذا أفاد أحدكم المرأة،أو الجارية، أو الدابه،أو الغلام،فليقل أسئلك من خيرها ،وخير ماجبلت عليه ،وأعوذبك من من شرها ،وشر ماجبلت عليه .) قال أبو عبد الله : ورواه عبيد الله عن سفيان عن ابن عجلان عن عمر ونحوه .

حدثنا حسن بن محمد بن صباح ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا يونس بن بكير ، ثنا خالد بن دينار ، ثنا عمارة بن جوين ، ثنا أبو سعيد رضى الله عنه قال : قال النبى صلى للله عليه وسلم : (ياأشج إن فيك خلقين يحبها الله ، الحلم والتؤدة ، قال : يارسول الله ، أشىء جبلت عليه أم شىء حديث ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : بل شىء جبلت عليه.

حدثنا قيس بن حفص ، ثنا طالب بن بحير ، ثنى هود بن عبد الله ،سمع جده مزيدة العبدى رضى الله عنه قال : جاء الأشج ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم

إن فيك خلقين يحبها الله ، قال : جبلا جبلت عليه أم خلقا منى ؟ قال: بل جبلا جبلت عليه ، قال : الحمد لله الذى جبلنى على مايحب الله ورسوله .

حدثنا موسى ، ثنا مطر بن عبد الرحمن ، حدثتنى أم أبان بنت الوازع العبدى عن جدها أن جدها وازع بن عامر رضى الله عنه ،خرج إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ياأشج بل الله جبلك قال : الحمد لله ، قال أبو عبد الله : ولا توجه القرآن إلا أنه صفة الله ، ولايقال كيف ماتوجه ؟ وهو قول الجبار أنطق به عباده وكذلك تواترت الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم أن القرآن كلام الله ، وأن أمره قبل خلقه ، وبه نطق الكتاب .

حدثنا محمد بن كثير ، ثنا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة ، وقال غيره ابن أبى المغيرة عن سالم هو ابن أبى الجعد عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ألا رجل يحملنى إلى قومه ؟ فإن قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى قال أبو عبد الله : فبين [1] النبى صلى الله عليه وسلم أن الإبلاغ منه،وان كلام الله من ربه ، ولم يذكر عن أحد من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم باحسان خلاف ماوصفنا ،وهم الذين أدروا الكتاب والسنة،بعد النبى صلى الله عليه وسلم قرنا بعد قرن . قال الله تعالى : (لتكونوا شهداء على الناس،ويكون الرسول عليكم شهيدا) [البقرة/١٤٣] قال النبى صلى الله عليه وسلم : أنتم شهداء الله فى الأرض .

حدثنا إسحق ،ثنا أبوأسامة . قال الأعمش : ثنا أبو صالح عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم يارب : فتسأل أمته ، هل بلغكم ؟ فيقولون ماجاءنا من نذير، فيقال : من شهودك ؟ فيقول محمد وأمته . فيجاء بكم فتشهدون . ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون

---

(١) فى الأصل : فيبين .

الرسول عليكم شهيداً) . قال أبو عبد الله : هم الطائفة التى قال النبى صلى الله عليه وسلم : (لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم) .

حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون) . ويروى نحوه عن أبى هريرة ،ومعاوية ، وجابر ، وسليمة بن نفيل ، وقرة بن إياس رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم: قال أبو عبد الله : ولم يكن بين أحد من أهل العلم فى ذلك اختلاف ، إلى زمن مالك،والثورى،وحماد بن زيد،وعلماء الأمصار ، ثم بعدهم ابن عيينة فى أهل الحجاز، ويحي بن سعيد،وعبد الرحمن بن مهدى،فى محدثى أهل البصرة، وعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث،وأبو بكر بن عياش ، ووكيع ،وذووهم ابن المبارك فى متبعيه ويزيد بن هارون فى الواسطيين ، إلى عصر من أدركنا من أهل الحرمين مكة والمدينة، والعراقيين،وأهل الشام، ومصر ، ومحدثى أهل خراسان منهم محمد بن يوسف فى منتابية ، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك فى مجبتيه ، وإسماعيل بن أبى أويس مع أهل المدينة ،وأبو مسهر فى الشاميين،ونعيم بن حماد مع المصريين ،وأحمد بن حنبل مع أهل البصرة ، والحميدى من قريش ، ومن اتبع الرسول من المكيين وإسحق بن إبراهيم وأبو عبيد (١) فى أهل اللغة ،وهؤلاء المعروفون بالعلم فى عصرهم بلا اختلاف منهم ، أن القرآن كلام الله. إلا من شذها (٢) أو أغفل الطريق الواضح فعمى عليه ، فإن مرده إلى الكتاب والسنة . قال الله تعالى : (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) [النساء/٥٩] .

حدثنا إبراهيم بن المنذر ، ثنا إسحق بن جعفر بن محمد ، حدثنى كثير بن

---

(١) كذا فى الأصل : ولعله أبو عبيدة .

(٢) فى نسخة : شذهما .

عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب : (وإنكم مااختلفتم فى شىء فإن مرده إلى الله وإلى محمد) وقال النبي صلى الله عليه وسلم :(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) .

حدثنا بذلك العلاء بن عبد الجبار ، ثنا عبد الله بن جعفر المخزومى ،عن سعد ابن إبراهيم،عن القاسم،عن عائشة رضى الله عنها،عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. وأمر عمر رضى الله عنه أن ترد الجهالات الى الكتاب والسنة . قال أبو عبدالله : وكل من لم يعرف الله بكلامه أنه غير مخلوق ، فانه يعلم ويرد جهله الى الكتاب والسنه ، فمن أبى بعد العلم به ، كان معاندا . قال الله تعالى : (وما كان الله ليضل قوما بعد إذهداهم حتى يبين لهم مايتقون) [التوبة/١٢٥] ولقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) [النساء/١١٥] : فأما ما احتج به الفريقان لمذهب أحمد ويدعيه كل لنفسه ، فليس بثابت كثير من أخبارهم ، وربما لم يفهموا دقة مذهبه، بل المعروف عن أحمد ، وأهل العلم ، أن كلام الله غير مخلوق، وماسواه مخلوق . وأنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة ، وتجنبوا أهل الكلام والخوض والتنازع إلا فيما جاء فيه العلم ، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا إسحق، أنبأ عبد الرزاق أنبا معمر، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوما يتدارؤون فقال :(إنما هلك من كان قبلكم بهذا ،ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا ، فلا تضربوا بعضه ببعض ، ما علمتم منه فقولوا ، ومالا ، فكلوه الى عالمه) قال أبو عبد الله : وكل من اشتبه عليه شىء فنوله أن يكله إلى عالمه . كما قال : عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : وما أشكل عليكم فكلوه إلى عالمه ، ولايدخل فى المتشابهات إلا ما بين له .

وقد حدثنا عبد الله بن سلمة ، ثنا يزيد بن إبراهيم عن عبد الله بن أبى مليكة عن القاسم عن عائشة رضى عنها قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (هو الذى أنزل عليكم الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه من ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فهم الذين عنى الله فاحذروهم .

وقال بن مسعود رضى الله عنه : من علم علماً فليقل به ، ومن لا ، فليقل الله أعلم ، فإن من علم الرجل أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم ، فإن الله قال لنبيه (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) .

حدثنا محمد بن كثير ، ثنا سفيان عن منصور ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى عن مسروق قال : أتيت ابن مسعود رضى الله عنه ، فذكر هذا ، واعتبر بقول النبى صلى الله عليه وسلم : (اغفر لقوى فإنهم لا يعلمون) وإذا رأيت هوى متبعا ودنيا [١] مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بنفسك ، وذر عنك أمر العامة .

حدثنا به عبدان عن عبد الله ، أنا عتبة بن أبى حكيم ، حدثنى عمرو بن جارية اللخمى ، حدثنى أبو أمية الشعبانى قال : أتيت أبا ثعلبة فقال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : إذا رأيت شحا مطاعا نحوه .

قال أبو عبد الله : سمعت موسى بن إسماعيل يقول : سمعت أبا عاصم يقول : ما اغتبت أحداً مذ علمت أن الغيبة تضر بصاحبها .

حدثنا أحمد بن إشكاب ، ثنا محمد بن فضيل عن عمارة القعقاع عن أبى زرعة

---

(٣) فى الأصل : دينا .

عن أبي هريرة رضى الله عنه (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتـان على ناللسـا ثقيلتان فى الميزان ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم) .

حدثنا الحميدى ، ثنا سفيان ، أنبا منصور عن مجاهد عن ابى معمر عن عبد الله رضى الله عنه قال : اجتمع فى البيت ثقفيان وقريشىّ أو قريشيان وثقفى كثيرة شحم بطونهم ، قليلة فقه قلوبهم ، فقال أحد منهم : أترون الله يسمع ما نقول ؟ قال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا : وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) [٢٢/فصلت] الآية .

حدثنا إسحق بن منصور ، ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن حماد بن زيد عن يحي بن عتيق عن ابن سيرين قال : كان يقال : عجباً للتاجر كيف يتجر ؟ قال يحي : يصدق ويفعل ، ويفعل . قال محمد : حتى دخل معى يحي فى التجارة فقال لى : يا أخى ما من شىء إلاّ وقد رابنى ، قال : فذكرته لحميـد بن عبد الرحمن فقال محمد : الآن حين فقه .

حدثنا قبيصة ، ثنا سفيان عن أبى حصين ، قال : قال حذيفة رضى الله عنه : يأتى على الناس زمان لا يصلح فيه إلا بالذى كان ينهى عنه .

(الجزء الثانى)

التعرب بعد الهجرة

قال أبو عبد الله رحمة الله عليه : وَالشَّقَ بهذا أهل العلم ، وأعرض عن الجاهلين فيتفرقوا كتفرق أهل البدع (الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء)[الانعام / ١٥٩] . ويذكر عن طاووس عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : (هم فى هذه الامة) .

حدثنا موسى بن وهب، عن داود، عن الشعبى فى بيع المصاحف ، أنه لايبيع كتاب الله إنما يبيع عمل يديه .

حدثنا عبيد الله بن موسى، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عنابن عباس رضى الله عنهما قال : اشتر المصحف ولا تبع . قال بكير ابن مسمار : أخبرنى زياد مولى سعد أنه سأل ابن عباس رضى الله عنهما فقال : لا نرى أن نجعلها متجراً ، ولكن ما عملت يداك فلا بأس .

حدثنا إسحق، عن جرير،عن ليث،عن مجاهد،عنابن عباس رضى عنهما قال: كنا لانرىبأساً أن يبيع المصحف ويشترى بثمنه مصحفا هوأفضل منه ، ولا بأس أن يبادل المصحف بالمصحف ، فرخص فى شراء المصحف .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا الصباح العبدى ، أنبأ عبد الله بن سليمان ، سألت سعيد بن المسيب عن كتابة المصحف فقال : ولا بأس قد كان فتى ابن عباس يكتبها بالمائة .

حدثنا إبراهيم بن موسى ، أنبأ هشام أن ابن جريج أخبرهم قال : أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : ابتياعها أحب إلىّ من أن أبيعها .

وقال ابن نمير عن الأعمش عن سعيد عن بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى بيع المصاحف : إنما هم مصورون يبيعون عمل أيديهم . ويذكرو[١] عن على رضى الله عنه قال : يأتى على الناس زمان لايبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : زينوا القرآن بأصواتكم .

حدثنا إبراهيم بن أبى حمزة الزبيرى ، حدثنى ابن أبى حازم عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (ما أذن الله بشيء ، ما أذن لنبى، حسن الصوت بالقرآن يجهر به) .

وحدثنى يحي بن يوسف ، ثنا عبيد الله بن عمرو عن إسحق بن راشد عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما أذن الله لشيء إذنه لنبي يتغنى بالقرآن) .

قال أبو عبد الله : وسمع النبي صلى الله عليه وسلم قراءة أبى موسى فقال : أوتى أبو موسى من مزامير آل داود .

حدثنا محمد بن خلف أبو بكر ، ثنا أبو يحي الحمانى ، ثنا يزيد بن عبد الله بن أبى بردة ، عن جده أبى بردة، عن أبى موسى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود .

وحدثنى أحمد بن حميد ، ثنا قنان بن عند الله النهمى بن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وسمع أبا موسى يقرأ فقال : كان هذا من أصوات آل داود .

---

(١) كـذا فى الأصل ولعل صوابه : يذكرون ،

وحدثنا أحمد بن يعقوب ، ثنا يزيد بن المقدام عن مقدام بن شريح عن شريح ، حدثني أبي هاني بن يزيد قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبر بشيء يدخلني الجنة . قال : عليك بحسن الكلام وبذل الطعام .

حدثنا أحمد بن إسحق ، ثنا عثمان بن عمر ، ثنا عيسى بن دينار عن عمرو بن الحارث رضى الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من سرّه أن يقرأ القرآن غضّا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد .

وقال ميسرة مولى فضالة عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه ، قال : النبي صلى الله عليه وسلم : لله أشد إذنا إلى رجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته :

حدثنا محمد بن العلاء : ثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي برده عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : انى لأعرف رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم ،من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وان كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار : ومنهم حكيم إذا لقى الخيل أو قلل العدو ، قال لهم : إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم .

حدثنا عمر بن حفص ، ثنا أبي عن الأعمش ، سمع طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء رضى الله عنه ،عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال زينوا القرآن بأصواتكم .

حدثنا قتيبة : ثنا جرير عن الأعمش عن طلحة بهذا .

حدثنا عثمان ، ثنا جرير عن منصور، عن طلحة مثله .

حدثنا محمد : ثنا غندر ، ثنا شعبته ، سمعت طلحة اليامى ، سمعت ،ابن عوسجة، سمعت البراء بن عازب رضى الله عنه قال : (١) النبي صلى الله عليه وسلم : زينوا

---

(١) كذا في الأصل وصوابه زيادة : (قال) مرة أخرى .

القرآن باصواتكم .

قال عبد الرحمن بن عوسجة وكنت أنسيت ، (زينوا القرآن باصواتكم) حتى اذكرنيه الضحاك بن مزاحم .

حدثنا محمود أبودواد، ثنا شعبه، أخبرنى طاحة، سمعت عبد الرحمن، عن البراء رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عايه وسلم : زينوا القرآن بأصواتكم .

قال عبد الرحمن مثله .

ويروىعن سهيل عن أبيه، عن أبى هويرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

حدثنا قرة بن حبيب ، حدثنا شعبة، ومحمد بن طلحة ، عن طلحة، قال: سمعت عبد الرحمن، عن عوسجة، عن البراء رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : زينوا القرآن بأصواتكم .

قال أبو عبد الله : وعامة هذه الأخبار مستفيضة عند أهل العلم ، ولاريب فى تخليق مزامير آل داود، وندائهم لقوله عزّ وجلّ : (وخلق كل شىء) [الفرقان / ٢] وقال : (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) [البقرة / ٢٢] .

حدثنا خلاد بن يحيى ، ثنا مسعر ، ثنا عدى بن ثابت أنه سمع البراء يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العشاء (بالتين والزيتون) ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة [١] منه .

حدثنا آدم ، ثنا ابن أبى ذئب ، ثنا مسلم بن جندب عن نوفل بن إياس الهذلى قال : كنا نقوم فى عهد عمر بن الخطاب فى المسجد فيتفرق ههنا فرقة وههنا

---

(١) فى الأصل قرءة .

فرق . وكان الناس يميلون إلى أحسنهم صوتا ، فقال عمرو : أراهم قد اتخذوا القرآن أغانى ، أما والله لئن استطعت لأغيرن ، فلم يمكث ثلاث ليال حتى أمر أبيا فصلى بهم .

حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب،عن الأعمش عن إبراهيم،عن علقمة قال: قال لى عبد الله : اقرأ ، وكان علقمة حسن الصوت ، فقرأ ، فقال عبد الله : رتل فداك أبى وأمى . وقال الله جل وعز : (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) [الأعراف/٢٠٤] . وقال : (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك)[فاطر/٢٩] وقال : (الذين يتلون كتاب الله)[الكهف/٢٧] (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك) [العنكبوت/٤٨] . وقال : (يتلونه حق تلاوته) . [البقرة/١٢١] وقال : (واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) [الاحزاب/٣٤] وقال : (يتلون آيات الله أناء الليل) [آل عمران/١١٣] وقال: (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم)[الإسراء/٩].قال: أبو عبد الله رضى الله عنه: فبين أن التلاوة من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأن الوحى من الرب، ومنه قول عائشة رضى الله عنها : (ما كنت أظن ان الله منزل فى شأنى وحيا يتلى) فبينت رضى الله عنها،أن الإنزال من الله، وأن الناس يتلونه .

حدثنا يحيى بن بكير ، ثنا الليث،عن يونس، عن ابن شهاب ، أخبرنى عروة ابن الزبير ،وسعيد بن المسيب،وعلقمة بن وقاص،وعبيد الله،بن عبد الله،عن حديث عائشة رضى الله عنها حين قال لها أهل الإفك ماقالوا ، وكل حدثنى طائفة من الحديث ، قالت : فاضطجعت على فراش وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة ، (١) وان الله يبرئنى ، ولكن الله (٢) ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيا يتلى ، ولشأنى

---

(١) فى الأصل : برئة

(٢) كذا فى الاصل ولعله : والله .

فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىّ بأمر يتلى ، فأنزل الله :(إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم) [النور/١١] العشر الآيات كلها .

حدثنا عبد الله ، حدثنى الليث ، حدثنى يونس مثله ، ورواه صالح،وابن إسحق وفليح ، عن ابن شهاب، نحوه .

وقال أبو عبد الله : وقال الله عز وجل : (لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [الإسراء/٨٨] ولكنه كلام تلفظ به العباد والملائكة ، وقد بين ذلك ما حدثنى به عبد العزيز بن عبد الله ، ثنا ابن أبى حازم،عن أبيه، عن أبى صالح السمان، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إذا أحب الله عبدا نادى جبريل (أحب فلانا) فينوه [١] بها جبريل فى حملة العرش فيحبه أهل العرش ، فيسمع أهل السماء السابعة لغط أهل العرش ، وذكر الحديث ، وقال : (فإنما يسرناه بلسانك) [مريم/٩١] (ولقد يسرنا القرآن للذكر) [القمر/٧١] . وقال :النبى صلى الله عليه وسلم : كل ميسر لما خلق له .

حدثنا به آدم ، ثنا شعبه،ثنا يزيد الرشك ، سمعت مطرفا،عن عمران بن حصين رضى الله عنه،عن النبى صلى الله عليه وسلم : كل ميسر لما خلق له .

حدثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث قال : حدثنا يزيد ، حدثنى ابن مطرف بن عبد الله،عن عمران رضى الله عنه،قال: قلت:يارسول الله فيم يعمل العاملون ؟ قال: كل ميسر لما خلق له.

حدثنا سليمان ، ثنا يزيد،عن مطرف،عن عمران رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : كل ميسر لما خلق له .

---

(١) في نسخة : فينادي .

حدثنا اصبغ ، أخبرنى ابن وهب،عن عمرو،عن أبى الزبير،عن جابر رضى الله عنه : عن النبى صلى الله عليه وسلم : كل ميسر لعمله .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، عن النبى صلى الله عليه وسلم : كل ميسر لما قدر له .

حدثنا آدم ، ثنا شعبة ، ثنا عاصم بن عبد الله ، سمعت سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، أن عمر رضى الله عنه ، قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : كل ميسر .

حدثنا حجاج : ثنا شعبة بمثله،حدثنا على بن حفص ، أنبأ عبد الله،أنبا شعبة ، أخبرنى عاصم بن عبيد الله قال ،سمعت سالما ، سمعت أبى ، سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قال: (كل ميسر لما خلق له)وتابعه غندر،والحدّى عن شعبة .

وقال الله تعالى : (واختلاف ألسنتكم وألوانكم) [الروم/٢٢] قال أبو عبد الله : وبين النبى صلى الله عليه وسلم، أن ذكر الله هو العمل .

حدثنا على ، ثنا الوليد بن مسلم ، حدثنى ابن ثوبان ، حدثنى أبى ، عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن يخامر قال : سمعت معاذ بن جبل رضى الله عنه يقول : إن آخر كلمة فارقت عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت يارسول الله ، أى الاعمال أحب إلى الله أو أفضل ؟ قال : أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله .

حدثنا آدم : ثنا شعبة ، حدثنا أبو إياس، سمعت عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم، وهو على ناقته أو جمله ، وهى تسير به وهو يقرأ سورة الفتح ، أو من سورة الفتح قراءة لينة ، وهو يرجع .

حدثنا مسلم : ثنا شعبة ، ثنا معاوية بن قرة ،عن عبد الله بن مغفل رضى الله

عنه . قرأ النبي صلى الله عليه وسلم، يوم فتح مكة سورة الفتح ، فرجع فيها . وقال معاوية : لو شئت أن أحكي لكم قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفعلت .

حدثنا أبو الوليد، ثنا شعبة بهذا . وقال أبو عبد الله : وسئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الناس أحسن قراءة ؟ قال : الذي إذا سمعته رئت عليه أنه يخشى الله عز وجل .

ويذكر عن سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : خير الذكر الخفيّ ، وقال : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) [الأعراف/٥٥] وقال:(واذكر ربك في نفسك تضرّعا وخيفة ودون الجهر من القول)[الأعراف/٢٠٥] . وسمع معاذ القارىء يرفع صوته بالقرآن فقال : (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) [لقمان/١٩] :

حدثنا مسدد ، ثنا معتمر، سمعت أبي، سمعت أبا عثمان يقول : ماسمعت صنجاقط ولا بربطا ولا مزمارا أحسن صوتا من أبي موسى إلا فلانا ان كان ليصلي بنا فنود أنه قرأ البقرة من حسن صوته .

ويذكر عن عبد الرحمن بن غنيم، عن معاذ رضي الله عنه، أنه قال : يارسول الله أنؤخذ بما نقول كله (١) ويكتب علينا ؟ قال : وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصايد الألسنة .

وقال أحمد بن صالح، عن ابن وهب أ : حدثني بو هانى عن عمرو بن، مالك، عن فضالة بن عبيد ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا مانطقت به ألسنتهم . قال أبو عبد الله : فبين النبي صلى الله عليه وسلم : أن أصوات الخلق وقراءاتهم ودراستهم

---

(١) في نسخة : كلمة .

وتعليمهم وألسنتهم مختلفة، بعضها أحسن، وأزين، وأحلى .وأصوت ، وأرتل ،والحن ، وأعلى، وأخف . وأغض، وأخشع . وقال : (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا)[طه / ١٠٨] وأجهر، وأخفى، وأمهر ، وأمد ،وألين، وأخفض من بعض .

حدثنا آدم ،ثنا شعبة،عن قتادة،عن زرارة،عن سعد بن هشام،عن عائشة رضى الله عنها،عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة،والذى يشتد عليه،له أجران):

حدثنا مسلم ، ثنا جرير بن حازم ، ثنا قتادة قال : سألت أنس بن مالك رضى الله عنه،عن قراءة النبى صلى الله عليه وسلم،فقال : كان يمدّ مدّا .

حدثنا سليمان بن حرب ،وأبو النعمان قالا : ثنا جرير ، مثله .وقال : يمدّ صوته مداً .

حدثنا عمرو بن عاصم ، ثنا همام،عن قتاده : سئل أنس رضى الله عنه ، كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؟فقال : كانت مداً ، ثم قرأ بسم الله يمد بسم الله ويمد الرحمن،ويمدّ الرحيم .

حدثنا محمد بن يوسف ، ثنا إسرائيل،عن زياد بن علاقة ، عن قطبة بن مالك رضى الله عنه،عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قرأ فى الفجر (والنخل باسقات لها طلع نضيد)[قٓ/١٠] يمد بها صوته .

وقال أبو عبد الله : فأما المتلو فقول الله الذى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى / ١١] وقال : (هـذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) [الجاثية/٢٩] .

وقال عبد الله بن عمرو [1]رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم : (يمثل

(١) فى نسخة : عمر .

القرآن يوم القيامة رجلا فيشفع لصاحبه) حدثنيه زهير بن حرب ، ثنا يعقوب ابن إبراهيم، ثنا أبي، عن ابن إسحق ، وحدثني عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله ابن عمرو، عن أبيه، عن جده ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بهذا .

قال أبو عبد الله : وهو اكتسابه وفعله .

قال الله : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) [الزلزلة/٨] .

وقال جرير بن حازم ، عن الحسن ، عن صعصعة عم الفرزدق ، أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرأ (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فقلت : حسبي قد علمت فيم الخير وفيم الشر . وقال ابن مسعود : إنا إذا حدثناكم أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله ، وقد دخل في ذلك قراءة القرآن وغيرها . وقد بين الله قولا للمخلوقين حين قال (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) [الملك/٢] فأخبر أن العمل من الحياة ثم بين خلقه فقال : (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) [الملك/١٤] مع أن الجهمية والمعطلة إنما ينازعون أهل العلم على قول الله . إن الله لا يتكلم، وإن تكلم فكلامه خلق : فقالوا : إن القرآن المقروء بعلم الله مخلوق ، فلم يميزوا بين تلاوة العباد وبين المقروء ، وقد رفع أبو بكر صوته بقوله : (أتقتلون رجلا) [غافر/٢٨] .

حدثني ابن عياش بن الوليد الرقام ، ثنا عبد الأعلى ، ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : ما علمت قريشا هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم إلا يوما ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فاختطفه، ثم رفع صوته فقال (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم البينات من ربكم) الآية فقال : والذي نفسي بيده ، لقد أرسلني ربي إليكم

بالذبح ، فقال أبو جهل : يامحمد ما كنت جهر لا[١] . فقال : وأنت فيهم ، وقال الأعمش ، عن أبى سفيان عن أنس رضى الله عنه : فقام أبو بكر ، فجعل ينادى : ويلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) .

روى عبد الله بن عمرو وأسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو عبد الله : فالمقروء هو كلام الرب الذى قال لموسى (إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى) [طه / ١٤] ، إلا المعتزلة فإنهم ادعوا أن فعل الله مخلوق ، وأن أفعال العباد غير مخلوقة ، وهـذا خلاف علم المسلمين إلا من تعلق من البصريين بكلام سنسوية ، كان مجوسيا فادعى الإسلام ، فقال الحسن : أهلـكتهم العجمة .

حدثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن ابن[٢] زيد النهيرى ، عن الحسن ، وقال همام عن قتادة : كانت العرب يثبت [٣] القدر فى الجاهلية والإسلام قال الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فذكر إبلاغ ما أنزل إليه ، ثم ذكر فعـل تبليغ الرسالة فقال : (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) فسمى تبليغه الرسالة وتركه فعلا ، فلايمكن لأحد أن يقول:على الرسول : أنه لم يفعل ما أمر به من الرسالة .

حدثناعلى ، ثنا يحى بن سعيد ، ثنا الفضيل بن غزوان ، ثنا عكرمة ، عن بن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر ، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : (اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟) قال ابن عباس : والذى نفسى بيده إنها لوصية إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب .

وحدثنا على ، ثنا سفيان ، ثنا أبو الزعراء ، سمعه من عمه أبى الأحوص ، عن

---

(١) كذا فى الاصل . وقد عاق على الهامش بـ : هكذا فى النسخ .

(٢) فى نسخة : أبى . (٣) كذا فى الأصل .

أبيه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصعد فىّ النظر وصوّب قلت : إلى م تدعو ؟ وعما تنهى ؟ قال : لا شيء إلا الله والرحم . قال : أتتنى رسالة من ربى فضقت بها ذرعا ورويت(١) أن الناس سيكذبونى، فقيل لى : لتفعلن أو ليفعلن بك. وقال أبو هريرة رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم : بلغوا عنى ولو آية وقال الزهرى: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم. قال أبو عبد الله: وانتحل نفر هذا الكلام، فافترقوا على أنواع لا أحصيها من غير بصر، ولا تقليد يصح، فأضل بعضهم بعضاً ، جهلا بلا حجة ، أو ذكر إسناد وكله (٢) من عند غير الله إلاّ من رحم ربك فوجدوا فيه اختلافاً كثيراً . وإذا أراد الله أن يلبسهم شيعاً ، ويذيق بعضهم بأس بعض، فلا مردّ له، فهم فى ريبهم يترددون .

كما حدثنى الأويسى، عن ابن أبى الزناد، عن أبيه : لا تقيمون(٣) على أمر وإن أعجبهم ، إلا نقلهم الجدل إلى أمر سواه ، فهم كل يوم فى شبهة جديدة ، ودين ضلال .

حدثنا أبو النعمان، ثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر رضى الله عنه قال : لما نزلت (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) [الأنعام / ٦٥] قال النبي صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك، قال : (أو من تحت أرجلكم) [الأنعام / ٦٥] قال: أعوذ بوجهك . قال : (أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض)[الأنعام / ٦٥] قال : هذا هو أهون ، أو هذا أيسر .

قال أبو عبد الله : وحرم الله جل وعز أهل الأهواء كلهم ، أن يجدوا عن أشياعهم، أو بأسانيدهم، حكما من أحكام الرسول، أو فرضاً أو سنة من سنن المرسلين

---

(١) كذا فى الاصل : ولعله : رأيت .

(٢) فى نسخة كلمة .

(٣) كذا فى الأصل . ولعله : لا يقيمون .

إلا ما يعتلون بأهل الحديث ، إذ بدا لهم ،كالذين جعلوا القرآن عضين، فآمنوا ببعض، وكفروا ببعض ، فمن رد بعض السنن، مما نقله أهل العلم ،فيلزمه أن يرد باقى السنن ، حتى يتخلى عن السنن والكتاب ، وأمر الإسلام أجمع ، والبيان فى هذا كثير .

قال الخليل بن أحمد : يقلل الكلام ليحفظ ، ويكثر ليفهم ، ونحن على قول عمر حيث يقول : إنى قائل مقالة قدر لى أن أقولها ، فمن عقلها ورعاها فليحدث بها حيث تنتهى به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها ، فإنى لا أحل له أن يكذب علىّ .

حدثنى به يحيى بن سليمان، عن ابن وهب، عن مالك، ويونس، عن بن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، عن عمر رضى الله عنه أنه قال ذلك .

قال الله : (ولا تقف ماليس لك به علم) [الإسراء / ٣٦] هدانا وإياكم الصراط المستقيم وجنبنا (الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) [آل عمران / ١٠٥] . وقال أبى بن كعب : (بغيا بينهم) [البقرة / ٢١٣] بغيا على الدنيا ، وطلب ملكها وزخرفها وزينتها ، أيهم يكون له الملك والمهابة فى فى الناس، فبغى بعضهم على بعض، وضرب بعضهم رقاب بعض، (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) [البقرة / ٢١٣] قاموا على ما جاءت به الرسل ، وأقاموا الصلاة ، وأتوا الزكاة ، واعتزلوا الاختلاف ، وكانوا شهداء على الناس ، يوم القيامة،إن رسلهم قد بلغتهم ، وأنهم قد كذبوا رسلهم .

حدثنا إسماعيل بن أبى أويس ، حدثنى كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه، عن جده، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) [آل عمران / ١٠٣] ، (ولا تكونوا كالذين اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) [آل عمران / ١٠٣] .

حدثنا محمد ، أنا عبد الله ، أنا محمد بن بشار، عن قتادة، عن صفوان بن محرز

عن بن عمر رضى الله عنهما قال : بينما أنا أمشى معه إذ جاءه رجل فقال : يا ابن عمر ، كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فى النجوى ؟ قال : سمعته يقول : يدنو المؤمن من ربه حتى يضعه[1] عليه كنفه . قال : فذكر صحيفة فيقرره بذنوبه هل تعرف ؟ فيقول : رب أعرف ، حتى يبلغ به ما شاء أن يبلغ فيقول : إنى سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته . وأما الكافر فينادى على رؤوس الأشهاد قال الله : (ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) [هود / ١٨] . قال ابن المبارك كنفه يعنى ستره .

حدثنا مسلم ، ثنا أبان ، ثنا قتادة ، عن صفوان بن محرز ، بينا أنا مع ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ،

حدثنا مسدد ، ثنا أبو عوانه ، عن قتادة ، بهذا .

حدثنا مسدد ، ثنا يزيد بن زريع ، ثنا سعيد ، وهشام ، ثنا قتادة بهذا .

وقال آدم : ثنا شيبان ، ثنا قتادة ، ثنا صفوان بن محرز ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بهذا .

حدثنا موسى ، ثنا همام ، أخبرنى قتادة ، عن صفوان ، سمع ابن عمر رضى الله عنهما ، سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما الكافر والمنافق فيقول : (الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) [هود / ٨١] .

حدثنا محمد ، أخبرنا عبد الله عن حَيْوَةَ بن شريح ، حدثنى الوليد بن أبى الوليد أبو عثمان المدنى ، أن عقبة بن مسلم حدثه ، أن شفيا الأصبحى حدثه أنه دخل المدينة ، فإذا أبو هريرة رضى الله عنه فقال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) كذا فى الأصل : ولعله يضع .

قال : إذا كان يوم القيامة يقول : (للقارىء ألم أعلمك ماأنزلت على رسولى)
قال : بلى يارب : قال :فماذا عملت ؟ قال : كنت أقوم به أناءا لليل، وأناء النهار .
فيقول الله : كذبت وتقول الملائكة : كذبت ، ويقول الله : بل أردت أن يقال :
فلان قارىء وقد قيل ذلك : قال أبو عثمان : أخبرنى العلاء بن حكيم ، قال معاوية:
صدق الله ورسوله :(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها
وهم فيها لايبخسون - إلى -وباطل ما كانوا يعملون) [هود/١٥] .

قال أبو عبد الله : ومما يقوى قول الشعبي فى بيع المصاحف ، أنه إنما يبيع عمل
يديه،قول زياد بن لبيد رضى الله عنه،للنبى صلى الله عليه وسلم : كيف يرفع العلم
وقد أثبت،ووعته القلوب ؟

حدثنا ابن عبد الله بن صالح ، ثنا الليث،عن إبراهيم بن أبى عيلة عن الوليد
ابن عبد الرحمن الجرشي ، عن جبير بن نفير ، حدثنى عوف بن مالك الأشجعى رضى
الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم نظرا إلى السماء يوما فقال : هذا أوان يرفع
العلم . فقال له رجل من الانصار،يقال له زياد بن لبيد : يارسول الله كيف يرفع
العلم وقد أثبت ووعته القلوب ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إن كنت
لاحسبك من أفقه أهل المدينة،ثم ذكر له ضلالة اليهود والنصارى على ما فى أيديهم
من كتاب الله ، فلقيت شداد بن أوس بحديث عوف فقال : ألا أخبرك بأول ذلك
يرفع ؟ قلت : بلى ، قال : الخشوع حتى لاترى خاشعا .

حدثنى يحيى بن بكير ، ثنا الليث بهذا .

حدثنا خطاب بن عثمان ، ثنا محمد بن حمير ، عن إبراهيم بن أبى عيلة،عن الوليد
ابن عبد الرحمن،عن جبير بن نفير،عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : بينما نحن
جلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم نحوه فقال زياد : كيف يرفع العلم وفينا
كتاب الله،وقد علمنا أبناءنا ونساءنا ؟

حدثنا عبد الله بن موسى، عن الأعمش ،عن أبى وائل،قال: كنت مع أبى موسى

وعبد الله رضى الله عنهما فقالا : قال النبى صلى الله عليه وسلم : بين يـدى الساعة أيام ، ينزل فيه الجهل ، ويرفع فيه العلم .

حدثنا مسدد ، ثنا عبدالوارث ، عن أبى التياح ، عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أشراط الساعة أن يرفع العلم .

حدثنا مسدد ، ثنا يحيى ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، وأن يظهر الجهل .

حدثنا مسلم ، ثنا هشام ، ثنا قتادة مثله ، ورواه ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم . وروى حميد بن عبد الرحمن ، وأبو سلمة ، ويزيد بن الأصم ، وعبد الرحمن بن يعقوب ، وأبو يونس ، وعياض بن دينار ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه . وقال عمر : أبى اقرأنا ، وأنا لندع كثيرا عن لحن أبى . قال سفيان عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله .

حدثنا عمر بن مرزوق ، أنبأ شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) [الاسراء / ١١٠] قال نزلت بمكة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا رفع صوته بالقرآن ، سبوا من أنزله ، ومن جاء به ، ولا تخافت بها عن أصحابك حتى تأخذوا(١) عنك .

حدثنا عمرو بن على ، ثنا أبو داود ، ثنا شعبة عن أبى بشر ، عن سعيد ، عن ابن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته بالقرآن سب المشركون

---

(١) كذا فى الأصل : ولعله : يأخذوا .

القرآن ، ومن جاء به،فلا يحب (١) ذلك المسلمون ، وإذا خفض،اشتد ذلك على أصحابه،فأنزل الله تعالى:(ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) .

حدثنا عمرو بن زرارة ، حدثنى هشيم ، أنبأ أبو بشر،عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما :(ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها) قال : نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة ، وكان إذا صلى بأصحابه،رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله ،ومن جاء به ، فقال الله لنبيه: (لاتجهر بصلاتك) أى بقراءتك، فيسمع المشركون،فيسبوا القرآن. (ولا تخافت بها) عن أصحابك، أى بقراءتك ، فلا تسمعهم .(وابتغ بين ذلك سبيلا) [الاسراء/ ١١٠] رواه الأعمش،عن جعفر بن إياس .

حدثنا عمرو بن زرارة،أنا زياد،عن محمد بن إسحق، حدثنى داود بن الحصين أن عكرمة مولى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم قال : إنما نزلت هذه الآية (ولاتجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) من أجل أولئك، يقول: لاتجهر بصلاتك ليتفرقوا عنك،ولا تخافت بها ، فلا يسمعها من يحب أن يسمعها،ممن يسترق ذلك دونهم، لعله أن يرعوى إلى بعض مايسمع فينتفع به .

حدثنا عمرو بن خالد، ثنا محمد بن سلمة،عن ابن إسحاق،عن داود بن الحصين، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة إذا صلى جهر بالقراءة ، فكان المشركون يطردون عنه الناس ، وقالوا : (لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) [فصلت/ ٢٦] . وإذا أخفى قراءته ،لم يسمع ذلك من يشتهى أن يسمعه ، فأنزل الله : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) الآية :

حدثنا إسحق ، ثنا أبو هشام المخزومى ، ثنا سعيد بن زيد،عن عمرو بن مالك

---

(١) فى الأصل : يجب .

عن أبي الجوزاء ، عن عائشة رضى الله عنها : (ولاتجهر بصلاتك) قال : فسمعه المشركون فجاءوا اليه فنالوا منه ، فأنزل الله : (قل ادعو الله أو ادعو الرحمن - إلى قوله - سبيلا) [الاسراء] .

حدثنا محمد بن موسى القطان ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبأ سعيد بن زيد، حدثنا عمرو بن مالك النكرى ، عن أبى الجوزاء أوس بن عبد الله الربعى ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيت ،فجهر بالدعاء فجعل يقول: (ياالله يارحمن،فسمعته أهل مكة،فأقبلوا عليه ، فأنزل الله (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ماتدعوا فله الأسماء الحسنى) [الاسراء/١١٠] إلى آخر الآية .

حدثنا عبيد الله ، حدثنى الليث ، حدثنى عقيل،عن ابن شهاب ، أخبرنى عروة ابن الزبير،أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : لم أعقل أبوى إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر عليهما يوم إلا يأتينا ، فيه رسول الله صلى عليه وسلم بكرة وعشية،فذكر الحديث : فلم يكذب قريش لجوار بن الدغنه وقالوا: مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره،وليقرأ ماشاء،ولايؤذينا بذلك ولا يستعلن به .

حدثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث،عن خالد،عن سعيد،عن مخرق بن سليمان ، أن كريبا مولى ابن عباس أخبره قال : سألت ابن عباس رضى الله عنهما كيف كانت صلاة رسول الله صلى عليه وسلم بالليل ؟ قال : كان يقرأ فى بعض حجره فيسمع قراءته من كان خارجا .

حدثنا قتيبة ، ثنا الليث،عن معاوية بن صالح ،عن عبد الله بن أبى قيس، قال : سألت عائشة رضى الله عنها عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : كيف كان قراءته ؟ أكان يسر بالقرآن أم يجهر ؟ قالت : ربما كان يسر وربما جهر .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عوانة ، ثنا موسى بن أبى عائشة ، ثنا سعيد ابن جبير،عن ابن عباس رضى الله عنهما ، (ولا تحرك به لسانك لتعجل به) [١٦/القيامة] قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفتيه ، فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما . وقال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه ، فأنزل الله (لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه فى صدرك ونقرأه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) قال : فاستمع له، وأنصت ثم (إن علينا بيانه) أن علينا أن نقرأه . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا أنطلق جبريل قرأه النبى صلى الله عليه وسلم، كما قرأه .

حدثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا أبو عوانه،وجرير،عن موسى بن أبى عائشة،عن سعيد ابن جبير،عن ابن عباس رضى الله عنهما بهذا .

حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن ، اسرائيل ، عن موسى بن أبى عائشة أنه سأل سعيد بن جبير ،عن قوله تعالى (لا تحرك به لسانك) فقال : قال ابن عباس رضى الله عنهما : كان يحرك لسانه إذا أنزل عليه ، فقيل له :(لا تحرك به لسانك) تخشى أن ينفلت ،ثم (إن علينا جمعه) ثم اجمعه فى صدرك وقراءته ، (فإذا قرأناه) يقول : أنزل عليه (فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) أن نثبته على لسانك .

حدثنا الحميدى ، ثنا سفيان ، ثنا موسى ، وكان ثقة، عن سعيد ،عن ابن عباس رضى الله عنهما ، كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا نزل به الوحى حرك به لسانه ، ووصف سفيان يريد أن يحفظه ، فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك

لتعجل به)وقال أبو عاصم : أنبا شعيب ،لقيته بمكة ،ثنا عكرمة، عن ابن عباس ، (لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) فاتبع بحمله، وتفهم مافيه .

حدثنا إبراهيم بن حمزة ،ثنا ابن أبى حازم، عن يزيد ،عن محمد،عن أبى سلمة ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : اقرأ فى سبع ولا تنثره .

[آخر الجزء الأول]

الجزء الثانى

من كتاب أفعال العباد

والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل

للبخارى (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حدثنا عبيد بن يعيش قال : ثنا يونس بن بكير ، ثنا محمد بن إسحق عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء سبايا ، فنمت فى مسجد بعد العصر ، وأنا على شركى ، فوالله ما أنبهنى إلا قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المغرب : (الطور وكتاب مسطور) [الطور / ١] . قال أبو عبد الله : ولقد بين نعيم بن حماد(٢) أن كلام الرب ليس بخلق ، وأن العرب لا تعرف الحى من الميت إلا بالفعل ، فمن كان له فعل فهو حى ، ومن لم يكن له فعل فهو ميت . وإن أفعال العباد مخلوقة ، فضيق عليه حتى مضى لسبيله ، وتوجع أهل العلم لما نزل به . وفى اتفاق المسلمين دليل على أن نعيما ومن نحا نحوه ليس بمفارق ولا مبتدع ، بل البدع والرئيس(٣) بالجهل بغيرهم أولى ، إذ يفتون بالآراء المختلفة ، مما لم يأذن به الله .

---

(١) هذا العنوان على الهامش .

(٢) كان نعيم بن حماد الخزاعى المروزى الحافظ امتحن بخلق القرآن فلم يقل بخلقه فسجن إلى أن مات محبوساً سنة ٢٢٩ هـ . قال الذهبى : له غلطات ومناكير فى كثرة ما روى (الذهبى العبر جـ ١ ص ٤٠٥) ولكن البخارى هنا شهد له بالبراءة من البدعة ، ومن مخالفة السنة .

(٣) كذا فى الأصل .

حدثنا أحمد بن يونس قال : ثنا زهير قال : ثنا عبد العزيز بن رفيع قال : ثنا شداد بن معقل قال : قال عبد الله : إن هذا القرآن الذى ظهر بكم يوشك أن ينزع منكم، قلت : ياعبد الله بن مسعود ، كيف ينزع منا وقد أثبته الله فى قلوبنا وأثبتناه فى مصاحفنا ؟ قال : يسرى فى ليلة ، فينتزع ما فى القلوب ، ويذهب بما فى المصاحف . ثم تلا (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) [الإسراء / ٨٦] .

حدثنا الحميدى قال سفيان ، قال : ثنا عبد العزيز بهذا قال سفيان : (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) [الإسراء / ٨٦] . لا تجد أحداً يتوكل لك أن لا يذهب به .

حدثنا إسماعيل قال : حدثنى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله لا ينزع العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ولكن ينزع العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً ، اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا .

حدثنا محمد بن سنان قال : ثنا همام عن قتاده عن يزيد بن عبد الله بن الشخيرى والعلاء بن زياد، وعقبة ورجل آخر عن عياض بن حماد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله أوحى إلىّ (أنزلت عليك كتابا لا يغله الماء يقرأه نائما ويقظانا) وقد أمر عثمان زيد بن ثابت أن ينسخ المصاحف ، ثم حرق سائر المصاحف .

حدثنا أبو اليمان قال : أنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى أنس عن عمر ، بنحوه .

حدثنا محمد بن المثنى قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال : ثنا شعبة عن ابن إسحاق عن مصعب بن سعد قال : أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين شقق عثمان المصاحف قال : فأعجب أو قال لم يعب ذلك منهم أحد .

حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثنا عبد الرحمن قال : أخبرنى أنس عن عثمان نحوه .

حدثنا المكى بن إبراهيم قال : حدثنا سعيد عن قتادة عن ،زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال : سألت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن .

حدثنا عبد الله ، حدثنى معاوية عن سليم بن عامر عن أبى إمامة الباهلى رضى الله عنه قال : اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة، فإن الله لا يعذب قلبا وعى القرآن .

حدثنا إسماعيل ، حدثنى مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو .

حدثنا أحمد بن خالد عن أبى إسحق عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو قال أبو عبد الله وتابعه محمد بن بشر عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إنى سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم وقال ابن عباس رضى الله عنهما : أى القراء تعدون أول ؟

حدثنى يحى ، ثنا أبومعاوية عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أى القراءة تعدون أول ؟ قلنا : قراءة عبدالله. قال: لا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض عليه القرآن فى كل رمضان مرة إلا العام الذى قبض فيه فإنه عرض عليه القرآن مرتين ، فحضره عبد الله فشهد ما نسخ منه وما بدل ورواه زائدة عن يعلى عن الأعمش .

حدثنا عثمان ، عن جرير عن حصين بن عبد الرحمن عن مرة قال : أتيت منزل

ابن مسعود أطلبه ، فقيل لى : هو عند أبى موسى ، فأتيت أبا موسى فاذا هو وحذيفة وهو يقول لحذيفة : إنك صاحب الحديث : قال أجل كرهت أن يقال قراءة فلان وقراءة فلان ، فبيّن أن قراءة القارىء سوى القرآن قال أبو عبد الله : ومما بين ذلك ما حدثنى به يوسف بن محمد ، حدثنى يحي بن سليم عن ابن خيثم عن عبيد الله بن عياض القارى قال : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة رضى الله عنها ، ونحن عندها قال : لما بلغ علياما عيبوا عليه وفارقوه ،أمر فأذن مؤذن له أن لايدخل على أم المؤمنين إلاّ رجل قد حمل القرآن ، فلما امتلأت الدار من قراء الناس،وجاء بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فطفق يصكه بيده ويقول: أيها المصحف حدث الناس . فناداه الناس فقالوا : ياأمير المؤمنين ماذا تسأل عنه إنما هو مداد فى ورق ونحن نتكلم بما رأينا فيه فماذا تريد ؟ فقال : أصحابكم الذين حربوا بينى وبينكم كتاب الله عز وجل ، يقول الله جل وعز فى كتابه فى امرأة ورجل (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) [النساء/٣٥] بل إمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم حقا وحرمة من امرأة ورجل ، وساق الحديث ، قالت : صدق ، يكذبون عليه ويزيدون عليه .

حدثنا عمر بن حفص ، ثنا أبى ، ثنا الأعمش ، حدثنى شقيق ، قال :رأى عبد الله مصحفا مزينا بالذهب فقال : إن أحسن ما زين به المصحف فى الحق لتلاوته .

حدثنا محمد بن سلام ، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق قال : قال عبد الله : إن أحسن مازين به المصحف لتلاوته فى الحق .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى معاوية بن صالح عن ابن جبير قال : قدم علينا أبو جمعة الأنصارى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا : يارسول الله هل من أحد أعظم منا أجراً، آمنا بك

واتبعناك ؟ قال : وما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم ، يأتيكم بالوحى من السماء ؟بل قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به ويعملون بما فيه ، أولئك أعظم منكم أجرا .

ماجاء فى قول الله عز وجل :

(بلغ ماأنزال إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) [المائدة/٦٧] وقول النبي صلى الله عليه وسلم : بلغوا عنى ولو آية ، وليبلغ الشاهد الغائب ، وان الوحى قد انقطع . قال علىّ عن محمد بن بشر : حدثنا شعيب [بن أبى حمزة (١) . عن أبى معشر عن الشعبى عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : من زعم أن محمدا كتم شيئا من الوحى فقد أعظم على الله الفرية ، والله تعالى يقول : (بلغ ماأنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) . وقال صالح : (ياقوم لقد أبلغتم رسالة ربى) [الأعراف/٧٩] وقال شعيب(لقد أبلغتكم رسالات ربى) [الأعراف/٦٢] وقال تعالى:(ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) [الجن/٢٨] فبين الرسالة من الله والإبلاغ من الرسل .

حدثنا على بن عبد الله ، ثنا عمرو بن طلحة بن علقمة بن وقاص الليثى ، حدثنى عبد الله بن علقمة بن وقاص ، أخبرنى أبى عن عائشة رضى الله عنها أنها حدثته قالت : أتيت يهود يوما ليتأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلسوا على الباب حتى فزع رسول الله صلعم ثم إذن لهم فقالوا : ياأبا القاسم ، فعلت بناالبوم شيئا لم تكن تفعله، حبستنا بالباب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أمرنى ربى بكذا وأنزال علىّ كذا وأنزل كذا) قالوا : والذى أنزل التوراة على موسى إنا لنجد أمتك أسرع أمة من الأمم إجابة لنبيها صلى الله عليه وسلم ، وأوشك أمة من الامم انصرافا عن دينها .

---

(١) فى نسخة : سعيد بن أبى عروبة .

حدثنا على بن عبد الله ثنا يحي بن سعيد ، ثنا الفضيل بن غزوان ، ثنا عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال : أيها الناس أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام : قال : فأى بلدهذا؟ قالوا : بلد حرام . قال : فأى شهر هذا ؟ قالوا شهر حرام : قال : فإن دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا فأعادها ثلاث مرات . ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم هل بلغت : قال : ابن عباس رضى الله عنهما . والذى نفسى بيده إنها الوصية إلى أمته ، فليبلغ الشاهد الغائب لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، حدثنى شعيب عن ابن شريح أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح سمعته أذناى ووعاه قلبى وأبصرته عيناى حين تكلم به : حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ، ولا يعض بها شجرة فان أحد ترخص لقتال رسول الله صلعم فيها فقولوا له إن الله أذن لرسوله ولم ياذن لكم فإنما أذن لى ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب .

حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا أبو عامر ، ثنا قرة عن محمد بن سيرين ، أخبرنى عبد الرحمن بن أبى بكرة ، ورجل أفضل فى نفسى من عبد الرحمن حميد بن عبد الرحمن عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال : أتدرون أى يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه يسميه بغير اسمه . قال : أليست بالبلدة الحرام ؟ قلنا : بلى . قال : فإن دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب

مبلغ أوعى من سامع ، (لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) .

حدثنا مسدد ، ثنا يحي (١) ، حدثنى ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبى بكرة وعن رجل آخر هو فى نفسى أفضل من عبد الرحمن أبن أبى بكرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا وقال : ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ يبلغه من هو أوعى له ، فكان كذلك .

حدثنا أبو عاصم عن ربيعة بن عبد الرحمن قال : حدثتنى سراء ابنة نبهان رضى الله عنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ليبلغ أدنا كم أقصا كم ثلاثا .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا سفيان بن نشيط ، حدثنى عبد الكريم من بنى عقيل قال : خرجت حين قدم يزيد بن المهلب فررنا بالزجيج فإذا شيخ كبير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وأنا تحت جران ناقته قال : أيها الناس أتدرون أى شهر هذا ؟ هذا شهر حرام وبلد حرام ويوم حرام ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام بينكم كحرمة يومكم هذا الى يوم تلقونه. اللهم اشهد ، اللهم اشهد ثلاثا فليبلغ الشاهد الغائب فإذا هو العداء بن خالد العامرى رضى الله عنها .

حدثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، ثنا عتبة بن عبد الملك السهمى ، حدثنى زرارة بن كريم بن حارث بن عمرو السهمى ان الحارث بن عمرو السهمى حدثه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بهذا وقال : فليبلغ الشاهد الغائب .

حدثنا مكى بن إبراهيم ، ثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يبلغ شاهدكم غائبكم .

---

(١) فى نسخة : ثنا يحيى ، ثنا قرة .

حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا معن . ح . وحدثنا معاوية عن ربيعة ابن يزيد عن الصنابحى قال : دخلنا على عبادة بن الصامت رضى الله عنه فى مرضه فقال عبادة : من سرّه أن ينظر إلى رجل كأنما عرج به إلى السماء ثم هبط به إلى الأرض فهو يعمل مثل مارآه فلينظر إلى هذا . ولئن استطعت . ثم قال عبادة : وما تركت حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكم به إلا هذا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليبلغ الحاضر منكم الغائب ومن مات يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له فقد وجبت له الجنة .

حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ، ثنا الوليد بن مسلم . ثنا أبو محمد عيسى بن موسى عن إسماعيل بن عبيد الله عن قيس بن مسلم المدحجى أنه سمع عبادة بن الصامت رضى الله عنه يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنى محدثكم بحديث فليبلغ الحاضر منكم الغائب .

حدثنا سليمان بن حرب ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقمر قال : لما قتل علىّ وقام الحسن صعد المنبر ، وقام رجل فقال : أنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه فى حبوته وهو يقول : اللهم إنى أحبه فأحبه فليبلغ الشاهد الغائب ، ولولا غربة النبى صلى الله عليه وسلم ما حدثتكم . ثم سمعته بعد يحدث به فقال فيه : من أحبنى فليحبه .

أخبرنى عبد الله ، أخبرنى أبى عن شعبة بهذا ، فقام رجل من الأسد فقال : من أحبنى فليحبه .

حدثنا هشام بن عمار ، ثنا صدقة بن خالد ، ثنا أبو حفص عثمان بن أبى العاتكة ، حدثنى سليمان بن حبيب المحاربى قال : نزلنا حمص فذكر لنا أن أبا أمامة بها فدخلنا فإذا شيخ كبيرهمّ فقال : إن هذا المجلس من بلاغ الله إياكم . ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أرسل به وأنتم فبلغوا ما تسمعون منا .

حدثنا فضل بن يعقوب ، ثنا عبد الله بن جعفر الرقى ، ثنا معتمر بن سليمان ، ثنا سعيد بن عبيد الله الثقفى ، ثنا بكر بن عبد الله المزنى ، وزياد بن جبير عن جبير بن حية عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة فى نعيم لم ير مثلها ، ومن بقى منا ملك رقابكم ، قال ذلك لعامل كسرى .

حدثنا عمرو بن زرارة ، ثنا زياد ثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد عن جبير عن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس رضى الله عنها ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماجئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ، ولكن بعثنى الله إليكم رسولا وأنزل علىّ كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

حدثنا محمد بن الحكم ، ثنا النضر بن شميل ، ثنا إسرائيل ، ثنا سعد الطائى ، ثنا محمد (١) بن خليفة عن عدى بن حاتم قال : بينا أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليلقين الله أحدكم فيقول له ألم أبعث إليك رسولا فبلغك ؟

حدثنا أبو غسان ، ثنا زهير ، ثنا الأسود بن قيس ، حدثنى ثعلبة بن عباد من أهل البصرة وأنه شهد خطبة لسمرة بن جندب رضى الله عنه قال : وافقنا النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى الناس فصلى وذكر الكسوف وقال : إنما أنا بشر رسول فاذكركم بالله إن كنتم تعلمون أنى قصرت فى شىء من تبليغ رسالات ربى : قالوا : نشهد أنك بلغت رسالات ربك وأديت الذى عليك .

حدثنا حبان ، أنبأ عبد الله عن سفيان عن أسود بن قيس عن ثعلبة ابن عباد

---

(١) فى الأصل : محل .

العبدى ، سمعت ابن جندب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن كنتم تعلمون أنى قصرّت عن تبليغ شيء من رسالات ربى ، فقالوا نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك .

حدثنا يحي ، ثنا وكيع عن سفيان عن عبد الرحمن بن علقمة عن ابن عباس رضى الله عنهما (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) [البقرة/٧٩] قال: نزلت فى أهل الكتاب .

حدثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب عن الزهرى ، أخبرنى عبد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يامعشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله محضا لم يشب ؟ قد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتاب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب قالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، أولا ينها كم ماجاءكم من العلم عن مسئلتهم ؟ فلا والله مارأينا رجلا منهم يسألكم عن الذى أنزل عليكم . قال أبو عبد الله : ورواه يونس ومعمر وإبراهيم بن سعد عن الزهرى .

حدثنا عمرو بن زرارة ثنا زياد عن محمد بن إسحاق حدثنى مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وساق الحديث . وقد حرم الله عليهم فى التوراة سفك دمائهم وكانوا فريقين حين تسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ماعليهم ومالهم .

حدثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب عن الزهرى ، أخبرنى حميد بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : إن ناسا كانوا يأخذون بالوحى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الوحى قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء يحاسبه فى سريرته ، ومن أظهر لنا شرا لم

نأمنه ، ولم نصدقه ، وإن قال إن سريرته حسنة ، قال أبو عبد الله : تابعه عثمان ابن صالح ح ، وحدثنا ابن وهب ، أخبرنى يونس ، ورواه سلامة ، عن عقيل .

حدثنا عمرو بن زرارة ، حدثنا عبد الوارث ، عن سعيد ، عن قتادة (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) [البقرة / ١٤٦] ، يعرفون أن الإسلام دين الله ، وأن محمداً رسول الله ، مكتوب عندهم فى التوراة والانجيل . قال أبو عبد الله : وقال ابن عيينة فى قوله تعالى : (وتعيها أذن واعية) [الحاقة / ١٢] . أذن وعت عن الله عز وجل .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل الحرث بن هشام رضى الله عنه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف يأتيك الوحى ؟ قال : أحياناً مثل صلصلة الجرس ، وهو أشد علىّ فيفصم عنى ، وقد وعيت ما قال . وأحياناً يتمثل لى الملك فيكلمنى فأعى ما يقول . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وأن جبينه ليتفصد عرقاً .

حدثنا إسماعيل ، ثنا مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أحيانا يتمثل لى الملك فأعى ما يقول ، مثله .

حدثنا فروة بن أبى المغراء ، ثنا على بن مسهر ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يتمثل لى الملك أحيانا رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول ، ويأتينى أحياناً مثل صلصلة الجرس فيفصم عنى وقد وعيت . بهذا : حدثنا مالك بن إسماعيل ، ثنا ابن عيينة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل الحرث بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف ينزل عليك الوحى ؟ قال مثل صلصلة الجرس فيفصم عنى أحيانا وقد وعيته عنه .

باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر ويرويه عن ربه عز وجل

حدثنا يحي بن بشر ، ثنا روح ، ثنا زهير بن محمد ، ثنا بن أسلم ، عن أبى صالح ، عن أبى زهرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه قال : (من تقرب إلىّ شبراً تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا) .

حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، ثنا سعد بن الربيع ، ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه قال : (إذا تقرب إلى العبد شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإذا تقرب ذراعا تقربت منه باعا ، وإن أتانى مشيا أتيته هرولة) .

حدثنا آدم ، ثنا شعبة ، ثنا محمد بن زياد ، سمعت أبا هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربكم عز وجل قال : (لكل عمل كفارة والصوم لى وأنا أجزى به ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) .

حدثنا حفص بن عمر ، ثنا شعبة ، عن محمد بن زياد ، قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربكم مثله .

حدثنا حجاج ، ثنا شعبة ، أخبرنى محمد بن زياد ، قال : سمعت أباهريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربكم مثله .

حدثنا مسلم وسليمان قالا : ثنا شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذا .

حدثنى موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، عن أبى رافع ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم يحكى عن ربه .

حدثنا حفص بن عمر ، ثنا همام ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال : إن الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها كالرزق فى الدنيا ، وأما الكافر فيعطى حسناته فى الدنيا حتى إذا قضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها .

حدثنا عمرو بن على ، ثنا عمرو بن على بن المقدم ، ثنا موسى بن المسيب قال : سمعت سالم بن أبى الجعد يذكر عن المعرور بن سويد عن أبى ذر رضى الله عن النبى صلى الله عليه وسلم يرويه ، عن ربه عز وجل قال : يا ابن آدم إنك إن تأتينى[1] بقراب الأرض خطيئة بعد أن لا تشرك بى شيئا جعلت قرابها مغفرة ولا أبالى .

حدثنا محمد بن أبى بكر ، ثنا عمر بن على بهذا . قال النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل .

حدثنا موسى ، ثنا حماد ، عن محمد بن إسحق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل قال : استقرضت من ابن آدم فلم يقرضنى وشتمنى ، يقول وادهراه ، والله هو الدهر ، وكل شىء من ابن آدم يأكله التراب إلا عجب ذنبه فإنه يخلق عليه حتى يبعث منه .

حدثنا الحميدى ، ثنا الوليد ، ثنا ابن جابر الأوزاعى قالا : ثنا إسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر قال : سمعت أبا كريمة يقول : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله : أنا مع عبدى ماذكرنى ، وتحركت بى شفتاه . ويذكر عن إبراهيم ، أو مجاهد فى قوله : (والذى جاء بالصدق وصدق به) [الزمر/٢٣] قال : هم أهل القرآن إذ عملوا به .

---

(١) كذا فى الأصل .

باب ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره

وقال نعيم : لا يستعاذ بالمخلوق ، ولا بكلام العباد والجن والإنس ، والملائكة، وفى هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق ، وأن سواه خلق . قال أحمد بن خالد : ثنا محمد بن إسماعيل (١) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان الوليد بن الوليد رجل (٢) يفزع فى منامه ، وذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : النبى صلى الله عليه أوسلم : إذا اضطجعت للنوم فقل : بسم الله ، عوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون فقالها فذهب . ذلك عنه

وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، من بلغ من بنيه علمه إياهن ،ومن كان منهم صغيرا لا يعيها كتبها وعلقها فى عنقه .

حدثنا بو أيعفور عبد الله بن أصالح ، حدثنى الليث ، حدثنى يزيد بن بى حبيب عن الحارث بن يعقوب عن يعقوب بن عبد الله أنه سمع بشير بن سعد يقول : سمعت سعد بن أبى وقاص يقول : سمعت حولة بنت حكيم تقول : كان رسول الله صلى الله أعليه وسلم يقول : من نزل منزلا فقال : عوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق : لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث مثله .

حدثنا دم ، ثنا آالليث عن يزيد نحوه .

---

(١) فى نسخة : إسحق .

(٢) كذا بالاصل .

حدثنا قتيبة ، ثنا الليث عن يزيد وقص الحديث .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا مالك وعبد الله بن مسلمة عن مالك عن سهيل ابن أبى صالح السمان عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا من أسلم قال: مانمت هذه الليلة، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : من أى شىء ؟ قال : لدغتنى عقرب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنك لوقلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق،لم يضرك إن شاء الله تعالى .

حدثنا عياش ، ثنا عبد الأعلى ، ثنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما بمثل هذا .

حدثنا أصبغ ، أخبرنى ابن وهب عن جرير بن حازم عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا. حدثنا سعيد بن تليد الرعينى حدثنى ابن وهب ثنى سعيد بن عبد الرحمن الجمحى عن سهيل بهذا . حدثنا أصبغ أخبرنى ابن وهب عن سعيد نحوه ورواه هشام بن حسان ومحمد بن رفاعة عن سهيل عن أبيه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بهذا .

وقال الزهرى. أخبرنى طارق عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم، بهذا . ورواه شبل بن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بهذا . ويروى عن القعقاع عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا عثمان بن محمد ، ثنا جرير ، عن منصور المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول : إن أباكما كان يعوذ إسماعيل وإسحق أعيذكما بكلمات الله التامة (١) كلها من كل شيطان وهامة ،ومن كل عين لامة .

---

(١) فى نسخة : التامات .

حدثنا أصبغ ، ثنا أبن وهب عن سفيان الثورى بهذا .

حدثنا عثمان ، ثنا عمر بن عبد الرحمن الأبار ، ثنا الأعمش عن منصور عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعوذ حسنا وحسينا أعيذكما بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه .

حدثنا عبد الله بن ابى شيبه ، ثنا ابن فضيل عن الأعمش عن المنهال عن محمد ابن على قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بهذا ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اقرؤا القرآن ، ونهاهم أن يرفعوا أصواتهم إذا علوا مكانا .

حدثنى به أحمد بن إسحق ، ثنا الأنصارى ، ثنا التيمى عن أبى عثمان عن أبى موسى رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فرقينا فى عقبة أو فى ثنية قال : كان الرجل منا إذا علاها قال : لا إله الا الله والله اكبر : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنكم لاتنادون أصم ولا غائبا . قال : وهو على بغلته يعرضها فقال : يا أبا موسى أو ياعبد الله ألا أعلمك من كلمة كنوز الجنة ؟ . قال : بلى ، يارسول الله . قال : لاحول ولا قوة إلا بالله . ويذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب أن يكون الرجل خفيض الصوت ، ويكره أن يكون رفيع الصوت . وان الله عز وجل ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، فليس هذا لغير الله جل ذكره ، قال أبو عبد الله : وفى هذا دليل أن صوت الله لايشبه أصوات الخلق لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب ، وأن الملائكة يصعقون من صوته . فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا . وقال عز وجل : (فلا تجعلوا لله أندادا) [البقرة/٢٢] فليس لصفة الله ند ، ولا مثل ، ولا يوجد شىء من صفاته فى المخلوقين .

حدثنا به داود بن شبيب ، ثنا همام ، ثنا القاسم بن عبد الواحد ، حدثنى عبدالله ابن محمد بن عقيل أن جابر بن عبد الله حدثهم أنه سمع عبد الله بن أنيس رضى

الله عنه يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة واحد (١) من النار يطلبه بمظلمة .

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ، فيقول لبيك ربنا وسعديك ، فينادي بصوت أن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار ، قال : يارب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه . قال تسعمائة وتسعة وتسعين . فحينئذ تضع الحامل حملها (وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولـكن عذاب الله شديد)[الحج/٢] .

حدثنا عبد الله عن أبي حمزة عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق ، قال : من كان يحدثنا هذه الآية لولا ابن مسعود سألناه (حتى إذا فزع عن قلوبهم) [سبأ/٢٣] سمع أهل السموات صلصلة مثل صلصة السلسلة على الصفوان فيخرون (حتى إذا فزع عن قلوبهم) [سبأ/٢٣] سكن الصوت عرفوا أنه الوحي ، ونادوا (ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق) [سبأ/٢٣] .

حدثنا عمر بن حفص ، ثنا أبي ، ثنا الأعمش ، حدثني مسلم عن مسروق عن عبد الله ، بهذا .

حدثنا الحميدي ، ثنا سفيان ، ثنا عمرو قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا اقضى الله عز وجل الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا (فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم. قالوا الحق وهو العلي الـكبير) [سبأ/٢٣] .

---

(١) كذا في الأصل : وصوابه : واحدا .

وقال الحكم بن أبان : حدثنى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ، إذاقضى الله جل ذكره أمرا تكلم ، رجفت الارض والسماء والجبال وخرت الملائكة كلهم سجدا .

حدثنا عمرو بن زرارة ، ثنا زياد عن محمد بن الحسن ، حدثنى محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن شهاب الزهرى عن على بن حسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم عن عبد الله بن عباس عن نفر من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لهم ما تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به ؟ قالوا : كنا يارسول الله أنا نقول حين رأيناها يرمى بها : مات ملك ، ولد مولود ، مات مولود ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك كذلك ، ولكن الله إذا قضى فى خلقه أمرا يسمعه أهل العرش فيسبحوا فيسبح من تحتهم بتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك ، فلم يزل التسبيح ينهبط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا . ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم ؟ فيقولون : سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم فيقولون : أفلا تسألون من فوقكم مم سبحوا فيسألونهم فيقولون : قضى الله فى خلقه كذا وكذا ، الأمر الذى كان ، فينهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيتحدثون به فيسترقه الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف ، ثم يأتون به إلى الكهان من أهل الأرض فيحدثونهم فيخطئون ويصيبون ، فيحدث به الكهان ، ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين عن السماء بهذه النجوم ، وانقطعت الكهنة اليوم فلا كهانة .

حدثنا محمد بن كثير ، ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبى وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله ، أى الذنب أعظم ؟ قال : إن تجعل لله ندا وهو خلقك . قال : ثم أى؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يأكل معك . قال : قلت ثم أى ؟ : قال أن تزانى بحليلة جارك ، وأنزل الله عز وجل تصديق قول النبى صلى الله عليه وسلم : (والذين لايدعون مع الله إلها آخر) [الفرقان/٦٨] .

حدثنا مسدد ، ثنا يحي عن سفيان ، حدثنى منصور وسليمان ، عن أبى وائل ، نحوه .

حدثنا عثمان ، ثنا جرير عن منصور عن أبى وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله رضى الله عنه قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم؟ قال:أن تجعل لله ندا ، وهو خلقك .

حدثنا قتيبة ، ثنا جرير ، مثله .

حدثنا هناد ، ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة ، (ما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) [يوسف/١٠٦] قال يسألهم من خلق ؟ ومن خلق السموات والأرض ؟ فيقولون :الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره .

باب ما نقش النبى صلى الله عليه وسلم فى خاتمه من كتاب الله تعالى ، وما يدخل به الحاجة

قال أبو عبد الله : وفى الخواتيم والدراهم البيض ذكر الله جل ذكره .

وقال عطاء ، فى الخاتم : فيه ذكر الله عز وجل ، يدخل الإنسان الكنيف أو يلم بأهله وهو بيده لا بأس به .

وقال الحسن : ولا بأس أن يمس الدراهم البيض على غير وضوء . وأن يرفع المصحف من هاهنا فيضعه هاهنا . ويذكر عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه كان يمس الدراهم على غير وضوء .

وقال: أنبأنا عبدان ، أن عبد الله عن جرير عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يضع المصحف على فراشه الذى يحتلم فيه ويجامع ويعرق عليه ، وبال سعيد بن جبير ثم توضأ إلا رجليه ثم أخذ المصحف .

وقال طاووس فى الرجل يكون عليه المنطقة وفيها الدراهم : يقضى حاجته وهى عليه .

وقال إبراهيم : لابد للناس من نفقاتهم ، وأحب بعض التابعين أن لا يدخل الخلاء بالخاتم فيه ذكر الله .

قال أبو عبد الله : وهذا من غير تحريم يصح .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : لاتحلفوا بآبائكم ولا بالمسيح ، وليس لأحد أن يحلف بالمخلوقين ، ولا بأعمالهم ولا بكلامهم ولا بكلام الكفار والمنافقين ولا بقول إبليس ، فمن حلف بقول المجوسى (١) أو نحوهم لم يلزمه حنث ، وإنما يذكر عن ابن مسعود وإبراهيم وعن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا من حلف بسورة من القرآن فعليه بكل آية منها كفارة ، فأما أصوات المخلوقين فليس فيها كفارة .

حدثنا محمد بن عبدالله الأنصارى ، ثنا أبى عن ثمامة عن أنس رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه لما إستخلف بعثه إلى البحرين وكتب له هذا الكتاب وكان نقش الخاتم ثلاثه أسطر . محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر .

حدثنا على بن الجعد ، ثنا شعبة عن قتادة قال : سمعت أنساً رضى الله عنه يقول : اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما كأنى أنظر الى بياضه فى يده ونقشه : (محمد رسول الله) .

حدثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضى الله عنه قال : اصطنع النبى صلى الله عليه وسلم خاتما فقال : إنا اتخذنا خاتما ونقشنا عليه نقشا ، فلا ينقش عليه أحد .

---

(١) كذا فى الأصل : ولعله : المجوس

حدثنا مسدد ، ثنا حماد عن عبد العزيز عن صهيب عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما ونقشه (محمد رسول الله) .

حدثنا محمد بن سلام ، ثنا سفيان عن أيوب بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، اتخذ النبى صلى الله عليه وسلم خاتما فيه . محمد رسول الله . وقال: لاينقش أحد نقش خاتمى .

حدثنا محمد بن بشر ، ثنا عبد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، كان فى خاتم رسول الله صلى عليه وسلم (محمد رسول الله) قال الإمام أبو عبد الله رحمه الله ، وقد كتب النبى صلى الله عليه وسلم كتابا فيه . بسم الله الرحمن الرحيم. وقرأه ترجمان قيصر على قيصر وأصحابه ، ولا نشك فى قراءة الكفار وأهل الكتاب أنها أعمالهم ، وأما المقروء فهو كلام الله العزيز المنان ليس بمخلوق ، فمن حلف بأصوات قصيراً [1] وبنداء المشركين الذين يقرون بالله لم يكن عليه يمين دون الحلف بالله لقول النبى صلى الله عليه وسلم : لاتحلفوا بغير الله ، وليس لأحد أن يحلف بالخواتيم والدراهم البيض وألواح الصبيان التى يكتبونها ثم يمحونها مرة بعد مرة ، وان حلف فلا يمين عليه لقول الله عز وجل (فلا تجعلوا لله أندادا) [٢٢/البقرة] .

حدثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب عن الزهرى ، أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به دحية الكلبى إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد (ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم - إلى قوله — فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) [٦٤/آل عمران] فلما فرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا .

(١) كذا فى الأصل :

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث مثله .

حدثنا عبد الله ، ثنا الليث مثله ، حدثنا عبدالله، ثنا الليث، حدثنا يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، أخبره أن أباسفيان بن حرب بن أمية أخبره بهذا ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله .

حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبدالله أن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما أخبره. قال :أخبرنى أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه بهذا . ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرىء ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم (ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)[٦٤/آل عمران] فلما انقضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم وكثر لغطهم .

حدثنا عبد الله ، ثنا الليث ، حدثنى يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضى الله عنهما، أخبره بهذا فإذا فيه :بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله نحوه .

حدثنا عمرو بن زرارة ، ثنا زياد عن ابن إسحق قال : حدثنى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضى الله عنهما ، حدثنى أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه بهذا. وقدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفة . بسم الله الرحمن الرحيم نحوه . قال الإمام أبو عبد الله ورواه معمر وهلال بن رواد عن الزهرى .

حدثنا عبد الله ، ثنا الليث، حدثنى عقيل ويونس عن الزهرى . أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أخبره أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا بكتاب إلى كسرى ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين يدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى خرقه فحسبت أن سعيد بن المسيب قال :فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنى الليث عن عقيل عن ابن شهاب بهذا .

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال : أخبرنى عبيد الله أن ابن عباس رضى الله عنهما أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه إلى كسرى ، نحوه .

حدثنا يعقوب بن حميد ، ثنا إبراهيم عن صبيح عن ابن شهاب عن عبيد الله أن ابن عباس رضى الله عنهما أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث كتابا إلى كسرى ، نحوه . قال أبو عبد الله : ورواه ابن أخى ابن شهاب نحوه .

قال الإمام أبو عبد الله رحمة الله عليه : فإن احتج محتج ، فقال : قد روى أن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه . قيل له : لو صح هذا الخبر لم ، يكن لك فيه حجة لأنه قال: كلام الله ولم يقل :قول العباد من المؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب الذين يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم ، وهذا واضح بين عند من كان عنده أدنى معرفة أن القراءة غير المقروء وليس لكلام الفجرة وغيرهم فضل ، على كلام غيرهم ، كفضل الخالق على المخلوق ، وتبارك ربنا وتعالى وعز وجل عن صفة المخلوقين ، وإن قال قائل : فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : إنكم لن ترجعوا إلى الله بشىء أفضل مما خرج منه . قيل له : أليس القرآن خرج منه فخروجه منه ليس كخروجه منك إن كنت تفهم مع أن هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه . فإن قال : فإن لم يكن الذى يتكلم به العبد قرآنا لم تجزه صلاته . قيل له : قال النبى صلى الله عليه وسلم : لاصلاة إلا بقراءة .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : سئل النبى صلى الله عليه وسلم . أفى كل صلاة قراءة ؟ قال : نعم .

قال الإمام أبو عبد الله : القراءة هى التلاوة ، والتلاوة غير المتلو ، وقد بينه أبو هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اقرأوا إن شئتم ، يقول العبد : (الحمد لله رب العالمين) ، فيقول الله : (حمدنى عبدى) ، يقول العبد : (الرحمن الرحيم) ، يقول الله عز وجل : (أثنى على عبدى) ، يقول العبد : (مالك يوم الدين) ، يقول الله : (مجدنى عبدى) ، يقول العبد : (إياك نعبد وإياك نستعين) ، يقول الله : (هذه الآية بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل) .

قال الإمام أبو عبد الله : فبين أن سؤال العبد غير ما يعطيه الله للعبد ، وأن قول العبد غير كلام الله ، هذا من العبد الدعاء والتضرع ، ومن الله الأمر والإجابة .

وحدثنى عبد الله بن محمد ، ثنا بشر بن السرى ، ثنا معاوية ، عن أبى الزاهرية ، عن كثير بن مرة الحضرمى قال : سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه يقول : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفى كل صلاة قراءة ؟ قال : نعم . فقال رجل من الأنصار : وجبت هذه .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : اقرأوا إن شئتم ، فالقراءة لا تكون إلا من الناس ، وقد تكلم الله بالقرآن من قبل ، وكلامه قبل خلقه .

وسئل النبى صلى الله عليه وسلم . أى الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت ، فذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن بعض الصلاة أطول من بعض وأخف ، وأن بعضهم يزيد على بعض فى القراءة ، وبعضهم ينقص ، وليس فى القراءة زيادة ولا نقصان . فأما التلاوة فإنهم يتفاضلون فى الكثرة والقلة ، والزيادة والنقصان . وقد يقال : فلان حسن القراءة ورديء القراءة ، ولا يقال حسن القرآن ورديء القرآن . وإنما نسب إلى العباد القراءة لا القرآن ، لأن القرآن كلام الرب جل

ذكره ، والقراءة فعل العبد ، ولا يخفى معرفة هذا القدر إلا على من أعمى الله قلبه ، ولم يوفقه ولم يهده سبيل الرشاد ، وليس لأحد أن يشرع فى أمر الله عز وجل بغير علم ، كما زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا وألفاظنا به شىء واحد ، والتلاوة هى المتلو ، والقراءة هى المقروء ، فقيل له : إن التلاوة فعل التالى ، وعمل القارىء ، فرجع وقال : ظننتهما مصدرين . فقيل له : هلا أمسكت كما أمسك كثير من أصحابك ، ولو بعثت إلى من كتب عنك ، فاسترددت ما أثبت وضربت عليه ، فزعم أن كيف يمكن هذا ، وقد قلت ومضى ؟ فقيل له : كيف جاز لك أن تقول فى الله عز وجل شيئاً لا يقوم به شرحا وبيانا إذا لم تميز بين التلاوة والمتلو؟ فسكت إذا (١) لم يكن عنده جواب .

قال الإمام أبو عبد الله رحمه الله : فإن اعترض جاهل لا يترفع بقوله ، فقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم لما قال : لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب دل أن القراءة فى الصلاة . قيل له : إنك قد أغفلت الأخبار المفسرة المستفيضة عند أهل الحجاز ، وأهل العراق ، وأهل الشام ، وأهل الأمصار ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما قال النبى صلى الله عليه وسلم : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ، وأفصح (٢) أن قراءة القارىء وتلاوته غير المقروء والمتلو ، وإنما المتلو فاتحة الكتاب ، لا اختلاف فيه بين أهل العلم . وإن لم يعلم هذا المعترض اللغة فليسأل أهل العلم من أصناف الناس . كما قال الله عز وجل : (يهدى إلى الرشد) [الجن / ٢] ، إن فقه وفهم فما تحملنا على كثرة الإيضاح والشرح ، إلا معرفتنا بعجمة كثير من الناس ، ولا قوة إلا بالله . وقال الحسن البصرى : إنما أهلكتهم العجمة . وقد فسره لنا على بن عبد الله ، ثنا سفيان ، ثنا الزهرى ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال :

---

(١) كذا فى الأصل ولعل صوابه : إذ .

(٢) فى نسخة : فأوضح .

لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

حدثنا حجاج بن منهال ، ثنا ابن عيينة ، عن الزهرى ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

وحدثنى عبد الله بن صالح ، ثنا الليث ، مثله .

حدثنا إسحاق ، ثنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنا أبى ، عن صالح ، عن ابن شهاب أن محمود بن الربيع الذى مج[1] النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه من بئرهم أخبره أن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا وهب ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن محمود[2] ابن الربيع ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فصاعدا .

وقال عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق قالا : ثنا معمر بهذا .

حدثنى هشام بن عمار ، ثنا صدقة بن خالد ، ثنا زيد بن واقد ، عن حرام ابن حكيم ، ومكحول عن ابن[3] ربيعة الانصارى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، وكان على إيلياء فأبطأ عبادة عن صلاة الصبح فأقام أبو نعيم الصلاة ،

---

(١) مج الشراب من فمه رماه .

(٢) كتب على هامش الأصل : هو ختن عبادة بن الصامت من ثقات التابعين ، قاله : محمد شمس الحق عفى عنه .

(٣) كتب على الهامش : ابن ربيعة الأنصارى هو نافع بن محمود بن ربيعة من أهل إيليا ذكره ابن حبان فى كتاب الثقات · محمد شمس الحق عفى عنه .

وكان أول من أذن ببيت المقدس ، فجئت مع عبادة حتى صف الناس ، وأبو نعيم يجهر بالقراءة ، فقرأ عبادة بأم القرآن حتى فهمنا منه ، فلما انصرف قلت له : سمعتك تقرأ بأم القرآن . فقال : نعم صلى بنا النبى صلى الله عليه وسلم بعض الصلوات التى لا تجهر[1] فيها بالقرآن فقال : لا يقرأن أحدكم إذا جهرت بالقراءة إلا بأم القرآن[2] .

وروى بعضهم : لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ، وهو على معنى قوله : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب لأنه لا صلاة إلا بقراءة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما الصلاة لقراءة القرآن ، ولذكر الله ، ولحاجة المرء إلى ربه عز وجل. فبين أن الدعاء والحاجة والتضرع والذكر والقراءة من العبد ، وأن المقروء هو كلام الله عز وجل .

حدثنى يحي بن صالح ، حدثنا فليح ، عن هلال ، عن عطاء بن يسار ، عن معاوية بن الحكم السلمى رضى الله عنه قال : دعانى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنما الصلاة لقراءة القرآن ، ولذكر الله ، ولحاجة المرء إلى ربه ، فإذا كنت فيها ، فليكن ذلك شأنك .

وقال عمار رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن مسعود . وكانت قراءته حرفاً حرفا ، فأخبر أن قراءة هذا القارىء الذى لا يقرأ حرفا حرفا وبهذه ، هذا سوى قراءة ابن مسعود حرفا حرفا .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرأ على أبى بن كعب سورة أنزلت عليه .

---

(١) كذا بالأصل : ولعله : يجهر .

(٢) كتب على الهامش : قراءة الفاتحة خلف الامام فى الصلاة الجهرية .

حدثنا بذلك قبيصة ، ثنا سفيان،عن أسلم المنقرى،عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى ،عن أبيه قال أبى: قال لى النبي صلى الله عليه وسلم :أنزلت على سورة أمرت أن اقرئكها . قلت : سميت لك ؟ قال : نعم يا أبا المنذر فرحت بذلك ؟ قال ومايمنعنى وهو يقول : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا)[٥٨/يونس].

حدثنا محمد بن يوسف ، ثناسفيان، عن أسلم المنقرى عن عبد الله بن عبدالرحمن ابن أبزى ، عن أبيه عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : نحوه .

حدثنا عمرو بن عوف ، ثنا ابن المبارك ، عن الأجلح ،عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه، عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : أمرت أن اقرأ عليك القرآن فقلت : أسمانى لك ربى أو ربك ؟ قال : نعم فتلا : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون).

حدثنا بشر بن محمد ، ثنا عبد الله ، ثنا الأجلح ، بهذا .

حدثنا إسحق بن نصر ، ثنا أبو أسامة ، ثنا الأجلح ، ثنا عبد الله نحوه .
قال أبو عبد الله : وأما قوله فهل يرجع إلى الله إلى [1] باللفظ الذى تلفظ به ،فإن كان الذى تلفظ به ،قرآنا فهو كلام الله . قيل له : ماقولك تلفظ به ؟ فإن اللفظ غير الذى تلفظ به ، لأنك تلفظت بالله ، وليس الله هو لفظك ، وكذلك تلفظ بصفة الله بقول الله ، وليس قولك : الله هو الصفة ، إنما تصف الموصوف فأنت الواصف والله الموصوف بكلامه كالواصف الذى يصف بكلام غير الله ، وأما الموصوف بصفته وكلامه فهو الله . ففى قولك تلفظ به،وتقرأ القرآن دليل بين أنه غير بقراءة ، كما تقول قرأت بقراءة عاصم وقراءتك على قراءة عاصم ، لا أن لفظك وكلامك كلام عاصم بعينه ، ألا ترى أن

---

(١) كذا فى الأصل .

عاصما لو حلف أن لا يقرأ اليوم، ثم قرأت أنت على قراءته لم يحنث عاصم . وقال أحمد رحمه الله : لا يعجبني قراءة حمزة . ولا يقال : لا يعجبني القرآن ، حتى قال بعضهم : من قرأ بقراءة حمزة أعاد الصلاة ، واعتل بعضهم فقال : (حتى يسمع كلام الله) [٦/التوبة] قيل له : إنما يقال : (حتى يسمع كلام الله) لا كلامك ونغمتك ولحنك لأن الله عز وجل فضل موسى بكلامه، ولو كنت تسمع الخلق كلام الله ، كما أسمع الله موسى عليه الصلاة والسلام، لم يكن لموسى عليه السلام عليك فضل، إذا سمعت كلام الله وسمع موسى كلام الله . قال عز وجل لموسى: (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) [١٤٤/الأعراف] .

حدثنا عبد الله بن عمر ، ثنا سليمان بن بلال ، عن شريك بن عبدالله، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به قال . رأيت موسى في السماء السابعة بتفضيل كلام الله .

قال أبو عبد الله . وإن ادعيت أنك تسمع الناس كلام الله كما أسمع الله كلامه لموسى قال له : (إني أنا ربك) [١٢/طه] فهذا دعوى الربوبية إذا لم تميز بين قراءتك وبين كلام الله ، فإن الله تعالى قال : (فاذكروني أذكركم) [١٥٢/البقرة] (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) [٢٠٠/البقرة] . يشرح أن ذكر العبد ربه غير ذكر الله عبده لأن ذكر العبد، الدعاء والتضرع ، وذكر الله، الإجابة كما قال الله عز وجل ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني لا أقول إلا ما في القرآن .

حدثنا ضرار ، ثنا صفوان بن أبي الصهباء ، عن بكير بن عتيق ، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله عز وجل : (من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بينا أنا في الجنة سمعت صوت رجل بالقرآن. فبين أن الصوت غير القرآن .

حدثنا إسماعيل ، حدثني أخي عن سليمان، عن موسى بن عقبة وابن أبي عتيق

عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا أمشى فى الجنة سمعت صوت رجل بالقرآن ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : هذا حارثة بن النعمان ، كذلكم البر ، كذلكم البر . وعن محمد بن أبى عتيق عن ابن شهاب ، أخبرتنى عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، وكانت فى حجرة عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة وسمعت فيها صوت قارىء يقرأ ، فقلت من هذا ؟ فقالوا : هذا حارثة بن النعمان ، كذاك البر ، وكان حارثة من أبر الناس .

قال أبو عبد الله : ويقال : له أصفة الله جل ذكره وعلمه وكلامه وأسماؤه وعزته وقدرته بائن من الله تعالى أم لا ؟ أو قولك وكلامك بائن من الله أم لا ؟ وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن فى الركوع فبين أن القراءة غير المقروء .

حدثنا إسماعيل ، ثنى مالك ، عن نافع ، عن إبراهيم بن عبد الله بن حنين ، عن أبيه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قراءة القرآن فى الركوع .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب أن إبراهيم ابن عبد الله بن حنين حدثه أن أباه حدثه أنه سمع عليا رضى الله عنه قال : نهانى النبى صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن وأنا راكع .

حدثنا محمد بن عبيد ، ثنا أنس بن عياض عن الحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ذباب ، عن إبراهيم بن عبد الله بن حنين ، عن أبيه ، عن على رضى الله عنه ، نهانى النبى صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن وأنا راكع .

حدثنا عبد الرحمن بن يونس ، ثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر ، عن أبيه ، عن

علي، وعن جعفر، عن محمد بن المنكدر، عن عبد الله بن حنين، عن عليّ رضي الله عنه، نهاني النبي صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن في الركوع .

قال أبو عبد الله : وقال تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى) [٤٠/النجم] وقال عز وجل : (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك) [١/نوح] فالإبلاغ والإنذار من نوح وهو نذير مبين يأمرهم بطاعة الله ، وأما الغفران فإنه من الله لقوله عز وجل : (يغفر لكم من ذنوبكم) [٤/نوح] ثم قال : (رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا) [٥/نوح] فذكر الدعاء سرا وعلانية من نوح . وذكر فعل نوح بقومه ثم قال : (مالكم لاترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا) [١٤/نوح] . فذكر خلق القوم طورا بعد طور. وقال الله تعالى : (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) [٢/التغابن] وقال الله عز وجل : (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيء ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون) [٢/الحجرات] .

حدثنا موسى ، ثنا سليمان ، عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : لما نزل : (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيء ولا تجهروا له بالقول) وكان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت ، فجلس في بيته وقال : أنا الذي كنت أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وأجهر له بالقول ، وقد حبط عملي وأنا من أهل النار . ففقده النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاه رجل فقال : إنه كذا وكذا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو من أهل الجنة . وكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، فلما كان يوم اليمامة كان في بعضنا بعض الانكشاف فأقبل وقد تكفن وتحنط وقال: بئس ما تعودون أقرانكم. فقاتل حتى قتل. قال أبو عبد الله : وقد سمى ابن عمر الصوت بالقرآن عبادة .

حدثني أبو يعلى محمد بن الصلت ، ثنا أبو صفوان عن يونس عن الزهري عن سالم، عن أبيه قال : أول ماينقص من العبادة التهجد بالليل ورفع الصوت فيها بالقراءة

وكان ابن عمر رضى الله عنهما إذا سئل قال : أسمع منك على حرفه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة .

حدثنا به عبد الله بن يوسف، ثنا مالك ، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم ابن الحرث التيمى ، عن أبى حازم التمار ، عن البياضى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال : إن المصلى يناجى ربه فلينظر ما يناجيه به ، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة .

حدثنا إسحاق سمع عبدة ، عن أبى إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحرث، عن أبى حازم مولى هذيل قال : جاورت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بنى بياضة ، من الأنصار ، فحدثنى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بهذا .

حدثنا قتيبة ، حدثنا أبو بكر ، عن ابن الهادى ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من الأنصار ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم بهذا .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم كانوا يقرؤون القرآن فيجهرون به : خالطتم على القرآن . يقول علت أصواتكم فشغلتمونى برفعها فوق صوتى فخلطتم على . فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفع بعضهم على بعض صوته ، ولا يخلطون على الناس فى جهرهم وأصواتهم ، ولم ينه عن القرآن ، ولا عن كلام الله الذى كلم به موسى قبل أن يخلق هذه الأمة .

حدثنا عبد الله ، حدثنى معاوية ، عن يحيى بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن كثير بن مرة ، عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه

وسلم قال : المسرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة ، والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة .

حدثنا يوسف بن يعقوب ، ثنا معن عن معاوية مثله .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى معاوية عن ربيعة بن يزيد ، عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء أنها قالت : (ولذكر الله أكبر) [٤٥/العنكبوت] وإن صليت فهو من ذكر الله، وكل خير تعمله فهو من ذكر الله ،وكل شر تجتنبه فهو من ذكر الله ، وأفضل ذلك تسبيح الله .

وقال موسى عليه الصلاة والسلام : (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) [٢٨/طه] وقال : (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما إنكم تنطقون) [٢٣/الذاريات]وقال : (أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء) [٢١/فصلت] وقال : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) [٤/النجم] .

وقال بعضهم فى قوله عزّ وجل : (يزيد فى الخلق مايشاء) [١/فاطر] قال : الصوت الحسن . وقال الله عز وجل عن جبرائيل : (ومانتنزل إلا بأمر ربك) [٦٤/مريم] فبين أن التنزيل عن الأمر .

حدثنا أبو نعيم وخلاد بن يحيى قالا : ثنا عمر بن ذر، عن أبيه، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل عليه السلام : مامنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا . فنزلت : (ومانتنزل إلا بأمر ربك له مابين أيدينا وماخلفنا) .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : قال النبى صلى الله عليه وسلم : لقتلى أحد ، أيهم أكثر أخذا للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحد قدمه فى اللحد .

قال أبو عبد الله : وقال بعضهم : إن أكثر مغاليط الناس من هذه الأوجه

الذى (١) لم يعرفوا المجاز من التحقيق ،ولا الفعل من المفعول،ولا الوصف من الصفة. ولم يعرفوا الكذب لم صار كذبا، ولا الصدق لم صار صدقا . فأما بيان المجاز من التحقيق فمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم للفرس ، وجدته بحرا . وهو الذى يجوز فيما بين الناس ، وتحقيقه أن مشيه حسن . ومثل قول القائل : علم الله معنا وفينا ، وأنا فى علم الله ، إنما المراد من ذلك أن الله يعلمنا وهو التحقيق . ومثل قول القائل : النهر يجرى ومعناه أن الماء يجرى ، وهو التحقيق وأشباهه فى اللغات كثيرة .

حدثنا آدم ، ثنا شعبة،عن قتادة،سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان فزع بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من أبى طلحة يقال له المندوب، فركب ، فلما رجع قال : ما رأينا من شىء وإن وجدناه لبحرا .

حدثنا مسدد ، ثنا يحي عن شعبة ، حدثنى قتادة،عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا . ورواه غندر وابن المبارك وعمران مرزوق (٢) ، عن شعبة .

حدثنا مسدد ، ثنا أبو معاوية،عن الأعمش، عن أبى سفيان ،عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : الصلوات الخمس كنهر يجرى على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، فما يبقى من الدرن شىء ، وعن أبى سفيان،عن عبيد بن عمير،عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مثله .

وأما الفعل من المفعول ، فالفعل إنما هو إحداث الشىء ، والمفعول هو الحدث (٣) ، لقوله : (خلق السموات والأرض) [٧٣/الأنعام] فالسموات والأرض مفعول ،وكل شىء سوى الله بقضائه فهو مفعول ، فتخليق السموات فعله

(١) كذا فى الأصل ولعله : الذين .
(٢) كذا فى الأصل .
(٣) فى نسخة : الحديث

لأنه لايمكن أن تقوم سماء بنفسها من غير فعل الفاعل ، وإنما تنسب السماء إليه لحال فعله،ففعله من ربوبيته حيث يقول : (كن فيكون) [٨٢/يس] ولكن منه صنعته وهو الموصوف به كذلك قال : رب السموات ورب الأشياء .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : رب كل شيء ومليكه .

حدثنا محمد بن بشار ، ثنا غندر ، حدثنا شعبة،عن يعلى بن عطاء ، قال : سمعت عمرو بن عاصم،سمع أبا هريرة رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه قال : يارسول الله ، أخبرنى بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت . قال : قل : اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه ، وأن اقترف على نفسى سوءا أو أجده إلى مسلم . قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك .

حدثنا سعيد بن الربيع ، ثنا شعبة فذكر الحديث ، ورواه معاذ وبهز ،عن شعبة .

حدثنا عمرو بن عون ، ثنا هشيم ، عن يعلى،عن عمرو بن عاصم،عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا . رب كل شيء ومليكه .

حدثنا قتيبة ، ثنا هشيم بهذا . وكذلك نؤدى جميع لغات الخلق من غير اختلاف بينهم ، وإنما هو الفاعل والفعل والمفعول . فالفعل صفة والمفعول غيره ، وبيان ذلك فى قوله تعالى : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) [٥١/الكهف] ولم يرد بخلق السموات نفسها وقد ميز فعل السموات من السموات وكذلك فعل جملة الخلق . وقوله : (ولا خلق أنفسهم) وقد ميز الفعل والنفس ، ولم يصر فعله خلقا . وأما الوصف من الصفة فالوصف إنما هو قول القائل حيث يقول: هذا رجل طويل ، وثقيل ، وجميل ، وحديد . فالطول والجمال والحدة والثقل

إنما هو صفة الرجل . وقول القائل وصف كذلك إذا قال : الله رحيم ، والله عليم ، والله قدير . فقول القائل وصف ، وهو عبادة والرحمة والعلم والقدرة (١) والكبرياء والقوة كل هذا صفاته . وأما الكذب من الصدق فقول القائل : فلان هاهنا وهو غائب ، فهو كذب فلو كان حاضرا لكان صدقا ، والكلمة واحدة ، وإنما صار صدقا وكذبا لحال المعنى ، وكذلك لو أن رجلا قال : إن الله رحيم ويرحم ، والله عليم ويعلم ، والله قدير ويقدر ، والله سميع ويسمع ، ولم يكن لقوله معنى كما وصفنا فى شأن الكذب والصدق ، لكان قوله كذبا ، وإنما صار هذا القول صدقا وعبادة وطاعة لحال المعنى .

قال أبو عبد الله : واختلف الناس فى الفاعل والمفعول والفعل . فقالت القدرية الأفاعيل كلها من البشر ليست من الله .

وقالت الجبرية الأفاعيل كلها من الله .

وقالت الجهمية : الفعل والمفعول واحد ، لذلك قالوا : لكن مخلوق .

وقال أهل العلم : التخليق فعل الله ، وأفاعيلنا مخلوقة لقوله تعالى : (وأسرّوا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق) [١٤/الملك] يعنى السر والجهر من القول . ففعل الله صفة الله ، والمفعول غيره ، من الخلق . ويقال لمن زعم أنى لا أقول : القرآن مكتوب فى المصحف ولكن القرآن بعينه فى المصحف ، يلزمك أن تقول : أن من ذكر الله فى القرآن من الجن والإنس والملائكة والمدائن ومكة والمدينة وغيرهما ، وإبليس وفرعون وهامان وجنودهما ، والجنة والنار عانيتهم (٢) بإعانهم (٣) فى المصحف ، لأن فرعون مكتوب فيه كما أن القرآن مكتوب .

---

(١) فى نسخه : القدر .

(٢) كذا فى الأصل : ويبدوان الصواب : عاينتهم .

(٣) كذا فى الأصل ولعله : بأعيانهم .

ويلزمك أكثر من هذا حين يقول فى المصحف . وهذا أمر بين لأنك تضع يدك على هذه الآية وتراها بعينك : (الله لا إله إلاّ هو الحى القيوم) [٢٥٥/البقرة] فلا يشك عاقل بأن الله هو المعبود . وقوله : (الله لا إله الا هو الحى القيوم) هو قرآن . وكذلك جميع القرآن هو قوله ، والقول صفة القائل موصوف به . فالقرآن قول الله عز وجل . والقراءة والكتابة والحفظ للقرآن هو فعل الخلق ، لقوله :(فاقرأوا ماتيسر منه) [٢٠/المزمل] فقوله (فاقرأوا ماتيسر من القرآن) [٢٠/المزمل] والقراءة فعل الخلق ، وهو طاعة الله ، والقرآن ليس هو بطاعة ، إنما هو الأمر بالطاعة ، ودليله قوله : (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) [١٠٦/الإسراء] وقال : (إن الذين يتلون كتاب) [١٧/القمر] (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) [٢٩/فاطر] .

حدثنا أبو نعيم ، ثنا زهير ،عن أبى إسحق أنه سمع رجلا سأل الأسود : (فهل من مذكر أو مدكر) ؟فقال: سمعت عبد الله يقرأها (مدكر) . وقال سمعت رسول الله عليه وسليم يقرأها . (فهل من مدكر) (دالا) حدثنا حفص بن عمر، ثنا شعبة عن أبى إسحاق،عن عبد الله رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ(فهل من مدكر)، حدثنا عبدان ، أخبرنى أبى، عن شعبة بهذا .

حدثنا خالد بن يزيد ، ثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق بهذا .

حدثنا نصر بن على ، ثنا أبو أحمد ،عن سفيان ،عن أبى إسحق بهذا .

قال أبو عبد الله : وقال الله عزّ وجلّ : (بلغ ما أنزل إليك من ربك) [٦٧/المائدة] . فذلك كله مما أمر به .ولذلك قال : (أقيموا الصلاة)[٤٣/البقرة] فالصلاة بجملتها طاعة الله وقراءة القرآن من جملة الصلاة ، فالصلاة طاعة الله ، والأمر بالصلاة قرآن وهو مكتوب فى المصاحف ، محفوظ فى الصدور ، مقروء على اللسان ، والقراءة والحفظ والكتابة مخلوق ، وما قرىء وحفظ وكتب ليس بمخلوق ، ومن الدليل عليه أن الناس يكتبون الله ويحفظونه ويدعونه ، فالدعاء

والحفظ والكتابة من الناس مخلوق ، ولا شك فيه ، والخالق الله بصفته ، ويقال له : أترى القرآن فى المصحف ؟ فإن قال : نعم ، فقد زعم أن من صفات الله مايرى فى الدنيا ، وهذا ردّ لقول الله جل ذكره (لاتدركه الأبصار) فى الدنيا (وهو يدرك الأبصار) [١٠٣/الأنعام] وإن قال يرى كتابة القرآن فقدرجع إلى الخلق ويقال له : هل تدرك الأبصار إلا اللون؟فإن قال : لا.قيل لهوهل يكون اللون إلا فى الجسم ؟ فإن قال : نعم ، فقد زعم أن القرآن جسم يرى .

حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر،عن همام ،عن أبى هريرة رضى الله عنه،عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرح فيقرأ القرآن قبل أن تسرح دوابه .

حدثنا إسحق بن نصر ، ثنا عبد الرزاق،عن معمر،عن همام ، عن أبى هريرة رضى الله عنه،عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته فتسرح فيقرأ قبل أن يفرغ يعنى القراءات .

حدثنا أحمد بن حفص النيسا بورى ، حدثنى أبى ، حدثنى إبراهيم ، وإبراهيم هو ابن طهمان،عن موسى بن عقبة ،عن صفوان بن سليم،عن عطاء بن يسار ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خفف على على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرح فيقرأ القرآن قبل أن تسرح .

باب قول الله جل ذكره عن أهل النار من الكفار والمشركين وعبدة الأوثان :

(ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) [٧٧/الزخرف]

وقوله :(ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) [٧٧/المؤمنون] .

(وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) [٢٢/إبراهيم] الآية .

وقال المنافقون : (انظرونا نقتبس من نوركم) [١٤/الحديد] .

حدثنا قتيبة،عن سفيان،عن عمرو سمع عطاء يخبر،عن صفوان بن يعلى،عن أبيه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر : (ونادوا يامالك) .

حدثنا حجاج بن منهال ، ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن عطاء، عن صفوان بن يعلى ،عن أبيه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) .

حدثنا عبد الله بن يزيد ، ثنا عبد الرحمن بن زياد ، ثنا دخين الحجرى ، عن عقبة بن عامر رضى الله عنه،عن النبى صلى الله عليه وسلم: يقول الكافر:هذا قد وجد المؤمنون من يشفع ، فمن يشفع لنا ؟ ماهو إلا إبليس ، هو الذى أضلنا ، فيأتون إبليس فيقولون:هذا قد وجد المؤمنون من يشفع لهم ، ثم يقول الكافرون : فقم أنت واشفع لنا فإنك أضللتنا فيفرح (١) مجلسه من أنتن ريح شمها أحدكم ، يعظم لجهنم ، فيقول الشيطان لما قضى الأمر : (إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) الآية .

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم قراءة المنافقين والفجار فبين ما يتأكلون بقراءتهم فلا يرتابن أحد فى خلق المنافقين أصحاب الجحيم وأعمالهم .

حدثنا عبد الله هو ابن (٢) قدامة بن سعيد ، ثنا حماد بن زيد قال : من قال

---

(١) كذا فى الأصل : وصوابه : فيفوح .

(٢) فى نسخة : أبو .

كلام العباد ليس بمخلوق فهو كافر ، وتابعه على ذلك يحي بن سعيد القطان ومعتمر ابن سليمان .

حدثنا عبد الله بن يزيد ، ثنا حيوة (١) حدثنى بشير بن أبى عمر والخولانى أن الوليد بن قيس النجيبى حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخلف قوم من بعد ستين سنة (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) [مريم/٥٩] ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن، ومنافق، وفاجر. قال بشير فقلت، للوليد ماهؤلاء الثلاثة ؟ قال : المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يؤمن به .

باب

ومما يدل على أصوات العباد قول النبى صلى الله عليه وسلم : أكثر منافقى أمتى قرّاؤها . فعدّ قراء المعطلة والجهمية وأهل الأهواء وغيرهم .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : رجال يمرقون من الدين لا يجاوز حلوقهم هم شرّ الخلق والخليقة ، وقال: يتعجلونه ولا يتأجلونه .

حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن ، ثنا عبد الله ، ثنا عبدالرحمن بن شريح المعافرى: حدثنى شراحيل بن يزيد، عن محمد بن هدبة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكثر منافقى أمتى قرّاؤها .

حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، ثنا منصور بن سلمة ، ثنا الوليد بن المغيرة ، وكان ثبتا ، ثنا مشرح بن هاعان (٢) عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، عن النبى

---

(١) فى نسخة : حيرة .

(٢) فى نسخة : هامان .

صلى الله عليه وسلم قال : أكثر منافقي أمتي قرّاؤها .

حدثنا علي بن عبد الله ، ثنا يزيد بن الحارث ، ثنا أبو السمح المعافري ، ثنا أبو قبيل أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أتخوف على أمتي من ثنتين يتبعون الشهوات ويؤخرون الصلوات ، والقرآن يتعلم المنافقون يجادلون به الذين آمنوا .

باب

قول الله تعالى:(فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) [٩٣/ آل عمران]

قال:(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)[٢٢/الروم] فنها العربيّ ، ومنها العجمي . فذكر اختلاف (١) الألسنة والألوان وهو كلام العباد .

وقال : (وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) [٤١/يونس] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل يقول: لو أتيت عشر ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل ، فبين أن قيامه بالكتاب (٢) وهو فعله .

حدثني به عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتحاسدوا إلاّ في اثنتين ، رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فهو يقول : لو أوتيت ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في حقه يقول: لو أوتيت ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل . ورواه شعبة، عن الأعمش سمعت أبا صالح نحوه .

---

(١) في نسخة : اختلاف .

(٢) كذا بالاصل : وصوابه أسقاط الواو .

حدثنا على بن عبد الله ، ثنا سفيان ، ثنا الزهرى ،عن سالم ، عن أبيه ،عن النبى صلى الله عليه وسلم : لاحسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار سمعت سفيان مرارا لم أسمعه يذكر الخبر وهو من صحيح حديثه .

وقال الله تعالى : (وافعلوا الخير) [٧٧/الحج] فأثبت الخير منهم فعلا .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها ، وأعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به . وأعطيتم القرآن فعملتم به .

حدثنا سليمان بن داود الهاشمى ، ثنا إبراهيم بن سعد ،عن الزهرى ،عن سالم ابن عبد الله ،عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم ، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس . أوتى أهل التوراة التوراة فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ، وأوتى أهل الانجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا ،قيراطا ،وأوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين : أى ربنا أعطيتهم قيراطين قيراطين ، وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن (١) أكثر عملا منهم . فقال : هل ظلمتكم من أجركم من شىء ؟ قالوا : لا . قال : فهو فضلى أوتيه من أشاء .

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، ثنا إبراهيم بن سعد ابن شهاب بهذا .

حدثنا عبدان ، ثنا عبد الله ،عن يونس ،عن الزهرى بهذا .

حدثنى أحمد بن صالح ، ثنا عتبة ، ثنا يونس ،عن الزهرى بهذا .

حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا سفيان ، سمعت سليمان بن أبى مسلم ،عن طاووس

---

(١) فى نسخة : + أكثر .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم، إذا قام الليل يتهجد يقول : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيها ، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق ،والنار حق ،والساعة حق ،والنبيون حق ومحمد حق . اللهم لك أسلمت وعليك توكلت ، وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت،وإليك حاكمت،فاغفر لى ماقدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت .

تم كتاب خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل . تأليف إمام الأئمة أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى رحمة الله تعالى عليه .



الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة

للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مرتضى الحمد لنفسه ، وجاعله فاتحة وحيه ، ومنتهى شكره . وكفاءة نعمته ، ودعوى أهل جنته عند إفضائهم إلى كرامته ، البر بخلقه ، العوّاد على المذنبين بعفوه ، الذى لا يخيب راجيه ، ولا يرد داعيه ، ولا ينسى ذاكريه ، ولا يقطع حبل عصمته ممن تمسك بعروته . أحمده بجميع محامده على جميع نعمه ، وندعوه أن يشعرنا خشيته ، ويشرب قلوبنا مراقبته عند كل لفظ وعقد ، وكل قبض وبسط ، وأن يجعل كلامنا له ودلالتنا عليه وإرشادنا إليه ، ويؤم بنا سمت الحق وقصد السبيل . وأن يبلغ نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم أفضل صلاة وأنماها ، وأزكاها وأقضاها لما فرض من حقه ، وأوجب من ذكره ، صلى الله وملائكته والمقربون عليه ، وعلى آله الطيبين ، وعلى جميع النبيين والمرسلين ، ونعوذ بالله من نزغ الشيطان ومصائده ، ولطيف خدعه ومكائده . فقد صدق على هذه الأمة ظنه . وأجلب عليهم بخيله ورجله ، وقعد لهم رصداً بكل مرصد ، ونصب لهم شركا بكل ريع ، وطفق لغوايتهم بكل شبهة ، فأصبح الناس إلاّ قليلا ممن عصم الله مفتونين وفيما يوبقهم خائضين ، وعن سبيل نجاتهم ناكبين ، ولما وضعه الله عنهم متكلفين ، وعما كلفهم معرضين . وإن دعوا أنفوا ، وإن وعظوا هزأوا، وإن سئلوا تعسفوا،وإن سألوا أعنتوا.قد فرقوا الدين، وصاروا شيعاً فهم يتنابذون بالألقاب ، ويتسابون بالكفر، ويتعاضدون بالنحل ، ويتناصرون على الهوى .

وعاد الإسلام غريباً كما بدا . فماذا يعجب من سلة السيف وشمول الخوف ونقص الأموال والأنفس ، وهل يتوقع بعد تزيدنا فى الغواية ، إلا التزيد فى البلاء حتى يحكم الله بما شاء بيننا وهو خير الحاكمين . وكان طالب العلم فيما مضى يسمع ليعلم، ويعلم ليعمل، ويتفقه فى دين الله لينتفع وينفع، فقد صار طالب العلم الآن يسمع ليجمع، ويجمع ليذكر، ويحفظ ليغالب ويفخر ، وكان المتناظرون

فى الفقه يتناظرون فى الجليل من الواقع ، والمستعمل من الواضح ، وفيما ينوب الناس ، فينفع الله به القائل والسامع . فقد صار أكثر التناظر فيما دق وخفى ، وفيما لا يقع ، وفيما قد انقرض من حكم الكتابة وحكم اللعان ورجم المحصن ، وصار الغرض فيه إخراج لطيفة ، وغوصاً على غريبة ورداً على متقدم ، فهذا يرد على أبى حنيفة ، وهذا يرد على مالك ، وآخر يرد على الشافعى بزخرف من القول، ولطيف من الحيل،كأنه لايعلم أنه إذا رد على الأول صوابا عند الله بتمويه فقد تقلد المآثم عن العاملين به دهر الداهرين . وهذا يطعن بالرأى على ماض من السلف وهو برىء [1] ، وبالابتداع فى دين الله على آخر وهو يبتدع ، وكان المتناظرون فيما مضى يتناظرون فى معادلة الصبر بالشكر ، وفى تفضيل أحدهما على الآخر ، وفى الوساوس والخطرات ، ومجاهدة النفس ، وقمع الهوى ، فقد صار المتناظرون يتناظرون فى الاستطاعة والتولد والطفرة والجزء والعرض والجوهر ، فهم دائبون يخبطون فى العشوات قد تشعبت بهم الطرق وقادهم الهوى بزمام الردى .

وكان آخر ماوقع من الاختلاف أمراً خاصا بأصحاب الحديث الذين لم يزالوا بالسنة ظاهرين، وبالأتباع قاهرين، يداجون بكل بلد ولايداجون ، ويستتر منهم بالنحل ولا يستترون ، ويصدعون بحقهم الناس ولا يستغشون ، لا يرتفع بالعلم إلا من رفعوا ، ولا يتضع فيه إلا من رضوا ، ولا تسير الركبان إلا بذكر من ذكروا ، إلى أن كادهم الشيطان بمسألة لم يجعلها الله تعالى أصلا فى الدين ولا فرعا ، فى جهلها سعة ، وفى العلم بها فضيلة ، فنما شرها وعظم شأنها حتى فرقت جماعتهم ، وشتتت كلمتهم ، ووهنت أمرهم ، وأشمتت حاسديهم ، وكفت عدوهم مؤنتهم بألسنتهم ، وعلى أيديهم، فهو دائب يضحك منهم ويستهزىء بهم حين رأى بعضهم يكفّر بعضا ، وبعضهم يلعن بعضا ، ورآهم مختلفين ، وهم كالمتفقين ،

---

(١) فى الأصل يرى .

ومتباينين وهم كالمجتمعين ، ورأى نفسه قد صار لهم سَلْماً بعد أن كان حربا .

كما رأيت إعراض أهل النظر عن الكلام فى هذا الشأن منذ وقع ، وتركهم تلقيه بالدواء حين بدا ، وبكشف القناع عنه حين نجم ، إلى أن استحكم أساسه ، وبسق رأسه وجرى على اعتياد الخطإ فيه الكهل ، ونشأ عليه الطفل ، وعسر على المداوين أن يخرجوا من القلوب ما قد استحكم بالإلف ، ونبت على شراه اللحم ، لم أر لنفسى عذراً فى ترك ما أوجبه الله علىّ بما وهب من فضل المعرفة فى أمر استفحل بأن قصّر مقصّر ، فتكلفت بمبلغ علمى ومقدار طاقتى ما رجوت أن يقضى بعض الحق عنّى ، لعل الله ينفع به ، فإنه بما شاء نفع ، وليس على من أراد الله بقوله أن يسأله الناس بل عليه التبصير ، وعلى الله التيسير . وسيوافق قولى هذا من الناس ثلاثة : رجلا منقادا سمع قوما يقولون فقال كما قالوا ، فهو لا يرعوى ، ولا يرجع ، لأنه لم يعتقد الأمر بنظر فيرجع عنه بنظر .

ورجلا تطمح به عزة الرياسة ، وطاعة الإخوان ، وحب الشهرة ، فليس يرد عزته ولا يثنى عنانه إلا الذى خلقه ، إن شاء لأن فى رجوعه إقراره بالغلط ، واعترافه بالجهل ، وتأبى عليه الأنفة ، وفى ذلك أيضا تشتت جمع ، وانقطاع نظام ، واختلاف إخوان ، عقدتهم له النحلة ، والنفوس لا تطيب بذلك إلا من عصمه الله ونجاه .

ورجلا مسترشداً يريد الله بعمله ، لا تأخذه فيه لومة لائم ، ولا تدخله من مفارق وحشة ، ولا تلفته عن الحق أنفة ، فإلى هذا بالقول قصدنا وإياه أردنا .

ولم أر صوابا أن يكون الكتاب محرراً بذكر هذا الباب خاصة دون غيره ، فقدمت القول فيه بذكر بعض ما تأولته الجهمية فى الكتاب والحديث ، ولئن قل لنحمد الله تعالى على النعمة ونعلم أن الحق مستغن عن الحيلة ، ولم أعد فى أكثر الرد عليهم طريق اللغة ، فأما الكلام فليس من شأننا ، ولا أرى أكثر من هلك إلا به ، وبحمل الدين على ما يوجبه القياس . ألا ترى أن أهل القدر حين نظروا فى

قدر الله الذى هو سرّه ، بآرائهم ، وحملوه على مقاييسهم ، أرتهم أنفسهم قياساً على ما جعل فى تركيب المخلوق ، من معرفة العدل من الخلق على الخلق أن يجعلوا ذلك حكما بين الله وبين العبد ، فقالوا : بالتخلية والإهمال، وجعلوا العباد فاعلين ، لما لا يشاء ، وقادرين على ما لا يريد ، كأنهم لم يسمعوا بإجماع الناس ، على « ما يشاء الله كان وما لا يشاء لا يكون » .

وقالوا : كيف يضل، ويعذب ، ويريد ، ويكره، ويحول، ويكلف؟ وهل قصر فاعل هذا عن أفحش الظلم؟ ونسوا مايلزمهم فى اختلاف الحكمين، وأن من ملك البعض ليس كمن ملك الكل، وأن الخلق كله لله يميت ويحيي ، ويفقر ويغنى ، ويصح ويسقم ، ويبتدىء بالنعم من شاء ، ويصطفى للرسالة من شاء ، ويؤيده بالتوفيق ويملأ قلبه بالنور، ويعصمه من الذنوب، ويجعل من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة، وأنه لو لم يرد المعصية لما هيأهم هيئة المعصية ، ولما ركب فيهم آلة الشهوة ، كما طبع الملائكة ، ولا سلط عليهم عدوهم، ثم أمرهم بالاحتراس، وأنى للضعيف الاحتراس ممن حرست منه السموات بالنجوم ، ومنع من الاستماع بالرجوم ، وجعل له السبيل إلى القلوب من حيث لا يرى، فهو يجرى مجرى الدم ويوسوس ويخنس ، ولا يعصمه الله ؟ ولا خلق الله آدم للأرض وأسكنه الجنة وحرم عليه الشجرة ، وقد علم أنه سيغر فيغتر ، ويستزل فيزل ، حتى يخرجه منها إلى حيث جعل له فيه مستقراً ومتاعا إلى حين، ولما أطرد لهم القول على ما أصلوا ورأوه حسن الظاهر ، قريباً من النفوس ، يروق السامعين ، ويستميل قلوب الغافلين ، نظروا فى كتاب الله فوجدوه ينقض ما قاسوا، ويبطل ما أسسوا، فطلبوا له التأويلات المستكرهة، والمخارج البعيدة ، وجعلوه عويصا وألغازا ، وإن كانوا لم يقدروا من تلك الحيل على ما يصحّ فى النظر، ولا فى اللغة كقولهم فى : (يضل من يشاء) [٩٣/النحل] ، ينسبهم إلى الضلال ، (ويهدى من يشاء) [٩٣ / النحل] ، ينسبهم إلى الهداية، وما فى نسبتهم إلى ذلك ؟ ، حتى يعيد ويبدى ، ولو أراد النسبة لقال يضللهم ، كما يقال يخونهم ويفسقهم ويظلمهم أى ينسبهم إلى ذلك . وقالوا فى قوله ، عز وجلّ :

(وما كان لنفسى أن تؤمن إلا بإذن الله) [١٤٥ / آل عمران] ، أى ما كان لها أن تؤمن إلا بعلم الله ، وعلموا ما يلزمهم إن جعلوا الإذن هنا المشيئة والإطلاق ، وذهبوا إلى قول القائل : (أذنتك بالأمر) ، أى أعلمتك ، وهذا من تأويلهم لا يصح فى نظر ولا لغة .

أما النظر فإنه لم يقل أحد من الناس أن شيئا يحدث فى الأرض لا يعلمه الله فيقول: (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بعلم الله) ، وإنما اختلفوا فى الإذن الذى هو المشيئة والإطلاق، فقال المثبتون: لم يشأ الله أن يؤمن جميع الناس ، ولو شاء لآمنوا . فليس لنفس أن تؤمن حتى يشاء الله ذلك ويطلقه .

وقال أهل القدر : قد شاء الله هذا لكل نفس ، وأطلقه فلها أن تؤمن إن شاءت ، وفى صدر هذا الكلام دليل على ما قال أهل الإثبات لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب إيمان قريش فأنزل الله عليه : (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) [٩٩/يونس] . ثم قال على أثر ذلك : (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) [١٠٠ / يونس] ، يريد بمشيئته وإطلاقه ، فأول الكلام دليل على آخره ، والناس مجمعون لا يختلفون على أن القائل إذا قال : لو شئت لأتيتك . أنه لم يشأ إتيانه ، ولو شئت لحججت ، إنه لم يشأ الحج . ولو شئت لتزوجت أنه لم يشأ التزوج ، فكذلك يلزم فى : (لو شاء ربك لآمن من فى الأرض) [٩٩ / يونس] ، أنه لم يشأ ذلك ، ومثله ، (أن لو شاء الله لهدى الناس جميعا) [٣١ / الرعد] ، (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) [١٣/السجدة]، فإن قال : أراد لو شاء لآمنوا إجبارا، ولكنه لم يشأ أن يجبرهم على ذلك، قيل له: لم يشأه على حال فاجعله بأى وجه شئت،

وقيل : والله يفعل بعباده ما هو أصلح لهم فى كل حال عندهم، فأى الأمرين كان أصلح لهم أن يجبرهم على الايمان فيؤمنوا أو يخليهم وشئونهم فيكفروا ، فهذا النظر.

وأما اللغة فإنه لا يجوز فيها أن يجعل الإذن العلم لأنه الأذن ، ألا ترى أن قائلا لو قال لك : قد آذنتك بخروج الأمير إيذانا أى أعلمتك خروجه إعلاما أن جوابك كان يكون له قد آذنت لقومك أذنا أى سمعته فعلمته. والإيذان المأخوذ من الأذن إنما هو إيقاع الخبر فى الأذن ، والأذن استماعه وعلمه. قال عدىّ بن زيد :

أيها القلب تعلل بددن إن همى فى سماع وأذن

ومنه أذان الصلاة إنما هو إسماع الناس ذكرها حتى يعلموا . وقول الله عز وجل : (وأذان من الله ورسوله) [٣ / التوبة] ، أى إسماع وإعلام ، والإذن فى الشيء أن تشاءه وتطلقه ، تقول : (أذنت له فى الخروج إذنا) ، هذا ما ليس به خفاء على من نظر فى اللغة وفهمها .

وقالوا فى قوله عز وجل (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) [١٤٥ الأنعام] فجعلوا الإرادة فى الهداية والإضلال للعبد لا لله ، وركبوا فى ذلك أفحش غلط وأحول كلام ، والإرادة لاتجوز أن تكون للعبد وقد وليها اسم الله وهو مرفوع بإجماع القراء، ولو كان أحد منهم نصب الله لكان أقرب من المعنى الذى أراده وإن كان لايجوز أيضا، لأنه يضم فى الكلام « من » فيكون معناه من يريد من الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ثم يحذف « من » وينصب الله لما نزع حرف الصلة كما يقال « من يسرق القوم مالهم يقطع » أى يسرق من القوم مالهم ، وهذا ليس يجوز إلا مع حروف معدودة محكية عن العرب، لا نحمل عليها غيرها و نقيسه عليها .

وقالوا فى قوله تعالى : (وقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس) [١٧٩ / الأعراف] دفعنا وألقينا ، واحتج من احتج منهم بقول المثقب العبدى حكاية عن ناقته :

تقول إذا ذرأت لها وضينى أهذا دينه أبدا ودينى

وهذا جهل باللغة وتصحيف ، وإنما هو درأت بالدال غير المعجمة ، والله يقول : (ولقد ذرأنا) بالذال ، وأحسبهم سمعوا بقول العرب (أذرته الدابة عن ظهرها) أى ألقته ، فتوهموا أن ذرأنا من ذلك . ذرأنا فى تقدير فعلنا غير مهموز ، ولو أريد ذلك المعنى لكان « ولقد أذرينا لجهنم » ، وسمعوا بقولهم :

ذرته الريح ، وبقول الله : (فأصبح هشيما تذروه الرياح) [٤٥ / الكهف] أى تنسفه وتلقيه ، فتوهموه منه ، ولو أريد ذلك لكان ، ولقد ذرونا لجهنم ، وليس يجوز أن يكون ذرأنا فى هذا الموضع إلا خلقنا كما قال : (ذرأكم فى الأرض) [٧٩ / المؤمنون] وقال : (يذرؤكم فيه) [١١ / الشورى] أى يخلقكم فى الرحم ، ومنه قيل ذرية الرجل لولده ، وإنما هو خلق الله . وقالوا فى قوله : (إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) [١٥٥ / الأعراف] أراد إن هو إلا اختيارك تضل به من تشاء ، يعنى الفاسقين ، وتهدى من تشاء ، يعنى المؤمنين ، واحتجوا بقوله : (وما يضل به إلا الفاسقين) [٢٦ / البقرة] والفاسقون ههنا الكافرون ، لأنه قال فى صدر الآية ، (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا) [٢٦ / البقرة] . وكيف يضل الضال ويهدى المهتدى ؟ فإن قالوا : يريد الكافر ضلالة ، والمؤمن هداية ، أكذبهم فى هذا الموضع معنى الآية ، لأن فتنة القوم بالعجل أنه كان فضة وحليا ، فتحول جسدا له خوار ، فارتدوا عن الإسلام ، وعبدوه ، ولم يكن مع موسى بنى اسرائيل كافر . ولو كانوا كفارا ما غضب ولا ألقى الألواح . فإنما وقع الضلال ههنا بمسلمين .

وأما قوله عز وجل : (وما يضل به إلا الفاسقين) ، فإنه نزل فى قوم من اليهود سمعوا قوله عز وجل : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت) [٤١ / العنكبوت] وقوله : (إن الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) [٧٣ / الحج] فقالوا ما هذه الأمثال التى لاتليق بالله ؟ فأنزل الله عز وجل : (إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) [٢٦ / البقرة] من الذباب والعنكبوت . فقالوا : ما أراد بمثل ينكره الناس ، فيضل به كثيرا منهم . فقال الله تعالى : (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا

الفاسقين) [٢٦ / البقرة] ، يعنى: اليهود خاصة ، لأنهم ضلوا بالمثل ، وأنكروا ، ولم ينكره غيرهم .

وقد يأتى الحرف وظاهره العموم ، ومعناه الخصوص ، كقول موسى عليه السلام : (وأنا أول المؤمنين) [١٤٣ / الأعراف] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (وأنا أول المسلمين) [١٦٣ / الأنعام] ، لم يريدا كل المؤمنين وكل المسلمين فى جميع الأزمنة ، بل مؤمنى زمن موسى ، ومسلمى زمن نبينا ، عليهما السلام وكذلك قوله تعالى فى بنى إسرائيل : (فضلكم على العالمين) [١٤٠ / الأعراف] . لم يفضلهم على محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا أممهم على أمته ، وإنما أراد عالمى أزمنتهم .

وشىء لم نزل نسمعه منهم على قديم الأيام قد ارتضوه لأنفسهم ودونوه فى كتبهم ، وأجمع عليه عالمهم وجاهلهم وكهلهم ، وحدثهم فى تأويل قول الله عز وجل: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) [٢٣ / الجاثية] . وقوله : (إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) [٩ / يس] . وقوله : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) [٧ / البقرة] . وأشباه هذا أنه حكم عليهم ، فإذا نحن تدبرنا هذا التأويل قابلنا به التنزيل،لم نجد هذا المتأول حمل كتاب الله على مثل هذه التأويلات إلا لإقامة مذهبه، وحاول بعضهم إبدال بعض حروفه بغيرها فقرأ:(عذابى أصيب به من أساء) [١٥٦/الأعراف]بالسين غير المعجمة والنصب، وقرأ جميع مافى القرآن من المخلصين بكسر اللام،وإن كان قرأ بذلك بعض القراء، يريد أن يجعل الإخلاص لهم وألا يكون لله فى ذلك صنع،فكيف يصنع بقوله : (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) [٤٦/ص]. وقرأ : (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما)

[١٧٨ / آل عمران] بكسر ، إنما الأولى وفتح الثانية . يريد لايحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ، أنما نملى لهم خير لانفسهم ، فحرف المعنى عن جهته ونقله عن سننه ، وجعل الاملاء للكفار من الله إنما هو لخير يريده بهم .

وقد حمل بعضهم نفسه ، على أن قرأ (ليزدادوا إيمانا) وألحقها فى بعض المصاحف طمعا فى أن تبقى على الدهر ويجعلها الناس وجها ، وكيف له ما قدر ، والله يقول إلى جنبها (ولهم عذاب مهين) [١٧٨ / آل عمران] ؟

ولما رأى قوم من أهل الإثبات إفراط هؤلاء فى القدر ، وكثر بينهم التنازع ، حملهم البغض لهم ، واللجاج على أن قابلوا غلوهم بغلو ، وعارضوا إفراطهم بإفراط ، فقالوا بمذهب جهم فى الجبر المحض ، وجعلوا العبد المأمور المنهى المكلف لا يستطيع من الخير والشر شيئاً على الحقيقة ، ولا يفعل شيئا على الصحة . وذهبوا إلى أن كل فعل ينسب إليه فإنما ينسب إليه على المجاز ، كما يقال فى الموات : مال الحائط ، وإنما يراد أميل ، وذهب البرد ، وإنما ذهب به ، وكلا الفريقين غالط ، وعن سوء الحق حائد . ولو كان الأمر على ما قالوا ، لم يكن القدر سراً ، ولم يكن الناظر فيه كالناظر فى شعاع الشمس . ففيم اختصمت الملائكة ؟ وفيم ألح عزير فى السؤال حتى محى من ديوان النبوة ؟ وفيما احتج آدم وموسى ؟ وإنما صار سراً ، لانك ترى قادراً ، وهو عاجز ، ومؤيداً وهو ممنوع وترى حازما ومحروما ، وعاجزا مرزوقا وشجاعا مخذولا ، وجبانا منصوراً ، وعاقلا لا يستشار فى الأمور ، ولا يستعمل ، وساقطا متهافتا لا يعطل ، وعالمين متقاربين فى العلم والنظر فى الدين خصمين ، وهما مختلفان ، فهذا يقول بالإهمال المحض ، وذاك يقول بالإجبار المحض ، وهذا حرورى ، وذاك رافضى .

وترى أعداء الله يدالون أولياءه حتى يقتلوهم كل قتلة ، ويمزقوهم كل ممزق .

وترى الناس أصنافا فى التفضيل فمنهم قوم ابتدأهم الله بالنعم ، وأسكنهم ريف الأرض ، وأكرمهم وأخدمهم ، وحسن وجوههم ، وبيض ألوانهم ، وسقاهم العذب النقاح ، ورزقهم من الطيبات ، وأطعمهم من كل الثمرات ، ووفر عليهم العقول

والأفهام ، وفتق ألسنتهم بالحكمة ، وألبابهم بالعلم ، وبعث فيهم بالقرب منهم الرسل ، كأهل هـذا الإقليم الذى أسكنناه الله بفضله .

ومنهم قوم أنزلهم الله أطراف الأرض ، وجـدوبة البـلاد ، وأذلهم وأعراهم ، وشـوه خلقهم ، وسوّد ألوانهم ، وسـقاهم الملح الأجاج ، وجعل أقواتهم الحشرات والنبات ، وسلبهم العقول ، وباعدهم من مبعث الرسل، ومنتهى الدعوة ، فهم كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ، ثم جعلهم لجهنم حصبيا ، ولسعيرها وقودا ،كالزنج ، وصنوف كثيرة من السودان ، وأصناف من الأعاجم، ويأجوج ومأجوج . فهل لهؤلاء أن يحتجوا على الله بما منح غيرهم ، ومنعهم ؟ . لالعمر الله ، ما لأحد عليه حجة ، ولاقبله حق ، ولا فيما خلق شرك ، بل له الحجة البالغة وهو الفعال لما يريد .

وعدل القول فى القدر أن تعلم أن الله عدل لا يجور، كيف خلق، وكيف قدر ، وكيف أعطى ، وكيف منع . وأنه لا يخرج من قدرته شيء ، ولا يكون فى ملكوته من السموات والأرض إلا ما أراد ، وأنه لا دين لأحد عليه ، ولا حق لأحد قبله . فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل . وإن العباد يستطيعون ويعملون، ويجزون بما يكسبون ، وإن لله لطيفة يبتدى بها من أراد ، ويتفضل بها على من أحب ، يوقعها فى القلوب فيعود بها إلى طاعته ، ويمنعها من حقت عليه كلمته .

فهذه جملة ما ينتهى إليه علم ابن آدم من قدر الله عز وجل ، وما سوى ذلك مخزون عنه .

وتعمق آخرون فى النظر ، وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد بنفى التشبيه عن الخالق ، فأبطلوا الصفات مثل : الحلم ، والقدرة ، والجلال ، والعفو ،وأشباه ذلك فقالوا : نقول هو الحليم ، ولا نقول بحلم ، وهو القادر ، ولا نقول بقدرة . وهو العالم ولا نقول بعلم . كأنهم لم يسمعوا إجماع الناس على أن يقولوا (أسألك عفوك) وأن يقولوا : (يعفو بحلم ويعاقب بقدرة) . والقدير هو ذو القدرة ، والعفو هو ذو العفو ، والجليل هو ذو الجلال ، والعليم هو ذو العلم .

فإن زعموا أن هذا مجاز قيل لهم : ماتقولون فى قول القائل : (غفر الله لك وعفاعنك ، وحلم الله عنك)؟ ، أمجاز هو أم حقيقة ، ؟ : فإن قالوا : هو مجاز ، فالله لايغفر لأحد ، ولايعفو عن أحد ، ولايحلم عن أحد على الحقيقة ، ولن يركبوا هذه . وإن قالوا : حقيقة ، فقد وجب فى المصدر ما وجب فى الصدر ، لأنا نقول : غفر الله مغفرة ، وعفا عفوا ، وحلم حلما . فمن المحال أن يكون واحد حقيقة والآخر مجازا . وقال الله : (إن كيدى متين)[١٨٣/الأعراف]وأجمع الناس على أن الحول والقوة لله ، والحول الحيلة . وقالوا فى (سميع بصير) هما سواء ، ليس فى سميع من المعنى إلا مافى بصير ، ولافيهما إلا معنى عليم . وقد سمع الله قول اليهود : (إن الله فقير ونحن أغنياء)[١٨١/آل عمران] حين قالوه ، وعلمه قبل أن يقولوه . فهل يجوز لأحد أن يقول : إن الله سمعه قبل أن يقولوه ؟

وكذلك قول المجادلة فى زوجها ، قد سمع الله جدالها وسمع محاورتها للنبى صلى الله عليه وسلم حين جادلته وحاورته ، وعلمه قبل أن تجادل وتحاور به . فهل لأحد أن يقول : إن الله قد سمعه قبل أن يكون . ؟ . وإذا لم يجز ذلك فقد علم أن فى (سميع) معنى غير معنى (عليم) . والله يقول : (إننى معكما أسمع وأرى) [٤٦/طه] .

وقالوا فى كلام الله : إنه مخلوق لأن الله تعالى قال : (إنا جعلناه قرآنا عربيا) [٣/الزخرف] . والجعل بمعنى الخلق ، ولأنه قال : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)[٢/الأنبياء] ، وكل محدث مخلوق . وإن معنى كلم الله أوجد كلاما ، و : (كلم الله موسى تكليما)[١٦٤/النساء] أوجد كلاما سمعه . فخرجوا بهذا التأويل من اللغة ومن المعقول لأن معنى تكلم الله أتى بالكلام من عنده ، وترحم الله أتى بالرحمة من عنده . كما يقال : تخشع فلان أتى بالخشوع من نفسه ، وتشجع أتى بالشجاعة من نفسه ، وتبتل أتى بالتبتل من نفسه ، وتحلم أتى بالحلم من نفسه ولو كان المراد (أوجد كلاما) لم يجز أن يقال (تكلم) وكان الواجب أن يقال (أكلم) كما يقال (أقبح الرجل) أتى بالقباحة و (أطاب) أتى بالطيب و(أخس)

أتى بالخساسة . وأن يقال : (أكلم الله موسى إكلاما) ، كما يقال : (أقبر الله الميت) ، أى جعل له قبراً ، أو (أرعى الله الماشية) ، جعلها ترعى فى أشباه لهذا كثيرة لا تخفى على أهل اللغة .

والعرب تسمى الكلام لسانا لأنه عن اللسان يكون . قال الشاعر وهو أمية بن أبى الصلت :

وأسمع كلام الله كيف شكوله فاعجب ويلسنك الذى تستنشد

أراد أسمع كلام الله ، ثم قال : ويلسنك أى يكلمك الذى تستنشده أى كأنه يكلمك ، وقال الله عز وجل حكاية عن إبراهيم : (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) [٨٤ / الشعراء] .

وقال الشاعر

إنى أتتنى لسان لا أسر بها أى أخبرت .

وأما استشهادهم بالجعل على خلق القرآن فى قول الله: (إنا جعلناه قرآنا عربيا) [٣ / الزخرف] ، فإن الجعل يكون بمعنيين ، أحدهما خلق، والآخر غير خلق .

فأما الموضع الذى يكون فيه خلقا ، فإذا رأيته متعديا إلى مفعول واحد لا يجاوزه كقول الله : (خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) [١ / الانعام] ، فهذا بمعنى خلق . وكذلك : (وجعل منها زوجها) [١ / النساء] ، أى خلق منها — وأما الموضع الذى يكون فيه غير الخلق ، فإذا رأيته متعديا إلى مفعولين كقوله : (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) [٩١ / النحل] ، أى صيّرتم ، وكقوله : (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها) [٦٦ / البقرة] . وكقول القائل : (جعل فلان أمر امرأته فى يدها) ، فإن هم وجدوا فى القرآن كله « جعل » متعدية إلى القرآن وحده ليقضوا عليه بالخلق ، فنحن نتابعهم ، وكذلك المحدث ليس هو فى موضع بمعنى مخلوق ، فإن أنكروا ذلك فليقولوا فى قول الله : (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) [١ / الطلاق] ، إنه يخ ق . وكذلك

قوله : (لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا) [١١٣ / طه] ، أى يحدث لهم القرآن ذكرا . والمعنى يحدد عندهم ما لم يكن .

وكذلك قوله : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)، أى ذكر حدث عندهم لم يكن قبل ذلك. وفعلوا فى كتاب الله أكثر مما فعل الأولون فى تحريف التأويل عن جهته، فقالوا فى قول الله (وقالت اليهود يد الله مغلولة) [٦٤/المائدة] ، إن اليد ههنا ، النعمة ، وما ننكر أن اليد قد تتصرف على ثلاثة وجوه من التأويل ، أحدهما النعمة . والآخر القوة من الله : (أولى الأيدى والأبصار) [٤٥ / ص] يريد أول القوة فى دين الله ، والبصائر ، ومنه يقول الناس : (ما لى بهذا الأمر يد) ، يعنون مالى به طاقة . والوجه الثالث : اليد بعينها ، ولكنه لا يجوز أن يكون أراد فى هذا الموضع النعمة ، لأنه قال : (وقالت اليهود يد الله مغلولة) [٦٤ / المائدة] ، والنعم لا تغل ، وقال : (غلت أيديهم) [٦٤ / المائدة] . معارضة بمثل ما قالوا ، ولا يجوز أن يكون أراد غلت نعمهم ثم قال : (بل يداه مبسوطتان) [٦٤ / المائدة] ، ولا يجوز أن يريد (نعمتاه مبسوطتان) ، وكان مما احتجوا به للنعمة قوله : (غلت أيديهم) ، لو أراد اليد بعينها لم يكن فى الأرض يهودى غير مغلول اليد .

فما أعجب هذا الجهل والتعسف فى القول بغير علم . ألم يسمعوا بقول الله تعالى : (قتل الإنسان ما أكفره) [١٧ / عبس] ، وبقوله : (قاتلهم الله أنى يؤفكون) [٣٠ / التوبة] ، وقوله : (لعنوا بما قالوا) [٦٤ / المائدة] . واللعن الطرد ، فهل قتل الله الناس جميعا ؟ وهل قتل قوما وطرد آخرين ؟ ولم يسمعوا بقول العرب : (قاتله الله ما أبطشه) و (أخزاه الله ما أشعره) ، وبقول النبى صلى الله عليه وسلم لرجل : (تربت يداه) أى افتقر ولم يفتقر ، ولمرأة : (عقرى حلقى) ولم يعقرها الله ، ولا أصاب حلقها بوجع ، فإن قال لنا : ما اليدان ههنا ؟ قلنا له : هما اليدان اللتان تعرف الناس .

كذلك قال ابن عباس فى هذه الآية: (اليدان اليدان)، وقال النبى صلى الله عليه وسلم:

(كلتا يديه يمين) . فهل يجوز لأحد أن يجعل اليدين ههنا نعمة أو نعمتين ؟ وقال : (لما خلقت بيدى) [٧٥ / ص] ، فنحن نقول كما قال الله تعالى ، وكما قال رسوله ، ولا نتجاهل ، ولا يحملنا ما نحن فيه من نفى التشبيه على أن ننكر ما وصف به نفسه ، ولكنا لا نقول كيف اليدان ؟ وإن سئلنا نقتصر على جملة ما قال ، ونمسك عما لم يقل . وتأويل الآية : إن اليهود قالت : يد الله مغلولة أى ممسكة عن العطاء ، فضرب الغل فى اليد مثلا لأنه يقبض اليد عن أن تمتد وتنبسط كما تقبض يد البخيل ، فقال الله تعالى : (غلت أيديهم) ، أى قبضت عن العطاء والإنفاق فى الخير ، والبر ، (ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) [٦٤ / المائدة] ، بالعطاء : (ينفق كيف يشاء) [٦٤ / المائدة] ، ومثله قوله : (إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون) [٨ / يس] ، أى قبضنا أيديهم عن الإنفاق فى سبيل الله بموانع كالأغلال . وأما قول النبى صلى الله عليه وسلم : (كلتا يديه يمين) ، فإنه أراد معنى التمام والكمال ، لأن كل شىء فمياسره تنقص عن ميامنه فى القوة والبطش والتمام . وكانت العرب تحب التيامن، وتكره التياسر لما فى اليمين من التمام ، وفى اليسار من النقص ، ولذلك قيل : اليمن والشؤم ، فاليمن فى اليد اليمنى ، والشؤم فى اليد الشومى ، وهى اليسرى . وقالوا : فلان ميمون من اليمين ، ، ومشئوم من الشؤمى وهى الشمال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأبل : (إن أدبرت أدبرت وإن أقبلت أدبرت ولا يأتى نفعها من جانبها الأشأم) يعنى الأيسر . ويمكن أيضا أن يريد العطاء باليدين جميعاً لأن اليمنى هى المعطية ، فإذا كانت اليدان يمين كان العطاء بهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يمين الله سحاء لا يغيضها شىء الليل والنهار) أى تصب العطاء ولا ينقصها ذلك ، وإلى هذا المعنى ذهب المرار حيث يقول :

وإن على الأوانة من عقيل ... فتى كلتا اليدين له يمين

وقالوا فى قوله تعالى : (ونفخت فيه من روحى) [٤٩/الحجر] إن الروح هو الأمر أى أمرت أن يكون .

واحتجوا بقول سليمان وأبى الدرداء (إنا نقوم فنكبر بروح الله) أى بكلامه ، والروح كما ذكروا قد يكون كلام الله فى بعض المواضع نحو قوله : (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) [١٥/غافر] وكقوله عز وجل (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) . والروح أيضا روح الأجسام الذى يقبضه الله عند الممات ، والروح أيضا ملك عظيم من ملائكة الله . قال الله تعالى : (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) [٣٨/النبأ] والروح الرحمة ، قال الله تعالى : (وأيدهم بروح منه) [٢٢/المجادلة] أى برحمة ، كذلك قال المفسرون . وقال الله تعالى : (فروح وريحان) [٨٩/الواقعة] فمن قرأ بالضم أراد فرحمة ورزق . ويقال : فبقاء ورزق . والروح النفخ ، سمى روحا لأنه ريح يخرج عن الروح ، وأى شىء جعلت الروح من هذه التأويلات . فإن « نفخت » لايحتمل إلا معنى واحدا ، قال ذو الرمة وذكر نارا قدحها :

وقلت له ارفعها إليك وأحيها بروحك واقتته لها قيتة قدرا

يقول : أحى النار بنفخك ، فنحن نؤمن بالنفخ وبالروح ، ولا نقول كيف ذلك ، لأن الواجب علينا أن ننتهى فى صفات الله إلى حيث انتهى فى صفته أو حيث انتهى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولانزيل اللفظ عما تعرفه العرب وتضعه عليه ونمسك عما سوى ذلك .

وقالوا فى قوله : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [٢٣/القيامة] . أى منتظرة . والعرب تقول : نظرتك وانتظرتك بمعنى واحد . ومنه قوله تعالى : (أنظرونا نقتبس من نوركم) [١٣/الحديد] أى انتظرونا . وقال الحطيئة :

وقد نظرتكم إيناء صادرة للخمس طال بها حوزى وتنساسي

أى انتظرتكم ، وما ننكر أنّ نظرت قد يكون بمعنى انتظرت ، وأن الناظر قد يكون بمعنى المنتظر . غير أنه يقال : أنالك ناظر أى أنا لك منتظر . ولا يقال أنا اليك ناظر أى إليك منتظر ، إلا أن يريد نظر العين ، والله يقول : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ولم يقل لربها ناظرة ، فيحتمل ماتأولوا. فأمادفعهم نظر العين بقول الله تعالى : (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) [١٠٣/الأنعام] وبقول موسى عليه السلام (رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى) [١٤٣/الاعراف] فإنه أراد (لاتدركه الأبصار) فى الدنيا . وأراد (لن ترانى) فى الدنيا لأنه تعالى احتجب عن جميع خلقه فى الدنيا ، وتجلى لهم يوم الحساب ويوم الجزاء والقصاص ، فيرونه كما يرى القمر فى ليلة البدر لايختلفون فيه كما لايختلفون فى القمر . ولم يقع التشبيه بها [١] على حالات القمر من التدوير والمسير والحدود وغير ذلك ، وإنما وقع التشبيه بها فى أن إدراكه يوم القيامة كإدراكنا القمر ليلة البدر ، لايختلف فى ذلك ، كما لايختلف فى هذا . والعرب تضرب بالقمر المثل فى الشهرة والظهور . قال ذو الرمة :

فقد بهرت فما تخفى على أحد إلا على أحد لايعرف القمرا

ويقولون : هذا أبين من الشمس ومن فلق الصبح ،وأشهر من القمر . وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قاض على الكتاب ومفسر له ، والخبر فى الرؤية ليس من الأخبار التى يدفعها إلا جاهل أو معاند ظالم لتتابع الروايات به من الجهات الكثيرة عن الثقات ، فلما قال الله عز وجل : (لاتدركه الأبصار) وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ترون الله يوم القيامة) لم يخف على ذى نظر أنه فى وقت دون وقت . وفى قول موسى عليه السلام أيضا : (رب أرنى أنظر اليك) أبين الدلالة بأنه يرى فى القيامة ، ولو كان الله لايرى فى حال من الأحوال ، ولايجوز عليه النظر ، لكان موسى قد خفى عليه من صفة الله ماعلموه.

---

(١) فى الأصل : بكما .

ومن قال : إن الله يدرك بالبصر يوم القيامة ، فقد حده عندهم . ومن كان الله عنده محدودا فقد شبهه بالمخلوقين . ومن شبهه عندهم بالخالق فقد كفر . فما نقول فى موسى فيما بين أن نبأه الله عز وجل وكلمه من الشجرة إلى الوقت الذى قال له فيه : (أرنى أنظر اليك) أنقضى عليه بأنه كان مشبها لله محدداً ؟ لا لعمر الله ، ما يجوز أن يجهل موسى من الله مثل هذا لو كان على تقديرهم ، ولكن موسى علم أن الله يرى يوم القيامة فسأل الله أن يجعل له فى الدنيا ما أحله لأنبيائه وأوليائه يوم القيامة فقال : (لن ترانى) يعنى فى الدنيا . (ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى) [١٣٤/الأعراف] أعلمه أن الجبل لايقوم لتجليه ، حتى يصير دكا . وأن الجبال إذا ضعفت عن احتمال ذلك فابن آدم أحرى أن يكون أضعف إلى أن يعطيه الله يوم القيامة مايقوى به على النظر ، ويكشف عن نظره الغطاء الذى كان فى الدنيا فيصير بعد الكلال حديدا ، والتجلى هو الظهور ، ومنه يقال : جلوت المرآة والسيف إذا أظهرتها من الصدأ ، وجلوت العروس إذا أبرزتها .

وقالوا فى قوله : (تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك) [١١٦/المائدة] . أى تعلم ماعندى ولاأعلم ماعندك ، كما قال : (وعنده مفاتح الغيب)[٥٩/الأنعام] وكما يقول القائل : عندى علم ذاك . وهذا كما ذهبوا إليه فى احتمال التأويل على بعد ، والله أعلم بما أراده . ولكن (عند) تدل على قرب ، وهم يزعمون أن الله تعالى لايكون إلى شىء أقرب منه إلى شىء آخر ، وأنه على العرش استوى فى الحقيقة مثله فى الأرض . والعجب لقوم لا يؤمنون إلا بما يصح فى المعقول ، ثم خرجوا من كل معقول بقولهم : إن الله فى كل مكان بغير مماسة ، ولا مباينة ، وبغير موافقة ، ولا مفارقة . وقد قال أمية يذكر قرب موسى عليه السلام من الله حين كلمه .

وهو أقرب الأنام إلى اللـــــه كقرب المداد للمنوال

يقول وهو كقرب مداد الثوب من الخشبة التى ينسج الثوب عليها ، والله يقول : (وقربناه نجيا) [٥٢/مريم] النجى فى معنى المناجى وهو من كلمك من قرب ، كما يقال جليس بجالس ، وأكيل مؤاكل ، وكذلك كليم الله بمعنى مكالم الله وخليل الله بمعنى مخال الله . قال الله عز وجل : (خلصوا نجيا) [٨٠/يوسف] . وقال أبو زبيد يذكر رجلا ساور الأسد :

وثار عليه إعصار وهيجا نجيـاليس بينهما جليس

يريد أن كل واحد قرب من الآخر .

وطلبوا للعرش معنى غير السرير ، والعلماء بالله لايعرفون للعرش معنى إلا السرير ، وماعرش من السقوف وأشباهها . وقال أمية بن أبى الصلت :

مجدوا الله وهو للمجد أهـل ربنا فى السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذى سبق النـــــاس وسوى فوق السماء سريرا

شرجعا لا يناله بصر العيـــــن ترى دونه الملائك صورا

وطلبوا للكرسى غير مانعلم ، وجاءوا بشطر بيت لايعرف ماهو ، ولا يدرى من قائله (ولا يكرسىء علم الله مخلوق) والكرسى غير مهموز بإجماع الناس جميعا ويكرسى مهموز .

وقالوا فى قول الله عز وجل : (خلق الإنسان من عجل) [٣٧/الأنبياء] أى من طين ، وجاءوا ببيت لايعرف ولايدرى من قاله :

(والحب ينبت بين الماء والعجل) .

لما اشتبه عليهم قوله : (خلق الإنسان من عجل) تمحلوا له هذه الحيلة وهذه من المقدم والمؤخر ، أراد خلق العجل من الإنسان ، ومثله كثير ، ونزهوا الله فيما زعموا عن أن يكون خليلا لمخلوق ، لأن الخلة الصداقة ، فقالوا فى قوله تعالى :

(واتخذ الله إبراهيم خليلا) [١٢٥/النساء] اتخذه فقيرا إليه، وجعلوه من الخلة بنصب الخاء واحتجوا بقول زهير:

وإن أتاه خليل يوم مسألة   يقول لاغائب مالى ولاحرم

أى فقير، فقبحا لهذه العقول وهذا النظر! أما سمعوا ويحهم بإجماع الناس جميعا على أن الخلة بضم الخاء لإبراهيم، وعلى أن موسى كليم الله، وإبراهيم خليل الله؟ وعيسى روح الله؟ فإن كان معنى خليل الله: الفقير إلى الله، فأى فضيلة لإبراهيم فى هذا القول؟ إذ كان الناس جميعا فقراء الى الله. والعجب لهم كيف لم يقولوا فى قول الناس: موسى كليم الله، أنه جريح الله من الكلم أو من معنى آخر، مامنعهم من ذلك إلا أن الله يقول: (إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) [١٤٤/الأعراف] فضاق عليهم الاحتيال. وما أشبه هذا بقولهم فى (وعصى آدم ربه فغوى) [١٢١/طه] أى بشم من أكل الشجرة، وذهبوا إلى قول العرب: غوى الفصيل إذا أتخم، وهذا غوى يغوى، وذلك غوى يغوى بكسر الواو غيا، ولو وجدوا فى (وعصى آدم) مثل هذا التأويل أيضا لقالوه.

وقالوا فى قوله: (الرحمن على العرش استوى) [٥/طه] أنه استولى. وليس يعرف فى اللغة، استويت على الدار أى استوليت عليها. وإنما استوى فى هذا المكان: استقر. كما قال تعالى: (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك) [٢٨/المؤمنون] أى استقررت، وقد يقول الرجل لصاحبه إذا رآه مستوفزا: (استو) يريد (استقر) وأما قوله: (ثم استوى إلى السماء) [٢٩/البقرة] فإنه أراد عمد لها وقصد. فكل من كان فى شىء ثم تركه لفراغ أو غير فراغ وعمد لغيره فقد استوى إليه. فهذا مذهب القوم فى تأويل الكتاب بآرائهم وعلى ما أصلوا من قولهم.

وأما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنهم اعترضوه بالنظر ، فما كان له وجه فى النظر من هذه الجهة صدقوا به ، وما لم يكن له مخرج ردوه واستشنعوه وكذبوا ناقليه ، ولم يلتفتوا إلى صحيح من الحديث ولا سقيم ، فآمنوا بمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن) لأنه عندهم يحتمل المخرج فى اللغة . وقالوا : الإصبع النعمة . يذهبون إلى قول الراعى :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له .·. عليها إذا ما أحل الناس أصبعا

أى ترى له عليها أثراً حسنا . وكقول الطفيل يصف فحل إبل :

كميت كبكر الناب أحيا بنابه .·. مقاليتها واستحملتهن أصبع

يقول لما ضرب فى الإبل هذا الفحل عاشت أولادها ، وكانت قبل ذلك مقاليت لا يعيش لها ولد . وقوله : (واستحملتهن أصبع) ، أى ظهر عليهن أثر حسن من المرعى والعرب تقول : ما أحسن اصبع فلان على ماله .

ومن تدبر هذا التأويل وجده لا يشاكل ما تقدم من قول النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث، لأنه قال فى دعائه : (يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) ، فقالت إحدى أزواجه : أو تخاف يارسول الله على نفسك ؟ فقال : (إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله) ، فلو كان قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الله لكان القلب محفوظا بتينك النعمتين ، فلأى شيء دعا بالتثبيت ؟ ولم احتج على المرأة التى قالت له : (أتخاف على نفسك) ، يؤكد قولها ، وكان ينبغى أن لا يخاف إذا كان القلب محرساً بنعمتين وأنكروا الحديث الآخر (يحمل الأرض على أصبع وكذا على أصبع) ، لأن الأصابع ههنا لا يجوز أن تكون النعمة .

وقالوا فى الضحك : هو مثل قول العرب : (ضحكت الأرض بالنبات) ،

إذا طلع فيها ضروب الزهر ، (وضحكت الطلعة) إذا انفتق كافورها عن بياضها ، (وضحك المزن) ، إذا لمع فيه البرق ، وليس من هذه شيء إلا وللضحك فيه معنى حدث . فإ كان الضحك الذى فروا منه فيه تشبيه بالإنسان، فإن فى هذا تشبيها بهذه المعانى .

ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء فى النفى، عارضوهم بالإفراط فى التمثيل فقالوا بالتشبيه المحض ، وبالأقطار والحدود ، وحملوا الألفاظ الجائية فى الحديث على ظاهرها ، وقالوا بالكيفية فيها ، وحملوا من مستشنع الحديث عرق الخيل وحديث عرفات ، وأشباه هذا من الموضوع، ما رأوا أن الإقرار به من السنة وفى إنكاره الريبة . وكلا الفريين غالط . وقد جعل الله التوسط منزلة العدل ، ونهى عن الغلو فيما دون صفاته ، من أمر ديننا فضلا عن صفاته ، ووضع عنا أن نفكر فيه كيف كان ؟ وكيف قدر ؟ وكيف خلق ؟ ولم يكلفنا ما لم يجعله فى تركيبنا ووسعنا .

وعدل القول فى هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤية والتجلىّ ، وأنه يعجب وينزل إلى السماء ، وأنه على العرش استوى ، وبالنفس واليدين من غير أن نقول فى ذلك بكيفية أو بحدّ أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت ، فنرجو أن نكون فى ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غدا إن شاء الله تعالى .

وقد رأيت هؤلاء أيضا حين رأوا غلو الرافضة فى حب علىّ ، وتقديمه على من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته عليه وادعاءهم له شركة النبى صلى الله عليه وسلم ، فى نبوته ، وعلم الغيب ، للأئمة من ولده ، وتلك الأقاويل ، والأمور السرية التى جمعت إلى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة ، ورأوا شتمهم خيار السلف وبغضهم وتبرأهم منهم،قابلوا ذلك أيضاً بالغلو فى تأخير على كرم الله وجهه وبخسه حقه ، ولحنوا فى القول وإن لم يصرحوا إلى ظلمه، واعتدوا عليه

بسفك الدماء بغير حق ، ونسبوه إلى الممالأة على قتل عثمان رضى الله عنه ، وأخرجوه بجهلهم عن أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن ، ولم يوجبوا اسم الخلافة لاختلاف الناس عليه ، وأوجبوها ليزيد بن معاوية لاجماع الناس عليه، واتهموا من ذكره بغير خير .

وتحامى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله كرم الله وجهه أو يظهروا ما يجب له . وكل تلك الأحاديث لها مخارج صحاح . وجعلوا ابنه الحسين عليه السلام خارجياً شاقاً لعصا المسلمين ، حلال الدم ، لقول النبى صلى الله عليه وسلم (من خرج على أمتى وهم جميع فاقتلوه كائنا من كان) ؛ وسووا بينه فى الفضل وبين أهل الشورى ، لأن عمر لو تبين له فضله لقدمه عليهم ، ولم يجعل الأمر شورى بينهم، وأهملوا من ذكره أو روى حديثا من فضائله حتى تحامى كثير من المحدثين أن يتحدثوا بها، وعنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص ومعاوية كأنهم لا يريدونهما بذلك ، وإنما يريدونه . فإن قال قائل : (أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم على وأبو سبطيه الحسن والحسين،وأصحاب الكساء علىّ وفاطمة والحسن والحسين) تمعرت الوجوه ، وتنكرت العيون ، وطرت حسائك الصدور، وإن ذكر ذاكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من كنت مولاه فعلى مولاه) ، و (أنت منى بمنزلة هارون من موسى) وأشباه هذا التمسوا لتلك الأحاديث المخارج لينتقصوه ويبخسوه حقه ،بغضا منهم للرافضة وإلزاما لعلى عليه السلام بسببهم مالا يلزمه ، وهذا هو الجهل بعينه ، والسلامة لك أن لا تهلك بمحبته ،ولا تهلك ببغضته ، وأن لا تحتمل ضغنا عليه بجناية غيره ، فإن فعلت فأنت جاهل مفرط فى بغضه ، وأن تعرف له مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتربية والأخوة والصهر والصبر فى مجاهدة أعدائه وبذل مهجته فى الحروب بين يديه ، مع مكانه فى العلم والدين ، والبأس والفضل ، من غير أن تتجاوز به الموضع الذى وضعه به خيار السلف، لما تسمعه من كثير من فضائله ، فهم كانوا أعلم به وبغيره ، ولأن ما أجمعوا عليه هو العيان الذى لا يشك فيه ، والأحاديث المنقولة قد يدخلها تحريف وشوب ، ولو كان إكرامك لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى دعاك إلى محبة من نازع

عليّا وحاربه ولعنه ، إذ صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمه ، وكنت قد سلكت فى ذلك سبيل المستسلم ، لأنت بذلك فى علىّ عليه السلام أولى لسابقته وفضله وخاصيته وقرابته والدناوة التى جعلها الله بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المباهلة حين قال تعالى : (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) [١٦/ آل عمران] ، فدعا حسنا وحسينا : (ونساءنا ونساءكم)[١٦/ آل عمران] فدعا فاطمة عليها السلام (وأنفسنا وأنفسكم) [٦١ / آل عمران] فدعا عليّا عليه السلام . ومن أراد الله تبصيره بصّره ، ومن أراد به غير ذلك حيّره .

ثم انتهى بنا القول إلى ذكر غرضنا من هذا الكتاب، وغايتنا من اختلاف أهل الحديث فى اللفظ بالقرآن وتشانئهم ، وإكفار بعضهم بعضا . وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة ، ولا مما يوجب الوحشة ، لأنهم مجمعون على أصل واحد وهو القرآن كلام الله غير مخلوق ، فى كل موضع وبكل جهة ، وعلى كل حال . وإنما اختلفوا فى فرع لم يفهموه لغموضه ولطف معناه ، فتعلق كل فريق منهم بشعبة منه، ولم يكن معهم آلة التمييز ولا فحص النظارين ، ولا علم أهل اللغة ، فإذا فكر أحدهم فى القراءة وجدها قد تكون قرآنا لأن السامع يسمع القراءة وسامع القراء سامع القرآن . وقال الله عز وجل : (فاستمعوا له) [٢٠٤ / الأعراف] وقال : (حتى يسمع كلام الله) ، ووجدوا العرب تسمى القراءة قرآنا . قال الشاعر فى عثمان بن عفان رضى الله عنه :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به .·. يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

أى تسبيحا وقراءة.

وقال أبو عبيد : يقال . قرأت قراءة وقرآنا ، بمعنى واحد فجعلها مصدرين لقرأت . وقال الله تعالى : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) [٧٨ / الإسراء] ، أى قراءة الفجر ، فيعتقدون من هذه الجهات أن القراءة هى القرآن غير مخلوق ، ويفكر آخر فى القراءة فيجدها عملا ، لأن

الشراب يقع على عمل ، لا على أن قرآنا فى الأرض [1] ، ويجد الناس يقولون : قرأت اليوم كذا وكذا سورة ، وأقرأت فى تقدير فعلت كما تقول ضربت، وأكلت وشربت ، وتجدهم يقولون : قراءة فلان أحسن من قراءة فلان . إنما يريدون أداء، فلان للقرآن أحسن من أداء فلان، وقراءة فلان أصوب من قراءة فلان ، وإنما يراد فى جميع هذا العمل لأنه لايكون قرآن أحسن من قرآن ، فيعتقد من هذه الجهة أن القراءة عمل ،وأنها غير القرآن ، وأن من قال :(القراءة غير مخلوقة) فقد قال : إن أعمال العباد غير مخلوقة . فلما وقت هذه الحيرة ونزلت هذه البلية فزع الناس إلى علمائهم، وذوى رأيهم،فاختلفوا عليهم فقال فريق منهم: القراءة فعل محض وهى مخلوقة كسائر أفعال العباد والقرآن غيرها ، وشبهوها ، والقرآن ، بالضرب والمضروب ، والآكل والمأكول ، فاتبعهم على ذلك فريق . وقالت فرقة : هى القرآن بعينه : ومن قال : إن القراءة مخلوقة فقد قال بخلق القرآن ، واتبعهم قوم . وقالت فرقة : هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها ولم يتكلفوها ولا تعاطوها . واختلفت عن أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الروايات ورأينا كل فريق منهم يدعيه ، ويحكى عنه قولا ، فإذا كثر الاختلاف فى شيء ووقع التهاتر فى الشهادات به أرجأناه مثل أن ألغيناه ، ومن عجيب ما حكى عنه مما لا يشك أنه كذب عليه إذ كان موفقا بحمد الله رشيداً أنه قال : (من زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمىّ، والجهمى كافر ، ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو مبتدع وكل بدعة ضلال) . فكيف يتوهم على أبى عبد الله مثل هذا القول وأنت تعلم أن الحق لا يخلو من أن يكون فى أحد الأمرين ، وإذا لم يخل من ذلك صار الحق فى كفر أو ضلال. ولم أر فى هذا الفرق أقل عذراً ممن أمر بالسكوت والتجاهل بعد هذه الفتنة ، وإنما يجوز أن يؤمر بهذا قبل تفاقم الأمر ووقوع الشحناء . وليس فى غرائز الناس احتمال الإمساك عن أمر فى الدين قد انتشر هذا الانتشار ، وظهر هذا الظهور ، ولو أمسك عقلاؤهم ما أمسك جهلاؤهم ، ولو أمسكت الألسنة

(١) كذا فى الأصل .

ما أمسكت القلوب ، وقد كان لهؤلاء أسوة فيمن تقدمهم من العلماء حين تكلم جهم وأبو حنيفة فى القرآن (١) ولم يكن دار بين الناس قبل ذلك ولا عرف ، ولا كان مما تكلم الناس فيه ، فلما فزع الناس إلى علمائهم لم يقولوا : هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها ولم يتكلفوها ، ولكنهم أزالوا الشك باليقين ، وجلوا الحيرة وكشفوا الغمة وأجمع رأيهم على أنه غير مخلوق فأفتوهم بذلك ، وأدلوا بالحجج والبراهين ، وناظروا ، وقاسوا واستنبطوا الشواهد من كتاب الله عز وجل كقوله : (ألا له الخلق والأمر) [٥٤ / الأعراف] ، وقوله : (إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى) [١٤ / طه] . وأما قولهم : هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها فلا تتكلفوها فإنما يفزع الناس إلى العالم فى البدعة لا فيما جرت به السنة ، وتكلم فيه الأوائل ولو كان هذا مما تكلم الناس فيه لاستغنى عنهم . الكلام لا يعارض بالسكوت ، والشك لا يداوى بالوقوف ، والبدعة لا تدفع إلا (٢) بالسنة ، وإنما يقوى الباطل أن تبصره وتمسك عنه . وإن كان الوقوف فى اللفظ بالقرآن حتى لا يقال فيه مخلوق ، أو غير مخلوق هو الصواب ، فما حجتنا على الواقفة فى القرآن ، ولم جعلناهم شكاكا . وجعلناهم ضلالا ، وأكفرهم بعض أهل السنة ، وأكفر من شك فى كفرهم ، هل الأمر فى ذلك وفى هذا إلا واحد ، فإن قيل إن الثورى وابن عيينة وابن المبارك وأشباههم لم يقفوا . قلنا : لكل زمان رجال ، فأنت ثورى زماننا وابن عيينتنا ، فقل كما قالوا لنسمع ولنتبع ، على أن أولئك قالوا وبينوا من أين قالوا ، ونحن راضون منك بأن تقول ، ومعقول أن نقول من أين قلت ؟ وكل من ادعى شيئا أو انتحل نحلة فهو يزعم أن الحق فيما ادعى وفيما انتحل ، خلا الواقف الشاك ، فإنه يقر على نفسه بالخطأ لأنه يعلم أن الحق فى أحد الأمرين اللذين وقف بينهما وأنه ليس على واحد منهما ، وقد بلى بالفريقين المستبصر المسترشد وبإعفائهم ومحنتهم وإغلاظهم لمن خالفهم وإكفاره وإكفار من شك فى كفره فإنه ربما ورد الشيخ المصر فقعد للحديث وهو من الأدب غفل . ومن التمييز ليس له من معانى

(١) يتفق مع ما أورده أحمد بن حنبل فى الرد على الجهمية من القول بأن بعض أصحاب أبى حنيفة جهمية .

(٢) سقط من الأصل « إلا » .

العلم إلا تقادم سنه ، وأنه قد سمع ابن عيينة ، وأبا معاوية ، ويزيد بن هارون ، وأشباههم ، فيبدأونه قبل الكتاب بالمحنة ، فالويل له إن تلعثم أو تمكث أو سعل أو تنحنح قبل أن يعطيهم ما يريدون فيحمله الخوف من قدحهم فيه وإسقاطهم له على أن يعطيهم الرضا فيتكلم بغير علم،ويقول بغير فهم فيتباعد من الله فى المجلس الذى أمل أن يتقرب فيه منه . وإن كان ممن يعقد على مخالفتهم سام نفسه إظهار مايحبون ليكتبوا عنه ، وإن رأوا حدثا مسترشدا أو كهلا متعلما سألوه ، فإن قال لهم : أنا أطلب حقيقة هذا الأمر وأسأل عنه ، ولم يصح لى شيء بعد - وإنما صدقهم عن نفسه واعتذر بعذره الله يعلم صدقه ، وهم يعلمون أنه لم يكلفه إذا لم يعلم إلا أن يسأل ، ويبحث ليعلم - كذبوه وآذوه وقالوا : خبيث فاهجروه ولا تقاعدوه، أفترى لو كان ماهم عليه من اعتقادهم هذا الأمر أصل التوحيد الذى لا يجوز للناس أن يجهلوه ، وقد سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة ، كان يجب أن يبلغ فيه هذه الغاية ، فكيف وهم لو سئلوا من أين قلتم ؟ ما رجعوا فى ذلك إلى وثيقة من حديث يأثرونه ، أو قول إمام من العلماء يحسن تقليد مثله أو قياس يطردونه ، وإنما هو رأى رواه وقد يخطىء الراوى ، وظن ظنوه ، وأجهل الناس من جعل ظنه لله دينا .

وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن،أن القراءة لفظ واحد يشتمل على معنيين أحدهما عمل ، والآخر قرآن ، إلا أن العمل لا يتميز من القرآن كما يتميز الأكل من المأكول فيكون المأكول الممضوغ ، والمبلوع ويكون المضغ والبلع ، والقرآن لا يقوم بنفسه وحده ، وإنما يقوم بواحدة من أربع كتابة أو قراءة أو حفظ أو استماع ، فهو بالعمل فى الكتابة قائم ، والعمل خط ، وهو مخلوق والمكتوب قرآن ، وهو غير مخلوق ، وهو بالعمل فى القراءة قائم ، والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن ، وهو مخلوق ، والمقروء قرآن ،وهو غير مخلوق، وهو بحفظ القلب قائم فى القلب ، والحفظ عمل وهو مخلوق ، والمحفوظ قرآن ، وهو غير مخلوق ، وهو بالاستماع قائم فى السمع ، والاستماع عمل وهو مخلوق ،

والمسموع قرآن وهو غير مخلوق ، ومثل هذا ، وإن كان لامثل للقرآن . إلا أنه تقريب منا لما ذكرناه إلى فهمك ، مثل لون الإنسان لايقوم إلا بجسمه ولا نقدر أن نقر اللون فى وهمك حتى يكون متميزا من الجسم ، وكذلك القدرة لانقدر أن نفردها عن الجسم ، وكذلك الاستطاعة والحركة كل واحدة منها لا تفرد وإنما تقوم بالجسم والجارحة ولا تنفرد عنها ، كذلك القرآن يقوم بتلك الخلال الأربع التى ذكرناها ولا يستطيع أحد أن يتوهمه منفردا عنها . فإذا قلت : قرأت أو تلوت أو لفظت دل قولك على فعل ، وقرآن ، كل واحد منها قائم بالآخر غير متميز منه ، لأن الصوت وتحريك اللسان لايكون قراءة حتى يحمله الصوت واللسان وليس سائر الافعال والمفعولات هكذا . ألا ترى أنك تقول : شتمت وسببت وقذفت : فيدل قولك على فعل ومشتوم ومسبوب ومقذوف . إلا أن كل واحد قائم بنفسه متميز من الآخر ، فلهذا قلنا : إن القراءة شيئان ، وكذلك التلاوة واللفظ . وقلنا الشتم شىء واحد . فإن قال قائل : ماتقول فى القراءة ؟ قلت : قرآن متصل بعمل ، فإن قال : أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ قلت له : سألت عن كلمة واحدة تحتها معنيان ، أحدهما مخلوق وهو العمل ، والآخر غير مخلوق وهو القرآن . فإن قال : فما شبه هذا ؟ قلنا : رجلان نظرا إلى جمرة حمراء فقال أحدهما : هى جسم وقال الآخر : هى نار ، وتجادلا فى ذلك وشرق الأمر بينهما حتى حلف كل واحد بالطلاق على ما قال ، ثم صارا إلى الفقيه فقالا : إنا اختلفنا فى جمرة ، فقال أحدنا : هى جسم . وقال الآخر : هى نار . وتمارينا فى ذلك ، حتى حلف كل واحد منا بالطلاق على ما ادعى . فقال الفقيه لكل واحد منهما : صدقت ، ولكن ذكرت شيئا ذا معنيين بأحد معنييه ، فالجمرة مثل للقراءة لأنها اسم واحد يجمع معنيين : الجسم ، والنار ، كما أن القراءة تجمع معنيين . العمل ، والقرآن ، ولو كان أحد المختلفين قال : هى جسم ونار . قد جمع لها الصنفين ، كما أن من قال : القراءة عمل وقرآن ، قد جمع الصنفين وكذلك لو اختلف اثنان فى نجم فقال أحدهما : هو نار ، وقال الآخر : هو نور ،

كانا جميعا صادقين لأن النجم اسم ذو معنيين : نار ، ونور ، وكذلك لو اختلف اثنان فى أ كل إنسان فقال أحدهما : هو مضغ ، وقال الآخر : هو بلع ، كانا جميعا صادقين ، لأن أ كل الإنسان ذو معنيين : مضغ ، وبلع . وكذلك لو اختلفا فى القتل فقال أحدهما : هو جرح ، وقال الآخر : هو موت ، لأن القتل اسم ذو معنيين : عمل ، وموت .

وقد بقيت بعد ما بينت لطيفة قد يغلط فى مثلها ، وهى أن السامع إذا سمع قائلا يقول : قراءتى للقرآن ، ولفظى بالقرآن ـ قراءة القرآن مفردة عن القرآن، واللفظ منفرد عن القرآن ـ توهم أن كل واحد منهما غير ممازج للقرآن وليس كذلك ، وإنما قوله للقرآن بالقرآن تمييز للقرآن من غيره ، لأن القارىء قد يقرأ غير القرآن ، وهذا من أغمضِ مامرّ وأدقه ، فتأمله وتدبره حتى تفهمه ، وسأزيده إيضاحا : كأن رجلا يسمى محمدا قرأ فسمعه رجل يقال له زيد ، فقال لأخ له يقال له عبد الله ما أحسن قراءة محمد فقال : عبد الله : ماذا قرأ ؟ فيقول زيد : القرآن . وكذلك لوقال : ما أحسن لفظ محمد ! فقال عبد الله : وبماذا لفظ ؟ فيقول له زيد : بالقرآن ، فالقرآن ههنا إنما هو تمييز وتبيين ، وكل واحد من القرآن واللفظ يجمع معنيين : عملا . وقرآنا .

وذهب قوم من منتحلى السنة إلى أن الإيمان غير مخلوق ، خوفا من أن يلزمهم أن يقولوا : لا إله إلا الله ، مخلوق . إذ كانت رأس الإيمان فركبوها شنعاء ، وجعلوا أفاعيل العباد غير مخلوقة ، صفات لله عز وجل : فياسبحان الله ، ماأعجب هذا ، وأعجب قائليه ؟ ولقد ألف الناس (غير مخلوق) وأنسوا به حتى إنه ليخيل إلى أن رجلا لو ادعى أن العرش غير مخلوق ، وأن الكرسى غير مخلوق ، لوجد على ذلك أشياعا ينتحلون السنة . فماذا جر جهم ـ لارحمه الله ـ على متبعيه بنحلته ، وعلى مخالفيه ببغضته .

وقد بلغنى أن قوما يذهبون إلى أن روح الإنسان غير مخلوق ، وأنهم يستدلون

على ذلك بقول الله فى آدم : (ونفخت فيه من روحى) وهذا هو النصرانية ، والقول باللاهوت ، والناسوت ، قال النابغة الجعدى :

من نطفة قدرها مقدرها يخلق منها الإنسان والنسما

والنسم الأرواح ، وأجمع الناس على أن الله فالق الحبة وبارىء النسمة أى خالق الروح ، والإيمان مخلوق لأنه لفظ باللسان وعقد بالقلب واستعمال للجوارح، وكل هذه أفعال للعباد، ثم كل هذه غرائز ركبها الله فى العباد، وسماها الرسول صلى الله عليه وسلم إيمانا .

قال أبو محمد : وقد كان بعض الجهمية سألنى مرة عن تكلم الناس فى الحرف والحرفين ـ ولذلك أصل فى الكتاب ـ أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فقلت : هو مخلوق ، مالم يقصد به إلى تلاوة القرآن . فقال لى : فإذن القرآن يصير كلاما بنيتك ، والكلام يصير قرآنا بنيتك ، قلت له : إن القول القليل قد يتغير بالنية والقصد وأنا أقر لك بذلك . ثم قلت له : أما تعلم أن لا إله إلا الله رأس الإيمان وكلمة التوحيد ؟ قال : بلى . قلت : فما تقول فى ملحد قال : (لا إله) يريد النفى . ماذا تكون كلمته ؟ فقال : كفرا ، قلت : فإذن شطر كلمة التوحيد قد صار كفراً بالنية . ثم قلت له : ماتقول فى مؤمن أراد أن يقول : (لا إله الا الله) فقال : (لا إله) ثم انقطع نفسه وسها ما كان قوله ؟ قال : إيمانا بحاله قلت له : فإذن ما كان هناك كفراً بالنية قد صارهما إيمانا بالنية ـ وقلت له : ماتقول أنت فى القرآن ؟ قال : مخلوق قلت : وفى أفعال العباد ؟ قال : غير مخلوق . قلت : ماتقول فى قول الله (ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) [١٤/التوبه] ما هو ؟ قال : آية . قلت : فهى عندك مخلوقه أم غير مخلوقه ؟ قلت : فإن دعبل بن على الشاعر جعلها بيتا فى شعر له طويل فقال :

ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنينا

فما هى فى شعر دعبل ؟ قال : قول لدعبل قلت : مخلوق أم غير مخلوق ؟ قال بل غير مخلوق قلت : فأراه صار فعلا بالنية ، وخلقا بالنية ، فما الذى أنكرته من قولنا هذا ؟

هذا منتهى الاختلاف فى اللفظ بالقرآن وهو بلاغ لمن خضع للحق ، وتلقاه بقلب سليم ، ومن استكبر وجمحت به الحمية ، فيستغنى الله الحق عنه ، والله غنى حميد .

تم بحمد الله وعونه وصلى الله على محمد وعلى آل محمد ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين . وقد وافق الفراغ منه نهار الجمعة رابع شعبان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

الـرد على الجهـمية

للإمام أبى سعيد الدارمى (٢٨٠ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن برحمتك

أخبرنا أبو المكارم عبد العظيم بن عبد اللطيف بن أبى نصر الشرابى الأصبهانى فى كتابه إلينا قال : أخبرتنا الشيخة أم الصبح ضوء النساء بنت أبى الفتح عبد الرزاق بن محمد بن سهل الشرابى بقراءتى عليها فى ربيع الثانى من سنة سبع وستين وخمسمائة قالت : أنبأ أبى الإمام أبو الفتح عبد الرزاق قراءة عليه فى دارنا بأصبهان فى صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة قال: ثنا الشيخ الإمام نجم الخطباء أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المذكر الهروى المقيم بصع قرية من قرى هراة فيما قرأت عليه بها من أصل سماعه بخط الحافظ أبى الفتح بن سمكويه قلت له: أخبركم الشيخ الفقيه أبو روح ثابت بن الأزدى السعدى فى شهور سنة ست وخمسين وأربعمائة قال : أنبا أبى أبو محمد محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل قال : ثنا أبو عبد الله محمد بن إسحق بن إبراهيم القرشى أن الإمام أبا سعيد عثمان بن سعيد قال :

الحمد لله الذى (له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) [٦ / طه] (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماء ولا فى الأرض) [٣ / سبأ] ، يعلم سر خلقه وجهرهم ويعلم ما يكسبون ، نحمده بجميع محامده ونصفه بما وصف به نفسه ووصفه به الرسول ، فهو الله الرحمن الرحيم قريب مجيب متكلم قائل وشاء مريد (فعال لما يريد) [١٦ البروج] ، الأول قبل كل شىء والآخر بعد كل شىء له (الأمر من قبل ومن بعد) [٤ / الروم] ، و (له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) [٥٤/ الأعراف] ، و (له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) [٢٤ / الحشر] (يقبض ويبسط) [٢٤٥/البقرة] ، ويتكلم ويرضى ويسخط ويغضب ويحب ويبغض ويكره ويضحك ويأمر وينهى ذو الوجه الكريم ، والسمع السميع ، والبصر البصير

والكلام المبين واليدين والقبضتين والقدرة والسلطان والعظمة والعلم الأزلي لم يزل كذلك ولا يزال ، استوى على عرشه فبان من خلقه لا تخفى عليه منهم خافية، علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [١١ / الشورى] .

فبهذا الرب نؤمن، وإياه نعبد ، وله نصلي ونسجد ، فمن قصد بعبادته إلى إله بخلاف هذه الصفات فإنما يعبد غير الله ، وليس معبوده بإله كفرانه لا غفرانه ، فنشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله اصطفاه لوحيه وأنتجبه لرسالته واختاره من خلقه لخالقه فأنزل عليه كلامه المبين وكتابه العزيز الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [٤٢ / فصلت] ، (قرآنا عربياً غير ذي عوج) [٢٨ / الزمر] ، (يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين) [١٩ / الإسراء] فيه نبأ الأولين وخبر الآخرين لا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه غير مخلوق ولا منسوب إلى مخلوق (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) [١١٤ / الشعراء] ، (من لدن حكيم عليم) [٦ / النمل] ، وقال : (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) [١٦ / النمل] ، وقال : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) [١٩٤ / الشعراء] ، من قال به صدق ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ثم قال لنبيه صلعم : (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) [١٠٦/ الإسراء] ، فقرأه كما أمر ، دعا إليه سراً وجهراً فلما سمع المشركون آيات مبينات قالوا : ساحر وكاهن وشاعر ومعلم مجنون ، (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) [٧ / ص] ، و (إن هذا إلا قول البشر) [٢٥ /المدثر] ، (لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين) [٣١/ الأنفال] وقالوا : (إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون) [٤ / الفرقان] ، (وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) [٥ /

الفرقان] ، (إنما يعلمه بشر) [١٠٢ / النحل] مخلوق بكلام مخلوق مختلق .

فكذب الله عز وجل قولهم وأبطل دعواهم فقال تعالى (فقد جاءوا ظلماً وزورا) [٤ / الفرقان] ، وقال تعالى : (قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما) [٦ / الفرقان] (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) [١٠٢ / النحل] وقال : (لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) [١٠٣ / النحل]. ثم قال : (لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [٨٨ / الإسراء] .

ثم ندبهم جميعاً إلى أن يأتوا بمثله تخرصاً وتعلماً من الخطباء والشعراء وغيرهم إن كانوا صادقين فقال تبارك وتعالى (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) [١٣ / هود] ، وأتوا بسورة مثله : (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعو شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) [٢٤ / البقرة] فلم يقدر الجن والإنس عربها وعجمها من عبدة الأوثان وعلماء أهل الكتابين أن يأتوا بسورة ولا ببعض سورة ولو علموا أنهم قادرون عليها لدعوا شهداءهم على ذلك وبذلوا فيها الرغائب الأموال وغيرها لخطبائهم وشعرائهم وأحبارهم وأساقفتهم وكهنتهم وسحرتهم أن يأتوا بسورة مثلها تصديقا لما ادعوا من الزور تكذيباً بمحمد صلعم ، وأنى يأتى المخلوق بمثل كلام الخالق وكيف يقدر عليه وقد قال الله تعالى : (وان تفعلوا) فلن تفعلوا إلى يوم القيامة ؟ فكما أنه (ليس كمثله شىء) [١١ / الشورى] فليس ككلامه كلام .

فلم يزل رسول الله صلعم يدعو الناس إلى الله وإلى كتابه وكلامه سراً وجهراً محتملا لما ناله من أذاهم صابرا عليه حتى أظهره الله وأعزه وأنزل عليه نصره

فضرب وجوه العرب والعجم بالسيوف حتى ذلوا ودانوا ودخلوا الإسلام طوعا وكرها ، واستقاموا حياته وبعد وفاته ،لا يجترى كافر ولامنافق متعوذ بالإسلام أن يظهر ما فى نفسه من الكفر وإنكار النبوة فرقاً من السيف وتخوفاً من الافتضاح بل كانوا يتقلبون مع المسلمين بغم ، ويعيشون فيهم على رغم دهرا من الدهر وزماناً من الزمان، وكان أول من أظهر شيئا منه بعد كفار قريش الجعد بن درهم(١) بالبصرة وجهم بخراسان اقتداء بكفار قريش فقتل الله جهما شر قتلة ، وأما الجعد فأخذه خالد بن عبد الله القسرى (٢) فذبحه ذبحا بواسط فى يوم الأضحى على رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين لا يعيبه عائب ولا يطعن عليه طاعن بل استحسنوا ذلك من فعله وصوبوه من رأيه . حدثناه القاسم بن محمد البغدادى(٣): ثنا عبد الرحمن بن حبيب بن أبى حبيب عن أبيه عن جده حبيب بن أبى حبيب (٤) قال : خطبنا خالد بن عبد الله القسرى بواسط يوم الأضحى فقال : أيها الناس ارجعوا فضحوا تقبل الله منا ومنكم فإنى مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما، وتعالى الله عما يقول الجعد ابن درهم علوا كبيراً ثم نزل فذبحه .

---

(١) الجعد بن درهم هو مؤدب آخر ملوك بنى مروان ، مروان بن محمد، وينسب إليه أنه أول من خاض فى القول بخلق القرآن . ذبحه خالد بن عبدالله القسرى فى عيد الأضحى قبل سنة ١٢٦ هـ .

(٢) خالد بن عبد الله القسرى والى العراق لهشام بن عبد الملك كان من النواصب وعرف بالجود والخطابة توفى تحت العذاب سنة ١٢٦ هـ . (العبر للذهبى ج ١ ص ١٦٢) .

(٣) القاسم بن محمد بن حميد المعمرى البغدادى توفى سنة ٢٨٢ هـ . تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٢٥ (العبر ج ١ ص ٣٨٣) .

(٤) معاصر للإمام مالك وسمع عنه فهو من أهل القرن الثانى الهجرى (تاريخ واسط ص ٧٣) .

قال أبو سعيد : ثم لم يزالوا بعد ذلك مقموعين أذلة مدحورين حتى كان الآن بأخره حيث قلت الفقهاء ، وقبض العلماء . ودعا إلى البدع دعاة الضلال ، فشد ذلك طمع كل متعوذ فى الإسلام من أبناء اليهود والنصارى وأنباط العراق ووجدوا فرصة للكلام ، فجدوا فى هدم الإسلام وتعطيل ذى الجلال والإكرام . وإنكار صفاته ، وتكذيب رسله ، وأبطال وحيه ، إذ وجدوا فرصتهم ،وأحسوا من الرعاع جهلا ، ومن العلماء قلة ، فنصبوا عندها الكفر للناس إماما ،بدعوتهم إليه ، وأظهروا لهم أغلوطات من المسائل ، وعمايات من الكلام ، يغالطون بها أهل الإسلام ليوقعوا فى قلوبهم الشك ، ويلبسوا عليهم أمرهم ، ويشككوهم فى خالقهم ، مقتدين بأئمتهم الأقدمين ، الذين قالوا : (إن هـذا إلا قول البشر) [٢٥/المدثر] و (إن هذا إلا اختلاق) [٧/ص] .

فحين رأينا ذلك منهم ، وفطنا لمذهبهم ، ومايقصدون إليه من الكفر ،وإبطال الكتب والرسل ، ونفى الكلام ، والعلم ، والأمر عن الله تعالى ، رأينا أن نبين من مذاهبهم رسوما من الكتاب والسنة وكلام العلماء ، مايستدل به أهـل الغفلة من الناس على سوء مذهبهم ، فيحذروهم على أنفسهم ، وعلى أولادهم ، وأهليهم ، ويجتهدوا فى الرد عليهم ، محتسبين منافحين عن دين الله تعالى ، طالبين به ما عند الله .

وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض فى هذا ، وما أشبهوقد كانوا رزقوا العافية منهم ، وابتلينا بهم عند دروس الإسلام ، وذهاب العلماء ، فلم نجد بدا من أن نرد ماأتوا به من الباطل بالحق ، وقد كان رسول الله صلعم يتخوف ما أشبه هذا على أمته ، ويحذرها إياهم ، ثم الصحابة بعده والتابعون مخافة أن يتكلموا فى الله وفى القرآن بأهوائهم ، فيضلوا ويتماروا به على جهل ، فيكفروا ، فإن رسول الله صلعم قد قال : (المراء فى القرآن كفر) ، وحتى إن بعضهم كانوا يتقون تفسيره لأن القائل فيه إنما يقول على الله . قال : أبو بكر الصديق رضى الله

عنه . أى أرض تقلنى ، وأى سماء تظلنى إذا قلت فى كلام الله مالا أعلم ؟ وسئل عبيدة السلمانى عن شىء من تفسير القرآن فقال : اتق الله وعليك بالسداد فقد ذهب الذين كانوا يعلمون فيما أنزل القرآن . فهذا الصديق خير هـذه الأمة بعد نبيها والخليفة بعده قد شهد التنزيل ، وعاين الرسول ، وعلم فيما أنزل القرآن إلا ما شاء الله ، وتوقى أن يقول فى القرآن مخافة أن لايصيب ماعنى الله فيهلك ، ثم عبيدة السلمانى بعده وكان من كبار التابعين فكيف بهؤلاء المنسلخين من الدين والعلم الذين ينقضونه نقضا ويفسرونه بأهوائهم خلاف ما عنى الله وخلاف ما تحتمله لغات العرب .

ولقد قال بعض أهل العلم : لاتهلك هذه الأمة حتى تظهر فيهم الزندقة ويتكلموا فى الرب تبارك وتعالى . حدثناه سويد بن سعيد الأنبارى (١) : ثنا خلف ابن خليفة (٢) عن الحجاج بن دينار (٣) عن منصور بن المعتمر قال : ماهلك دين قط حتى تخلف المنانية ، قلت وما المنانية ؟ قال : الزنادقة . وحدثنا محمد بن كثير العبدى (٤) أنبأ سفيان (٥) - يعنى الثورى - عن سالم — يعنى ابن أبى حفصة —

---

(١) سويد بن سعيد أبو محمد الهروى سمع مالكا قال أبو حاتم صدوق كثير التدليس توفى سنة ٢٤٠ هـ الذهبىء العبر ج ١ ص ٤٣٢ ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٧٢) .

(٢) أبو أحمد خليف بن خليفة الكوفى توفى ببغداد سنة ١٨١ هـ يعتبر من المعمرين قال فيه أبو حاتم صدوق (العبر ج ١ ص ٢٨٠) :

(٣) لعله : محارب بن دثار وهو الذى ثبت أن خلفا يروى عنه .

(٤) أبو عبد الله محمد بن كثير العبدى البصرى محدث روى عن سعيد وسفيان توفى سنة ٢٢٣ هـ (الذهبى ، العبر ج ١ ص ٣٨٨ ، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٤٣) .

(٥) سفيان بن سعيد الثورى الكوفى محدث عظيم توفى سنة ١٦١ هـ (الذهبى ج ١ ص ٢٣٥) .

عن أبي يعلى عن محمد بن الحنفية (١) رضى الله عنه قال : لاتنقضى الدنيا حتى تكون خصومتهم فى ربهم وحدثناه يحيى الحمانى (٢) ، ثنا عمرو بن ثابت عن سالم بن أبى حفصة ـ قال أبو سعيد : وأحسبه ـ عن أبي يعلى منذر الثورى عن محمد بن الحنفية قال : إنما تهلك هذه الأمة إذا تكلمت فى ربها .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار (٣) : ثنا على بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك (٤) قال : لأن أحكى كلام اليهود والنصارى أحب إلى من أن أحكى كلام الجهمية .

حدثنا سهل بن بكار (٥) : ثنا أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : (لايزالون يسألون حتى يقال لأحدكم : هذا الله خلقنا فمن خلق الله تبارك وتعالى ؟) قال أبو هريرة : وإنى لجالس ذات يوم إذ قال رجل من أهل العراق : ياأبا هريرة هذا الله خلقنا فمن خلق الله تبارك وتعالى ؟ قال أبو هريرة : فوضعت أصبعى فى أذنى وصرخت . صدق الله ورسوله الواحد الأحد الصمد (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) [٤/الإخلاص] . وحدثناه يحيى بن بكير المصرى ، ثنا الليث ـ يعنى ابن سعد

---

(١) أبو القاسم محمد بن على بن ابى طالب لقبته الشيعة بالمهدى وكان فاضلا عالما توفى سنة ٨١ هـ (تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٥٤ . العبر ج ص ٩٣) .

(٢) أبو زكريا يحيى بن عبد الحميد الحمانى الكوفى ضعيف عند المحدثين توفى سنة ٢٢٨هـ (الذهبى ، العبر ج ١ ص ٤٠٤) .

(٣) أبو على البزار سمع بن ابن عيينة يجله أحمد بن حنبل وكان صدوقا توفى سنة ٢٤٩هـ (العبر ج ١ ص ٤٥٣) .

(٤) أبو عبد الرحمان عبد الله بن المبارك الحنظلى توفى سنة ١٨١ هـ (العبر ج ١ ص ٢٨٠ — ٢٨١) .

(٥) البصرى توفى سنة ٢٢٧ هـ روى عن شعبة (العبر ١ ص ٣٩٩) .

عن عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلعم : (يأتي الشيطان العبد فيقول : من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول له : من خلق ربك ؟ فليستعذ بالله ولينته) .

حدثنا علي بن المديني : ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلعم : (يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق السماء ؟ فيقول : الله عز وجل ، فيقول : من خلق الأرض ؟ فيقول : الله ، فيقول من خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل : آمنا بالله) .

حدثني أحمد بن منيع ، ثنا محمد بن ميسر أبو سعد ، ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا : يارسول الله أنسب لنا ربك ! قال : فأنزل الله عز وجل (قل هو الله أحد الله الصمد) [١/الإخلاص] ، قال : فالصمد الذى (لم يلد ولم يولد) [٣/الإخلاص] لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ، وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله لايموت ولا يورث (ولم يكن له كفوا أحد) قال : لم يكن له شبيه ولا عدل ، وليس كمثله شيء ، حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو هلال ، وهو الراسبي ، قال :ثنا رجل أن عبد الله بن رواحة قال للحسن : هل تصف ربك ؟ قال : نعم بغير مثال . حدثنا أبو سلمة ثنا عبد الواحد ـ يعني ابن زياد ـ ثنا سالم ـ يعني ابن أبي حفصة ـ ثنا منذر أبو يعلى الثوري قال : قال محمد بن الحنفية : إن قوما ممن كانوا قبلكم أوتوا علما كانوا يكيفون فيه ، فسألوا عما فوق السماء ، وماتحت الأرض ، فتاهوا ، كأن أحدهم إذا دعى من بين يديه أجاب من خلفه وإذا ادعى من خلفه أجاب من بين يديه .

قال أبو سعيد : ولولا مخافة هذه الأحاديث ومايشبهها لحكيت من قبح كلام هؤلاء المعطلة ، ومايرجعون إليه من الكفر ، حكايات كثيرة ، يتبين بها عورة كلامهم ، وتكشف عن كثير من سوءاتهم ولكنا نتخوف من هذه الأحاديث ،

ونخاف أن لاتحتمله قلوب ضعفاء الناس ، فنوقع فيها بعض الشك والريبة ، لأن ابن المبارك قال : لأن أحكى كلام اليهود والنصارى أحب إلى من أن أحكى كلا الجهمية . وصدق ابن المبارك أن من كلامهم فى تعطيل صفات الله تعالى ماهو أوحش من كلام اليهود والنصارى غير أنا نختصر من ذلك مانستدل به على الكثير إن شاء الله تعالى .

باب الإيمان بالعرش

وهو أحد ماأنكرت المعطلة .

وقال أبو سعيد ، وماظننا أن نضطر إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعى الإسلام فى إثبات العرش والإيمان به ، حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة ، فى آيات الله ، فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا ، وإلى الله نشكو ما أوهت هذه العصابة من عرى الإسلام ، وإليه نلجأ وبه نستعين .

وقد حقق الله العرش فى آى كثيرة من القرآن فقال تعالى . (خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) [٧/هود] وقال تعالى (الرحمن على العرش استوى) [٥/طه] وقال تعالى (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) [٥٩/الفرقان] (وترى الملائكة حافين من حول العرش) [٧/الزمر] فى آى كثيرة سواها . فادعت هذه العصابة أنهم يؤمنون بالعرش ويقرون به لأنه مذكور فى القرآن ، فقلت لبعضهم : ما إيمانكم به إلا كايمان (الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم) [٤١/المائدة] . وكالذين (إذا لقوا الذين آمنو قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون) [١٤/البقرة] ، أتقرون أن لله عرشا معلوما موصوفا ، فوق السماء السابعة ، تحمله الملائكة والله فوق كما وصف نفسه بائن من خلقه ؟ فأبى أن يقربه كذلك وتردد فى الجواب ، وخلط ولم يصرح .

قال أبو سعيد : فقال لى زعيم منهم كبير : لا ولـكن لما خلق الله الخلق يعنى السموات والأرض وما فيهن وسمى ذلك كله عرشا له ، واستوى على جميع ذلك كله . قلت : لم تدعوا من إنكار العرش والتكذيب به غاية ،وقد أحاطت بكم الحجج من حيث لاتدرون ، وهو تصديق ماقلنا : إن إيمانـكم به كايمان (الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) . فقد كذبهم الله تعالى به فى كتابه ، وكذبكم به الرسول صلعم ، أرأيتم قولكم: إن عرشه سماواته وأرضه وجميع خلقه فما تفسير قوله عندكم (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم) [٧/غافر] أحملة عرش الله أم حملة خلقه ؟ وقوله : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) [١٧/الحاقة] أيحملون السموات والأرض ومن فيهن أم عرش الرحمن ؟ فإنـكم إن قد تم قولـكم هذا :يلزمكم أن تقولوا : عرش ربك خلق ربك أجمع ،وتبطلون العرش الذى هو العرش وهذا تفسير لايشك أحد فى بطوله،واستحالته،وتـكذيب بعرش الرحمن تبارك وتعالى . فقال الله تبارك وتعالى (خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) [٧/هود] وقال رسول الله صلعم :(كان الله ولم يـكن شىء وكان عرشه على الماء) ، ففى قول الله تعالى وحديث رسول الله صلعم دلالة ظاهرة أن العرش كان مخلوقا على الماء إذ لاأرض ولاسماء . فلم تغالطون الناس بما أنتم له منكرون؟ولـكنكم تقرون بالعرش بألسنتكم تحرزا من إكفار الناس إياكم بنص التنزيل فتضرب عليه رقابكم ، وعند أنفسكم أنتم به جاحدون ، ولعمرى لئن كان أهل الجهل فى شك من أمركم إن أهل العلم من أمركم لعلى يقين أو كما قلت لهم زاد أو نقص .

حدثنا محمد بن كثير ، أنبأ سفيان ـ وهو الثورى ـ عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن حصين ، رضى الله عنهما قال : جاء نفر من بنى تميم إلى رسول الله صلعم فقال : يابنى تميم أبشروا ! قالوا : بشرتنا فأعطنا ! ، قال: فتغير وجه رسول الله صلعم . قال : فجاءه أهل اليمن ، فقال لأهل اليمن أقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم ، قالوا : قدقبلنا ، فأخذرسول الله صلعم يحدث ببدء الخلق

والعرش ، قال : فجاء رجل فقال : ياعمران راحلتك تفلتت ، قال : فقمت وليتنى لم أقم . وحدثنا محبوب بن موسى الانطاكى : أنبا أبو إسحق الفزارى عن الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال : أتيت رسول الله صلعم فعقلت ناقتى بالباب ، ثم دخلنا فأتاه نفر من بنى تميم فقال : أقبلوا البشرى يابنى تميم ، قالوا : قد بشرتنا فأعطنا ـ مرتين ـ ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : أقبلوا البشرى ياأهل اليمن إذ لم يقبلها إخوانكم بنو تميم، قالوا : قبلنا يارسول الله أتيناك لنتفقه فى الدين ، ونسألك عن أول هذا الأمر ، حيث كان ، قال : كان الله ولم يكن شىء غيره وكان عرشه على الماء ثم كتب فى الذكر كل شىء . ثم خلق السموات والأرض قال : ثم أتانى رجل فقال : أدرك ناقتك فقد ذهبت ،فخرجت فوجدتهاقديقطع دونهاالسراب ، وأيم الله لوددت أنى تركتها . قال أبو سعيد : ففى هذا بيان بين أن الله تعالى خلق العرش قبل السموات والأرض ومافيهن وتكذيب لما ادعوا من الباطل .

وحدثنا عبد الله بن أبى شيبة قال ثنا عبد الله بن بكر السهمى : ثنا بشر بن نمير عن القاسم عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول صلعم قال : (خلق الله الخلق وقضى القضية ، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ، وأخذ أهل اليمين بيمينه ، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى ، وكلتا يدى الرحمن يمين ثم قال : يا أصحاب اليمين قالوا : لبيك ربنا وسعديك ، قال : ألست بربكم قالوا : بلى ، ثم قال : ياأصحاب الشمال ، فقالوا لبيك ربنا وسعديك ، قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، وقال: فخلط بعضهم ببعض فقال قائل : رب لم خلطت بيننا ؟ قال : (لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) [٦٣/المؤمنون] إلى قوله (كنا عن هـذا غافلين) [١٧٢/الأعراف] ثم ردهم فى صلب آدم ، قال : وقال رسول الله صلعم : (خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ، وأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها . قال : فقال قائل : يانبى الله ففيم العمل ؟ قال : أن يعمل كل قوم لمنزلتهم ، فقال عمر : إذا نجتهد . قال : وسئل رسول الله صلعم عن الأعمال فقيل :

يارسول الله أرأيت الأعمال أشيء يؤتنف أو فرغ منها ؟ قال : بل فرغ منها .
حدثنا يحيى الحمانى ، ويحيى بن صالح الوحاظى قالا : ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى ، ثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلعم قال : (إن فى الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلى الجنة وأوسطها وفوقها عرش الرحمان ومنها تفجر أنهار الجنة فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس).

حدثنا محمد بن كثير ، أنبأ سفيان ـ وهو الثورى ـ ثنا أبو هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال : إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا فكان أول ماخلق الله القلم فأمره وكتب ماهو كائن وإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه .

حدثنا عبد الله بن صالح المصرى قال : حدثنى ابن لهيعة ورشدين بن سعد عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال : لما أراد الله تبارك وتعالى أن يخلق شيئا إذ كان عرشه على الماء ، وإذ لا أرض ولا سماء ، خلق الريح فسلطها على الماء حتى اضطربت أمواجه ، وأثار ركامه فأخرج من الماء دخانا وطينا وزبدا فأمر الدخان فعلا وسما ونما فخلق منه السموات ، وخلق من الطين الأرض وخلق من الزبد الجبال .

قال أبو سعيد رحمه الله : ففى ماذكرنا من كتاب الله عز وجل وفى هذه الأحاديث بيان بين أن العرش كان مخلوقا قبل ما سواه من الخلق وأن ما ادعى فيه هؤلاء المعطلة تكذيب بالعرش ، وتخرص بالباطل ، ولو شئنا أن نجمع فى تحقيق العرش كثيرا من أحاديث رسول الله صلعم ، وأصحابه ، والتابعين ، لجمعنا ولكن علمنا أنه خلص علم ذلك والإيمان به إلى النساء والصبيان إلا إلى هذه العصابة الملحدة فى آيات الله طهر الله منهم بلاده وأراح منهم عباده .

باب استواء الرب تبارك وتعالى على العرش وارتفاعه الى السماء وبينونته من الخلق

وهو أيضا مما أنكروه .

وقد قال الله تبارك وتعالى : (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) [٥٤/الأعراف] وقال:(تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له مافى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله الا هو له الأسماء الحسنى) [٨/طه] ، وقد قال : (الله الذى خلق السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولاشفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) [٥/السجدة] وقوله (إنى متوفيك ورافعك إلى) [٥٥/آل عمران] وقوله : (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) [١٨/الأنعام] وقوله : (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون) [٥٠/النحل] وقوله : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [١٠/فاطر] وقوله : (ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) [٤ / المعراج] ، وقوله : (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير) [١٧ / الملك] . (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداد ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) [١٢/فصلت] .

قال أبو سعيد : أقرت هذه العصابة بهذه الآيات بألسنتها وادعوا الإيمان بها ثم نقضوا دعواهم بدعوى غيرها فقالوا : الله فى كل مكان لا يخلو منه مكان . قلنا: قد نقضتم دعواكم بالإيمان باستواء الرب على عرشه إذ ادعيتم أنه فى كل مكان ، فقالوا : تفسيره عندنا أنه استولى عليه وعلاه ، قلنا : فهل من مكان لم يستول عليه ولم يعله ، حتى خص العرش من بين الأمكنة بالاستواء عليه وكرر ذكره فى مواضع كثيرة من كتابه ، فأى معنى إذا لخصوص العرش إذ كان عندكم مستوياً على جميع الأشياء كاستوائه على العرش تبارك وتعالى ؟ هذا محال من الحجج وباطل من الكلام لا تشكون أنتم إن شاء الله فى بطوله واستحالته ، غير أنكم تغالطون به الناس . أرأيتم إذ قلتم هو فى كل مكان وفى كل خلق ؟ أكان الله إلها واحداً قبل أن يخلق الخلق والأمكنة؟ قالوا : نعم ، قلنا : فحين خلق الخلق والأمكنة أقدر أن يبقى كما كان فى أزليته فى غير مكان فلا يصير فى شىء من الخلق والأمكنة التى خلقها بزعمكم أو لم يجد بدأ من أن يصير فيها، أو لم يستغن عن ذلك ؟ قالوا : بلى ، قلنا : فما الذى دعا الملك القدوس إذ هو على عرشه فى عزه وبهائه بائن من خلقه إن يصير فى الأمكنة القذرة وأجواف الناس والطير والبهائم ، ويصير بزعمكم فى كل زاوية وحجرة ومكان منه شىء ، لقد شوهتم معبودهم ، إذ كانت هذه صفته والله أعلى وأجل من أن تكون هذه صفته فلابد لكم من أن تأتوا ببرهان بين على دعواكم من كتاب ناطق أو سنة ماضية أو إجماع من المسلمين ولن تأتوا بشىء منه أبدا .

فاحتج بعضهم فيه بكلمة زندقة استوحش من ذكرها ، وتستر آخر من زندقة صاحبه فقال : قال الله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم) [٧ / المجادلة] ، قلنا . هذه الآية لنا عليكم لا لكم ، إنما يعنى أنه حاضر كل نجوى ، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه ، لأن علمه بهم محيط ، وبصره فيهم نافذ ، لا يحجبه شىء عن

علمه ، وبصره ، ولا يتوارون منه بشىء وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقة (يعلم السر وأخفى) ، أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد قادرعلى أن يكون له ذلك ، لأنه لا يبعد عنه شىء ، ولا تخفى عليه خافية ، فى السموات ولا فى الأرض ، فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم ، لا أنه معهم بنفسه فى الأرض كما ادعيتم ، وكذلك فسرته العلماء .

فقال بعضهم : دعونا من تفسير العلماء ، إنما احتججنا بكتاب الله فأتوا بكتاب الله قلنا : نعم ، هذا الذى احتججتم به هو حق كما قال الله عز وجل ، وبها نقول على المعنى الذى ذكرنا ، غير أنكم جهلتم معناها فضللتم عن سواء السبيل وتعلقتم بوسط الآية ، وأغفلتم ما تحتها وخاتمتها ، لأن الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم وختمها به ، فقال : (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) إلى قوله ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم) ، ففى هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم ، لا أنه نفسه فى كل مكان معهم ، كما زعمتم ، فهذه حجة بالغة لو عقلتم ، وأخرى أنا لما سمعنا قول الله عز وجل فى كتابه ، (استوى على العرش) و (استوى إلى السماء) وقوله (ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه) وقوله : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) و (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (وهو القاهر فوق عباده و (إنى متوفيك ورافعك إلى) وما أشبهها من القرآن آمنا به وعلمنا يقينا بلا شك أن الله فوق عرشه فوق سمواته كما وصف ، بائن من خلقه ، فحين قال (ألم تر أن أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) قلنا : هو معهم بالعلم الذى افتتح به الآية وختمها لأنه قال فى آى كثيرة ما حققه أنه فوق عرشه ، فوق سماواته ، فهو كذلك لا شك فيه ، فلما أخبر أنه مع كل ذى نجوى ، قلنا : علمه وبعده معهم ، وهو بنفسه على العرش بكماله ، كما وصف ، لأنه لا يتوارى منه شىء ، ولا يفوت علمه وبصره شىء فى السماء السابعة العليا ، ولا تحت الأرض السابعة السفلى ، وهذا كقوله تعالى لموسى

وهرون (إننى معكما أسمع وأرى) [٤٦/طه] من فوق العرش . فهل من حجة أشفى وأبلغ مما احتججنا به عليك من كتاب الله تعالى ؟ ثم الروايات لتحقيق ما قلنا متظاهرة عن رسول الله صلعم وأصحابه والتابعين ، سنأتى منها ببعض ما حضر إن شاء الله تعالى . ثم إجماع من الأولين والآخرين والعالمين منهم والجاهلين ، أن كل واحد ممن مضى وممن غبر إذا استغاث بالله تعالى ، أو دعاه أو سأله يمد يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها ، ولم يكونوا يدعونه(١) من أسفل منهم ، من تحت الأرض ، ولا من أمامهم ، ولا من خلفهم ، ولا عن إيمانهم ، ولا عن شمائلهم ، إلا من فوق السماء لمعرفتهم بالله ، أنه فوقهم حتى اجتمعت الكلمة من المصلين فى سجودهم : سبحان ربى الأعلى ، لا ترى أحداً يقول : ربى الأسفل ، حتى لقد علم فرعون فى كفره وعتوه على الله أن الله عز وجل فوق السماء فقال (يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً) . [٣٧ / غافر] . ففى هذه الآية بيان بين ، ودلالة ظاهرة ، أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء ، فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ، ورام الاطلاع إليه .

وكذلك نمروذ فرعون ، إبراهيم ، اتخذ التابوت والنسور ، ورام الاطلاع إلى الله ، لما كان يدعوه إبراهيم إلى أن معرفته فى السماء وكذلك كان محمد صلعم يدعوا إليه الناس ويمتحن به إيمانهم بمعرفة الله عز وجل : حدثنا مسلم ابن إبراهيم الأزدى : ثنا أبان ـ وهو ابن يزيد العطار ـ عن يحى بن أبى كثير ، عن هلال بن أبى ميمونة ، عن عطا بن أبى يسار ، عن معاوية بن الحكم رضى الله عنه قال : كانت لى جارية ترعى غنما لى فى قبل أحد والجوانية وإنى اطلعت يوماً اطلاعة فوجدت ذئباً ذهب منها بشاة ، وإنى رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة ، فعظم ذلك على النبى صلعم فقلت . أفلا أعتقها ؟ فقال : ادعها : فقال لها النبى صلعم : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : فمن أنا ؟ قالت:

---

(١) فى الأصل يدعوه .

أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة . وحدثنا يحي بن يحيى ، ثنا إسماعيل ابن علية عن الحجاج الصواف عن يحيى بن أبى كثير عن هلال بن أبى ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم عن النبى صلعم مثله .

وحدثنا يحيى بن يحيى التميمى قال : قرأت على مالك بن أنس عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم أنه قال : أتيت النبى صلعم فقلت يا رسول الله إن جارية لى ترعى غنما فجئتها ففقدت شاة من الغنم فسألتها عنها فقالت : أكلها الذئب ، فأسفت عليها وكنت من بنى آدم ، فلطمت وجهها ، وعلى رقبة ، أفأعتقها ؟ فقال لها رسول الله صلعم ، أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها ! .

قال أبو سعيد : ففى حديث رسول الله صلعم هذا ، دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عز وجل فى السماء دون الأرض فليس بمؤمن ، ولو كان عبداً فأعتقه لم يجز فى رقبة مؤمنة إذ لا يعلم أن الله فى السماء ، ألا ترى أن رسول الله صلعم جعل أمارة إيمانها معرفتها أن الله فى السماء ؟ وفى قول رسول الله صلعم : أين الله ؟ تكذيب لقول من يقول : هو فى كل مكان ، لا يوصف بأين ، لأن شيئا لا يخلو منه مكان يستحيل أن يقال : أين هو ؟ ولا يقال أين ؟ إلا من هو فى مكان ، يخلو منه مكان ، ولو كان الأمر على ما يدعى هؤلاء الزائغة لأنكر عليها رسول الله صلعم قولها وعلمها ، ولكنها علمت به فصدقها رسول الله صلعم وشهد لها بالإيمان بذلك ، ولو كان فى الأرض كما هو فى السماء لم يتم حتى تعرفه فى الأرض ، كما عرفته فى السماء ، فالله تبارك وتعالى فوق عرشه ، فوق سمواته ، بائن من خلقه ، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه ، الذى يعبد وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد لايبعد عنه شىء (ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض) [٣ / سبأ] سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علوا كبيراً .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، ثنا على بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك قال : قيل له : كيف نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق السماء السابعـة على العرش بائن من خلقه . قال أبو سعيد رحمه الله : ومما يحقق قول بن المبارك قول رسول الله صلعم للجارية : أين الله ؟ يمتحن بذلك إيمانها فلما قالت : فى السماء ، قال رسول الله صلعم : أعتقها فإنها مؤمنة .

والآثار فى ذلك عن رسول الله صلعم كثيرة ، والحجج متظاهرة ، والحمد لله على ذلك .

حدثنا مسدد ، ثنا سفيان عن عمرو ـ يعنى ابن دينار ـ عن أبى قابوس عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلعم : (الراحمـــون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء) حدثنا سعيد بن الحكم بن أبى مريم المصرى ، أنبأ الليث بن سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : إذا اشتكى أحدكم شيئا أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك أمرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض واغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل شفاء من شفائك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع) فيبرأ . حدثنى محمد بن بشار العبدى ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبى قال : سمعت محمد بن إسحق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال : جاء رجل إلى النبى صلعم أعرابى فقال : يا محمد هلكت المواشى ، ونهكت الاموال ، وإنا نستشفع بك على الله ، وبالله عليك فادع الله أن يسقينا ! فقال النبى صلعم : يا أعرابى ويحك وهل تدرى ما تقول إن الله أعظم من أن يستشفع عليه بأحد من خلقه إن الله فوق عرشه فوق سمواته، وسمواته فوق أرضه ، مثل القبـة ـ وأشار النبى صلعم بيده مثل القبة ـ وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب) .

حدثنا محمد بن الصباح البغدادى : ثنا الوليد بن أبى ثور، عن سماك، عن عبد الله ابن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : كنت بالبطحاء فى عصابة ، وفيهم رسول الله صلعم فمرت سحابة فنظر إليها فقال: ماتسمون هذه ؟ قالوا : السحاب ، قال والمزن ، قالوا : والمزن ، قال : والعنان ، قالوا : والعنان ، قال فقال: مابعد مابين السماء والأرض؟ قالوا لاندرى ، قال فإن بعد مابينهما إما واحدة وإما اثنتين وإما ثلاثا وسبعين سنة والسماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ، وفوق السماء السابعة ، بحر، بين أسفله وأعلاه ، مثل مابين السماء إلى السماء ، وفوق ذلك ثمانية أوعال مابين أظلافهن وركبهن ، مثل مابين السماء إلى السماء وعلى ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل مابين السماء إلى السماء ثم الله عز وجل فوق ذلك تبارك وتعالى .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، وهو ابن سلمة ، ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلعم لما أسرى به مرت رائحة طيبة ، فقلت . ياجبريل ماهذه الرائحة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها كانت تمشطها فوقع المشط من يدها فقالت: بسم الله! فقالت ابنته : أبى ؟ قالت : لاولكن ربى ورب أبيك الله ، فقالت : أخبر بذلك أبى ؟ فقالت : نعم ؟ فأخبرته فدعا بها فقال : من ربك هل لك رب غيرى ؟ قالت : ربى وربك الذى فى السماء ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم دعابها وبولدها فألقاهم (١) فيها وساق أبو سلمة الحديث بطوله .

حدثنا مسدد ، ثنا أبو الأحوص ، ثنا أبو إسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلعم : من لم يرحم من فى الأرض لم يرحمه من فى السماء . حدثنا أبو هشام الرفاعى ، ثنا إسحق بن سليمان ، ثنا أبو جعفر الرازى ، عن عاصم بن بهدلة عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :قال

---

(١) كذا فى الأصل ولعله : فألقاهما .

رسول الله صلعم ، لما ألقى إبراهيم فى النار قال : اللهم إنك فى السماء واحد ، وأنا فى الأرض واحد أعبدك .

حدثنا مسدد ، ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : أصابنا ونحن مع رسول الله صلعم مطر فخرج رسول الله صلعم فحسر عنه ثوبه حتى أصابه فقلنا يارسول الله لم صنعت هذا ؟ قال لأنه حديث عهد بربه . قال أبو سعيد : ولو كان على مايقول هاؤلاء الزائغة إنه فى كل مكان ، ما كان المطر أحدث عهدا بالله من غيره من المياه والخلائق .

حدثنا عبد الله بن أبى شيبة ، ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنها قال : لما قبض رسول الله صلعم قال أبو بكر رضى الله عنه : أيها الناس إن كان محمد إلهكم الذى تعبدون فإن إلهكم قد مات وإن كان الهكم الله الذى فى السماء ، فإن إلهكم لم يمت ثم تلا (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) [١٤٤/آل عمران] حتى ختم الآية .
حدثنا موسى بن إسماعيل قال : ثنا ابن حازم قال : سمعت أبا يزيد - يعنى المدنى - قال : لقيت امراة عمر يقال لها خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفته ، فوقف لها ، ودنا منها ، وأصغى إليها رأسه حتى قضت حاجتها ، وانصرفت فقال له رجل : ياأمير المؤمنين حبست رجالات [1] قريش على هذه العجوز ، فقال : ويلك وهل تدرى من هذه ؟ قال : لا ، قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خوله بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عنى إلى الليل ماانصرفت عنها ، حتى تقضى حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها ، حتى تقضى حاجتها .

حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب الحناط عن الأعمش عن خيثمة أن عبد الله قال : إن العبد ليهمّ بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى إذا تيسر له نظر الله

---

(١) فى الأصل : رحالات

إليه من فوق سبع سموات فيقول للمالك : اصرفه عنه ؟ قال : فيصرفه فيتظنى بحيرته ، سبقنى فلان وماهو إلا الله . حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد يعنى ابن سلمة ، عن عاصم عن زر عن بن مسعود رضى الله عنه قال : مابين السماء الدنيا والتى تليها مسيرة خمسائة عام وبين كل سمائين مسيرة خمسائة عام وبين السماء السابعة وبين الكرسى خمسائة عام وبين الكرسى إلى الماء خمسائة عام والعرش على الماء والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ماأنتم عليه .

حدثنا سعيد بن أبى مريم المصرى : أنبأ يحيى بن أيوب : حدثنى عمارة بن غزية عن قدامة بن إبراهيم بن محمد بن حاطب أنه حدثه أن عبد الله ابن رواحة رضى الله عنه وقع بجارية له فقالت له أمراته . فعلتها ! قال : أما أنا فأقرأ القرآن أما أنت فلا تقرأ (١) القرآن وأنت جنب ، فقال : أنا أقرألك فقال :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمنا

وتحمله ملائكة كرام ملائكة الإله مسومينا

فقالت : آمنت بالله وكذبت البصر .

وحدثنا موسى بن إسماعيل : ثنا جويرية ـ يعنى ابن أسماء ـ قال : سمعت نافعا يقول : قالت عائشة رضى الله عنها : وأيم الله إنى لأخشى لوكنت أحب قتله لقتلت ـ تعنى عثمان ـ ولكن علم الله من فوق عرشه أنى لم أحب قتله . حدثنا النفيلى ثنا زهير بن معاوية ، ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم : حدثنى عبد الله بن عبيد الله ابن أبى مليكة أنه حدثه ذكوان حاجب عائشة رضى الله عنها أن ابن عباس رضى الله عنهما دخل على عائشة وهى تموت فقال لها : كنت أحب نساء رسول الله صلعم إلى سول الله صلعم ولم يكن رسول الله صلعم يحب إلا طيبا وأنزل الله براءتك

(١) كذا فى الأصل .

من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين فأصبح ليس مسجد من مساجد الله تعالى يذكر فيه الله إلا وهى تتلى فيه آناء الليل والنهار .

حدثنا محمد بن عمران بن أبى ليلى : ثنا موسى أبو محمد من موالى عثمان بن عفان قال : وكان من خيار الناس ـ عن خالد بن يزيد بن عبد الله عن أبيه عن جده قال : خطب على الناس الخطبة التى لم يخطب بعدها فقال : الحمد لله الذى دنا فى علوه ، ونآء فى دنوه لايبلغ شىء مكانه ، ولايمتنع عليه شىء أراده .

حدثنا نعيم بن حماد : ثنا ابن المبارك : أنبأ سليمان بن المغيرة عن ثابت البنانى ثنا رجل من أهل الشام وكان يتبع عبد الله بن عمرو بن العاص ويسمع منه قال : كنت معه فلقى نوفا فقال نوف ذكر لنا أن الله تعالى قال لملائكته : ادعوا لى عبادى ! فقالوا : يارب كيف ؟ والسموات السبع دونهم والعرش فوق ذلك ؟ قال : إنهم إذا قالوا (لا إله الا الله) فقد استجابوا لى ، قال : يقول عبد الله ابن عمرو : صلينا مع رسول الله صلعم صلاة المغرب ـ أو قال غيرها شك سليمان ـ فقعد رهط أنا فيهم ينتظرون الصلاة الأخرى فأقبل رسول الله صلعم يسرع المشىء كأنى أنظر إلى رفعه إزاره كى يكون أخف له فى المشى فانتهى إلينا فقال : ألا أبشروا هذا ربكم أمر بباب فى السماء الوسطى ـ أو ل قال : باب السماء ـ ففتحه ففاخر بكم الملائكة فقال : انظروا إلى عبادى أدوا حقا من حقى ، ثم انتظروا أداء حق آخر يؤدونه .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو هلال ، ثنا قتادة قال : قالت بنو اسرائيل : يا رب أنت فى السماء ونحن فى الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك ؟ قال : إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم وإذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم . حدثنا عبد الله بن صالح المصرى قال : حدثنى الليث ـ وهو ابن سعد ـ قال : حدثنى خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال أن زيد ابن أسلم حدثه عن عطاء بن يسار : قال : أتى رجل كعبا وهو فى نفر فقال : يا أبا

إسحق حدثنى عن الجبار ! فأعظم القوم قوله . فقال كعب : دعوا الرجل فإن كان جاهلا تعلم ، وإن كان عالما ازداد علما ، ثم قال كعب : أخبرك أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ثم جعل مابين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض وكثفهن مثل ذلك رفع العرش فاستوى عليه فما فى السموات سماء إلا لها أطيط كأطيط الرحل العلافى أول مايرتحل من ثقل الجبار فوقهن .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث قال : حدثنى عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرنى سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال لعمر رضى الله عنه : ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء ، قال عمر : إلا من حاسب نفسه : فقال كعب: إلا من حاسب نفسه ، وكبر عمر وخر ساجدا . حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى . ثنا أبى عن نضر أبى عمر الخزاز عن عكرمة عن ابن عباس قال : سيد السموات السماء التى فيها العرش ، وسيد الأرضين التى نحن عليها ، وسيد الشجر العوسج ، ومنه عصا موسى . حدثنا القعنبى : ثنا ثابت بن قيس أبو النضر عن أبى سعيد المقبرى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت : يارسول الله رأيتك تصوم من الشهر شيئا مالا تصومه من الشهور أكثر إلا رمضان ، قال: أى شهر ؟ قلت : شعبان ، قال : هو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم .

حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، ثنا جرير عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم فإذا كانت صلاة الفجر نزلت ملائكة النهار فشهدوا معكم الصلاة ، وصعدت ملائكة الليل ومكثت فيكم ملائكة النهار فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم. ماتركتم عبادى يصنعون؟ فيقولون : جئناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ، فإذا كانت صلاة العصر نزلت ملائكة الليل فشهدوا معكم الصلاة ثم صعدت ملائكة النهار ومكثت معكم ملائكة الليل ، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم فيقول : ماتركتم عبادى يصنعون؟ قال : فيقولون : جئناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ، قال : فحسبته أنه قال :

فأغفر لهم يوم الدين .

حدثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد عن عاصم عن زر قال : أتيت حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما فقلت : أخبرنى عن صلاة رسول الله صلعم ، فى بيت المقدس ليلة أسرى به ! قال : مايخبرك ذاك ؟ قلت : القرآن ، فقرأت (سبحان الذى أسرى بعبده من الليل [1] من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) [١/الإسراء] قال : هكذا هو فى قراءة عبد الله ـ قال : هل تراه صلى فيه يا أصلع ؟ قلت : لا ، قال : فإنه أتاه بدابة ـ فوصفها عاصم بحمار ـ فحمله عليها أحدهما رديف صاحبه ثم انطلقا فأرى ما فى السموات وأرى ثم عادا عودهما على بدئهما ، فلم يصل فيه ولو صلى فيه لكانت سنة .

حدثنا عمرو بن خالد الحرانى ، ثنا ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن أبى تميم الجيشانى عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلعم قال : إذا مكث المنى فى الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فعرج به إلى الرب فى راحته فيقول : أى رب عبدك هذا ذكر أم أنثى ؟ فيقضى الله إليه ماهو قاض ثم يقول : أى رب أشقى أم سعيد ؟ فيكتب بين عينيه ماهو لاق ، قال : وتلا أبو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات .

قال أبو سعيد رحمه الله : وإلى من يعرج الملك بالمنى والله بزعمكم الكاذب ، فى رحم المرأة وجوفها مع المنى ؟ حدثنا عثمن ابن أبى شيبة ، ثنا جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلعم بأربع كلمات فقال : إن الله لاينام ولاينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه بصره . قال أبو سعيد رحمه

(١) فى الأصل : هكذا فى قراءة ابن مسعود .

الله ، فإلى من ترفع الأعمال ، والله بزعمكم الكاذب ، مع العامل بنفسه فى بيته ومسجده ومنقلبه ومثواه ؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

والأحاديث عن رسول الله صلعم وعن أصحابه والتابعين ومن بعدهم فى هذا أكثر من أن يحصيها كتابنا هذا ، غير أنا قد اختصرنا من ذلك ما يستدل به أولو الالباب أن الأمة كلها ، والأمم السالفة قبلها لم يكونوا يشكون فى معرفة الله تعالى أنه فوق السماء ، بائن من خلقه غير هذه العصابة الزائغة عن الحق ، المخالفة للكتاب ، وأثارات العلم كلها ، حتى لقد عرف كثير من كفار الأمم وفراعنتهم (قال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى) واتخذ فرعون إبراهيم ، النسور والتابوت يرومون الاطلاع إلى الله تعالى فى السماء وذلك لما أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يدعونهم إلى الله بذلك وقالت بنو إسرائيل : يارب أنت فى السماء ونحن فى الأرض ، وأشباه هذا كثير يطول إن ذكرناها .

وظاهر القرآن وباطنه كله يدل على ذلك لا لبس فيه ، ولا تأول إلا لمتأول جاحد ، يكابر الحجة ، وهو يعلم أنها عليه . قال الله تبارك وتعالى : (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) [١/الكهف] وقوله : (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) [٤/آل عمران] وقوله : (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) [٢/فصلت] (تنزيل من حكيم حميد) [٤٢/فصلت] (إنا أنزلناه فى ليله القدر) [١/القدر] (أنا أنزلناه فى ليلة مباركة) [٣/الدخان] (سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات) [١/النور] وما أشبه هذا فى كتاب الله كثير كل ذلك دليل على أن الله عز وجل أنزله من السماء ، من عنده ، ولو كان على ما يدعى هؤلاء الزائغة أنه تحت الأرض وفوقها ، كما هو على العرش فوق السماء السابعة ، لقال جل ذكره فى بعض الآيات: إنا اطلعناه إليك ورفعناه إليك وما أشبهه ، وقال (وما

نتنزل إلا بأمر ربك) [٦٤/مريم] و (نزل به الروح الأمين) [١٩٣/الشعراء] و (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) [١٠٢/النحل] ولم يقل : ما نخرج من تحت الأرض ، ولا يصعد منها .

قال أبو سعيد رحمه الله : فظاهر القرآن وباطنه يدل على ما وصفنا من ذلك نستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير ويعرفه العامة والخاصة فليس منه لمتأول تأول إلا المكذب به فى نفسه، مستتر بالتأويل. ويلكم إجماع من الصحابة والتابعين وجميع الأمة من تفسير القرآن والفرائض والحدود والأحكام نزلت آية كذا فى كذا ونزلت آية كذا فى كذا ونزلت سورة كذا فى مكان كذا ، لانسمع أحدا يقول : طلعت من تحت الأرض ، ولا : جاءت من أمام ، ولا من خلف ، ولكن كله : نزلت من فوق . ومايصنع بالتنزيل من هو بنفسه فى كل مكان ؟ إنما يكون شبه مناولة لاتنزيلا من فوق السماء مع جبريل إذ يقول سبحانه وتعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) والرب بزعمكم الكاذب ، فى البيت معه وجبريل يأتيه من خارج .

هذا واضح ولكنكم تغالطون ، فمن لم يقصد بإيمانه وعبادته إلى الله الذى استوى على العرش فوق سمواته وبان من خلقه فإنما يعبد غير الله ولا يدرى أين الله .

حدثنا مهدى بن جعفر الرملى : ثنا جعفر بن عبد الله ـ وكان من أهل الحديث ثقة ـ عن رجل قد سماه لى قال : جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال : يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) [٥/طه] كيف استوى ؟ قال : فما رأينا مالكا وجد من شىء كوجده من مقالته وعلاه الرحضاء وأطرق وجعلنا ننتظر ما يأمر به فيه ، قال : ثم سرى عن مالك فقال : الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإنى لأخاف أن تكون ضالا ، ثم أمر به فأخرج . قال أبو سعيد رحمه الله وصدق مالك ، لايعقل منه كيف ولا يجهل منه الاستواء والقرآن ينطق ببعض ذلك فى غير آية .

فهذه الأشياء التى اقتصصنا فى هذا الباب قد خاص علم كثير منها إلى النساء والصبيان ونطق بكثير منها كتاب الله تعالى وصدقته الآثار عن رسول الله صلعم وعن أصحابه والتابعين وليس هذا من العلم الذى يشكل على أحد من العامة والخاصة إلا على هذه العصابة الملحدة فى آيات الله ، لم يزل العلماء يروون هذه الآثار ويتناسخونها ويصدقون بها على ماجاءت ، حتى ظهرت هذه العصابة ، فكذبوا بها أجمع ، وجهلوهم ، وخالفوا أمرهم ، خالف الله بهم .

ثم ماقد روى فى قبض الأرواح ، وصعود الملائكة بها إلى الله تعالى من السماء ما ذكر رسول الله صلعم من قصته حين أسرى به فعرج به إلى سماء بعد سماء حتى انتهى به إلى السدرة المنتهى ، التى ينتهى إليها علم الخلائق ، فوق سبع سموات ، ولو كان فى كل مكان كما يزعم هؤلاء ما كان الإسراء والبراق والمعراج إذاً من معنى ! وإلى من يعرج به إلى السماء وهو بزعمكم ، الكاذب ، معه فى بيته فى الأرض ليس بينه وبينه ستر ، تبارك اسمه وتعالى عما تصفون .

حدثنا عبد الله بن صالح المصرى قال : حدثنى الليث ـ يعنى ابن سعد ـ قال : حدثنى يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان أبو ذر رضى الله عنه يحدث أن رسول الله صلعم قال : فرج سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل فعرج بى إلى السماء الدنيا فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن سماء الدنيا : افتح ! قال : من هذا ؟ قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم معى محمد ، قال أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قال فافتتح فلما علونا السماء الدنيا ، وساق الحديث إلى قوله ـ قال أنس ـ فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ، قال ابن شهاب : وأخبرنى ابن حزم ان ابن عباس وأبا حبة الأنصارى رضى الله عنهما يقولان : قال رسول الله صلعم ، ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقلام ، قال : ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لاأدرى ما هى . حدثنا أحمد بن صالح عن ابن وهب عن يونس باسناده نحو معناه .

حدثنا عبد الله بن أبي شيبة أبو بكر : ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال ابن عمرو عن زاذان عن البراء رضي الله عنه عن النبي صلعم قال : إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة أنزل الله إليه من السماء ملائكة، وساق الحديث قال : فيخرج روحه فيصعدون به حتى ينتهوا به إلى السماء فيستفتح فيفتح له حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى في عليين في السماء السابعة وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، وأما الكافر (١) قال : ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح له ثم قرأ : (لاتفتح لهم أبواب السماء) [٤٠/الأعراف] الآية . قال : فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى في سجين في الأرض السفلى ، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، فيطرح طرحا ، وساق الحديث بطوله كما ساق .

قال أبو سعيد : ففي قوله تبارك وتعالى : (لاتفتح لهم أبواب السماء) دلالة ظاهرة أن الله عز وجل فوق السماء ، لأن أبواب السماء إنما تفتح لأرواح المؤمنين ولرفع أعمالهم إلى الله عز وجل منها ولما سوى ذلك مما يشاء الله تعالى فإذا كان مع الميت والعامل بنفسه في الأرض فإلى من يعرج بأرواحهم وأعمالهم ولم تفتح أبواب السماء لقوم وتغلق عن آخرين ، إذا كان الله بزعمهم في الأرض وما منزلة قول الله عز وجل عندهم إذ (لاتفتح لهم أبواب السماء) ؟

فمن آمن بهذا القرآن الذى احتججنا منه بهذه الآيات وصدق هذا الرسول الذى روينا عنه هذه الروايات لزمه الإقرار بان الله بكماله فوق عرشه فوق سمواته وإلا فليحتمل قرآنا غير هذا فإنه غير مؤمن بهذا .

ومما يحقق قولنا ويعطل دعواهم احتجاب الله عز وجل من الخلق فوق السموات العلى :

---

(١) كذا في الأصل .

باب الاحتجاب

قال الله تبارك وتعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) [٥١ / الشورى] . حدثنا على بن المدينى ، ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصارى ثم السلمى قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الأنصارى ثم السلمى يقول : سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول : نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جابر مالى أراك مهتما ؟ قال : قلت استشهد أبى وترك دينا عليه وعيالا ، فقال : ألا أخبرك : ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا فقال : يا عبدى تمن على أعطك ، وساق علىّ الحديث .

حدثنا عمرو بن عون الواسطى ، أنبأ هشيم عن داود عن الشعبى قال : ثنا مسروق قال : بينا أنا عند عائشة أم المؤمنين فقالت يا أبا عائشة : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، وقلت : (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) [١٠٣ / الأنعام] ، (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) [٥١ / الشورى] .

حدثنا عثمان بن أبى شيبه ، ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرة ، عن أبى عبيدة ، عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع فقال : إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ، كل شىء أدركه بصره . حدثنا محبوب بن موسى الأنطاكى ، أنبأ أبو إسحق الفزارى ، عن سفيان ، عن عبيد المكتّب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : احتجب الله من خلقه بأربع : بنار وظلمة ونور وظلمة . حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة ، ثنا حماد — وهو ابن سلمة — قال : أنبأ أبو عمران الجونى ، عن زرارة بن أوفى أن النبى صلى الله

عليه وسلم سأل جبريل : هل رأيت ربك ؟ فانتفض جبريل وقال : يا محمد إن بيني وبينه سبعين حجابا من نور ، لو دنوت من أدناها لاحترقت .

قال أبو سعيد : من يقدر قدر هذه الحُجُب التي احتجب الجبار بها ، ومن يعلم كيف هي غير الذي أحاط بكل شيء علما (وأحصى كل شيء عدداً) [٢٨ / الجن] ؟ ففي هذا أيضاً دليل أنه بائن من خلقه محتجب عنهم لايستطيع جبريل مع قربه إليه الدنو من تلك الحجب ، وليس كما يقول هؤلاء الزائغة أنه معهم في كل مكان ، ولو كان كذلك ما كان للحجب هناك معنى ، لأن الذي هو في كل مكان ، لايحتجب بشيء من شيء ، فكيف يحتجب من هو خارج الحجاب . كما هو من ورائه ؟ فليس لقول الله عز وجل : (من وراء حجاب) عند القوم مصداق .

والآثار التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزول الرب تبارك وتعالى تدل على أن الله عز وجل فوق السموات على عرشه بائن من خلقه .

باب النزول

قال أبو سعيد رحمه الله : فما يعتبر به من كتاب الله عز وجل في النزول ويحتج به على من أنكره ، قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) [٢١٠ / البقرة] ، وقوله : (وجاء ربك والملك صفاصفا) [٢٢ / الفجر] . وهذا يوم القيامة إذا نزل ليحكم بين العباد ، وهو قوله : (يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ، الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) [٢ / الفرقان] ، فالذي يقدر على النزول يوم القيامة من السموات كلها ، ليفصل بين عباده قادر أن ينزل كل ليلة من سماء إلى سماء ، فإن ردوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في النزول فماذا يصنعون بقول الله عز وجل وتبارك وتعالى ؟

حدثنا عمرو بن عون أ الواسطى أنبأ أبو عوانة ، عن بى إسحق، عن الأغر أبى مسلم قال : أشهد على أبى سعيد ، وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلعم أنه قال : إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل هبط ، فقال : من تائب فيتاب عليه ، من داع فيستجاب له ، من مستغفر من ذنب ، من سائل فيعطى .

حدثنا يحى بن بكير المصرى ، ثنا مالك — وهو ابن أنس — عن ابن شهاب ، عن أبى عبد الله الأغر ، وأبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى أستجيب له ، ومن يسألنى فأعطيه ، ومن يستغفرنى فأغفر له .

قال بو سعيد : وزادنى فيه أحمد بن صالح ، عن ابن وأهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب باسناده. قال : وقال هشام الدستوائى ، عن يحى - وهو ابن كثير - عن هلال بن أبى ميمونة ، عن عطاء بن يسار أن رفاعة الجهنى حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا مضى ثلث الليل أو شطر الليل أو ثلثا الليل يتنزل الله إلى سماء الدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادى أحداً غيرى ، من يستغفرنى أغفر له ، من يدعونى أستجيب له ، ومن يسألنى أعطيه حتى ينفجر الصبح .

حدثنا سعيد بن الحكم بن أبى مريم المصرى ، أنبأ الليث — يعنى ابن سعد — قال : حدثنى زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء رضى الله عنها ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تبارك وتعالى فى ثلاث ساعات من الليل : يفتح الذكر فى الساعة الأولى لم يره غيره ، فيمحو ما يشاء ، ويثبت ما يشاء ، ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن وهى داره التى لم ترها عين ، ولم تخطر على قلب بشر ، وهى مسكنه ، ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة : النبيين والصديقين والشهداء . ثم يقول : طوبى لمن دخلك !

ثم ينزل من الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته فتنتفض فيقول : قومى بعزتى ! ثم يطلع إلى عباده فيقول : هل من مستغفر أغفر له ، وهل من داع أجيب حتى تكون صلاة الفجر . ولذلك يقول : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) [٧٨ / الإسراء] ، يشهده الله وملائكة الليل والنهار .

حدثنا حفص بن عمر النمرى أبو عمر الحوضى : ثنا هشام ـ وهو الدستوائى ـ عن يحى — وهو ابن أبى كثير — عن أبى جعفر ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا بقى ، أو قال — مضى — ثلث الليل ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسترزقنى فأرزقه ، من يسألنى فأعطيه من يستكشف الضر أكشفه عنه حتى ينفجر الصبح . حدثنا عمرو ابن عون الواسطى ، أنبأ خالد — يعنى ابن عبد الله — عن الهجرى ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يفتح أبواب السماء فى ثلث الليل فيهبط إلى السماء الدنيا فيبسط يديه فيقول : ألا عبد يسألنى فأعطيه ، إلى طلوع الفجر .

حدثنا عبد العزيز بن يوسف الحرانى أبو الأصبغ قال : حدثنى محمد — يعنى ابن مسلمة الحرانى — عن محمد بن إسحق ، عن سعيد المقبرى ، عن عطاء مولى أم صبية ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ولأخرت العشاء الآخرة حتى يذهب ثلث الليل ، فإنه إذا ذهب ثلث الليل الأول ، هبط الله إلى السماء الدنيا فلا يزال بها حتى يطلع الفجر يقول قائل : ألا من سائل فيعطى ، ألا من داع فيستجاب له ، ألا من مريض يستشفى فيشفى ، ألا من مذنب يستغفر فيغفر له .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن أبى إسحق باسناده نحوه . قال عمرو : وثنا يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنى

أبى ، عن محمد بن إسحق قال : وحدثنى عمى عبد الرحمن بن يسار ، عن عبيد الله ابن أبى رافع ، عن أبيه ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عوانة عن طارق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن الله يمهل حتى إذا مضى ثلث الليل هبط إلى سماء الدنيا ثم قال : هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر، فأغفر له هل من سائل يعطى . حدثنا الزهرانى أبو الربيع ، ثنا حماد - يعنى ابن زيد - عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال : إذا مضى ثلث الليل - أو بقى نصف - ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول : من ذا الذى يدعونى فأستجيب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه .

باب النزول ليلة النصف من شعبان

حدثنا الأصبغ بن الفرج المصرى قال : أخبرنى ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن عبد الملك عن مصعب بن أبى الحارث عن القاسم بن محمد بن أبى بكر عن أبيه - أو عن عمه - عن جده أبى بكر رضى الله عنه أن النبى صلعم قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل نفس إلا مشرك بالله ومشاحن .

باب النزول يوم عرفة

حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة وعلى بن عثمان اللاحقى قالا . ثنا أبو عوانة عن مغيرة عن عاصم بن أبى النجود قال : قالت أم سلمة رضى الله عنها . نعم اليوم يوم عرفة ينزل فيه رب العزة إلى السماء الدنيا .

باب نزول الرب تبارك وتعالى
يوم القيامة للحساب

حدثنا نعيم بن حماد عن إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :قال رسول الله صلعم : يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، وساق الحديث إلى قوله : وتبقى هذه الأمة فيقولون ، هذا مكاننا يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله عزوجل فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه ، وساق نعيم الحديث إلى آخره .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، وهو ابن سلمة - عن ثابت وحميد وعلى ابن زيد عن الحسن أن رسول الله صلعم قال : يأتينا ربنا يوم القيامة ونحن على مكان رفيع فيتجلى لناضاحكا .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبأ سليمان التيمى عن أبى نضرة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ينادى مناد بين يدى الساعة : أتتكم الساعة أتتكم الساعة ، حتى يسمعها كل حى وميت . قال فينادى المنادى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) [٣٤/غافر] . حدثنا عبد الله بن صالح المصرى قال ، حدثنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : وتلا هذه الآية (يوم تبدل الأرض غير الأرض) [٤٨/إبراهيم] قال : يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة لم يعمل عليها الخطايا ينزل عليها الجبار تبارك وتعالى .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد — وهو ابن سلمة — عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآيه (يوم تشقق

السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) [٢٥ / الفرقان] قال : ينزل أهل سماء الدنيا وهم أكثر من أهل الأرض ومن الجن والإنس ، فيقول أهل الأرض : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : لا وسيأتى ، ثم تشقق السماء الثانية ، وساق أبو سلمة الحديث إلى السماء السابعة ، قال : فيقولون : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : لاوسيأتى . ثم يأتى الرب تبارك وتعالى فى الكروبيين وهم أكثر من أهل السموات والأرض .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عوانة ، ثنا الأجلح ، ثنا الضحاك بن مُزاحم قال : إن الله يأمر السماء يوم القيامة وتنشق بمن فيها فيحيطون بالأرض ومن فيها ، ويأمر السماء الثانية ، حتى ذكر سبع سموات ، فيكونون سبعة صفوف قد أحاطوا بالناس ، قال : ثم ينزل الله فى بهائه وجماله ، ومعه ما شاء من الملائكة بجنبته اليسرى جهنم فإذا رآها الناس تلظى ، وسمعوا زفيرها وشهيقها ، ند الناس فى الأرض فلا يأتون قطرا من أقطارها إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة ، وذلك قوله عز وجل : (يوم التناد) [٣٢ / غافر] ، يقول : يند الناس ، فيقول الله عز وجل : (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) [٣٣ / الرحمن] ، وذلك قوله عز وجل : (إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجىء يومئذ بجهنم) [٢٣ / الفجر] ، (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) [٢٥ / الفرقان] ، (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها) [١٧ / الحاقة] . قال : قلت له : ما أرجاؤها ؟ قال : حافتها .

باب نزول الله لأهل الجنة

حدثنا هشام بن خالد الدمشقى وكان ثقة ، ثنا محمد بن شعيب — وهو ابن شابور — أنبأ عمر بن عبد الله مولى غفرة قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتانى جبريل وفى يده كهيئة المرآة البيضاء وفيها نكتة سوداء قلت : ما هذا ياجبريل ؟ قال : هذه الجمعة بعث بها إليك ربك تكون عيداً لك ولأمتك من بعدك ، قلت : ومالنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير كثير أنتم الآخرون السابقون يوم القيامة ، وفيها ساعة لا يوافقها عبد يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه . قلت ما هذه النكتة السوداء ؟ قال : هذه الساعة تكون يوم الجمعة وهو سيد الأيام ونحن نسميه عندنا يوم المزيد ، قلت : وما المزيد ياجبريل ؟ قال ذلك بأن ربك اتخذ فى الجنة واديا أفيح من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب تبارك وتعالى عن عرشه إلى كرسيه وحف الكرسى بمنابر من نور فيجلس عليها النبيون ، وحف المنابر بكراسى من ذهب ، فيجلس عليها الصديقون والشهداء ، ويهبط أهل الغرف من غرفهم فيجلسون على كثبان المسك لا يرون لأهل المنابر والكراسى عليهم فضلا فى المجلس ، ثم يتبدى لهم ذو الجلال والإكرام فيقول : سلونى فيقولون بأجمعهم : نسألك الرضا ، فيشهدهم على الرضا ، ثم يسألونه حتى تنتهى نهية كل عبد منهم ، ثم يسعى عليهم بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم يرتفع الرب على كرسيه إلى عرشه ، ويرتفع أهل الغرف إلى غرفهم ، وهى غرفة من لؤلؤة بيضاء ، أو زبرجدة خضراء ، أو ياقوتة حمراء ، ليس فيها فصم ولا وصم مطردة أنهارها ، متدلية ، فيها ثمارها ، فيها أزواجها ، وخدمها ، ومساكنها ، فليس أهل الجنة إلى شىء أشوق منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا قربا من الله ورضوانا .

حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، ثنا جرير ، عن ليث ، عن عثمان بن أبى حُميد ،

عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلعم قال : أتانى جبريل فى كفه كالمرآة البيضاء فيها كالنكتة السوداء فقلت : ماهذا الذى فى يدك ؟ قال الجمعة ، قلت . وما الجمعة ؟ قال : لكم فيها خير وهو عندنا سيد الأيام ونحن نسميه يوم القيامة المزيد ، قلت : ولم ذاك ؟ قال: لأن الرب تبارك وتعالى اتخذ فى الجنةواديا أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة ينزل على كرسيه من عليين ـ أو نزل من عليين على كرسيه ـ ثم حف الكرسى بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر ثم يجىء النبيون حتى يجلسوا على تلك المنابر ثم ينزل أهل الغرف حتى يجلسوا على ذلك الكثيب ثم يتجلى لهم ربهم فيقول : أنا الذى صدقتكم وعدى ، وأتممت عليكم نعمتى ، وهذا محل كرامتى ، فسلونى وساق عثمان بن أبى شيبة الحديث إلى قوله : وذلك مقدار منصرفهم من الجمعة ثم يرتفع إلى عرشه عن كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ـ أو النبيون والشهداء والصديقون ـ ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم .

حدثنا عبد الله بن صالح المصرى قال : حدثنى حرملة بن عمران عن سليمان بن حميد قال : سمعت محمد بن كعب القرظى يحدث عمر بن عبد العزيز قال : فإذا فرغ الله عز وجل من أهل الجنة والنار أقبل الله عز وجل (فى ظلل من الغمام والملائكة) فسلم على أهل الجنة فى أول درجة فيردون عليه السلام . قال القرظى : وهذا فى القرآن (سلام قولا من رب رحيم) [٥٨/يس] فيقول : سلونى ؟ قال ففعل ذلك بهم فى درجهم حتى يستوى فى مجلسه ثم يأتيهم التحف من الله تحملها والملائكة إليهم .

قال أبو سعيد : فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها فى نزول الرب تبارك وتعالى فى هذه المواطن وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر فى مشايخنا لاينكرها منهم أحد ، ولايمتنع من روايتها حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله صلعم برد ، وتشمروا لدفعها بجد فقالوا : كيف نزوله هذا ؟ قلنا : لم نكلف كيفية نزوله فى ديننا ولاتعقله قلوبنا وليس كمثله شىء من

خلقه ، فنشبه منه فعلا أوصفة ، بفعالهم وصفتهم ، ولكن ينزل بقدرته ، ولطف ربوبيته كيف يشاء ، فالكيف منه غير معقول والإيمان بقول رسول الله صلعم فى نزوله واجب ، ولايسأل الرب عما يفعل كيف يفعل ، وهم يسألون ، لأنه القادر على مايشاء أن يفعله كيف يشاء ، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذى لاقدرة له إلا ماأقدره الله تعالى عليه كيف يصنع وكيف قدر . ولو قد آمنتم باستواء الرب على عرشه وارتفاعه فوق السماء السابعة بدءا إذ خلقها كإيمان المصلين به لقلنا لكم : ليس نزوله من سماء إلى سماء بأشد عليه ولا بأعجب من استوائه عليها إذ خلقها بدءا فكما قدر على الأولى منها كيف يشاء فكذلك يقدر على الأخرى كيف يشاء . وليس قول رسول الله صلعم فى نزوله بأعجب من قول الله تبارك وتعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظل من الغمام والملائكة) ومن قوله (وجاء ربك والملك صفاصفا) فكما يقدر على هذا يقدر على ذاك فهذا الناطق من قول الله عز وجل ، وذلك المحفوظ من قول رسول الله صلعم بأخبار ليس عليها غبار ، فإن كنتم من عباد الله المؤمنين لزمكم الإيمان بها ، كما آمن بها المؤمنون ، وإلا فصرحوا بما تضمرون ودعوا هذه الأغلوطات التى تلوون بها ألسنتكم فلئن كان أهل الجهل فى شك من أمركم ،إن أهل العلم من أمركم لعلى يقين .

قال : فقال قائل منهم : معنى إتيانه فى ظلل من الغمام ومجيئه والملك صفا صفا كمعنى كذا وكذا ، قلت : هذا التكذيب بالآية صراحا ، تلك معناها بين للأمة لا اختلاف بيننا ، وبين المسلمين فى معناها المفهوم المعقول عند جميع المسلمين ، فإما مجيئه يوم القيامة وإتيانه فى ظلل من الغمام والملائكة فلا اختلاف بين الأمة أنه إنما يأتيهم يومئذ كذلك ، لمحاسبتهم و ليصدع بين خلقه ويقررهم بأعمالهم ، ويجزيهم بها ، ولينصف المظلوم منهم من الظالم ، لايتولى ذلك أحد غيره تبارك اسمه وتعالى جده ، فمن لم يؤمن بذلك لم يؤمن بيوم الحساب . ولكن إن كنتم محقين فى تأويلكم هذا وما ادعيتم من باطلكم ـ ولستم كذلك ـ فأتوا بحديث يقوى مذهبكم فيه عن رسول الله صلعم أو بتفسير تأثرونه صحيحا عن أحد من

الصحابة أو التابعين ، كما أتيناكم به عنهم نحن لمذهبنا ، وإلا فمتى نزلت الجهمية من العلم بكتاب الله ، وبتفسيره ، المنزلة التى يجب على الناس قبول قولهم فيه ، وترك مايؤثر من خلافهم عن رسول الله صلعم ، ومن أصحابه وعن التابعين بعدهم؟ هذا حدث كبير فى الإسلام ، وظلم عظيم أن يتبع تفسيركم كتاب الله بلا أثر ، ويترك المأثور فيه الصحيح من قول رسول الله صلعم وأصحابه والتابعين لهم بأحسان رضى الله عنهم ، ومتى ما قدرتم أن تجامعوا أهل العلم فى مجالسهم أو تنتحلوا شيئا من العلم فى آباد الدهر إلا منافقة واستتارا ، حتى تتقلدوا اليوم من تفسير كتاب الله ما كان يتوقى أوضح منه أصحاب رسول الله صلعم ، لقد عدوتم طوركم وأنزلتم أنفسكم المنزلة التى تعبدكم الله منها ، ثم المسلمون . ولو لم يوجد فيها عن رسول الله صلعم ولا عن أصحابه خبر ، ولا أثر ، لم تكونوا مؤتمنين على كتاب الله وتفسيره أن يلتفت إلى شىء من أقاويلكم ، أو يعتمد على شىء من تفسيركم كتاب الله لما ظهر الأمة من إلحادكم ، فكيف إذا هم خالفوكم .

قال أبو سعيد رحمه الله : ومما يرد هذا ويبطله قوله تعالى :(هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك)[١٥٨/الأنعام] الآية فهذا مما يحقق دعوانا ويبطل دعواكم التى فرضتموها ، عدوا بغير علم فى إتيان الله تعالى ومجيئه يوم القيامة ، والملك صفا صفا . فإن أبيتم إلا لزوما لتفسيركم هذا ومخالفة لما احتججنا به من كتاب الله وآثار رسول الله صلعم وأصحاب رسول الله صلعم ، فإنه ليس لكم من الرسوخ فى العلم ، والمعرفة بالكتاب والسنة ، مايعتمد فيه على تفسيركم ، لو قد أصبتم الحق فكيف إذا أنتم أخطأتموه ؟ ولكن بيننا وبينكم حجة واضحة يعقلها من شاء الله من النساء والولدان ، ألستم تعلمون أناقد أتيناكم بهذه الروايات عن رسول الله صلعم وعن أصحابه والتابعين ، منصوصة صحيحة عنهم أن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وقد علمتم يقينا أنا لم نخترع هذه الروايات ، ولم نفتعلها ، بل رويناها عن الأئمة الهادية الذين نقلوا أصول الدين وفروعه إلى الأيام ، وكانت مستفيضة فى أيديهم يتنافسون فيها ، ويتزينون

بروايتها ، ويحتجون بها على من خالفها ، قد علمتم ذلك ورويتموها كما رويناها إن شاء الله ، فأتوا ببعضها أنه لاينزل منصوصا كما روينا عنهم النزول منصوصا ، حتى يكون بعض ما تأتون به ضدا لبعض ما أتيناكم به ، وإلا لم يدفع إجماع الأمة وما ثبت عنهم فى النزول منصوصها بلا ضد منصوص من قولهم أو من قول نظرائهم ، ولم يدفع شىء بلا شىء لأن أقاويلهم ورواياتهم شىء لازم ، وأصل منيع ، وأقاويلكم ريح ليست بشىء ، ولايلزم أحدامنهاشىء ، إلا أن تأتوا فيها بأثر ثابت مستفيض فى الأمة ، كاستفاضة مارويناعنهم ، ولن تأتوا به أبدا .

هذا واضح بين يعقله كثير من ضعفاء الرجال والنساء ، وتعقلونه أنتم إن شاء الله ، فإنه ليس لكم من الغفلة كل مالا تعلمون أن هذه الحجج أخذة بحلوقهم ، غير أنكم تقصدون قصد شىء لاينقاد إلا بدفع هذه الحجج والآثار كلها ، تزعمون أن إلهكم الذى كنتم تعبدون فى كل مكان ، واقع على كل شىء ، لاحد له ، ولا منتهى عندكم ، ولايخلو منه مكان بزعمكم ، ثم قلتم : إنما يوصف بالنزول من هو فى مكان دون مكان ، فأما من هو فى كل مكان فكيف ينزل إلى مكان ؟ قلنا : هذه صفة خلاف صفة رب العالمين ، ولانعرف بهذه الصفة شيئا ، إلا هذا الهواء الداخل فى كل مكان ، النازل على كل شىء ، فإن لم يكن ذلك إلهكم ، الذى تعبدون فقد غلبكم عن عبادة الله رأسا ، وصرتم فى عبادة ماتعبدون أسوأ منزلة من عبادة الأوثان ، وعبادة الشمس والقمر ، لأن كل صنف منهم عبد شيئا هو عند الخلق شىء وعبدتم أنتم شيئا هو عند الخلق لاشىء ، لأن الكلمة قد اتفقت من الخلق كلهم أن الشىء لايكون إلا بحد وصفة ، وأن لاشىء ليس له حد ولا صفة ، فلذلك قلتم : لاحد له وقد أكذبكم الله تعالى فسمى نفسه أكبر الأشياء وأعظم الأشياء ، وخلاق الأشياء ، قال تعالى : (قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم) [١٩/الأنعام]

وقال : (كل شىء هالك الا وجهه) [٨٨/القصص] فهو سمى نفسه أكبر الأشياء وأعظم الأشياء ، وخلاق الأشياء ، وله حد ،وهو يعلمه لاغيره .

حدثنا الحسن بن الصباح البزاز البغدادى ، ثنا على بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك أنه سئل : بم نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق العرش فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه ، قال : قلت : بحد ؟ قال : فبأى شىء ! قال أبو سعيد رحمه الله : والحجة لقول ابن المبارك رحمه الله قول الله تبارك وتعالى : (وترى الملائكة حافين من حول العرش) [٧٥/الزمر] فلماذا يحفون حول العرش إلا لأن الله عز وجل فوقه ولو كان فى كل مكان ، لحفوا بالأمكنة كلها لا بالعرش دونها ، ففى هذا بيان بين للحد ، وأن الله فوق العرش والملائكة حوله حافون يسبحونه ويقدسونه ويحمل عرشه بعضهم قال الله تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم) [٧/غافر] .

قال أبو سعيد رحمه الله : فسمعت محتجا يحتج عنهم فى إنكارهم الحد والنزول وفى قولهم : (هو فى كل مكان) بحديث : أربعة أملاك التقوا ، أحدهم جاء من المشرق ، والآخر من المغرب ، والثالث من السماء ، والرابع من الأرض ، فقالوا أربعتهم : جئنا من عند الله ، فقلت : إن أفلس الناس من الحديث ، وأفقرهم فيه ، الذى لا يجد من الحديث ما يدفع به تلك الأحاديث ، الصحيحة المشهورة ، فى تلك الأبواب إلا هذا الحديث ، وهو أيضا من الحديث أفلس ، لأن هـــذا الحديث لو صح لكان عليه لا له .

فالحمد لله إذ ألجأتهم الضرورة إلى هذا ، وما أشبهه ، لأنهم لو وجدوا حديثا منصوصاً فى دعواهم لاحتجوا به لابهذا ، ولكن حين أيسوا من ذلك وأعياهم طلبه تعلقوا بهذا الحديث المشتبه على جهال الناس ، ليروجوا بسببه عليهم أغلوطة ، وسنبين لهم ما اشتبه عليهم من هذا الحديث إن شاء الله ، حتى يعلموا أنه عليهم لا لهم ، قلنا : هذا الحديث لو صح لكان معناه مفهوماً معقولا لا لبس له أنهم جاءوا كلهم من عند الله كما قالوا ، لأن الله تعالى على عرشه فوق سمواته وسمواته فوق

أرضه كالقبة ، وكما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو ينزل ملائكة من عنده بالمشرق ، وملائكة بالمغرب ، وملائكة إلى تخوم الأرض للأمر من أموره ، ولرحمته ولعذابه ولما يشاء ، من أموره ، فلو أنزل أحد هؤلاء الأربعة بالمشرق والثانى بالمغرب والثالث أنزله من السماء إلى تخوم الأرض ، الأمر من من أموره ثم عرجوا منها والتقوا جميعا فى ملتقى من الأرض مع رابع ، نزل من ملتقاهم من السماء فسألوا جميعا من أين جاءوا ؟ فقالوا جميعا : جئنا من عند الله ، لكان المعنى فيه صحيحا ، على مذهبنا لا على مذهبكم ، لأن كلا بعثهم الله تعالى من السماء ، وكلا نزلوا من عنده فى مواطن مختلفة ، ولو نزل فى مائة ألف مكان من الأرض لجاءوا من عند الله ، وإنما قيل : « من عند الله » لأن الله تبارك وتعالى فوق السماء والملائكة فى السموات ، وبعضهم حافون بعرشه ، فهم أقرب إلى عرش الرحمن من أهل الأرض ، ومما يبين ذلك قوله تعالى : (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) [٢٠٢ / الأعراف] . ففى هذه الآية بيان لتحقيق ما ادعينا للحد ، فإنه فوق العرش بائن من خلقه ، ولإبطال دعوى الذين ادعو أن الله فى كل مكان ، لأنه لو كان فى كل مكان ما كان لخصوص الملائكة أنهم (عند ربك لايستكبرون عن عبادته) معنى ، بل كانت الملائكة والجن والإنس وسائر الخلق كلهم عند ربك فى دعواهم بمنزلة واحدة ، أن لو كان فى كل مكان ، وإذاً لذهب معنى قوله : (لا يستكبرون عن عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) ، لأن أكثر أهل الأرض من الجن والإنس ، من يستكبر عن عبادته ولا يسجد له .

ولكن خص الله بهذه الصفة الملائكة الذين هم عنده فى السموات ، فأوطنوا بهذه الآية ، وأقرعوا بها رؤوسهم عند دعواهم ، « أن الله فى كل مكان » . فإنها آخذة بحلوقهم ، لا مفر لهم منها إلا بجحود ، فإن أقروا أنهم من الملائكة الذين عنده ، دون من سواهم ، فقد أصابوا ما أراد الله ونقضوا قولهم : « إن الله فى كل مكان» ، وأقروا له بالحد ، وأنه فوق السموات ، والملائكة عنده (لايستكبرون

عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون)، وإن لم يقروا به كانوا بذلك جاحدين لتنزيل الله تعالى .

ويلزمهم فى دعواهم ، أن يشهدوا لجميع عبدة الأوثان وعبدة الشمس والقمر، والجن والإنس ، وكفرة أهل الكتابين ، والمجوس ، أنهم كلهم (عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) ، لأن الله تعالى قد أخبر أن الذين عنده كذلك صفاتهم ، فإن يكن الخلق كلهم فى دعواهم عنده ، وهو عندهم ، وكل يسبح له ويسجد له ، ولا يستكبر عن عبادته ، ومن قال هذا فقد كفر بكتاب الله ، وجحد بآيات الله ، لأن الله تعالى ، وصف الملائكة الذين عنده بهذه الصفة ، ووصف كفار الجن والإنس ، وعبدة الأوثان بالعتو والاستكبار عن عبادته ، والنفور عن طاعته ، قال تعالى : (لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيراً) [٢١ / الفرقان] ، (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا) [٦٠ / الفرقان] ، فافهموا هذه الآية إنها قاطعة لحججهم .

باب الرؤية

قال أبو سعيد رحمه الله : قال الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [٢٣ / القيامة] ، وقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم تكذبون) [١٧ / المطففين] ، ففى هذا دليل أن الكفار كلهم محجوبون عن النظر إلى الرحمن عز وعلا وأن أهل الجنة غير محجوبين عنه .

قال رسول الله صلعم : (أيما والد جحد ولده احتجب الله عنه ، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين) ، حدثنا يحي الحمانى ، ثنا عبد العزيز — يعنى

الدراوَرْدى — عن يزيد بن الهاد ، عن عبد الله بن يونس سمع المقبرى يحدث قال : حدثنى أبو هريرة : سمع النبي صلعم يقول . قال أبو سعيد : ففى هذا الحديث دليل أنه إذا احتجب عن بعضهم لم يحتجب من بعض .

وقال رسول الله صلعم : (ستَرون ربكم عز وجل كما ترون الشمس والقمر) ، فلم يدع لمتأول فيه مقالا . حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب - وهو الحناط - قال : أخبرنى إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير قال : كنا جلوسا عند رسول الله صلعم فرفع رأسه إلى السماء ليلة البدر فنظر إلى القمر فقال: أما إنكم ستَرون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) .

حدثنا بنحوه ابن المدينى عن سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير ، عن النبى صلعم . قال على ابن المدينى : هى عندنا صلاة العصر وصلاة الصبح إن شاء الله تعالى ، قال : حدثنا به ستة ، عن إسماعيل : سفيان وهشيم ووكيع والمعتمر وغيرهم ، قال علىّ : لا يكون الإسناد أجود من ذا .

حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعى أبو عبد الله البصرى ، وأبو سلمة ، واللفظ لفظ محمد قالا : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلعم تلا هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [٢٦ / يونس] قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، ودخل أهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه . قال : فيقال ما هو ألم يبيض وجوهنا ، ويثقل موازيننا ، وأدخلنا الجنة ، وأجارنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فيتجلى لهم تبارك وتعالى ، قال رسول الله صلعم : والذى نفسى بيده ما أعطاهم شيئا هو أحب إليهم ولا أقر لأعينهم من النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

حدثنا موسى بن إسماعيل : ثنا حماد — يعنى بن سلمة — : ثنا يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن أبى رزين العقيلى قال : قلت : يارسول الله : أكلنا يرى ربه يوم القيامة ؟ وما آية ذلك فى خلقه ؟ قال : قال رسول الله صلعم : يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر مخليا به ؟ قلت : بلى ، قال : فالله أعظم .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا إبراهيم — وهو ابن سعد — عن ابن شهاب ، عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال الناس : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلعم : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : فهل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : فكذلك ترون ربكم يوم القيامة ، إن الله يجمع الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر ، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، وساق الحديث إلى قوله : (هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء عرفناه ، فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفون فيقول : أنا ربكم ، فيقولون: أنت ربنا ، فيتبعونه) .

قال عطاء بن يزيد فى آخر الحديث : قال أبو سعيد — يعنى الخدرى — وهو مع أبى هريرة رضى الله عنهما ، حين حدث بهذا الحديث لا يرد عليه شيئا ، من حديثه حتى إذا قال : ذلك له ومثله معه ، قال أبو سعيد : أشهد لحفظته من رسول الله صلعم : ذلك له وعشرة أمثاله . حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، ثنا معمر ، عن الزهرى ، عن عطاء بن يزيد الليثى ، عن أبى هريرة ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما ، عن النبى صلعم بنحوه .

وحدثنا عبد الله بن صالح المصرى قال : حدثنى الليث قال : حدثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلعم :

هل تضارون فى الشمس فى الظهيرة صحوا ليس فيها سحاب ؟ قال : قلنا : لا ، قال رسول الله صلعم : فهل تضارون فى رؤية القمر فى ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ وقال : فقلنا : لا ، فقال رسول الله صعلم : فما تضارون فى رؤيته يوم القيامة إلا كهيئة ما تضارون فى رؤية أحدهما .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد — يعنى ابن سلمة — عن على ابن زيد ، عن عمارة القرشى أنه كان عند عمر بن عبد العزيز فأتاه ابن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فقضى له حوائجه ، فلما خرج رجع فقال عمر ، أذكر الشيخ ، فقال له عمر : ما ردك ألم تقض حوائجك ؟ قال بلى ، ولكن ذكرت حديثاً حدثناه أبو موسى الأشعرى أن رسول الله صلعم قال : يجمع الله الأمم يوم القيامة فى صعيد واحد فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه ، مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون ، فيدرجونهم حتى يقحموهم النار ، ثم يأتينا ربنا ونحن فى مكان رفيع فيقول : من أنتم ؟ فيقول : نحن المؤمنون ، فيقول : ما تنتظرون ؟ فنقول : ننتظر ربنا ، فيقول من أين تعلمون أنه ربكم ؟ فيقولون : حدثتنا الرسل ، أو : جاءتنا ، أو ما أشبه معناه ، فيقول : هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : كيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون . نعم إنه لا عدل له ، فيتجلى لنا ضاحكا : ثم يقول تبارك وتعالى . أبشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا قد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا ، فقال عمر لأبى بردة : والله قد سمعت أبا موسى يحدث بهذا الحديث عن رسول الله صلعم ؟ قال : نعم .

حدثنا إسحق بن إبراهيم الحنظلى : ثنا النضر بن شميل : ثنا أبو نعامة العدوى قال : ثنا أبو هنيدة البراء بن نوفل عن والان العدوى ، عن حذيفه ، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى حديث الشفاعة قال قال رسول الله صلعم : وساق إسحق الحديث إلى قوله : فيخر ساجدا قدر جمعة فيقول الله تبارك وتعالى يا محمد ارفع

ارفع رأسك وقل يسمع ، واشفع تشفع ، فرفع رأسه فإذا نظر إلى ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى .

حدثنا حَيوة بن شريح الحمصى ، ثنا بقية ، ثنا بحير — وهو ابن سعد — عن خالد — وهو ابن معدان — عن عمرو بن الاسود ، عن جنادة بن أبى أمية أنه حدثهم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلعم قال : إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا . حدثنا نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن على بن الحسين أن رجلا من أهل العلم أخبره أن رسول الله صلعم قال : تمد الأرض يوم القيامة من الأديم فأكون أول من أدعى ، فأخر ساجداً ساجدا حتى يأذن الله لى برفع رأسى فأرفع ثم أقوم ، وجبريل عن يمين الرحمن لم ير الرحمن تبارك اسمه قبل ذلك .

حدثنا موسى بن إسماعيل : ثنا حماد — يعنى ابن سلمة — عن على بن زيد ، عن أبى نضرة قال : خطبنا ابن عباس على هذا المنبر فى البصرة فقال : قال رسول الله صلعم : ما نبى إلا له دعوة تعجلها فى الدنيا ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، ومن دونه تحت لوائى ولا فخر ، قال رسول الله صلعم : فيطول ذلك اليوم على الناس فيقول بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى آدم أبى البشر فليشفع لنا إلى ربنا ، وساق الحديث إلى قوله : فآتى باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال : من أنت ؟ فأقول أنا محمد ، فيفتح الباب فآتى ربى وهو على كرسيه . أو : على سريره . فيتجلى لى ربى ، فأخر له ساجداً . وساق أبو سلمة الحديث بطوله إلى آخره . حدثنا عبد الغفار ابن داود الحرانى أبو صالح : ثنا ابن لهيعة عن أبى الزبير قال : سألت جابرا رضى الله عنه عن الورود فأخبرنى أنه سمع رسول الله صلعم يقول : نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس فتدعى الأمم بأوثانها ، وما كانت تعبد الاول فالأول ، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول : ما تنتظرن ؟ فيقولون : ننتظر ربنا ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم يضحك فيتبعونه .

حدثنا هشام بن خالد الدمشقى ، ثنا محمد بن شعيب - وهو ابن شابور - ثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة قال: سمعنا أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلعم ، أتانى جبريل وفى يده كهيئة المرآة البيضاء ، وفيها نكتة سوداء فقلت : ماهذه ياجبريل ؟ قال : هذه الجمعة بعث بها إليك ، ربك ، تكون عيدا لك ولأمتك من بعدك . قلت : ومالنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير كثير أنتم الآخرون السابقون يوم القيامة ، وفيها ساعة لايوافقها عبد يصلى يسأل الله شيئا إلا أعطاه ، قلت : ماهذه النكته السوداء ؟ قال : هذه الساعة تكون يوم الجمعة وهو سيد الأيام ونحن نسميه عندنا يوم المزيد ، قلت : وما المزيد ياجبريل ؟ قال : ذلك بأن ربك اتخذ فى الجنة واديا أفيح من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب تبارك وتعالى عن عرشه إلى كرسيه وحف الكرسى بمنابر من نور ، فيجلس عليها النبيون ، وحف المنابر بكراسى من ذهب فيجلس عليها الصديقون والشهداء ويهبط أهل الغرف من غرفهم فيجلسون على كثبان لمسك ، لايرون لأهل المنابر والكراسى عليهم فضلا فى المجلس . ثم يتبدى لهم ذو الجلال والأكرام ، فيقول : سلونى ! فيقولون بأجمعهم : نسألك الرضا ، فيشهدهم على الرضا ، ثم يسألونه حتى تنتهى نهية كل عبد منهم ، ثم يسعى إليهم بما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم يرتفع الرب عن كرسيه إلى عرشه ، ويرتفع أهل الغرف إلى غرفهم ، وهى غرفة من لؤلؤة بيضاء أو زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء ليس فيها قصم ولا وصم ولا مطردة أنهارها متدلية فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها ومساكنها فليس أهل الجنه إلى شىء أشوق منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا قربا من الله ورضوانا .

حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثنى الليث قال : حدثنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن سالم ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلعم قام للناس فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال : لا أدرى أتدركونه مامن نبى إلا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه . ولكنى أقول لكم قولا لم يقله نبى لقومه . تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور ، قال الزهرى ،

وأخبرنى عمر بن ثابت الأنصارى أنه أخبره بعض أصحاب النبى صلعم أن رسول الله صلعم قال يوم حذر الناس : إنه مكتوب بين عينيه ، كافر يقرأه من كره عمله . أو : يقرأه كل مؤمن ، وقال : تعلمن أنه لن يرى أحدكم ربه حتى يموت .

حدثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه أن عمار بن ياسر رضى الله عنه صلى بأصحابه صلاة أوجز فيها فقيل له: خففت ! فقال: أما إنى قد دعوت فيها بدعاء سمعته من رسول الله صلعم ، ومضى فتبعه رجل فسأله عن الدعاء ثم رجع إلى القوم فأخبرهم فقال : اللهم إنى أسألك بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحينى ما علمت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى ، وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا ، وأسألك القصد فى الفقر والغنى ، وأسألك نعيما لا ينفرد ، وأسألك قرة عين ، لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، وأسألك الشوق إلى القائل فى غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين .

حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب ـ وهو الحناط ـ قال أخبرنى خالد بن دينار النيلى ، عن حماد بن جعفر عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: ألا أخبرك بأسفل أهل الجنة ، وساق أحمد الحديث بطوله ـ قال : حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ ، وظنو أن لا نعيم أفضل منه ، تجلى لهم الرب ، فنظروا إلى وجه الرحمن .

قال أحمد : قلت لأبى شهاب حديث خالد بن دينار هذا فى ذكر الجنة رفعه ؟ قال : نعم . حدثنا يحيى الحمانى وأبو بكر بن أبى شيبة قالا : ثنا شريك عن أبى إسحق عن سعيد بن نمران عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه الله عز وجل . حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا وكيع ،عن سفيان، عن أبى إسحق ،عن عامر بن سعد، عن

مسلم بن يزيد عن حذيفة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه الله عز وجل .

حدثنا يحيى الحمانى وسليمن بن حرب قالا . ثنا حماد بن زيد ،عن ثابت،عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فى قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : (الحسنى) الجنة و (الزيادة) النظر إلى وجه الله عز وجل لايصيبهم بعد النظر إليه قتر ولا ذلة . حدثنا عبد الله ابن أبى شيبة ، ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه الله عز وجل ، حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا فضيل - يعنى ابن عياض - عن سفيان عن أبى إسحق عن عامر بن سعد فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى) قال : (الزيادة) النظر إلى وجه ربهم عز وجل .

حدثنى يحيى الحمانى ، ثنا وكيع ،عن أبى بكر الهذلى ،عن أبى تميمة الهجيمى عن أبى موسى رضى الله عنه قال : (الزيادة) النظر إلى وجه الرب . حدثنا محمد بن المنهال البصرى ، ثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمى ،عن أسلم عن أبى مرية عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : رآهم أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: رآهم أبو موسى وهم ينظرون إلى الهلال فقال : كيف ربكم إذا رأيتموه جهرة ! حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد - يعنى ابن سلمة - عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عمار بن ياسر رضى الله عنه كان يقول فى دعائه : اللهم أنى أسألك لذة النظر إلى وجهك وشوقا إلى لقائك .

حدثنا شيخ من أهل بغداد . ثنا شريك عن عثمان بن أبى اليقظان ،عن أنس بن مالك (ولدينا مزيد) [٣٥/ق] قال : يتجلى لهم كل جمعة . حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ،عن جويبر عن الضحاك قال : أن الملائكه إذا أخذوا بأصوات من تحميد وتقديس وثناء على الله عز وجل فليس شىء أطرب منه ليس النظر إلى الله .

حدثنا محمد بن منصور الذى يقال له الطوس من أهل بغداد ، ثنا على بن

شقيق ، أنبأ حسين بن واقد،عن يزيد النحوى ، عن عكرمة (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال : ينظرون إلى الله نظراً .

حدثنا الزهرانى أبو الربيع ، ثنا جرير بن عبد الحميد،عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث، عن كعب قال : ما نظر الله عز وجل إلى الجنة إلا قال : طيبى لأهلك فزادت طيبا على ما كانت ، ومامن يوم كان لهم عيدا فى الدنيا إلا يخرجون فى مقداره فى رياض الجنة ، ويبرز لهم الرب ينظرون إليه وتسعى عليهم الريح بالطيب والمسك فلا يسألون ربهم شيئا إلا أعطاهم فيرجعون إلى أهليهم ، وقد ازدادوا على ماكانوا عليه من الحسن والجمال سبعين ضعفا .

حدثنا سعيد ابن أبى مريم المصرى ، أنبأ إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة الأنصارى قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أمراء الأجناد ، أما بعد فإنى أوصيك بتقوى الله وطاعته ، والتمسك بأمره ، والمعاهدة على ما حملك الله من دينه ، واستحفظك من كتابه ، فإن بتقوى الله نجا أولياؤه من سخطه ، وبها تحق لهم ولايته وبها وافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ، ونظروا إلى خالقهم .

قال أبو سعيد رحمه الله ، فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها رويت فى الرؤية على تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا ولم يزل المسلمون قديما وحديثا يروونها ، ويؤمنون بها ، لايستنكرونها ولا ينكرونها ، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال ، بل كان من أكبر رجائهم وأجزل ثواب الله فى أنفسهم ، النظر إلى وجه خالقهم حتى ما يعدلون به شيئا من نعيم الجنة .

وقد كلمت بعض أولئك المعطلة وحدثته ببعض هذه الأحاديث ، وكان ممن يتزين بالحديث فى الظاهر ويدعى معرفتها ، فأنكر بعضها ورد ردا عنيفا ، قلت :

قد صحت الآثار عن رسول الله صلعم فمن بعده من أهل العلم ، وكتاب الله الناطق به فإذا اجتمع الكتاب وقول الرسول وإجماع الأمة لم يبق لمتأول عندها تأول إلا لمكابر أو جاحد أما الكتاب فقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقوله (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولم يقل للكفار (محجوبون) إلا وأن المؤمنين لا يحجبون عنه ، فإن كان المؤمنون عندكم محجوبين عن الله كالكفار ، فأى توبيخ للكفار فى هذه الآية ؟ إذا كانوا هم والمؤمنون جميعا عن الله يومئذ محجوبين . وأما قول الرسول صلعم فقوله : (لا تضامون فى رؤيته كما لا تضامون فى رؤية الشمس والقمر فى الصحو) .

ثم ما روينا عن هذه الجماعة من أصحاب محمد صلعم ، والتابعين ، فهل عندكم ما رد ذلك من كتاب أو سنة أو اجماع من الأمة ؟ فاحتج بحديث أبى ذر عن النبى صلعم ، نور أنى أراه ؟ فقلت : هذا فى الدنيا ، وكلاهما قد قاله رسول الله صلعم وتفسيرها بين فى المحدثين جميعا . فقالت عائشة رضى الله عنها . من زعم أن محمدا رأى ربه عز وجل فقد أعظم على الله الفرية ، وتلا (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) ، حدثناه عمرو بن عون، عن هشيم عن داود عن الشعبى، عن مسروق، عن عائشة .

قال أبو سعيد : وأنتم وجميع الأمة تقول به أنه لم ير ولا يرى فى الدنيا ، فأما فى الآخرة فما أكبر نعيم أهل الجنة إلا النظر إلى وجهه ، والخيبة لمن حرمه ، وما تعجبون من أن كان الله ولا شىء من خلقه ، ثم خلق الخلق ، ثم استوى على عرشه فوق سمواته ، واحتجب من خلقه ، بحجب النار والظلمة ، كما جاءت به الآثار ثم أرسل إليهم رسله يعرفهم نفسه بصفاته المقدسة ، ليبلو بذلك إيمانهم ، أيهم يؤمن به ويعرفه بالغيب ، ولم يره . وإنما يجزى العباد على إيمانهم بالله بالغيب ، لأن الله عز وجل لو تبدى لخلقه وتجلى لهم فى الدنيا ، لم يكن لإيمان الغيب هناك معنى ، لما أنه لم يكفر به عندها كافر ، ولا عصاه عاص ، ولكنه

احتجب عنهم فى الدنيا ودعاهم إلى الإيمان به بالغيب ، وإلى معرفته والإقرار بربوبيته ليؤمن به من قد سبقت له منه السعادة ويحق القول على الكافرين ، ولو قد تجلى لهم ، لآمن به من فى الأرض كلهم جميعا بغير رسل، ولا كتب، ولا دعاة، ولم يعصوه طرفة عين .

فإذا كان يوم القيامة تجلى لمن آمن به، وصدق رسله ، وكتبه ، وآمن برؤيته ، وأقر بصفاته التى وصف بها نفسه حتى يروه عيانا ، مثوبة منه لهم ، وإكراما ليزدادوا بالنظر إلى من عبدوه بالغيب نعيما ، وبرؤيته فرحا واغتباطاً ، ولم يحرموا رؤيته فى الدنيا والآخرة جميعاً ، وحجب عنه الكفار يومئذ إذا حرموا رؤيته كما حرموها فى الدنيا ليزدادوا حسرة وثبورا .

فاحتج محتج منهم بقول الله تعالى لموسى : (لن ترانى ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى) [١٤٢/الأعراف] ، قلنا هذا لنا عليكم،لالكم، إنما قال : (لن ترانى) فى الدنيا لأن بصر موسى من الأبصار التى كتب عليها الفناء فى الدنيا ، فلا تحمل النظر إلى نور البقاء . فإذا كان يوم القيامة ركبت الأبصار والأسماع للبقاء فاحتملت النظر إلى الله عز وجل بما طوقها الله . ألا ترى أنه يقول: (فإن استقر مكانه فسوف ترانى) ولو قد شاء لاستقر الجبل ورآه موسى ولكن سبقت منه الكلمة أن لا يراه أحد فى الدنيا فلذلك قال (لن ترانى) . فأما فى الآخرة فإن الله تعالى ينشىء خلقه فيركب أسماعهم وأبصارهم للبقاء فيراه أولياؤه جهرا ، كما قال رسول الله صلعم .

قال بعضهم : إنا لا نقبل هذه الآثار ولا نحتج بها قلت : أجل ولا كتاب الله يقبلون ، أرأيتم إن لم تقبلوها أتشكون أنها مروية عن السلف مأثورة عنهم ، مستفيضة فيهم يتوارثونها عن أعلام الناس وفقهائهم قرنا بعد قرن ؟ قالوا : نعم ، قلنا : فحسبنا إقراركم بها عليكم حجة لدعوانا أنها مشهورة ، مروية تداولتها العلماء ، والفقهاء ، فهاتوا عنهم مثلا حجة ، لدعواكم التى كذبتها الآثار كلها ، فلا

تقدرون أن تأتوا فيها بخبر . ولا أثر ، وقد علمتم إن شاء الله ، أنه لا يستدرك سنن رسول الله صلعم وأصحابه ، وأحكامهم ، وقضاياهم إلا بهذه الآثار ، والأسانيد على ما فيها من الاختلاف ، وهى السبب إلى ذلك ، والنهج الذى درج عليه المسلمون ، وكانت إمامهم فى دينهم بعد كتاب الله عز وجل ، منها يقتبسون العلم ، وبها يقضون ، وبها يقيمون ، وعليها يعتمدون، وبها يتزينون، يرثها الأول منهم الآخر ، ويبلغها الشاهد منهم الغائب ، احتجاجا بها واحتسابا فى أدائها إلى من لم يسمعها ، يسمونها السنن والآثار ، والفقه والعلم ، ويضربون فى طلبها شرق الأرض وغربها ، يحلون بها حلال الله ويحرمون بها حرامه ، ويميزون بها بين الحق والباطل ، والسنن والبدع ، ويستدلون بها على تفسير القرآن ومعانيه وأحكامه ويعرفون بها ضلالة من ضل عن الهدى ، فمن رغب عنها فإنما يرغب عن آثار السلف وهديهم ، ويريد مخالفتهم ليتخذ دينه هواه ، وليتأول كتاب الله برأيه ، خلاف ما عنى الله به . فإن كنتم من المؤمنين ، وعلى منهاج أسلافهم فاقتبسوا العلم من آثارهم ، واقتبسوا الهدى فى سبيله ، وأرضوا بهذه الآثار إماما كما رضى بها القوم لأنفسهم إماما . فلعمرى ما أنتم أعلم بكتاب الله منهم ، ولا مثلهم ، ولا يمكن الاقتداء بهم إلا باتباع هذه الآثار على ما ترون. فمن لم يقبلها فإنه يريد أن يتّبع غير سبيل المؤمنين ، وقال الله تعالى : (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) [١١٥ / النساء] .

فقال قائل منهم : لا بل نقول بالمعقول ، قلنا هاهنا ضللتم عن سواء السبيل ووقعتم فى تيه لا مخرج لكم منه لأن المعقول ليس لشئ واحد ، موصوف بحدود ، عند جميع الناس فيقتصر عليه . ولو كان كذلك كان راحة للناس ولقلنا به ، ولم نعد ، ولم يكن الله تبارك وتعالى قال : (كل حزب بما لديهم فرحون) [٥٣ / المؤمنون] فوجدنا المعقول عند كل حزب، ماهم عليه، والمجهول عندهم ماخالفهم، فوجدنا فرقكم معشر الجهمية فى المعقول مختلفين ، كل فرقة منكم تدعى أن المعقول

عندها ما تدعو إليه ، والمجهول ما خالفها .

فحين رأينا أن المعقول اختلف منا ومنكم ، ومن جميع أهل الأهواء ، ولم نقف له على حد بين فى كل شىء رأينا أرشد الوجوه وأهداها أن نرد المعقولات كلها إلى أمر رسول الله صلعم ، وإلى المعقول عند أصحابه المستفيض بين أظهرهم ، لأن الوحى كان ينزل بين أظهرهم ، فكانوا أعلم بتأويله منا ومنكم ، وكانوا مؤتلفين فى أصول الدين ، لم يفترقوا فيه ، ولم يظهر فيهم البدع والأهواء الحائدة عن الطريق . فالمعقول عندنا ما وافق هديهم ، والمجهول ما خالفهم ولا سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم إلا هذه الآثار ، وقد انسلختم منها وانتفيتم منها بزعمكم ، فأنى تهتدون ؟

واحتج محتج منهم بقول مجاهد : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال : تنتظر ثواب ربها ، قلنا : نعم ، تنتظر ثواب ربها ، ولا ثواب أعظم من النظر إلى وجهه تبارك وتعالى . فإن أبيتم إلا تعلقا بحديث مجاهد هذا واحتجاجا به دون ما سواه من الآثار فهذا آية شذوذكم عن الحق ، واتباعكم الباطل ، لأن دعواكم هذه لو صحت عن مجاهد على المعنى الذى تذهبون إليه كان مدحوضا القول إليه ، مع هذه الآثار التى قد صحت فيه عن رسول الله صلعم وأصحابه وجماعة التابعين ، أو لستم قد زعمتم أنكم لا تقبلون هذه الآثار ولا تحتجون بها ، فكيف تحتجون بالأثر عن مجاهد ؟ إذ وجدتم سبيلا إلى التعلق به لباطلكم على غير بيان وتركتم آثار رسول الله صلعم وأصحابه والتابعين ، إذ خالفت مذهبكم ، فأما إذا أقررتم بقبول الأثر عن مجاهد، فقد حكمتم على أنفسكم بقبول آثار رسول الله صلعم وأصحابه والتابعين بعدهم ، لأنكم لم تسمعوا هذا عن مجاهد تأثرونه عنه بإسناد ، وتأثرون بأسانيد مثلها ، أو أجود منها عن رسول الله صلعم وعن أصحابه والتابعين ما هو خلافه عندكم . فكيف ألزمتم أنفسكم اتباع المشتبه من آثار مجاهد وحده . وتركتم الصحيح المنصوص من آثار رسول الله صلعم وأصحابه

ونظراء مجاهد من التابعين ، إلا من ريبة وشذوذ عن الحق ، إن الذى يريد الشذوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء ، ويتعلق بزلاتهم ، والذى يؤم الحق فى نفسه . يتبع المشهور من قول جماعتهم ، وينقلب مع جمهورهم ، فهما آيتان بينتان يستدل بهما على اتباع الرجل وعلى ابتداعه .

باب ذكر علم الله تبارك وتعالى

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن أبى حازم - يعنى عبد العزيز - عن العلاء بن عبد الرحمن الحرقى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلعم قال : سبق علم الله فى خلقه فهم الصائرون إلى ذلك . حدثنا نعيم ، ثنا ابن المبارك ، ثنا الأوزاعى قال: أخبرنى ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن الديلمى ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلعم يقول : جف القلم على علم الله عز وجل .

قال أبو سعيد : ومالنا نرى أن يبلغ غدا قوم فى تعطيل صفات الله ما بلغ بهذه العصابة ، عدلهم فى تعطيلها حتى أنكروا سابق علم الله فى خلقه ، وما الخلق عاملون قبل أن يعملوا : ثم قالوا : ما نقول : إن الله من فوق عرشه يعلم ما فى الأرض . ولكن علم الله هو الله بزعمهم ، والله بزعمهم فى كل مكان ، ليس له علم به يعلم ، ولا هو يسمع بسمع ، ولا يبصر ببصر ، إنما سمعه وبصره وعلمه بزعمهم شىء واحد ، فلا السمع عندهم غير البصر . ولا البصر غير السمع ، ولا العلم غير البصر ، هو كله بزعمهم سمع وبصر وعلم ، وهو بكليته فى كل مكان إن علم ، علم بكله وإن سمع سمع بكله ، وإن رأى رأى بكله ويزعمون أن علم الله بمنزلة النظر والمشاهدة ، لا يعلم بالشىء حتى يكون ، فإذا كان الشىء علم به ، علم كينونته ، لا يعلم لم يزل فى نفسه قبل كينونته .

ولكن إذا حدث الشىء كان هو عند الشىء ، ومعه الشىء بنفسه ، فإن أراد ذلك الشىء كان هو يدل الشىء بزعمهم فى مكانه فذلك إحاطة علم الله بالأشياء عند هم ،

لا أن يـكون علم بشيء منها فى نفسه قبل كينونته ، فتبارك الله رب العالمين وتعالى عما يصفون . هذا هو الرد لـكتاب الله ، والجحود لآيات الله ، وصاحب هذا المذهب ، يخرجه مذهبه إلى مذهب الزندقة ، حتى لايؤمن بيوم الحساب لأن الذى لايقر بالعلم السابق بالأشياء قبل أن تـكون يلزمه فى مذهبه أن لايؤمن بيوم الحساب وبقيام الساعة والبعث والثواب والعقاب لأن العباد إنما لزمهم الإيمان بها ، لأخبار الله بأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وأنه محاسبهم يوم الحساب ، مثيبهم ومعاقبهم .

فإذا كان الله بزعمهم لايعلم بالشىء حتى يـكون كيف علم فى مذهبهم بقيام الساعة والبعث ، ولم تقم السـاعة بعد ولاتقوم الا بعد فناء الخلق وارتفاع الدنيا ؟ فإن أقروا لله بعلم قيام الساعة والبعث والحسـاب ، لزمهم أن يقروا له بعلم كل شىء بدونها . فإن أنكروا علم الله عز وجل بما دونها لزمهم الانكار بها وبقيامها ، وبالبعث والحساب ، لأن علمه بالساعة كعلمه بالخلق ، وأعمالهم ، سواء لايزيد ، ولاينقص ، فمن لم يؤمن بأحدهما ، لزمه أن لا يؤمن بالآخر ، وهى من أوضح الحجج ، وأشدها على من رد العلم وأنكره .

واعلموا أن الله عز وجل لم يزل عالما بالخلق وأعمالهم ، قبل أن يخلقهم ، ولايزال بهم عالما ، لم يزدد فى علمه بكينونة الخلق خردلة واحدة ، ولا أقل منها ولا أكثر ، ولـكن خلق الخلق على ما كان فى نفسه قبل أن يخلقهم ، ومن عنده بدأ العلم . وهو علم الخلق مالم يعلموا ، فقال تبارك وتعالى : (علم الإنسان مالم يعلم) [٥/العلق] وقال للملائكة (إنى جاعل فى الأرض خليفه قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالاتعلمون) [٣٠/البقرة] فبلغنا فى تفسيره عن مجاهد قال : علم من إبليس المعصية وخلقها لها ، حدثناه نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد .

قال أبو سعيد : ولعمرى ماعلمت الملائكة بسفك الدماء ، والفساد غيبا من

قبل أنفسهم ، ولكن علمهم ذلك علام الغيوب ، قبل أن يقولوا ، ولذلك ادعوا معرفته ، وقال أيضا : (علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هولاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) [٣٢/ البقرة] . فأخبر الله تبارك وتعالى أنه هو الذى علم آدم ، والملائكة العلم ؛ من غير أن يعلموا شيئا منه ، وأقرت الملائكة بذلك ، وردت العلم كله إلى من بدأ منه ، فقالوا : (لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) ، فهل علّمهم إلا ما قد علمه قبل ذلك ؟ وقال فيما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم : (كان الله عليما حكيما) [١٧ / النساء] ، (عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) [٢٢ / الحشر] ، (أحاط بكل شىء علما) [١٢ / الطلاق] ، (يعلم مايسرون وما يعلنون) [٧٨/ البقرة]، (يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) [٣ / الأنعام] ، (يعلم السر وأخفى) [٧ / طه] ، قال ما لم تحدث به نفسك : (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) [١٩ / غافر] ، فأخبر الله سبحانه أنه كان العالم قبل كل أحد ، ومنه بدأ العلم ، قال : (ومن عنده علم الكتاب) [٤٣ / الرعد] ، وقال : (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم) [٦١ / آل عمران] ، جاءه العلم من الله وهو القرآن .

ثم أخبر بعلمه السابق فى عباده قبل أن يعلموا فقال : (أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) [٢٣/ الجاثية] الآية ، وقال : (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) [٣/سبأ] ، وقال : (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب) [١١٦ / المائدة] ، (علم الله أنكم ستذكرونهن) [٢٣٥ / البقرة] . (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله) [٢٠/المزمل]

الآية وما أشبه هـذا من كتاب الله كثير . ولو لم يـكن فى كتاب الله إلا حرف واحد لاكتفى به حجة بالغة ، فكيف والكتاب كله ينطق بنصه، يستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير وتعرفه العامة والخاصة .

فلم يزل عليه الأمة إلى أن نبغت هذه النابغة بين أظهر المسلمين فأعظموا فى الله القول ، وسبوه بأقبح السباب ، وجهلوه ونفوا عنه صفاته التى بها يعرف ، صفة صفة ، حتى نفوا عنه العلم الأول ، السابق ، والكلام ، والسمع والبصر ، والأمر كله ، ثم جعلوه كلا شىء فقالوا فى الجملة : ما نعرف إلها غير هذا الذى فى كل مكان ، فإذا باد شىء صار مكانه .

فنظرنا فى صفة معبودهم هذا ، فلم نجد بهذه الصفة شيئا غير هـذا الهواء القائم ، على كل شىء ، الداخل فى كل مكان ، فمن قصد بعبـادته إلى إله بهـذه الصفة ، فإنما يعبد غير الله وليس معبوده ذلك بإله ، كفرانه لا غفرانه .

فاحذروا هؤلاء القوم على أنفسكم وأهـليكم ، وأولادكم ، أن يفتنوكم ، أو يكفروا صدوركم بالمغاليط والأضاليل ، التى تشتبه على جهالكم ، فإن الله تعالى قال فى كتابه : (يا أيها الذين آمنو قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليهـا ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) [٦ / التحريم] .

فإن جحد منهم جاحد ، وانتفى من بعض ما حكينا عنهم ، فلا تصدقوهم فإنه دينهم الذى يعتقدونه فى أنفسهم ، لا يجحد ذلك منهم إلا متعوذ مستتر ، أو جاهل بمذاهبهم لا يتوجه بشىء منها . فقد اعترف لنا بذلك بعض كبرائهم أو بما يشبه معناها وأسندوا بعض ذلك إلى بعض المضلين من أشياخهم فالى الله أشكو رأيا هذا تأويله وقوما هذا إبطالهم لعلم ربنا .

والله لقد علمت الملائكة بما علمهم الله ما هو كائن من بنى آدم من الفساد ،

وسفك الدماء قبل أن يخلقوا . فكيف خالقهم الذى علمهم ذلك فقالوا : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فقال : (إنى أعلم ما لا تعلمون) .

ووصف الله هذه الأمة فى التوراة والإنجيل قبل أن يخلقوا بصفاتهم فكيف وصفهم من غير علم له بهم ؟ فقال : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل) [٢٩ / الفتح] ، قال : (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) [١٥٧ / الأعراف] ، فهل كان هذا الوصف من الله والإخبار عنه إلا بعلمه السابق فيهم ، فما قدروا أن يتعدوا هذه الصفات ، ولا يقصروا عن شىء مما وصفهم الله به قبل أن يكونوا .

وقال : (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) [١٠٥ / الأنبياء] فكتب ذلك بعلم قبل أن يرثوها ، وقال : (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب : لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيراً) [٤ / الإسراء] قضى عليهم فى الكتاب الإفساد فى الأرض قبل أن يفسدوا وقوله (وقضينا) قال مجاهد : كتبنا ، كذلك حديث نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد . وقال : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) [١٠١ / الأنبياء] سبقت لهم الحسنى من الله قبل أن يخلقوا لعلم الله فيهم فما استطاعوا أن يتعدوا شيئا علم الله فيهم . وقال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) [١٧٣ / الصافات] وأخبر عن أعمال قوم قبل أن يعملوها .

وقال : (وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عـذاب أليم) [٤٨ / هود] فأخـبر الله تعالى بتمتيعهم ومس العذاب إياهم قبل أن يخلقوا . قال (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) [٢ / الجمعـة] روى فى بعض التفسير أنهم الأعاجم أخبر الله بدخولهم فى الإسلام قبل أن يدخلوا . وقال لأهل بدر حين أخـذوا الفـــداء من المشـركين (لولا كتـاب من الله سـبق لمسكم فيما أخـذتم عذاب عظيم) [٦٨ / الأنفال] يقول لولا ما سبق لأهـــل بدر من السعادة لمسهم العذاب فى أخذهم الفداء ، فلم يقدر أهل بدر أن لا يأخذوه ولو حرصوا على تركه . وقال : (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) [٩٧ / يونس] وقال : (ولو ردوا لعادوا لما نهـوا عنه وإنهم لكاذبون) [٢٨ / الأنعام] .

وقال : (إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) [١٦ / الدخان] وقال : (والذين جاءوا من بعـدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) [١٠ / الحشر] فسبقت لهم منه الرحمة قبل أن يخلقـوا والدعاء لمن سبقهم قبل أن يدعوا . وقال : (فأسر بعبادى ليلا إنكم متبعون واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون) [٢٤ / الدخان] فأخبر الله باتباعهم وإغراقهم قبل أن يكون .

وقال : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) [١١٨ / هود] فأخبر باختلافهم قبل أن يختلفوا . وقال : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحـداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عدداً) [٢٨ / الجن] وقال : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) [٢٣ / الأنفال] ولـكن علم منهم غير ذلك

فصاروا إلى ما علم منهم . وأخبر بعلمه فى قوم فقال : (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) [٦ / البقرة] ، وأخبر عن قوم آخرين فقال : (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون) [٧٥ / المؤمنون] .

فمن آمن بكتاب الله ، وصدق رسل الله ، اكتفى ببعض ما ذكرنا فى علم الله السابق فى الخلق ، وأعمالهم قبل أن يعملوها ، ومن يحصى ما فى كتاب الله وفى آثار رسول الله صلعم ، وأصحابه والتابعين فى إثبات علم الله له والإقرار به ، ويكفى فى معرفة ذلك أقل مما جمعنا ولكن جمعناها ليتدبرها أهل العقول والأفهام فيعرفوا ضلالة هؤلاء الذين أخرجوا الله من العلم ونفوه عنه ، وجعلوه فى العلم والمعرفة كالخلق سواء ، فقالوا : كما لا يعلم الخلق بالشىء قبل أن يكون فكذلك، الله بزعمهم لا يعلم قبل أن يكون . فما فضل (علام الغيوب) الذى (يعلم السر وأخفى) على المخلوق الذى لايعلم شيئا إلا ما علّمه الله .

وهذا المذهب الذى أعوه (١) فى علم الله قد وافقهم على بعضه بعض المعتزلة، لأنه لا يبقى مذهب الفريقين جميعاً إلا يرد علم الله فكفى به ضلالا ، ولأنهم متى ما أقروا بعلم سابق خصموا . كذلك قال عمر بن عبد العزيز ، حدثنا نعيم بن حماد عن ابن المبارك عن معمر، عن زيد بن رفيع الجزرى، عن عمر بن عبد العزيز قال : من أقر (٢) بالعلم فقد خصم .

قال أبو سعيد رحمه الله : فتأويل قولهم ومذهبهم أنه كلما حدث لله خلق حدث له بكينونته علم ما لم يكن علمه . ففى تاويلهم هذا كان الله ولا علم له بزعمهم ، حتى جاء الخلق فأفادوه علما ، فكلما حدث خلق حدث لله علم بزعمهم ،

---

(١) كذا فى الأصل : ولعله : أذاعوه ، أو ادعوه .

(٢) كذا فى الأصل ولعله : من لم يقر .

فهو بما كان بزعمهم عالم ، وبما لم يكن غير عالم ، حتى يكون . فتعالى الله عما يصفون . قال الله عز وجل : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام) [٣٤ / لقمان] الآية .

وقال : (قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين) [٢٦ / الملك] وقال : (قل إنما علمها عند ربى) [١٨٧ / الأعراف] وقال : (قال علمها عند ربى فى كتاب) . [٥٢ / طه] فكيف يحدث لله علم بكينونة الخلق ، وعلى علمه السابق فيهم خلقوا ، وبما كتب عليهم فى أم الكتاب يعملون ، لا يزيدون مثقال حبة ولا ينقصون . قال : (وكل شىء فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر) ، [٥٢ / القمر] قال : (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) [٤ / الزخرف] وقال : (ومن عنده علم الكتاب) [٤٣ / الرعد] قال : (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) [٣٦ / التوبة] .

وقال : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) [٢٢ / الحديد] ، وقال : (ما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) [١١ / فاطر] ، (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير) [٧٠ / الحج] ، وقال : (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) [١٥٤ / آل عمران] ، فهل كتب هذه الأشياء قبل كينونتها إلا للعلم بها قبل أن تكون ؟

حدثنا سعيد بن أبى مريم المصرى : أنبأ الليث ـ وهو ابن سعد : حدثنى عبد الله بن حيان قال : حدثنى عبد الوهاب بن بخت ـ أو : ثعلبة الخثعمى ـ عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : أيها الناس لا يشتبه عليكم بأن الله علم علما وخلق

خلقا . فإن كان العلم قبل الخلق فالخلق يتبع العلم وإن كان الخلق قبل العلم ، فالعلم يتبع الخلق . قال ابن أبى مريم : وأخبرنا ابن لهيعة عن عبد الله بن حيان عن عبد الوهاب بن بخت عن أبى أمامة مثله .

قال أبو سعيد : فادعت هذه العصابة أن الخلق قبل العلم ، والعلم يتبع الخلق، فأى ضلال أبين من هذا ؟ وقال رسول الله صلعم : (إن أول شىء خلق الله القلم فقال له : اكتب فكتب كل شىء يكون) قال أبو سعيد رحمه الله : فلم يدر والله القلم بما يجرى حتى أجراه الله بعلمه ، وعلمه ما يكتب مما يكون قبل أن يكون وقال رسول الله صلعم : (كتب الله مقادير أهل السموات والأرض قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة) فهل كتب ذلك إلا بما علم ؟ فما موضع كتاب هذا إن لم يكن علمه فى دعواهم ؟ ثم الأحاديث عن رسول الله صلعم فيما يشبه هذا وعن أصحابه جمل كثيرة أكثر من أن يحصيها كتابنا هذا ، وسنأتى منها ببعض ما حضر إن شاء الله مع أنا نعلم أنهم يكذبون بأحاديث رسول الله صلعم ، ولا يؤمنون بها ، ولكن خير منهم ، وأطيب وأفضل وأعلم من الناس ، من يؤمن بها فيتقيهم .

حدثنا نعيم بن حماد، وأحمد بن جميل أن ابن المبارك أخبرهم : أنبأ رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبى بزة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يحدث أن رسول الله صلعم قال : (إن أول شىء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شىء يكون) .

حدثنا عبد الله بن صالح المصرى قال : حدثنى الليث - يعنى ابن سعد - عن أبى هانىء ، عن أبى عبد الرحمن الحبلى ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلعم يقول : (كتب الله مقادير كل شىء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة) وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا عبد الله بن بكر السهمى ، ثنا بشر بن نمير، عن القاسم ، عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلعم قال :

(خلق الله الخلق وقضى القضية ، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء فأخذ أهل اليمين بيمينه ، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى وكلتا يدى الرحمن يمين وقال : ياأصحاب اليمين ، قالوا : لبيك ربنا وسعديك ، قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ! ثم قال : ياأصحاب الشمال ، قالوا . لبيك ربنا وسعديك ، قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، فخلط بعضهم ببعض فقال قائل : يارب لم خلطت بيننا ؟ قال (لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) إلى قوله:(إنا كنا عن هذا غافلين) ثم ردهم فى صلب آدم ، قال : وقال رسول الله صلعم: خلق الله الخلق وقضى القضية ، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء وأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها فقال قائل : يانبى الله ما الأعمال ؟ قال : أن يعمل كل قوم لمنزلتهم ، فقال : إذا نجتهد ،قال: وسئل رسول الله صلعم عن الأعمال فقيل : يارسول الله : أرأيت الأعمال أهو شىء يؤتنف أو فرغ منها ؟ قال : بل فرغ منها .

حدثنا نعيم بن حماد : ثنا ابن المبارك ، أنبأ المسعودى ،عن على بن بذيمة عن سعيد بن جبير،عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل :(وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال : خلق الله آدم فاخذ ميثاقه أنه ربه وكتب أجله ورزقه ومصائبه وأخرج ولده من ظهره كهيئة الذر فأخذ مواثيقهم أنه ربهم وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم .

حدثنا محمد بن كثير العبدى ، ثنا سفيان،عن خالد الحذاء،عن عبد الله الأعلى ، عن عبدالله بن الحارث قال : خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : (إن الله خلق أهل الجنة وما هم عاملون ،وخلق أهل النار وماهم عاملون فقال : هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه) .

حدثنا عمرو بن عون الواسطى : أنبأ أبو عوانة،عن أبى بشر ،عن سعيد بن جبير،عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلعم سئل عن أطفال المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم . حدثنا نعيم بن حماد، ثنا ابن المبارك عن أيوب

عن الزهرى عن عطاء ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا عمرو بن عون : أنبأ هشيم عن خالد — وهو الحذاء — عن عبد الله بن شقيق،عن ابن أبى الجدعاء قال : قال : يارسول الله متى كتبت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد . قرأت على أبى اليمان أن أبا بكر بن أبى مريم الغسانى حدثه عن سعيد بن سويد،عن عرباض بن سارية السلمى رضى الله عنه قال: سمعت النبى صلعم يقول : (إنى عبد الله فى أم الكتاب لخاتم النبيين وأن آدم لمنجدل فى طينته).

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبأ حيوة بن شريح قال ، أخبرنى أبو هانىء الخولانى أنه سمع أبا عبد الرحمن الجبلى يقول : سمعت عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول : سمعت رسول الله صلعم يقول : (قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض).

حدثنا سعيد بن أبى مريم المصرى قال : أخبرنى الليث بن سعد قال : حدثنى أبو قبيل عن شفى ابن ماتع الأصبحى عن عبد الله عمرو قال : خرج علينا رسول الله صلعم ، وفى يده كتابان فقال : أتدرون ما هذان الكتابان ؟قالوا : لا يارسول الله ، فقال للأيمن منهما : هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم أجمل على آخرهم ، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ،وقال للذى فى يده اليسرى : وهذا كتاب بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ، فقال أصحاب رسول الله صلعم : فلأى شىء يعمل إن كان هذا الأمر قد فرغ منه ؟ فقال رسول الله صلعم . سددوا وقاربوا ؟ فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيما عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيما عمل ، ثم قبض يديه وقال : فرغ ربكم من العباد ، ثم قال بيده اليمنى فنبذ بها فقال : فريق فى الجنة ، ونبذ بالأخرى : فريق فى السعير) .

قال أبو سعيد ، فهؤلاء قد كتبهم الله بأسمائهم ، التى كان فى علمه أن يسميهم بها آباؤهم وأمهاتهم قبل أن يخلقهم . فما قدر الآباء لتلك الأسماء تبديلا ولا استطاع إبليس عن هدى الله منهم تضليلا . وسئل رسول الله صلعم عن أطفال المشركين فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، فرد أمرهم إلى سابق علم الله فيهم قبل أن يخلقوا وقبل أن يعملوا .

وقال الله عز وجل : (إن ربكم هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) [١١٧/الأنعام] وقال : (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) [٣٢/النجم] . وقال رسول الله صلعم : (يكتب بين عينى المولود ما هولاق قبل أن يولد حتى النكبة ينكبها) .

حدثنا أحمد بن صالح المصرى ، ثنا ابن وهب قال ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب أن عبد الرحمن بن هنيدة حدثه ان عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلعم : (إذا أراد الله عز وجل أن يخلق النسمة قال ملك الأرحام معرضا ، يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضى الله أمره ثم يكتب بين عينيه ماهولاق حتى النكبة ينكبها) .

حدثنا معاذ بن محمد بن كثير ، أنبأ سفيان ، عن الثورى ، عن الأعمش ، ثنا زيد ابن وهب قال : ثنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : ثنا رسول الله صلعم وهو الصادق المصدوق : أن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات فيقول : اكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أو سعيد فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيغلب عليه الكتاب الذى سبق فيختم بعمل أهل النار فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبين النار إلا ذراع فيغلب عليه الكتاب الذى سبق فيختم بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة .

حدثنا أبو عمر الحوضى ، ثنا شعبة ،عن سليمان الأعمش، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلعم وهو الصادق المصدوق ذكر نحوه قال : فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح .

حدثنا عثمان ابن أبى شيبة : ثنا جرير ،عن منصور ،عن سعد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن السلمى،عن على رضى الله عنه قال : كنا فى جنازة فى بقيع الفرقد ،قال: فأتانا رسول الله صلعم فقعد وقعدنا معه ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : مامنكم من أحد من نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة أو النار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة قال : فقال رجل : يارسول الله أفلا نتكل على كتاب ربنا ، وندع العمل فمن منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، قال : اعملوا ؟ أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة، ثم قرأ : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) إلى قوله : (فسنيسره للعسرى) [١٠/الليل] .

حدثنا نعيم ابن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبأ شعبة بن الحجاج قال : أخبرنى عاصم بن عبيد الله قال ، سمعت سالم بن عبد الله قال ، سمعت أبى يقول: سمعت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يقول : سألت رسول الله صلعم فقلت : أرأيت ما نعمل أفى أمر قد فرغ منه أم أمر مبتدع أو مبتدأ ؟ فقال : فيما قد فرغ منه ، فقال عمر ، أفلا نتكل ؟ فقال : اعمل يا ابن الخطاب فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فهو يعمل للسعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فهو يعمل للشقاء .

قال أبو سعيد رحمه الله : ومن فرغ منه إلا من قد علمه قبل أن يكون ومن يسرهم لما خلقهم له إلا من قد علم ماهم عاملون قبل أن يخلقهم فسبحان من لا يستحق أحد أن يكون كذلك غيره وتعالى علوا كبيراً .

فيقال لمن رد ما ذكرنا من كتاب الله ، وهذه الأخبار ، ولم يقر لله بعلم سابق : أرأيت الله يعلم أن الساعة آتية ؟ فإن قال : لا ، فقد فارق قوله ، وكفر بما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكذب بالبعث ، وأخبرك أنه نفسه لا يؤمن بقيام الساعة ، وإن قال : يعلم الله أن الساعة آتية ، فقد أقر بكل العلم شاء أو أبى .

ويقال له أيضاً : أعلم الله قبل أن يخلق الخلق أنه خالقهم ؟ فإن قال : لا ، فقد كفر بالله العظيم ، وإن قال : بلى ، فقد أقر بالعلم السابق وانتقض عليه مذهبه فى رد علم الله وهو منتقض عليه على زعمه .

باب الإيمان بكلام الله تبارك وتعالى

قال أبو سعيد : فالله المتكلم أولا وآخراً لم يزل له الكلام ، إذ لامتكلم غيره ، ولا يزال له الكلام إذ لا يبقى متكلم غيره ، فيقول : (لمن الملك اليوم) أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ فلا ينكر كلام الله عز وجل إلا من يريد إبطال ما أنزل الله عز وجل . وكيف يعجز عن الكلام من علم العباد الكلام وأنطق الأنام ؟ قال الله فى كتابه : (وكلم الله موسى تكليما) فهذا لا يحتمل تأويلا غير نفس الكلام ، وقال لموسى : (إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) وقال : (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) [٧٥ / البقرة] .

وقال : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) [١٥ / الفتح] ، وقال : (لا تبديل لكلمات الله) [٦٤/ يونس] ، وقال : (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته) [١١٥ / الأنعام] ، وقال : (وإن أحدمن المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) [٦ / التوبة] ، وقال : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) [١٧١ / الصافات] ، وقال : (فتلقى آدم من ربه كلمات) [٣٧ / البقرة] ، قال عبيد بن عمير الليثى فى تفسيرها قال : قال آدم لربه وذكر خطيئته : رب أشىء كتبته علىّ قبل أن تخلقنى أم شىء ابتدعته ؟ فقال : بل شىء كتبته عليك قبل أن أخلقك ، قال : فكما كتبته على فاغفره لى ، قال : فهؤلاء الكلمات التى قال الله عز وجل : (فتلقى آدم من ربه كلمات) . حدثناه محمد بن كثير ، أنبأ سفيان — يعنى الثورى — عن عبد العزيز بن رفيع قال : حدثنى من سمع عبيد بن عمير يقوله .

قال أبو سعيد : فسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن آدم فقال : كان نبيا مكلما . وقال : (إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [٤٠ / النحل] ،

وقال : (سلام قولا من رب رحيم) [٥٨ / يس] ، وقال لقوم موسى حين اتخذوا العجل فقال : (أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) [٨٩ / طه] ، وقال : (عجلا جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) [١٤٨ / الأعراف] .

قال أبو سعيد : ففى كل ما ذكرناه تحقيق كلام الله وتثبيته نصا بلا تأويل ، ففيما عاب الله به العجل فى عجزه عن القول والكلام ، بيان بين أن الله عز وجل غير عاجز عنه ، وإنه متكلم ، وقائل ، لأنه لم يكن يعيب العجل بشىء وهو موجود فيه . وقال إبراهيم : (بل فعله كبيرهم هذا فسلوهم إن كانوا ينطقون) [٦٣ / الأنبياء] الآية إلى قوله : (أفلا تعقلون) ، فلم يعب إبراهيم أصنامهم وآلهتهم التى يعبدون بالعجز عن الكلام إلا وإن إلهه متكلم وقائل .

ففى ما ذكرنا من ذلك بيان بين لمن آمن بكتاب الله ، وصدق بما أنزل الله . وقال الله عز وجل : (قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) [١٠٩ / الكهف] ، وقال : (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) [٢٧ / لقمان] ، وصدق وبلغ رسول الله صلعم : لو جمع مياه بحر السموات والأرض وعيونها ، وقطعت أشجارها أقلاما لنفدت المياه ، وانكسرت الأقلام ، قبل أن تنفد كلمات الله ، لأن المياه والأشجار مخلوقة ، وقد كتب الله عليها الفناء عند مدتها والله حى لا يموت ، ولا يفنى كلامه ، ولايزال متكلما بعد الخلق ، كما لم يزل متكلما قبلهم ، فلا ينفد المخلوق الفانى كلام الخالق الباقى الذى لا انقطاع له فى الدنيا والآخرة .

ولو كان على ما يذهب إليه هؤلاء الجهمية أنه كلام مخلوق ، أضيف إلى الله ، وأن الله عز وجل لم يتكلم بشىء قط ، ولا يتكلم بشىء قط ، لنفد كل مخلوق من الكلام ، قبل أن ينفد ماء بحر واحد من البحور ، لأنه لو جمع كلام خلق الله

كلهم من الجن والإنس والملائكة والطير والبهائم كلها وجميع أعمالهم ، وكتب بماء بحر واحد من البحور لكتب كل ذلك ، ونفد قبل أن ينفد ماء بحر واحد ، ولا عشر ، عشر بحر واحد . ولكنه كلام لا انقطاع له ، فلا ينفد ، مالا يفنى ، وينقطع ما يبقى .

ثم الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فمن بعدهم جمة كثيرة متظاهرة بتحقيق كلام الله وتثبيته ، وسنأتى منها ببعض ما حضر إن شاء الله .

حدثنا محمد بن كثير العبدى ، أنبأ إسرائيل،عن عثمان بن المغيرة ، عن سالم بن أبى الجعد،عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلعم يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : ألا رجل يحملنى إلى قومه فإن قريشا قد منعونى أن أبلغ كلمات ربى ؟ حدثنا شهاب بن عباد الكوفى ، ثنا محمد بن الحسن بن أبى يزيد الهمدانى عن عمرو بن قيس،عن عطية،عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم ، من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ، ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .

حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة ، ثنا حماد بن سلمة،عن أشعث الحدانى،عن شهر بن حوشب أن رسول الله صلعم قال : إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه . حدثناه عقبة بن مكرم البصرى ، ثنا معلى بن أسد ، ثنا محمد بن سواء ، ثنا سعيد بن أبى عروبة،عن أشعث الحدانى،عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه .

حدثنا على بن المدينى ، ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصارى ثم السلمى قال : سمعت طلحة بن خراش ابن الصمة الأنصارى ثم

السلمى يقول : سمعت جابر بن عبد الله يقول : نظر إلىّ رسول الله صلعم فقال : ياجابر مالى أراك مهتما ؟ قال : قلت يارسول الله استشهد أبى وترك دينا عليه وعيالا ، فقال : ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا ، فقال ياعبدى تمن على أعطك قال : يارب تحيينى فأقتل فيك الثانية . فقال الرب تبارك وتعالى : إنه سبق منى أنهم إليها لايرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورائى قال : فأنزل الله عز وجل : (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) [١٦٩/ آل عمران] حتى أنفذ الآية .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد - يعنى ابن سلمة - ثنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلعم قال : لقى آدم موسى فقال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأسكنك الجنة ، وأسجد لك ملائكته ثم فعلت مافعلت ، فأخرجت ذريتك من الجنة ؟ فقال آدم : ياموسى أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته وكلمك وقربك نجيا ، وآتاك التوراة فبكم تجده كتب على العمل الذى عملت قبل أن يخلقنى قال . بأربعين سنة ، قال . فيم تلومنى ياموسى ؟ قال رسول الله صلعم : فحج آدم موسى فحج آدم موسى فحج آدم موسى .

حدثناه أبو سلمة ، ثنا حماد ، عن عمار بن أبى عمار قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يحدث عن النبى صلعم وحميد ، عن الحسن ، عن جندب ، عن النبى صلعم قال : لقى آدم موسى فذكر مثله إلا أنه قال : وكلمك وآتاك التوراة وقربك نجيا ؟ قال نعم ، قال : فأنا أقدم أم الذكر ؟ قال : الذكر ، قال رسول الله صلعم : فحج آدم موسى ثلاثا .

حدثناه أبو سلمة ، ثنا حماد بن سلمة ، ثنا أبو هرون عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن النبى صلعم وزاد فيه أن ياموسى أرأيت ما علم الله أنه سيكون بد من أن يكون ؟ حدثناه عثمان بن أبى شيبة ، ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبى

صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم .احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى : يا آدم أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، فقال له قولا كبيرا لا أحفظه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وكلمك تكليما تلومنى أن أعمل عملا قد كتبه الله على ، قال : فقال رسول الله صلعم فحج آدم موسى .

حدثنا الأصبغ بن الفرج المصرى قال : أخبرنى ابن وهب ،عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه ،عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : أن موسى قال : يارب أرنا آدم الذى أخرجنا ونفسه من الجنة ، فأراه الله آدم فقال : أنت أبونا آدم ؟ فقال : نعم ، قال : الذى نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك ؟ قال : نعم ، قال : فما حملك على أن أخرجتنا من الجنة ونفسك ؟ فقال له آدم : ومن أنت ؟ قال : أنا موسى، قال : أنت نبى بنى اسرائيل ؟ قال : نعم . قال : وأنت الذى كلمك الله من وراء الحجاب ، لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ؟ قال : نعم : قال : فهل وجدت فى كتاب الله أنذلك كان فى كتاب قبل أن أخلق ؟ قال : بلى قال : فبم تلومنى على شىء سبق من الله عز وجل القضاء فيه قبل . فقال رسول الله صلعم عند ذلك : فحج آدم موسى صلوات الله عليهما .

حدثنا إسحق بن إبراهيم الحنظلى ، أنبأ النضر بن شميل ، أنبأ أبو نعامة العدوى، ثنا أبو هنيدة البراء بن نوفل عن والان العدوى ، عن حذيفة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى حديث الشفاعة قال : قال رسول الله صلعم : فيأتون إبراهيم فيقول : ليس ذلكم عندى ، فانطلقوا إلى موسى فإن الله كلمه تكليما ، فيقول موسى : ليس ذلكم عندى .

حدثنا عبد الغفار بن داود الحرانى أبو صالح ، ثنا ابن لهيعة ، ثنا الحرث ابن يزيد ،عن على بن رباح، عن رجل ، سمع عبادة بن الصامت يقول : أن النبى

صلى الله عليه وسلم خرج فقال : إن جبريل أتانى فقال : أخرج فحدث بنعمة الله التى نعم بها عليك فبشرنى بعشر لم يؤتها نبى قبلى ، بعثنى إلى الناس جميعا ، وأمرنى أن أنذر الجن ، ولقانى كلامه ، وأنا أمى قد أوتى داود الزبور ، وموسى الألواح وعيسى الإنجيل .

حدثنا عبد الله بن صالح المصرى أن معاوية بن صالح المصرى حدثه ،عن أبى بكر — يعنى ابن أبى مريم — عن عطية - وهو ابن قيس - أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من كلام أعظم عند الله من كلامه ، ما رد العباد إلى الله كلاما أحب إليه من كلامه ، حدثنا سلام بن سليمان المدائنى ، ثنا المسعودى عن أبى عمر بن عبيد بن الحسحاس،عن أبى ذر رضى الله عنه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فجلست إليه فقلت : أى الأنبياء كان أولا ؟ قال : آدم ، قلت : ونبيا كان ؟ قال نعم نبيا مكلما .

حدثنا الربيع بن نافع ، ثنا معاوية - يعنى ابن سلام - عن زيد - وهو ابن سلام - أنه سمع أبا سلام يقول حدثنى بو أمامة أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يانبى الله أنبيا كان آدم ؟ قال : نعم مكلما ، قال : كم بينه وبين نوح ؟ قال : عشرة قرون .

حدثنا على ابن المدينى ، أنبأ سفيان ، ثنا محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عن كريب،عن ابن عباس،عن جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار ، أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم من عندها فخرج وهى فى المسجد ثم رجع بعدما تعالى النهار فقال : مازلت فى مجلسك هذا منذ خرجت بعد ؟ قلت نعم . فقال : لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزن بكلماتك وزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبأ يونس عن الزهرى قال : أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض .

حدثنا أبو عمر الحوضى : ثنا شعبة ، عن على بن مدرك ، عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير ، عن خرشة بن الحر ، عن أبى ذر رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم ، قال : قلت : ومن هم خابوا وخسروا ؟ قال : فأعادها ثلاثا فقلت : من هم خابوا وخسروا ؟ قال : المسبل ، والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب أو الفاجر .

حدثنا محبوب بن موسى الأنطاكى : أنبأ أبو إسحق ، عن أبى حماد — يعنى الحنفى — ، قال أبو إسحق وكان من أوثق أهل زمانه ، عن ابن عقيل — وهو عبد الله بن محمد بن عقيل — قال : سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الشهداء كلهم يوم أحد فرجعت وأنا مثقل قد ترك أبى على دينا وعيالا ، فلما كان عند الليل أرسل إلى رسول الله صلعم فقال : ياجابر إن الله قد أحيا أباك وكلمه ، قال : قلت : وكلامه كلاما ؟ فقال : قال : وكلمه كلاما ، فقال له : تمن ، قال : أتمنى أن ترد روحى وتنشر خلقى كما كان وترجعنى إلى نبيك ، فأقاتل فى سبيلك فأقتل مرة أخرى .

حدثنا عثمان بن أبى شيبة، ثنا جرير عن ليث ،عن سلمة بن كهل، عن أبى الزعراء قال : قال عمر رضى الله عنه : إن هذا القرآن كلام الله فلا أعرفنكم ما عطفتموه على أهوائكم إلا أن يكفر به عبد عمد عين .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى الأحوص ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ؟ هدى وكلام فخير الكلام كلام الله وأحسن الهدى هدى محمد صلعم .

حدثنا يحيى بن سليمان الجُعفي أبو سعيد : ثنا أحمد بن بشر : ثنا مجالد ، عن الشعبي، عن مسروق أن عبد الله قال : القرآن كلام الله فمن قال فيه فليعلم ما يقول ، فإنما يقول على الله .

حدثنا أحمد بن صالح المصرى : ثنا ابن وهب قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى على بن حسين أن ابن عباس قال : أخبرنى رجال من أصحاب النبي صلعم من الأنصار أنهم بيناهم جلوس مع النبي صلعم رُمى بنجم فاستنار فقال رسول الله صلعم ما ذا كنتم تقولون فى الجاهلية إذا رمى بمثل هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم كنا نقول : ولد الليلة عظيم ومات عظيم ، فقال رسول صلعم : فإنها لا يرمى بها الموت أحد ولا حياة أحد، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم، ثم يسبح الذى يلونهم حتى بلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ثم قال الذين يلون حملة العرش : ما قال ربكم ؟ فيخبرونهم بتسبيح أهل السموات حتى يبلغ الخبر أهل هذه السماء الدنيا فيتخطف الجن السمع فيذهبون به إلى أوليائهم فإذا جاءوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يرقون فيه يعنى يقرفون .

حدثنا محمد بن بشار العبدى ، ثنا ابن أبى عدى عن شعبة ، عن سليمان الأعمش عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله رضى الله عنه قال : إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفوان . قال : فيفزعون يرون أنه من أمر الساعة (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير) [٢٣ / سبأ]

حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحرث ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن الله عز وجل إذا تكلم بالوحى سمعوا مثل سلسلة الحديد على الصفوان فخروا سجدا فـ (إذا فُزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير) ثم ينزل الشيطان إلى الأرض فيزيد فيها سبعين كذبة .

حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال بن يساف عن فروة بن نوفل قال: كنت جارا لخباب رضى الله عنه فخرجنا معه يوما إلى الجمعة فأخذ بيدى فقال : يا هناه تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تقرب إلى الله بشىء أحب إليه من كلامه .

حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثنى يونس ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله عن حديث عائشة حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله منه ، وبعض حديثهم يصدق بعضاً وإن كان بعضهم أوعى من بعض ، زعموا أن عائشة رضى الله عنها قالت : لشأنى كان أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله فىّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئنى الله بها .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا بن المبارك : أنبأ يونس من الزهرى ، عن طارق ابن مخاش عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بلديغ فقال : لو قال : (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) لم تضره . حدثنا الجرجسى يزيد ابن عبد ربه : ثنا بقية الزُبيدى عن الزهرى عن طارق بن مخاش ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلديغ لدغته عقرب فقال : لو قال : (أعوذ بكلمات الله التامات) لم يلدغ ، أو لم تضره .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد عن محمد بن إسحق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع : (أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون) .

حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، ثنا جرير عن محمد بن إسحاق بإسناده إلا أنه قال : من غضبه وعقابه وشر عباده . حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، ثنا جرير عن منصور بن المعتمر ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ حسنا وحسينا : أعيذكما بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . وكان يقول : كان أبوكما يعوذ بها إسماعيل وإسحاق .

حدثنا هشام بن عمار الدمشقى ، ثنا محمد بن شعيب عن عثمان بن أبى العاتكة ، عن على بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أمامة ، عن أبى ذر رضى الله عنهما قال : قلت : أى النبيين أولا يا رسول الله ؟ قال : آدم ، قلت : أو نبيا كان ؟ قال : نعم، مكلماخلقهالله بيده ، وكلمه قِبَلا ، فقال : (اسكن أنت وزوجك الجنة) [٣٥ / البقرة] .

حدثنا عمر بن عون : أنبأ أبو معاوية عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن عدى ابن حاتم رضىالله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان .

حدثنا أبوعمر الحوضى ، ثنا شعبة عن على بن مدرك ، عن أبى زرعة بن عمرو ابن جرير ، عن خرشة بن الحر ، عن أبى ذر رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، أو الفاجر .

حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ، ثنا معن ، ثنا عبد الله بن عبد الله أبو أويس ، عن قرثع الغطفانى ، عن عقبة بن بشير بن المغيرة بن بشير الأسدى قال : سألت محمد بن على بن الحسين الهاشمى ، قال : قلت : يا أبا جعفر من أول من تكلم بالعربية ؟ قال : إسماعيل بن إبراهيم النبى وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة ، قلت : فما كان كلام الناس قبل ذلك ؟ قال : العبرانية ، قلت : فما كان كلام الله الذى أنزله على رسله وعباده ذلك الزمان ؟ قال : العبرانية . قرأت على أبى اليمان قلت : أخبركم شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام أنه أخبره جزء ابن جابر الخثعمي ، أنه سمع كعب الأحبار

يقـول : لمـا كلم الله موسى بالألسنة كلها قبل لسانه طفق موسى يقول : أى رب ما أفقه هذا ، حتى كلمه آخر الألسنة بلسانه بمثل صوته يعنى بمثل لسان موسى وبمثل صوت موسى .

حدثنا محمد بن عثمان التنوخى أبو الجماهر ، ثنا سعيد بن بشير عن قتادة فى قوله تعالى (إن الذين كفروا بالذكر) [٤١ / فصلت] بالقرآن (لما جاءهم وأنه لـكتاب عزيز) أعزه الله لأنه كلامه (لا يأتيه الباطل) [٤٢ / فصلت] وهو إبليس لا يستطيع أن ينتقص منه حقا أو يزيد فيه باطلا .

قال أبو سعيد رحمه الله : فهذه الأحاديث قد رويت وأكثر منها ما يشبهها كلها موافقة لـكتاب الله فى الإيمان بكلام الله ، ولولا ما اخترع هؤلاء الزائغة من هذه الأغلوطات ، والمعانى يردون بها صفات الله ويبدلون بها كلامه لـكان ماذكر الله فى كتابه كافيا لجميع الأمة مع أنه كميـل شاف إلا لمتأول ضـلال أو متبع ريبة .

فحين رأينا ذلك ألفنا هذه الآثار عن رسول الله صلعم وأصحابه والتابعين من بعدهم ليعلم من بقى من الناس أن من مضى مع الأمة لم يزالوا يقولون فى ذلك كما قال الله عز وجل ، لا يعرفون له تأويلا غير ما يتلى من ظاهره ، أنه كلام الرحمن تبارك وتعالى ، حتى نبغ هؤلاء الذين اقتربوا لرد كتاب الله عز وجـل ، وتعطيل كلامه ، وصفاته المقدسة ، بهذه الأغلوطات التى لو ظهرت على عهد رسول الله صلعم وأصحابه ما كان سبيل من يظهرها بينهم إلا كسبيل أهل الردة ، أو لها هذه الـكلمة الملعونة التى فارقوا بها جميع أهل الصلاة فقالوا : (كلام الله مخلوق) . والحجج عليهم من رد ما أتوا به ما ذكرنا من كتاب الله ، وروينا من آثار رسول الله صلعم ومن بعده .

ثم عليهم حجج كثيرة من الـكلام والنظر لا نحب ذكر كثير منها تخوفا أن لا تحتملها قلوب ضعفاء الناس ، ولـكن يكفى من نظر فيما ذكرنا من كتاب الله

عز وجل وروينا من هذه الآثار أن يعلم أن مخالفة هؤلاء للأمة قديما وحديثا فيقول لهم : وجدنا الله تعالى ورسوله صلعم ، والأمة بعده ، سموه كلام الله ، وزعمتم أنتم أنه خلق الله ، فكفى بهذا مخالفة لله ولرسوله ، وللأمة من بعده ، أو إئتوا فيه بكتاب ناطق ، أو أثر عن رسول الله صلعم ، أو أحد من أهل العلم أنه مخلوق ، ولن تأتوا به أبداً ، وكيف تأثرون الكفر عن رسول الله صلعم ، وأصحاب رسول الله صلعم ، وأهل الاسلام بعدهم .

فذهب بعضهم يحتج بتفاسير مقلوبة ، وبمعان لا أصل لها من كتاب ، ولا سنة ، ولا إجماع ، إلا الكفر يقينا . قلت لبعضهم : دعوا هذه الأغلوطات التي نحن بها أعلم منكم ، ولن ينزلكم الله من كتابه بالمنزلة التي يعتمد فيها على تفسيركم أو يقبل فيها شيء من آرائكم . وقد أتيناكم به منصوصا عن الله وعن رسوله وعن الأمة بأجمعها أنه كلام الله حقا ، فهاتوا عن أحد منهم منصوصا أنه خلق الله كما ادعيتم وإلا فأنتم المفارقون لجماعة المسلمين قديما وحديثا ، الملحدون في آيات الله ، المفترون على الله ، وعلى كتابه ، ورسوله ، ولن تأتوا عن أحد منهم .

أرأيتم قولكم إنه مخلوق ، فما بدء خلقه ؟ قال الله له : « كن » فكان كلاما قائما بنفسه بلا متكلم به ؟ فقد علم الناس إلا من شاء الله منهم أن الله عز وجل ، لم يخلق كلاما يرى ويسمع بلا متكلم فلا بد أن تقولوا في دعواكم (الله المتكلم بالقرآن) فأضفتموه إلى الله فهذا أجور الجور ، وأكذب الكذب ، أن تضيفوا كلام المخلوق إلى الخالق ، ولو لم يكن كفرا كان كذبا لاشك فيه فكيف وهو كفر ، لاشك فيه ، لايحق لمخلوق يؤمن بالله واليوم الآخر أن يدعى الربوبية ويدعو الخلق إلى عبادته فيقول : (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) [١٤ / طه] (وإني أنا ربك) [١٢ / طه] (وأنا اخترتك) [١٢/ طه] ، (واصطنعتك لنفسي اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري) [٤٢ / طه] ، (إنني معكما أسمع وأرى) [٤٦ / طه] ، (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [٥٦ / الذاريات] ، (ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين

وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم) [٦١/يس] قد علم الخلق إلا من أضله الله أنه لاحق لأحد أن يقول هذا ، وما أشبهه غير الخالق بل القائل به ،والداعى إلى عبادته غير الله كافر كفرعون الذى قال(أنا ربكم الأعلى) [٢٤/النازعات] والمجيب له والمؤمن بدعواه أكفر وأكذب . وإن قلتم إنه تكلم به مخلوق ، فأضفناه إلى الله لأن الخلق كلهم بصفاتهم ، وكلامهم لله .

فهذا المحال ، الذى ليس وراءه محال ، فضلا على أن يكون كفرا لأن الله عز وجل لم ينسب شيئا من الكلام كله إلى نفسه ، أنه كلام غير القرآن ، وما أنزل على رسله . فإن قد تم كلامكم ولزمتموه لزمكم ، أن تسموا الشعر ، وجميع الغناء والنوح وكلام السباع والطير والبهائم كلام الله ، فهذا مالايختلف المصلون فى بطوله واستحالته .

فما فضل القرآن إذا عندكم على الغناء والنوح والشعر إذ كان كله فى دعواكم كلام الله ؟ فكيف خص القرآن بأنه كلام الله ونسب كل كلام سواه إلى قائله ؟ فكفى بقوم ضلالا ، أن يدعوا دعوى لايشك الموحدون فى بطوله واستحالته . ومما يزيد دعواكم تكذيبا واستحالة ويزيد المؤمنين بكلام الله إيمانا وتصديقا ، أن الله عز وجل قد ميز بين من كلم من رسله وبين من لم يكلم ومن يكلم من خلقه فى الآخرة ومن لم يكلم فقال :(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم ، من كلم الله ورفع بعضهم درجات) [٢٥٣/البقرة] فميز بين من اختصه بكلامه ، وبين من لم يكلمه ، ثم سمى ممن كلم موسى فقال : (وكلم الله موسى تكليما) .

فلو لم يكلمه بنفسه إلا على تأويل ، ما ادعيتم ، فما فضل ما ذكر الله من تكليمه إياه على غيره ممن لم يكلمه ، إذ كل الرسل فى تكليم الله إياهم مثل موسى ، وكل عندكم لم يسمع كلام الله ، فهذا محال من الحجج ، فضلا أن يكون ردا لكلام الله ،

وتكذيبا لـكتابه ، ولم يقل : (منهم من كلم الله) إلا وأن حالتيهما مختلفتان فى تكليم الله إياهم . فما يزيد ذلك تحقيقا قوله: (أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله) [٧٧/آل عمران] يعنى يوم القيامة ففى هذا بيان بيِّن أنه لايعاتب قوما يوم القيامة بصرف كلامه عنهم ، إلا وأنه مثيب بتكليمه قوما آخرين ء

ثم قد ميز رسول الله صلى الله عليه وسلم بين من يكلمه الله يوم القيامة،وبين من لا يكلمه فمن ذلك مارويناه فى هذا الباب عن عدى بن حاتم ،عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مامنكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ، والحديث الآخر مارويناه عن أبى ذر رضى الله عنه قال : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة .

ففى هذين الحديثين أيضا بيان بين على نفس كلام الله عز وجل ، أنه يكلم أقواما ، ولا يكلم آخرين . ولو كان كما ادعيتم كان المثاب بكلام الله ، والمعاقب به المصروف عنه سواء عندكم ، ألا ترى أن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن آدم صلوات الله عليه أنبيا كان؟ قال : نعم مكلما ، فهذا ينبئك أنه أراد نفس كلام الله لا كلام من سواه ، ولو كان مكلما بكلام المخلوقين فى دعواكم لم يكن فيه كبير فضيلة لآدم على غيره من الخلق ، لأن عامة الخلق يكلم بعضهم بعضا فهم مكلمون فما فضل آدم فى هذا عندكم على من سواه من ذريته ؟ وقد قال تبارك وتعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) .

باب الاحتجاج للقرآن أنه غير مخلوق

قال أبو سعيد رحمه الله : فمن ذلك ما أخبر الله تعالى فى كتابه عن زعيم هؤلاء الأكبر وإمامهم الأكفر الذى ادعى أولا أنه مخلوق : وهو الوحيد واسمه الوليد ابن المغيرة فأخبر الله عن الكافر دعواه فيه ، ثم أنكر عليه دعواه وردها عليه ووعده النار أن ادعى أن قول الله قول البشر ، وقوله (إن هذا إلا قول البشر) [٢٥/المدثر] وقول هؤلاء الجهمية (هو مخلوق) واحد لافرق بينهما :

فبئس التابع وبئس المتبوع ! قال الله تعالى : (ذرنى ومن خلقت وحيدا) [١١/المدثر] إلى قوله : (ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر) [٢٦/المدثر] يعنى أنه ليس بقول البشر كما ادعى الوليد ولكنه قول الله عز وجل .

فحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا ابن نمير ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر قال : سمعت أبى يذكر عن مجاهد فى قوله : (ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا) [١٢/المدثر] قال : ذلك الوليد بن المغيرة المخزومى والمال الممدود ألف دينار ، والبنين الشهود عشرة بنين قال : فلم يزل النقصان فى ماله وولده حين تكلم بما تكلم حتى مات .

قال أبو سعيد ، وكذلك صار لاتباعه الذين تلقفوا منه هذه الكلمة خزى وتباب فى كل شىء من أمرهم .

ومما نحتج به أيضا عليهم من كتاب الله عز وجل ، قول الله عز وجل : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [٨٨/الإسراء] وقوله : (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) [٢٤/البقرة] تثبيتا أنهم لا يفعلونه أبدا وقوله : (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) [١٣/هود] ففى هذا بيان بين أن القرآن خرج من الخالق لا من المخلوقين ، وأنه كلام الخالق لا كلام المخلوقين ، ولو كان كلام المخلوقين ومنهم ، لقدر المخلوق الآخر أن يأتى بمثله أو بأحسن منه ، لأنه لم يتكلم مخلوق بحق وباطل من الشعر أو الخطب أو المواعظ أو من كلام الحكمة أو غير ذلك إلا وقد أتى بمثله أو بأحسن منه نظراؤه ، من هم فى عصره ، أو ممن بعده .

فهذا قد ثبت الله عليه الشهادة أنه لا يأتى بمثله جن ولا إنس لأنه منه ، وصدق

الله و لمغ رسوله لم يأتوا بمثله منذ مأتى وخمسين سنة (١)،ولا يأتون بمثله إلى خمسين ألف سنة فكيف يفعلونه ، وقد قال الله عز وجل: (لن تفعلوا) و (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ؟ففى هذا بيان بين أنه كلام الخالق نفسه نه غير مخلوق .

ومما نحتج به عليهم أنه غير مخلوق من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) .

حدثنا به شهاب بن عباد العبدى الكوفى ، ثنا محمد بن الحسن بن أبى يزيد الهمدانى عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) .

حدثنا عقبة بن مكرم البصرى،ثنا معلى بن أسد ، ثنا محمد بن سواء ، ثنا سعيد ابن أبى عروبة عن أشعث الحدانى عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه) وحدثنى محمد بن حميد الرازى ، حدثنا إسحق بن سليمان الرازى ، ثنا الجراح بن الضحاك الكندى عن علقمة بن مرثد عن أبى عبد الرحمن عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه) قال أبو عبد الرحمن : فهذا الذى أجلسنى هذا المجلس ، وفضل القرآن على سائر الكلام ، كفضل الخالق على المخلوق ، وذلك أنه منه .

قال أبو سعيد ، ففى هذه الأحاديث بيان ن القرآن غير مخلوق لأنه ليس شىء من المخلوقين من التفاوت فى فضل ما بينهما كما بين الله وبين خلقه فى الفضل ، لأن فضل ما بين المخلوقين يستدرك ، ولا يستدرك فضل الله على خلقه ، ولا يحصيه أحد، وكذلك فضل كلامه على كلام المخلوقين ، ولو كان كلاما مخلوقا لم يكن فضل

(١) يبدو أن المؤلف كتب هذا الكتاب فى هذه السنة أي سنة ٢٥٠ هـ .

ما بينه وبين سائر الكلام كفضل الله على خلقه ولا كعشر عشر جزء من ألف ألف جزء ولا قريبا ولا قريبا فافهموه ، فإنه ليس كمثله شيء ، فليس ككلامه كلام، ولن يؤتى بمثله أبدا .

حدثنا سعيد بن أبي مريم المصرى ، ثنا ابن لهيعة، عن خالد بن يزيد، عن سعيد ابن أبي هلال، عن ثابت بن عبد الله ،عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوى كدوى النحل يقول : يارب منك خرجت وإليك أعود أتلى ولا يعمل بى. سمعت إسحق بن إبراهيم الحنظلى يقول : قال سفيان بن عيينة قال عمرو بن دينار ، أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق ، وما سواه مخلوق ، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود .

حدثنا على بن المدينى ، ثنا موسى بن داود : ثنا معبد ، قال : قال على ـ وهو ابن راشد ـ عن معاوية بن عمار قال : قيل لجعفر بن محمد ، القرآن خالق أو مخلوق؟ قال : ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله . حدثنا محمد بن منصور الذى يقال له الطوسى من أهل بغداد ، وكان ثقة قال : حدثنى على بن مضاء مولى خالد القسرى قال سمعت ابن المبارك بالمصيصة وسأله رجال عن القرآن فقال: هو كلام الله غير مخلوق .

وحدثنا محمد بن منصور قال ، حدثنى على بن المضاء قال: سمعت بقية بن الوليد يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق . وحدثنا محمد بن منصور ، ثنا على بن المضاء قال : سمعت عيسى بن يونس يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق . حدثنا محمد بن منصور ، ثنا على بن المضاء قال : سمعت القاسم الجزرى يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق .

حدثنا محمد بن منصور ، ثنا على بن المضاء ، ثنا هشام بن بهرام قال : سمعت المعافى بن عمران يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، قال هشام ، وأنا أقول كما

قال المعافى،قال‌على : وأنا أقول كما قال هشام ، قال محمد بن المنصور : وأنا قول كما قالواخمسين مرة .

قال أبو سعيد : ونا أقول كما قالوا سبعين مرة . قال القرشى : وأنا أقول كما قالوا ، قال الأزدى : وأنا أقول كما قالوا عدد أيام الدهر . من أوله إلى آخره ، وبه ألقى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم : قال أبو روح : وأنا أقول بعدد من يبصر ومن لايبصر ، وقال شيخنا أبو عبد الله : وأنا أقول بعدد جميع الخلائق . سمعت محمد بن منصور يقول رأيت النبي صل الله عليه وسلم فى المنام حدثان مااستخلف جعفر فقلت له : إن أناسايقولون :القرآن مخلوق ،فقال‌بوجهه، هكذا كأنه أعرض ، فقلت : أليس كلام الله غير مخلوق ؟ قال : نعم ، ثم قلت له مرة أخرى ، فقال : نعم .

حدثنا عبد الله بن صالح المصرى ، ثنا يحيى بن يوب عن عبيد الله بن أبى جعفر عن رجل من شيوخ أهل مصر أنه حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : القرآن أحب إلى الله من السموات والأرض وما فيهن .

قال أبو سعيد : فهذا ينبئك أنه نفس كلام الله ، ونه غير مخلوق، لأن الله عز وجل لم يخلق كلاما إلا على لسان مخلوق . فلو كان القرآن مخلوقا كما يزعم هؤلاء المعطلون كان إذا من كلام المخلوقين ، وكل هذه الروايات والحكايات والشواهد والدلائل ، قد جاءت وأكثر منها فى أنه غير مخلوق . ثم أحاطة علم‌العلماء وعقول العقلاء بأن كلام الخالق لايـكون مخلوقا ، أبداً إذا كان فى دعواهم قبل أن يخلق الكلام منقوصا مضطرا إلى الكلام حتى خلقه ، وكملت ربوبيته وتمت وحدانيته بمخلوق فى دعواهم .

باب الاحتجاج على الواقفة

قال أبو سعيد رحمه الله : ثم إن أناسا ممن كتبوا العلم بزعمهم ، وادعوا معرفته وقفوا فى القرآن فقالوا : : لا نقول : « مخلوق هو » ولا « غير مخلوق » ، ومع وقوفهم هنا لم يرضوا حتى ادعوا أنهم ينسبون إلى البدعة من خالفهم ، وقال بأحد هذين القولين . فقلنا لهذه العصابة :

أما قولكم « مبتدع » فظلم وحيف فى دعواكم حتى تفهموا الأمر وتعقلوه ، لأنكم جهلتم أى الفريقين أصابو السنة والحق ، فيكون من خالفهم مبتدعة عندكم ، والبدعة أمرها شديد ، والمنسوب إليها سيء الحال ، بين أظهر المسلمين ، فلا تعجلوا البدعة ، حتى تستيقنوا وتعلموا أحقا قال أحد الفريقين أم باطلا .

وكيف تستعجلون أن تنسبوا إلى البدعة أقواما فى قول قالوه ، ولا تدرون أنهم أصابوا الحق فى قولهم ذلك أم أخطأوه ؟ ولا يمكنكم فى مذهبكم أن تقولوا لواحد من الفريقين : لم تصب بقولك، وليس كما قلت .

فمن أسفه فى مذهبه وأجهل من ينسب إلى البدعة أقواما يقول: لاندرى أهو كما قالوا أم ليس كذلك ، ولا يأمن من مذهبه أن يكون أحد الفريقين أصابوا الحق والسنة فسماهم مبتدعة ، ولا يأمن فى دعواه أن يكون الحق باطلا ، والسنة بدعة ، هذا ضلال بين وجهل غير صغير .

وأما قولكم : « لا ندرى مخلوق هو م غير مخلوق » فإن كان ذلك منكم قلة علم به ، وفهم ، فإن بيننا وبينكم فيه النظر ، بما يدل عليه الكتاب والسنة ويحتمل العقول . وجدنا الأشياء كلها شيئين : الخالق بجميع صفاته ، والمخلوقين بجميع

صفاتهم ، فالخالق بجميع صفاته غير مخلوق ، والمخلوق بجميع صفاته مخلوق : فانظروا فى هذا القرآن فإن كان عندكم صفة المخلوقين ، فلا ينبغى أن تشكوا فى المخلوقين ، وفى كلامهم ، وصفاتهم أنها مخلوقة كلها لاشك فيها ، فيلزمكم فى دعواكم حينئذ أن تقولوا كما قالت الجهمية ، فلتستريحوا من القال والقيل فيه ، وتغيروا عن ضمائركم وإن كان عندكم هو صفة الخالق وكلامه حقا، ومنه خرج ، فلاينبغى لمصل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يشك فى شىء من صفات الله وكلامه الذى خرج منه أنه غير مخلوق .

هذا واضح لا لبس فيه إلا على من جهل العلم مثالكم ، وما فرق بينكم وبين من قال : (هو مخلوق) إلا يسير ، يزعم أولئك أنه كلام الله مضاف إليه مخلوق ، وزعمتم أنتم أنه كلام الله ، ولا تدرون مخلوق هو أو غير مخلوق ، فإذا لم تدروا لم تأمنوا فى مذهبكم أن يكون أولئك الذين قالوا مخلوق قد أصابوا من قولكم فكيف تنسبونهم إلى البدعة وأنتم فى شك من أمرهم ؟ فلا يجوز لرجل أن ينسب رجلا إلى بدعة بقول أو فعل حتى يستيقن أن قوله ذلك وفعله باطل ، ليس كما يقول .

فلذلك قلنا : إن فرق ما بينكم يسير ، لأن أولئك ادعوا أنه مخلوق ، وزعمتم أنتم أنه كلام الله ، ومن زعم أنه غير مخلوق ، فقد ابتدع ، وضل فى دعواكم ، فإن كان الذى يزعم أنه غير مخلوق مبتدعا عندكم ، لا تشكون فيه ، أنه لمخلوق عندكم حقا لا شك فيه ، ولكن تستترون من الافتضاح به مخافة التشنيع ، وجعلتم أنفسكم جنة ودُلسة للجهمية عند الناس تصوبون آراءهم وتحسنون أمرهم وتنسبون إلى البدعة من خالفهم .

والحجة على هذه العصابة أيضا جميع ما احتججنا به من كتاب الله فى تحقيق كلام الله ، وما روينا فيه من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن بعده : أن

القرآن نفس كلام الله وأنه غير مخلوق . فهي كلها داخلة عليهم ، كما تدخل على الجهمية ، لأن كل من آمن بالله وصدقه في قوله : (وإن أحد من المشركين استجار فأجره حتى يسمع كلام الله) ، وفي قوله : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ، فأيقن بأنه كلامه حقا كما سماه أصدق القائلين ، لزمه الإيمان بأنه غير مخلوق لأن الله تبارك وتعالى لم يجعل كلاما مخلوقا لنفسه صفة ، وكلاما ، ولم يضف إلى نفسه كلام غيره ، لأنه أصدق القائلين ، ولا يقاس (كلام الله) بـ (بيت الله) و (عبد الله) و (خلق الله) و (روح الله) لأن الخلق ليس من الله ، ولا من صفاته ، وكلامه صفته ، ومنه خرج فلا يضاف إلى الله من الكلام إلا ما تكلم به ، ولو جاز أن ينسب كلام مخلوق إلى الله فيكون لله كلاما ، وصفة كما يضاف إليه (بيت الله) و (عبد الله) لجاز أن تقول : كل ما يتكلم به أثناء الليل والنهار ، من حق ، أو باطل ، أو شعر ، أو غناء ، أو نوح كلام الله ، فما فضل القرآن في هذا القياس على سائر كلام المخلوقين ، إن كله [1] ينسب إلى الله ويقام لله صفة وكلاما في دعواكم ؟ فهذا ضلال بين مع أنا قد كفينا مؤنة النظر بما في كتاب الله من البيان ، وفي الأثر من البرهان ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قال أبو سعيد رحمه الله : احتججنا بهذه الحجج ، وما أشبهها على بعض هؤلاء الواقفة ، وكان من أكبر احتجاجهم علينا في ذلك أن قالوا : إن ناساً من مشيخة رواة الحديث الذين عرفناهم عن قلة البصر بمذاهب الجهمية ، سئلوا عن القرآن فقالوا : لا نقول فيه بأحد القولين ، وأمسكوا عنه إذ لم يتوجهوا لمراد القوم ، لأنها كانت أغلوطة وقعت في مسامعهم ، لم يعرفوا تأويلها ، ولم يبتلوا بها قبل ذلك فكفوا عن الجواب فيه وأمسكوا . فحين وقعت في مسامع غيرهم من أهل البصر بهم ، وبكلامهم ، ومرادهم ممن جالسوهم وناظروهم ، وسمعوا قبح كلامهم مثل من سمينا ، مثل جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، وابن المبارك ، وعيسى بن يونس ، والقاسم الجزري ، وبقية بن الوليد ، والمعافى بن عمران ، ونظرائهم من

---

(١) كذا في الأصل ولعله : إن كان كله .

أهل البصر بكلام الجهمية ، ولم يشكوا أنها كلمة كفر ، ون القرآن نفس كلام الله، كما قال تبارك وتعالى وأنه غير مخلوق ، إذ رد الله على الوحيد قوله ، أنه قول البشر ، وأصلاه عليه سقر فصرحوا به على علم ومعرفة ، أنه غير مخلوق والحجة بالعارف بالشيء ، لا بالغافل عنه القليل البصر به .

وتعلق هؤلاء فيه بإمساك أهل البصر ، ولم يلتفتوا إلى قول من استنبطه وعرف أصله. فقلنا لهم : إن يك جبُن هؤلاء الذين احتججتم بهم من قلة بصر، فقد اجترأ هؤلاء وصرحوا ببصر ، وكانوا من أعلام الناس ، وأصل البصر ، بأصول الدين ، وفروعه ، حتى أكفروا من قال : (مخلوق) غير شاكين فى كفرهم ولا مرتابين فيهم .

باب الاحتجاج فى إكفار الجهمية

قال أبو سعيد رحمه الله : ناظرنى رجل ببغداد منافحا عن هؤلاء الجهمية فقال لى : بأية حجة تكفرون هؤلاء الجهمية ، وقد نهى عن إكفار أهل القبلة ؟ بكتاب ناطق تكفرونهم أم بأثر أم بإجماع ؟ فقلت : ما الجهمية عندنا من أهل القبلة، وما نكفرهم إلا بكتاب مسطور ، وأثر مأثور ، وكفر مشهور .

أما الكتاب فما أخبر الله عز وجل عن مشركى قريش من تكذيبهم بالقرآن ، فكان من أشد ما أخبر عنهم من التكذيب أنهم قالوا « هو مخلوق » كما قالت الجهمية سواء . قال الوحيد وهو الوليد بن المغيرة المخزومى (إن هذا إلا قول البشر) وهذا قول جهم : إن هذا إلا مخلوق . وكذلك قول من يقول بقوله وقول من قال (إن هذا إلا إفك افتراه) [٤/الفرقان] و (إن هذا إلا أساطير الأولين) [٢٥/الأنعام] و (إن هذا إلا اختلاق) [٧/ص] معناهم فى جميع ذلك ومعنى جهم فى قوله يرجعان إلى أنه مخلوق ليس بينهما فيه من البون كغرز إبرة ، ولا كقيس شعرة .

فبهذا نكفرهم كما أكفر الله به أئمتهم من قريش وقال : (سأصليه سقر) إذ قال (إن هذا إلا قول البشر) لأن كل إفك وتقول ، وسحر ، واختلاق ، وقول البشر كله لاشك فى شىء منه أنه مخلوق ، فاتفق من الكفر بين الوليد المغيرة ، وجهم بن صفوان الكلمة ، والمراد ، فى القرآن ، أنه مخلوق ، فهذا الكتاب الناطق فى إكفارهم .

وأما الأثر فيه فما حدثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد وجرير بن حازم عن أيوب، عن عكرمه أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أتى بقوم من الزنادقة فحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس رضى الله عنهما فقال : أما أنا فلو كنت لقتلتهم لقول رسول الله صلعم : من بدل دينه فاقتلوه ، ولما حرقتهم لنهى رسول الله صلعم: لا تعذبوا بعذاب الله ، زاد سليمان فى حديث جرير : فبلغ عليا ما قال ابن عباس

رضى الله عنهم فقال : ويح ابن أم الفضل إنه لغواص على الهنات .

قال أبو سعيد : فرأينا هؤلاء الجهمية أفحش زندقة وأظهر كفراً وأقبح تأويلا لكتاب الله ، ورد صفاته فيما بلغنا عن هؤلاء الزنادقة الذين قتلهم على عليه السلام وحرقهم . فمضت السنة من على وابن عباس رضى الله عنهما فى قتل الزنادقة لما أنها كفر عندهما ، وأنهم عندهما ممن بدل دين الله وتأولا فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يجب على رجل قتل من قول يقوله ، حتى يكون قوله ذلك كفراً ، لا يجب فيما دون الكفر قتل إلا عقوبة فقط ، فذاك الكتاب فى إكفارهم وهذا الأثر ونكفرهم أيضا بكفر مشهور وهو تكذيبهم بنص الكتاب .

أخبر الله تبارك وتعالى أن القرآن كلامه ، وادعت الجهمية أنه خلقه ، وأخبر الله تبارك وتعالى أنه كلم موسى تكليما . وقال هؤلاء : لم يكلمه الله بنفسه، ولم يسمع موسى نفس كلام الله ، إنما سمع كلاما خرج إليه من مخلوق . ففى دعواهم : دعا مخلوق موسى إلى ربوبيته ، فقال : (إنى أنا ربك فاخلع نعليك) فقال له موسى فى دعواهم : صدقت ، ثم أتى فرعون يدعوه أن يجيب إلى ربوبية مخلوق كما أجاب موسى فى دعواهم : فما فرق بين موسى وفرعون فى مذهبهم فى الكفر إذا فأى كفر بأوضح من هذا ؟ وقال الله تبارك وتعالى : (إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقال هؤلاء : ما قال لشىء قط قولا وكلاما ما كان فكان ، ولا يقوله أبدا ، ولم يخرج منه كلام قط ، ولا يخرج ، ولا هو يقدر على الكلام فى دعواهم فالصنم فى دعواهم والرحمن بمنزلة واحدة فى الكلام ، فأى كفر بأوضح من هذا ؟ وقال الله تبارك وتعالى : (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) و (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) [٧٥/صٓ] و (بيدك الخير إنك على كل شىء قدير) [٢٦/آل عمران] وقال : (يد الله فوق أيديهم) [١٠/الفتح] قال هؤلاء : ليس لله يد ، وما خلق آدم بيديه ، إنما يداه نعمتاه ورزقاه ، فادعوا فى يد الله أوحش مما ادعته اليهود (قالت اليهود يد الله مغلولة) .

وقالت الجهمية ، يد الله مخلوقة ، لأن النعم والأرزاق مخلوقة لا شك فيها ، وذاك محال فى كلام العرب ، فضلا أن يكون كفرا ، لانه يستحيل أن يقال : خلق آدم بنعمته ، ويستحيل أن يقال فى قوله تعالى تبارك الله وتعالى (بيدك الخير) : بنعمتك الخير ، لأن الخير نفسه هو النعم نفسها ، ومستحيل أن يقال فى قول الله عز وجل (يد الله فوق أيديهم) نعمة الله فوق أيديهم . وإنما ذكرنا ههنا اليد مع ذكر الأيدى فى المبايعة بالأيدى فقال : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) [١٠/الفتح] ويستحيل أن يقال : (يداه مبسوطتان) نعمتاه ، فكأن ليس له إلا نعمتان مبسوطتان، لاتحصى نعمه ، ولا تستدرك ، فلذلك قلنا : إن هذا التأويل محال من الكلام فضلا عن أنه يكون كفرا .

ونكفرهم أيضا بالمشهور من كفرهم نهم لا يثبتون لله تبارك وتعالى وجها ولا سمعا ولا بصرا ولا علما ولا كلاما ولا صفة إلا بتأويل ضال ، افتضحوا وتبينت عوراتهم يقولون : سمعه وبصره وعلمه وكلامه بمعنى واحد ، وهو بنفسه فى كل مكان ، وفى كل بيت مغلق ، وصندوق مقفل ، قد أحاطت به فى دعواهم حيطانها وأغلاقها وأقفالها فإلى الله نبرأ من إله هذه صفته ، وهذا أيضا مذهب واضح فى إكفارهم .

ونكفرهم أيضا أنهم لا يدرون ين الله ، ولا يصفونه بأين ، والله قد وصف نفسه بأمين ، ووصف به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : (الرحمن على العرش استوى) (وهو القاهر فوق عباده) و (إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا) و (يخافون ربهم من فوقهم) (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض) ونحو هذا فهذا كله وصف بأين . ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأين فقال للأمة السوداء : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : من أنا ؟ قالت أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة .

والجهمية تكذبه ، وهذا أيضا من واضح كفرهم والقرآن كله ينطق بالرد

عليهم ، وهم يعلمون ذلك ، و بعضهم ولـكن يكابرون ويغالطون الضعفاء ، وقد علموا أنه ليس من حجة أنقض لدعواهم من القرآن ، غير أنهم لايجدون إلى رفع الأصل سبيلا ، مخـافة القتل والفضيحـة ، وهم عنـد أنفسهم بمـا وصف الله به فيه نفسه جاحـدون . قـد ناظـرنا بعض كبرائهم ، وسمعنـا ذلك منهـم ، منصوصا مفسـراً .

ويقصدون أيضا بعبادتهم إلى إله تحت الأرض السفلى ، وعلى ظهـر الأرض العليا ، ودون السماء السابعة العليا ، وإله المصلين من المؤمنين ، الذين يقصدون إليه بعبادتهم الرحمن ، الذى فوق السماء السابعة العليا ، وعلى عرشه العظيم استوى ، وله الأسماء الحسنى تبارك اسمه وتعالى . فأى كفر بأوضح مما حكينا عنهم من سوء مذاهبهم ، وما زاد مانى ، وشمعلة الزنديقان .

قال أبو سعيد : فقـال لى المناظـر الذى ناظـرنى : أردت إرادة منصوصة فى إكفـار الجهمية باسمهم ، وهـذا الذى رويت عن على رضى الله عنه فى الزنادقـة . فقلت : الزنادقة والجهمية أمرهما واحد ، يرجعان إلى معنى واحد ، ومرادواحد ليس قوم أشبه بقوم منهم بعضهم ببعض ، وإنما يشبه كل صنف وجنس بجنسهم ، وصنفهم ، فقد كان ينزل بعض القرآن خاصا فى شيء ، فيكون عاما فى مثله ، وما أشبهه فلم يظهر جهم ، وأصحاب جهم ، فى زمن أصحاب رسول الله صلعم ، وكبار التابعين ، فيروى عنهم فيها أثر منصوص ، مسمى ، ولو كانوا بين أظهرهم مظهرين آراءهم لقتلوا ، كما قتل على رضى الله عنه الزنادقـة ، التى ظهرت فى عصره ولقتلوا كما قتل أهل الردة .

ألا ترى أن الجعد بن درهم أظهر بعض رأيه فى زمن خالد القسرى ، فزعم أن الله تبارك وتعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما فذبحه خالد بواسط يوم الإضحى على رؤوس من حضره من المسلمين ، لم يعبه به عائب ، ولم يطعن

عليه طاعن، بل استحسنوا ذلك من فعله وصوبوه ، وكذلك لو ظهر هؤلاء فى زمن أصحاب رسول الله صلعم وكبار التابعين ، ما كان سبيلهم عند القوم إلا القتل ، كسبيل أهل الزندقة وكما قتل على رضى الله عنه من ظهر منهم فى عصره ، وأحرقه وظهر بعضهم بالمدينة فى عهد سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فأشاروا على والى المدينة يومئذ بقتله .

ويكفى العاقل من الحجج فى إكفارهم ما تأولنا فيه من كتاب الله ، وروينا فيه عن على وابن عباس رضى الله عنهما ، وما فسرنا من واضح كفرهم ، وفحش مذاهبهم شيئا شيئا . فأما إذ أبيتم أن تقبلوا إلا المنصوص فيهم المقصود بها إليهم بحلاهم وأسمائهم ، فسنروى ذلك عن بعض من ظهر ذلك بين أظهرهم ، من العلماء حدثنى محمد بن المعتمر السجستانى أبو سهل ، وكان من أوثق أهل سجستان وأصدقهم عن زهير بن نعيم البابى ، أنه سمع سلام بن أبى مطيع يقول : الجهمية كفار .

وسمعت محمد بن المعتمر يقول : سمعت زهير بن نعيم يقول : سئل حماد بن زيد ، وأنا معه فى سوق البصرة عن بشر المريسى فقال: ذاك كافر . قال أبو سعيد: وبلغنى عن يزيد بن هرون أنه قال : الجهمية كفار ، وقال: حرضت غير مرة أهل بغداد على قتل المريسى .

حدثنا يحيى الحمانى : ثنا الحسن بن الربيع قال : سمعت ابن المبارك يقول : من زعم أن قوله (إنى أنا الله لا إله إلا أنا) مخلوق فهو كافر . سمعت محبوب ابن موسى الأنطاكى يذكر أنه سمع وكيعا يكفر الجهمية . قال أبو سعيد : وحدثت عن سفيان الثورى ، عن حماد بن أبى سليمان أنه كفر من زعم أن القرآن مخلوق : وسمعت يحيى بن يحيى يقول : القرآن كلام الله من شك فيه أو زعم أنه مخلوق فهو كافر .

وسمعت الربيع بن نافع أبا توبة يكفر الجهمية . قال أبو سعيد : فهؤلاء الذين أكفروهم فى آخر الزمان وعلى بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهما هم أول الزمان وأنزلاهم منزلة من بدل دينه فاستحقوا القتل بتبديله .

حدثنا الحمانى ، ثنا إبراهيم بن منصور العلاف ـ وأثنى عليه هو ومن حضر المجلس خيرا ـ قال : لما كان أيام المحنة فأخرج النفر إلى المأمون فامتحنوا ، وردوا لقيت أعرابيا فقال لى : ألا أحدثك عجبا ؟ قلت : ماذاك ؟ قال : رأيت فى المنام كأن نفرا ثلاثين أو أكثر جىء بهم من قبل المشرق أو المغرب فنظرت إليهم فإذا بطونهم مشققة ليس فى أجوافهم شىء فقيل : هؤلاء الذين كفروا بالقرآن ، والأعرابى لايدرى ما المحنة وما سببهم .

حدثنى الزهرانى أبو الربيع قال : كان من هؤلاء الجهمية رجل وكان الذى يظهر من رأيه الترفض وانتحال حب على بن أبى طالب طالب رضى الله عنه فقال له رجل ممن يخالطه ويعرف مذهبه : قد علمت أنكم لاترجعون إلى دين الإسلام ولا تعتقدونه فما الذى سنتكم على الرفض وانتحال حب على ؟ قال : إذاً أصدقك إنا إن أظهرنا رأينا الذى نعتقده ، رمينا بالكفر والزندقة ، وقد وجدنا أقواما ينتحلون حب على ويظهرونه ، ثم يقعون بمن شاءوا ويعتقدون ماشاءوا ، ويقولون ماشاءوا فنسبوا بذلك إلى الترفض والتشيع ، فلم نر لمذهبنا أمرا ألطف من انتحال حب هذا الرجل ثم نقول ماشئنا ، ونعتقد ماشئنا ونقع بمن شئنا فلأن يقال لنا رافضة أو شيعه أحب إلينا من أن يقال زنادقة كفار ، وماعلى عندنا أحسن حالا من غيره ، ممن نقع بهم .

قال أبو سعيد رحمه الله ، وصدق هذا الرجل فيما عبر عن نفسه ، ولم يراوغ ، وقد استبان ذلك من بعض كبرائهم ، وبصرائهم ، أنهم يستترون بالتشيع يجعلونه ، تشبيثا لكلامهم وخطبهم ، وسلما وذريعة لاصطياد الضعفاء ، وأهل الغفلة ، ثم يبذرون بين ظهرانى خطبهم بذر كفرهم وزندقتهم ، ليكون أنجع فى قلوب الجهال ،

وأبلغ فيهم ، ولئن كان هل الجهل فى شك من أمرهم ، إن أهل العلم منهم لعلى يقين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

باب قتل الزنادقة والجهمية واستتابتهم من كفرهم

حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى أن أبا بكر بن عياش حدثهم عن أبى حصين عن سويد بن غفلة أن عليا رضى الله عنه قتل زنادقة ثم قال : صدق الله ورسوله حدثنا سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد وجرير بن حازم، عن أيوب، عن عكرمة أن عليا رضى الله عنه أتى بقوم من الزنادقة فحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس رضى الله عنهما فقال : أما أنا فلو كنت لقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما حرقتهم لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه وقال : لاتعذبوا بعذاب الله وزاد سليمان فى حديث جرير قال : فبلغ عليا ما قال ابن عباس رضى الله عنهما فقال : ويح ابن أم الفضل أنه لغواص على الهنات .

قال أبو سعيد رحمه الله : فالجهمية عندنا زنادقة من أخبث الزنادقة ، نرى أن يستتابوا من كفرهم فإن أظهروا التوبة تركوا ، وإن لم يظهروها تركوا ، وإن شهدت عليهم بذلك شهود ، فأنكروا ولم يتوبوا قتلوا ، كذلك بلغنا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سن فى الزنادقة . حدثنا يحيى بن يحيى : أنبأ هشيم عن إسماعيل بن سالم، عن أبى إدريس قال : أتى على بن أبى طالب بقوم من الزنادقة فأنكروا فقامت عليهم البينة فقتلهم [١] ، هذا قد استتبته فاعترف بذنبه فخليت سبيله .

وحدثنا القاسم بن محمد البغدادى ، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبى حبيب، عن أبيه، عن جده حبيب بن أبى حبيب قال : خطبنا خالد بن عبد الله

(١) فى الأصل : بياض وكتب به : صح .

القسرى بواسط يوم الأضحى فقال : أيها الناس ارجعوا فضحوا تقبل الله منا ومنكم ، فإنى مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله تبارك وتعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا ، ثم نزل فذبحه .

حدثنا هشام بن منصور البغدادى المكفوف ، ثنا أحمد بن سليمان الباهلى ، ثنا خلف بن خليفة الأشجعى قال : أتى خالد بن عبد الله القسرى برجل قدعارض القرآن فقال : قال الله فى كتابه : (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر) وقلت أنا : ماهو أحسن منه (إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهرولا تطع كل سافه وكافر) فضرب خالد عنقه ، وصلبه فمر به خلف بن خليفة وهو مصلوب فضرب بيده على خشبته فقال :(إنا أعطيناك العمود فصل لربك على عود ، فأنا ضامن لك أن لاتعود) .

حدثنا موسى بن إسماعيل قال : قلت لإبراهيم بن سعد : ما تقول فى الزنادقة ترى أن نستتيبهم ؟ قال : لا ، قلت : فبم تقول ذلك ؟ قال : كان علينا وال بالمدينة فقتل منهم رجلا ولم يستتبه فسقط فى يده فبعث إلى إبى فقال له أبى : لايهيدنك فإنه قول الله عز وجل : (لما رأوا بأسنا) [٨٤/غافر] قال السيف (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) [٨٥/غافر] قال السيف . فقال سنته القتل : وسمعت الربيع بن نافع أبا توبة الحلبى يقول : ناظرت أحمد بن حنبل رحمه الله فى قتل هؤلاء الجهمية فقال : يستتابون ، فقلت له : أما خطباؤهم فلا يستتابون وتضرب أعناقهم .

حدثنا يحيى بن بكير المصرى ، ثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من غير دينه فاضربوا عنقه قال مالك : معنى حديث النبى صلى الله عليه وسلم فيما نرى والله أعلم أنه من خرج من الإسلام إلى غيره مثل

الزنادقة وأشباهها فإن أولئك يقتلون ولا يستتابون ، لأنه لاتعرف توبتهم ، وأنهم قد كانوا يسرون الكفر ، ويعلنون بالإسلام ، فلا أرى أن يستتاب هؤلاء ، ولا يقبل قولهم ، وأما من خرج من الإسلام إلى غيره ، وأظهر ذلك فإنه يستتاب . فإن تاب وإلا قتل ، وذلك أنه لو كان قوم كانوا على ذلك رأيت أن يدعوا إلى الإسلام ويستتابوا فإن تابوا قبل ذلك منهم ، وإن لم يتوبوا قتلوا ، قال مالك : ولم يعن بهذا الحديث من خرج من اليهودية إلى النصرانية ولا من النصرانية إلى اليهودية ، إنما عنى بذلك من خرج من الإسلام إلى غيره فيما نرى والله أعلم .

قال أبو سعيد رحمه الله : فأى كفر أعظم من كفر قوم رأى فقهاء المدينة مثل سعد بن إبراهيم ، ومالك بن أنس أنهم يقتلون ، ولا يستتابون إعظاما لكفرهم ؟ والمرتد عندهم يستتاب ويقبل رجوعه ، فكانت الزندقة أكبر فى أنفسهم من الارتداد ومن كفر اليهود والنصارى ، ولذلك قال ابن المبارك رحمه الله : لأن أحكى كلام اليهود والنصارى أحب إلى من أن أحكى كلام الجهمية . حدثناه الحسن بن الصباح البغدادى عن على بن شقيق عن ابن المبارك .

قال أبو سعيد : وصدق ابن المبارك أن من كلامهم ماهو أوحش من كلام اليهود والنصارى ، فلذلك رأى أهل المدينة أن يقتلوا ولا يستتابوا ولذلك قال أبو توبة لأحمد بن حنبل رضى الله عنهما : أما خطباؤهم فلا يستتابون وتضرب أعناقهم ، لأن الخطباء اعتقدوه دينا فى أنفسهم على بصر منهم بسوء مذاهبهم ، وأظهروا الإسلام تعوذا ، وجنة من القتل ، ولا تكاد ترى البصير منهم بمذهبه ، يرجع عن رأيه .

قال أبو سعيد : وذهبت يوما أحكى ليحيى بن يحيى كلام الجهمية لأستخرج منه نقضا عليهم ، وفى مجلسه يومئذ الحسين بن عيسى البسطامى وأحمد بن يونس القاضى ، ومحمد بن رافع وأبو قدامة السرخسى فيما أحسب وغيرهم من المشايخ ،

فزبرنى بغضب وقال : اسكت وأنكر على المشايخ الذين فى مجلسه استعظاما أن أحكى كلام الجهمية وتشنيعا عليهم ، فكيف بمن يحكى عنهم ديانة ، ثم قال لى يحيى : القرآن كلام الله من شك فيه أو زعم أنه مخلوق فهو كافر .

حدثنا يوسف بن يحيى البويطى ، عن محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله فى الزنديق قال : يقبل قوله إذارجع ولا يقتل ، واحتج فيهم بـ (إذاجاءك المنافقون) [١/المنافقون) الآية فأمره الله عز وجل أن يدع قتلهم لما يظهرون من الإسلام وكذلك الزنديق إذا أظهر الإسلام ، كان فى هذا الوقت مسلما غير مبدل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا شققت عن قلبه ؟

قال أبو سعيد رحمه الله : وأنا أقول كما قال الشافعى : أن تقبل علانيتهم ، إذا اتخذوها جنه لهم من القتل ، أسروا فى أنفسهم ما أسروا ، فلا يقتلوا كما أن المنافقين (اتخذوا أيمانهم جنة) [٢/المنافقون] فلم يؤمر بقتلهم والزنديق عندنا شر من المنافق،فلربما كان المنافق جاحدا بالرسول والإسلام ، مقرا بالله عز وجل ، مثبتا لربوبيته فى نفسه ، والزنديق معطل لله ، جاحد بالرسل ، والكتب ، ومايعرف فى الإسلام زنادقة ، غير هؤلاء الجهمية ، وأى زندقة بأظهر ممن ينتحل الإسلام فى الظاهر، وفى الباطن يضاحى قوله فى القرآن قول مشركى قريش الذين ردوا على الله ورسوله فقالوا : (إن هذا إلا اختلاق) و (إن هذا إلا أساطير الاولين) و (إن هذا إلا قول البشر) كما قالت الجهمية سواء : إن هذا إلا مخلوق .

ولهم فى ذلك أيضا أئمة سوء أقدم من مشركى قريش ، وهم عاد قوم هود ، الذين قالوا لنبيهم (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين إن هذا إلا خلق الاولين وما نحن بمعذبين) [١٣٨/الشعراء] فأى فرق بين الجهمية وبينهم ؟ حتى نجبن عن قتلهم وإكفارهم .

ولو لم يكن عندنا حجة فى قتلهم وإكفارهم إلا قول حماد بن زيد وسلام بن

بن مطيع وابن المبارك ووكيع ويزيد بن هرون وأبى توبة ويحي بن يحيى وأحمد ابن حنبل ونظرائهم رحمة الله عليهم أجمعين لجبنا عن قتلهم، وإكفارهم بقول هؤلاء حتى نستبرىء ذلك عن من هو أعلم منهم ، وأقدم ،ولكنا نكفرهم بما تأولنا فيهم من كتاب الله عز وجل ، وروينا فيهم من السنة ، وبما حكينا عنهم من الكفر الواضح المشهور الذى يعقله أكثر العوام ، وبما ضاهوا مشركى الأمم قبلهم ، بقولهم فى القرآن فضلا على ماردوا على الله ورسوله من تعطيل صفاته ،وإنكار وحدانيته، ومعرفة مكانه واستوائه على عرشه بتأويل ضلال به ، هتك الله سترهم ، وأبدى سوءتهم وعبر عن ضمائرهم .

كلما أرادوا به احتجاجا ، ازدادت مذاهبهم اعوجاجا ، وازداد أهل السنة بمخالفتهم ابتهاجا ،ولما يخفون من خفايا زندقتهم استخراجا . والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . والحمد لله رب العالمين،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

آخر كتاب الرد على الجهمية

رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد
على المريسي العنيد

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن يا كريم

أخبرنا الشيخ الإمام أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الأخف قال : أخبرنا إسحق بن أبى إسحق القراب الحافظ قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أبى الفضل بن الحسين المزكى قال ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الصرام قال : حدثنا عثمان بن سعيد الدارمى رحمه الله ورضى عنه قال :

الحمد لله قبل كل كلام ، وله الحمد فى كل مقام ، وعلى محمد صلوات ربنا وعليه أفضل السلام .

أما بعد ، فقد عارض مذاهبنا فى الإنكار على الجهمية ممن بين ظهريكم معارض وانتدب لنا منهم مناقض ، ينقض ماروينا فيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ، بتفاسير المضل المريسى - بشر بن غياث - الجهمى . فكان من صنع الله لنا فى ذلك المعارض على كلام بشر ، إذ كان مشهورا عند العامة بأقبح الذكر ، مفتضحا بضلالاته فى كل مصر ، ليكون ذلك أعون لنا على المعارض عند الخلق ، وأنجع فى قلوبهم لقبول الحق ومواضع الصدق . ولو قد كنّى فيها عن بشر كان جديرا أن ينفذ عليهم بعضه فى خفاء وفى ستر . ولم يفطن له من الناس إلا كل من تبصر ، غير أنه أفصح باسم المريسى وصرح ، وحقق على نفسه به الظن وصحح ، ولم ينظر لنفسه ولا لأهل بلاده ولم ينصح ، فحسب امرىء من الخيبة والحرمان ، وفضيحة فى السكون (١) والبلدان : أن يكون إمامه فى توحيد الله بشر بن غياث المريسى ، الملحد فى أسماء الله ، المعطل المفترى لصفات ربه ، الجهمى .

---

(١) كذا فى الأصل ولعله : السكور .

أنشأ هذا المعارض يحكى فى كتاب له عن المريسى من أنواع الضلال ، وشنيع المقال ، والحجج المحال ،مالم يـكن بكل ذلك نعرفه ، ونصفه فيه برثاثة مناقضة الحجج ، مالم يـكن يقدر أن يصفه ، فتجافينا عن كثير من مناقضة المعارض ، وقصدنا قصد المريسى العاثر فى قوله الداحض . لما أنه أمكن فى الحجاج من نفسه . ولم يفطن لفور مايخرج من رأسه : من الـكلام المدلس المنقوض ، والـكفر الواضح المرفوض وكيف يهتدى بشر للتوحيد ، وهو لايعرف مكان واحده ؟ فلا هو بزعمه فى الدنيا والآخره بواجده . فهو إلىالتعطيل أقرب منه إلىالتوحيد، وواحده بالمعدوم أشبه منه بالموجود ، وسنعبر لـكم عنه من نفس كلامه مايحكم عليه بالجمود ، بعون الملك المجيد الفعال لما يريد .

ولولا مابدأ كم هذا المعارض بإذاعة ضلالات المريسى وبثها فيكم ، ما اشتغلنا بذكر كلامه ، مخافة أن يعلق بعض كلامه بقلوب الجهال ، فيلقيهم فى شك من خالقهم وفى ضلال ، أو أن يدعوهم إلى تأويله المحال ، لأن كل كلامه نقص ووقيعة فى الرب ، واستخفاف بجـلاله وسب . وفى التنازع فيه يتخوف الـكفر ويرهب .

ولذلك قال عبد الله بن المبارك:(لأن أحكى كلام اليهود والنصارى أحب إلى من أحكى كلام الجهمية) حدثنا الحسن بن الصباح البزاز قال :حدثناعلى بن الحسين ابن شقيق عن ابن المبارك .

فمن أجل ذلك كرهنا الخوض فيه ، وإذاعة نقائضه حتى أذاعها المعارض فيكم وبثها بين أظهركم . فخشينا أنه لايسعنا إلا الإنكار على من بثها ، ودعا الناس إليها ، منافحة عن الله،وتثبيتا لصفاته العليا ، ولأسمائه الحسنى ، ودعا إلى الطريقة المثلى ، ومحاماة عن ضعفاء الناس ، وأهل الغفلة من النساء والصبيان ، أن يضلوا بها ، أو أن يفتتنوا ، إذ بثها فيهم رجل كان يشير إليه بعضهم بشىء من فقه ، وبصر ، ولا يفطنون لعثراته إن هو غش ، فيكونوا من أخواتها منه على حذر .

وقد كتب إلىّ على بن خشرم أنه سمع عيسى بن يونس يقول : (لا تجالسوا الجهمية ، وبينوا للناس أمرهم كى يعرفوهم فيحذروهم) .

قال أبو سعيد : افتتح هذا المعارض كتابه بكلام نفسه ومنشئا لكلام المريسى، مدلسا على الناس بما يهم أن تحكى (١) ويرى من قبله من الجهال ومن حواليه من الأغمار : أن مذاهب جهم والمريسى فى التوحيد كبعض اختلاف الناس فى الإيمان فى القول والعمل ، والزيادة والنقصان ، كاختلافهم فى التشيع والقدر ، ونحوها . كيلا ينفروا من مذاهب جهم والمريسى أكثر من نفورهم من كلام الشيعة والمرجئة والقدرية .

وقد أخطأ المعارض فى محجة السبيل ، وغالط غلطا كثيرا فى التأويل ، لما أن هذه الفرق لم يكفرهم العلماء بشىء من اختلافهم والمريسى وجهم وأصحابهما يكفرهم أهل الفرق ، لم يشك أحد منهم فى إكفارهم .

سمعت محبوب بن موسى الأنطاكى أنه سمع وكيعا يكفر الجهمية .

وكتب إلىّ على بن خشرم أن ابن المبارك كان يخرج الجهمية من عداد المسلمين .

وسمعت يحيى بن يحيى وأبا توبة وعلى بن المدينى يكفرون الجهمية ، ومن يدعى أن القرآن مخلوق .

فلا يقيس الكفر ببعض اختلاف هذه الفرق إلا امرؤ جهل العلم ، ولا يوقف فيه على كفرهم .

فادعى المعارض أن الناس قد تكلموا فى الإيمان ، وفى التشيع ، والقدر ونحوه ولا يجوز لأحد أن يتأول فى التوحيد غير الصواب : أن جميع خلق الله يدرك

---

(١) كذا فى الأصل ولعله : يحكى .

بالحواس الخمس ، اللمس ، والشم ، والذوق ، والبصر بالعين،والسمع والله بزعم المعارض لايدرك بشيء من هذه الخمس .

فقلنا لهذا المعارض ، الذى لايدرى كيف يتناقض : أما قولك لايجوز لأحد أن يتأول فى التوحيد غير الصواب ، فقد صدقت ، وتفسير التوحيد عند الأمة وصوابه قول (لا إله إلا الله وحده لاشريك له) التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من جاء بها مخلصا دخل الجنة) (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) من قالها فقد رحمه الله .

وكذلك روى جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم (أنه أهلّ بالتوحيد فى حجة الوداع فقال : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لاشريك لك) حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة عن حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه جابر فهذا تأويل التوحيد وصوابه عند الأمة .

فمن أدخل الحواس الخمس أيها المعارض فى صواب التأويل من أمة محمد ومن عداها ؟ فأشر إليه ، غير ما ادعيتم فيه من الكذب على ابن عباس من رواية بشر المريسى ، ونظرائه .

ولمن تأول فى التوحيد الصواب لقد تأولت أنت فيه غير الصواب إذ ادّعيت أن الله لايدرك ولن يدرك بشيء من هذه الحواس الخمس ، إذ هو فى دعواك لاشيء ، والله مكذب من ادعى هذه الدعوى فى كتابه إذ يقول عز وجل : (وكلم الله موسى تكليما) [١٦٤/النساء] (ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم) [١٧٤/البقرة] (ووجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [٢٣/القيامة] .

فأخبر الله تعالى فى كتابه أن موسى أدرك منه الكلام بسمعه ، وهو أحد الحواس عندك وعندنا . ويدرك فى الآخرة بالنظر إليه بالأعين ، وهى الحاسة

الثانية ، كما قال الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ترون ربكم يوم القيامة كما ترون الشمس والقمر جهرا ، لاتضامون فى رؤيته) .

وروى عدى بن حاتم الطائى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(مامنكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان) حدثناه عمر بن عون الواسطى ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن عدى بن حاتم ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

فذاك الناطق من قول الله ، وهذا الصحيح المشهور من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأى صواب هو أبين من هذا ؟ فلذلك قلنا : إن المعارض قد تأول فيه غير الصواب .

باب الايمان بأسماء الله
وأنها غير مخلوقة

ثم اعترض المعترض أسماء الله المقدسة ، فذهب فى تأويلها مذهب إمامه المريسى . فادعىّ أن أسماء الله غير الله، وأنها مستعارة مخلوقة ، كما أنه قد يكون شخص بلا اسم ، فتسميته لا تزيد فى الشخص ، ولا تنقص . يعنى أن الله كان مجهولا كشخص مجهول ، لايهتدى لاسمه ، ولا يدرى ماهو ، حتى خلق الخلق ، فابتدعوا له أسماء من مخلوق كلامهم ، فأعاروها إياه من غير أن يعرف له اسم قبل الخلق .

ومن ادعى التأويل فى أسماء الله فقد نسب الله تعالى إلى العجز والوهن ، والضرورة والحاجة إلى الخلق . لأن المستعير محتاج مضطر . والمعير أبدا أعلى منه وأغنى : ففى هذه الدعوى استجهال الخالق إذا كان بزعمه هملا لايدرى ما اسمه وهو ماوصفته .

والله المتعالى عن هذا الوصف المنزه عنه . لأن أسماء الله هى تحقيق صفاته . سواء عليك قلت : عبدت الله ، أو عبدت الرحمن ، أو الرحيم ، أو الملك العزيز الحكيم . وسواء على الرجل قال : كفرت بالله ، أو قال : كفرت بالرحمن الرحيم ، أو بالخالق العزيز الحكيم . وسواء عليك قلت : عبد الله ، أو عبد الرحمن ، أو عبد العزيز ، أو عبد المجيد . وسواء عليك قلت : ياالله ، أويارحمان ، أويارحيم ، أو يامالك ياعزيز ياجبار . بأى اسم دعوته من هذه الأسماء أو أضفته إليه ، فإنما تدعو الله نفسه ، من شك فيه فقد كفر .

وسواء عليك قلت ربى الله ، أو ربى الرحمن ، كما قال الله:(وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون) [١٨/يوسف] ، وقال الله : (سبح لله مافى السموات ومافى الأرض) [١/الحشر] وقال (وسبحوه بكرة وأصيلا) [٤٢/الأحزاب] كذلك قال فى الاسم:(سبح اسم ربك الأعلى) [١/الأعلى] كما قال (يسبح لله) [١/الجمعة] .

ولو كان الاسم مخلوقا مستعارا ، غير الله لم يأمر الله أن يسبح مخلوقا غيره . وقال (له الأسماء الحسنى) [٢٤/الحشر] (يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) [٢٤/الحشر] ثم ذكر الآلهة التى تعبد من دون الله بأسمائها المخلوقة المستعارة . فقال :(إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) [٢٣/النجم] وكذلك قال هود لقومه حين قالوا (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد أباؤنا) [٧٠/الأعراف] فقال لهم نبيهم (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) [٧١/الأعراف] يعنى أن أسماء الله لم تزل ، كما لم يزل الله ، وأنها بخلاف هذه الأسماء المخلوقة التى أعاروها الأصنام ، والآلهة التى عبدوها من دونه .

فإن لم تكن أسماء الله بخلافها ، فأى توبيخ لأسماء الآلهة المخلوقة إذ كانت أسماؤها ، وأسماء الله مخلوقة ، مستعارة عندكم بمعنى واحد ، وكلها من تسمية العباد ، ومن تسمية آبائهم بزعمهم .

ففى دعوى هذا المعارض أن الخلق عرفوا الله إلى عباده بأسماء ابتدعوها ، لا أن الله عرفهم بها نفسه . فأى تأويل أوحش فى أسماء الله من أن يتأول رجل أنه كان كشخص مجهول ، أو بيت ، أو شجرة ، أو بهيمة لم يسبق لشىء منها اسم ، ولم يعرف ماهو ، حتى عرفه الخلق بعضهم بعضا ؟

ولا تقاس أسماء الله بأسماء الخلق ، لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة ، وليست أسماؤهم نفس صفاتهم ، بل مخالفة لصفاتهم ، وأسماء الله صفاته ليس شىء منها مخالفا لصفاته ، ولا شىء من صفاته مخالفا لأسمائه .

فمن ادعى أن صفة من صفات الله مخلوقة ، أو مستعارة فقد كفر وفجر ، لأنك إذا قلت : (الله) فهو (الله) وإذا قلت : (الرحمن) فهو (الرحمن) وهو (الله) فإذا قلت : (الرحيم) فهو كذلك ، وإذا قلت : حكيم ، عليم ، حميد ، مجيد ، جبار ، متكبر ، قاهر ، قادر فهو كذلك ، هو (الله) سواء لا يخالف اسم له صفته ، ولا صفته اسما .

وقد يسمى الرجل حكيما وهو جاهل ، وحكما ، وهو ظالم ، وعزيزا ، وهو حقير . وكريما وهو لئيم . وصالحا وهو طالح . وسعيداً وهو شقى . ومحمودا وهو مذموم . وحبيبا وهو بغيض . وأسدا ، وحمارا ، وكلبا ، وجديا ، وكليبا ، وهرا ، وحنظلة ، وعلقمة ، وليس كذلك ، والله تعالى وتقدس اسمه كل أسمائه سواء . لم يزل كذلك ، ولا يزال . لم تحدث له صفة ، ولا اسم ، لم يكن كذلك . كان خالقا قبل المخلوقين ، ورازقا قبل المرزوقين ، وعالما قبل المعلومين ، وسميعا قبل أن يسمع أصوات المخلوقين ، وبصيرا قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة .

قال الله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) [٥/طه] وقال : (الله الذى خلق السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن) [٥٩/ الفرقان] وقال مرة (الرحمن على العرش استوى) [٥/طه] وقال مرة الله على العرش استوى لأنهما بمعنى واحد .

ولو كان كما ادعى المعارض وإمامه المريسى ، لكان الخالق والمخلوق استويا جميعا على العرش . إذ كانت أسماؤه مخلوقة عندهم . إذ كان الله فى دعواهم فى حد المجهول أكثر منه فى حد المعروف . لأن لحدوث الخالق حدا ، ووقتا وليس لأزلية الله حد ولا وقت ، ولم يزل ولا يزال . وكذلك أسماؤه لم تزل ولا تزال .

ثم احتج المعارض لترويج مذهبه هذا بأقبح قياس ، فقال : أرأيت لو كتبت اسما فى رقعة ، ثم احترقت الرقعة ، أليس إنما تحترق الرقعة ، ولا تضر الاسم شيئا ؟

فيقال لهذا التائه الذى لايدرى مايخرج من رأسه : إن الرقعة وكتابة الاسم ليس كنفس الاسم . إذا احترقت الرقعة احترق الخط ، وبقى اسم الله له ، وعلى لسان الكاتب . لم يزل قبل أن يكتب . لم تنقص النار من الاسم ، ولا ممن له الاسم شيئا . وكذلك لو كانت أسماء المخلوقين ، لم تنقض النار من أسمائهم ولا من أجسامهم شيئا ، وكذلك لو كتبت الله بهجائه فى رقعة ثم احترقت الرقعة لاحترقت الرقعة ، وكان الله بكماله على عرشه ، وكذلك لوصور رجل فى رقعة ، ثم ألقيت فى النار ، لاحترقت الرقعة ، ولم تضر المصور شيئا .

وكذلك القرآن لواحترقت المصاحف كلها لم ينقص من نفس القرآن حرف واحد . وكذلك لواحترق القراء كلهم ، أو قتلوا أو ماتوا لبقى القرآن بكماله كما كان ، لم ينقص منه حرف واحد ، لأنه منه بدأ وإليه يعود عند فناء الخلق بكماله غير منقوص .

وقد كان لإمام المريسى فى أسماء الله مذهب كمذهبه فى القرآن ، كان القرآن عنده مخلوقا من قول البشر ، لم يتكلم الله بحرف منه ، فى دعواه وكذلك أسماء الله عنده من ابتداع البشر ، من غير أن يقول : (إنى أنا الله رب العالمين) [٣٠/ القصص] بزعمه قط . وزعم أنى متى اعترفت بأن الله تكلم بأنى أنا الله رب

العالمين لزمنى أن أقول : تكلم الله بالقرآن ، ولو اعترفنا بذلك لانكسر علينا مذهبنا فى القرآن وقد كسر الله عليهم ، على رغم أنوفهم ، فقال: (إنى أنا الله رب العالمين) لاستحق كل مخلوق أن يتكلم بهذا .

فان فعل ذلك كان كافرا ، كفرعون الذى قال : (أنا ربكم الأعلى) [٢٤/ النازعات] .

فهذا الذى ادعوا فى أسماء الله أصل كبير من أصول الجهمية التى بنوا عليها محنتهم ، وأسسوا بها ضلالاتهم ، غالطوا بها الأغمار والسفهاء ، وهم يرون أنهم يغالطون بها الفقهاء . ولئن كان السفهاء وقعوا فى غلط مذاهبهم فإن الفقهاء منهم لعلى يقين .

أرأيتم قولكم : إن أسماء الله مخلوقة . فمن خلقها ؟ أو كيف خلقها ؟ أجعلها أجساما وصورا تشغل أعيانها أمكنة دونه من الأرض والسماء ؟ أم موضعا دونه فى الهواء ؟

فإن قلتم لها أجسام دونه ، فهذا ما تنقمه عقول العقلاء .

وإن قلتم خلقها على ألسنة العباد ، فدعوه بها ، وأعاروها إياه ، فهو ما ادعينا عليكم : أن الله كان بزعمكم مجهولا لا اسم له حتى أحدث الخلق ، وأحدثوا له أسماء من مخلوق كلامهم . فهذا هو الإلحاد بالله وبأسمائه والتكذيب بها . قال : (الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين) [٣/الفاتحة] كما يضيفه إلى (رب العالمين) ولو كان كما ادعيتم لقيل : الحمد لله رب العالمين المسمى الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين .

وكما قال : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق) [١/ آل عمران] وكما قال : (تنزيل الكتاب من الله) [١/ الزمر] كذلك قال : (تنزيل من الرحمن الرحيم) ٢/فصلت] (تنزيل من حكيم حميد) [٤٢/فصلت]

(وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) [٦/النمل] كلها بمعنى واحد وكلها هى (الله) و (الله) هو أحد أسمائه كالعزيز الحكيم ، الجبار ، المتكبر ، كذلك روى زعيمكم الأوسط يعقوب بن يوسف عن الشعبى إن قنعتم بروايته .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو يوسف ، عن مجالد ، عن الشعبى قال : (اسم الله الأعظم هو الله) .

حدثنا هدبة بن خالد ، أخبرنا أبو هلال الراسبى ، عن حيان الأعرج ، عن جابر بن زيد قال : (اسم الله الاعظم هو الله ، ألم تروا أنه يبدأ به قبل الأسماء كلها ؟)

أفلا يستحى عبد من خالقه ومن خلق ربه ، فيدعى أن (الله) اسم مخلوق مستعار ؟

حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (كهيعص اسم من أسماء الله) .

وقد روى لنا فى تفسيرها عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ماحدثناه أحمد بن يونس ، أنبأنا هشام ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : (كاف من كريم ، وعين من عليم ، وياء من حكيم ، وهاء من هاد ، وصاد من صدوق) وحتى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان يحملها فيقول : (ياكهيعص اغفرلى) كما يقول : (ياالله اغفرلى) .

حدثنا روح بن عبد المؤمن المقرى ، حدثنا محمد بن مسلم ، حدثنا نافع بن أبى نعيم ، عن فاطمة ابنة على رضى الله عنها أنها سمعت عليا يقول : (كهيعص اغفر لى) .

فمن خلق (كهيعص) فى دعوا كم ؟ ومن تكلم بها قبل الله ؟ ومن اهتدى لها غير الله ؟

وكما قال الله فى كتابه : (أنا الله رب العالمين) كذلك قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (أنا الرحمن) . حدثناه مسدد ، عن سفيان ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول (قال الله : أنا الرحمن ، وهى الرحم شققت لها من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته) فيقول الله : (أنا شققت لها من اسمى) وادعت الجهمية مكذبين لله ولرسوله أنهم أعاروه الاسم الذى شقها منه .

ومن أين علم الخلق أسماء الخالق قبل تعليمه إياهم؟ فانه لم يعلم آدم ولا الملائكة أسماء المخلوقين ، حتى علمهم الله من عنده ، وكان بدء علمها منه : فقال : (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك ، لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض) [٣٣/البقرة] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها وحفظها دخل الجنة) .

حدثنا على بن المدينى ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله غليه وسلم قال : (لله تسعة وتسون اسما ، مائة إلا واحداً ، لايحفظها أحد إلا دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر) .

حدثنا هشام بن عمار الدمشقى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا خليل بن دعلج ، عن قتادة ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها كلها دخل الجنة) .

قال هشام : وحدثنا الوليد بن مسلم حدثنا سعيد بن عبد العزيز مثل ذلك .

وقال : (كلها فى القرآن ، هو الله الذى لا إله إلا هو الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، المحصى ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المبدىء ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الماجد ، الواجد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعال ، البر ، التواب ، المنتقم ، الغفور ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المعطى ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادىء ، البديع ، الباقى ، الوارث الرشيد ، الصبور) .

فهذه كلها أسماء الله ، لم تزل له ، كما لم يزل ، بأيها دعوت فإنما تدعو الله نفسه .

وفى أسماء الله حجج وآثار أكثر مما ذكرنا ، تركناها مخافة التطويل . وفيما ذكرنا من ذلك بيان بين ، ودلالة قاطعة ظاهرة على إلحاد هؤلاء الملحدين فى أسمائه ، المبتدعين أنها محدثة مخلوقة ، قاتلهم الله أنى يخرصون ، وعز ربنا وجل عما غمطوه ، وتبارك وتعالى عما نقصوه وهو المنتقم منهم فيما افترضوه .

وأى تأويل أوحش مما يدعى رجل أن الله كان ولا اسم له ؟ مايدعى هذا مؤمن ، ولن يدخل الإيمان قلب رجل حتى يعلم أن الله لم يزل إلها واحداً بجميع أسمائه ، وجميع صفاته ، لم يحدث له منها شىء ، كما لم تزل وحدانيته .

باب

وادعى المعارض : أن الله تعالى لايدرك بشىء من الحواس الخمس . وهى فى دعواه : اللمس ، والشم ، والذوق والبصر بالعين ، والسمع واحتج لدعواه بحديث مفتعل مكذوب على ابن عباس ، معه شواهد ودلائل كثيرة أنه مكذوب مفتعل .

فأول شواهده : أنه رواه المعارض عن بشر بن غياث المريسى المتهم فى توحيد الله المكذب بصفاته .

والثانى : أنه رواه بشر عن قوم لايوثق بهم ، ولايعرفون ، رواه المريسى عن أبى شهاب الخولانى ، عن نعيم بن أبى نعيم ، عن إبراهيم بن ميمون ، عن عطاء عن ابن عباس .

فيقال لهذا المعارض : من بشر ، وأبو شهاب الخولانى ، ونعيم بن أبى نعيم ، فيحكم بروايتهم عن ابن عباس رضى الله عنهما على رواية قوم أجلة مشهورين من أهل العلم ، قد رووا عن ابن عباس خلافه ؟ .

فمن ذلك : ماحدثنا موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أبى نضرة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (آتى يوم القيامة باب الجنة فيفتح لى ، فأرى ربى وهو على كرسيه ، أو سريره ، فيتجلى لى ، فأخر له ساجدا) فهذا أحد الحواس وهو النظر بالعين والتجلى ، رواه هؤلاء المشهورون عن ابن عباس ، على رغم بشر .

ومن ذلك ماحدثناه عمر بن شبة ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس قال : (إذا تكلم الله بالوحى سمعوا له مثل صلصلة الحديد على الصفوان) .

وهذا الحواس الثانى : بأسماع الملائكة على رغم بشر ورواية بشر ، فما تغنى عن بشر روايته عن هؤلاء المغمورين ، إذا ما كذب برواية هؤلاء المشهورين ، مع تكذيب الله إياه قبل ، وفى كتابه ، إذ يقول : (وكلم الله موسى تكليما) و (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله)وقال (لا يكلمهم الله يوم القيامة) .

فأخبر الله أنه قد أسمع موسى نفسه كلامه ، وسمعه موسى بسمعه . وسيكلم من شاء يوم القيامة ، ويراه المؤمنون يوم القيامة عيانا ، بأعينهم كما قال الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويحس الملائكة بكلامه عند نزول وحيه حتى يصعقوا من شدة صوته ، كما قال ابن عباس ، وابن مسعود ، وتأولا فيه قول الله : (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ، وهو العلى الكبير) .

فهل من حواس أقوى من السمع والنظر ؟

فمن يلتفت إلى بشر وتفسير بشر ، ويترك الناطق من كتاب الله والمأثور من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلا كل مخبول مخذول ؟

ثم طعن المعارض فى رؤية الله تعالى يوم القيامة ليردها بتأويل ضلال ، وبقياس محال ، فقال : لم تره عين فتستوصفه .

فنظرنا إلى ماقالوا فى قوله تعالى : (لاتدركه الأبصار) و (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظره) وروى فيه أقاويل مسندة ، وغير مسندة ، ولا بد من معرفة ذلك .

فيزعم المعارض : أن عمر بن حماد بن أبى حنيفة روى عن أبيه عن أبى حنيفة (أن أهل الجنة يرون ربهم كما يشاء أن يروه) فبين فى ذلك أن صفات هذه الأحاديث كلها يحتمل أن يكون على ماذهب إليه من قال : لاتدركه الأبصار . يعنى المريسى ونظراءه الذين قالوا لاتدركه الأبصار فى الدنيا والآخرة أن تفسير ذلك

أنه يرى يومئذ آياته رأفعاله : فيجوز أن يقول : رآه ، يعنى أفعاله وأموره وآياته كما قال الله فى كتابه (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) فالموت لايرى وهو محسوس ، إنما يدرك عمل الموت ، فإن كان أبو حنيفة أراد هذا أو غير ذلك فقد آمنا بالله ، وبما أراد من هذه المعانى ، ووكلنا تفسيرها وصفتها إلى الله تعالى .

فيقال لهذا التائه ، الذى لايدرى مايخرج من رأسه وينقض آخر كلامه أوله :

أليس قد ادعيت فى أول كلامك أنه على ماذهب إليه من قال لاتدركه الأبصار فى الدنيا والآخرة : أنه يرى آياته وأفعاله . فيجوز أن يقول رآه . ثم قلت فى آخر كلامك : فقد وكلنا تفسيرها إلى الله . أفلا وكلت التفسير إلى الله قبل أن تفسره ؟

وزعمت أيضا فى أول كلامك أنه لابد من معرفته ذلك ثم رجعت عن قولك ، فقلت : لا . بل نكله إلى الله ، فلو كان لك ناصح لحجر عليك الكلام .

والعجب من جاهل فسر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤية مشروحا مخلصا ، ثم يقول : إن كان كما فسر أبو حنيفة فقد آمنا بالله .

ولو قلت أيها المعارض : آمنا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفسره ، كان أولى بك من أن تقول : آمنا بما فسر أبو حنيفة ، ولاتدرى قال ذلك أبو حنيفة أو لم يقله .

وهل ترك النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير الرؤية لأبى حنيفة والمريسى وغيرهما من المتأولين موضع تأويل ، إلا وقد فسره وأوضحه بأسانيد أجود من عمر بن حماد بن أبى حنيفة . رواه إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير بن عبد الله ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ترون ربكم يوم القيامة

كما ترون الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونها سحاب ، لاتضامون فى رؤيته » ورواه غيره من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم .

فكيف تستحل أن تقول : يحتمل أن يكون على ماذهب إليه أبو حنيفة ولا يحتمل أن يكون عندك كما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : يراه أهل الجنة كما يشاء ، كما رويت عن أبى حنيفة - إن كان قاله - ولكن قال : (كما ترون الشمس والقمر صحوا ، ليس دونها سحاب) فالتفسير مقرون بالحديث بإسناد واحد فمن اضطر الناس أيها المعارض إلى الأخذ بالمبهم من كلام أبى حنيفة الذى رويت عنه إن كان قاله - مع ترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المنصوص المفسر ؟

هذا إذن ظلم عظيم . وجور جسيم .

وأما قولك : لم تره عين فتستوصفه . فلو احتج بهذا صبي صغير لم يزد على ماقلت جهالة . أفرأى أحد الجنة والنار وما فيها بعينيه فتستوصفه ؟ وهل نصفها ونصف مافيها إلا بما وصفها الله فى كتابه : أن فى الجنة حورا عينا ، وطعاما وشرابا وأنهارا ونخيلا ورمانا وشجرا ، وقصور من در وياقوت ، ولباسا من سندس واستبرق وحرير وما أشبهها . وكذلك النار فيها أنكال ، وقيود ومقامع من حديد ، وأغلال وسلاسل وزقوم ؟ أفتصف الجنة والنار أيها المعارض بهذه الصفات عمن رآهما بعينيه ، أو بما أخبر الله فى كتابه وأخبر الرسول ؟ وكذلك نصف رؤية الله وتفسيرها عن الله وعن رسوله ، وإن لم تره عين تستوصفه ، قال الله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ترون الله جهرة يوم القيامة كما ترون الشمس والقمر ليلة بدر) فأخذنا هذا الوصف عن الله وعن رسوله كما أخذنا صفة الجنة والنار عنهما ، وإن لم نر شيئا منهما بأعيننا ، ولا أخبرنا عنهما من رآهما بعينيه فتدبر أيها المعارض كلامك ثم تكلم ، فلو احتج بما احتججت به صبي ، لم يبلغ الحنث مازاد .

وأعجب من ذلك مارويت عن أبى حنيفة ـ إن صدقت عنه روايتك ـ أنه ذهب فى الرؤية إلى أنهم يرون [1] آياته وأفعاله ، وأموره مرئية منظور إليها فى الدنيا كل يوم وساعة ، فما معنى توقيتها وتحديدها وتفسيرها يوم القيامة ؟ من أنكر هذا فقد جهل ، وإن كان كما ادعيت ورويت عن أبى حنيفة ماخص النبى صلى الله عليه وسلم بها يوم القيامة دون الأيام .

ففى دعواك : يجوز للخلق كلهم ، مؤمنهم وكافرهم أن يقول : نرى ربنا فى الدنيا كل يوم وساعة ، لما أنهم يرون كل ساعة وكل يوم وكل ليلة أموره وآياته وأفعاله ، فقد بطل فى دعواك (لاتدركه الأبصار) لأن الأبصار كل يوم وساعة تدرك أموره وآياته فى الدنيا والآخرة .

فأنكرتم علينا رؤيته فى الآخرة ، وأقررتم برؤية الخلق كلهم إياه فى الدنيا ، مؤمنهم وكافرهم ، لما أنهم جميعا لايزالون يرون أموره وآياته آناء الليل والنهار ، فخالفتم بسلوك هذه المحجة جميع العالمين ، ورددتم قول الله (لاتدركه الأبصار) إذ ادعيتم أن رؤيته ، يعنى إدراك آياته وأموره وأفعاله .

وأما دعواك : أن رؤية الله كقول الله : (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) فلو قد عقلت تفسير هذه الآية وفيما أنزلت ، لكان احتجاجك إقرارا برؤية الله عيانا ، لأن هذه الرؤية كانت رؤية عيان .

وتفسير ذلك : رؤية القتال والقتال فقد رأوه بأعينهم وهم ينظرون ، فلم يصبروا له .

وإنما نزلت هذه الآية فى قوم غابوا من مشهد بدر ، فقالوا : (لئن أرانا الله قتالا ليرين ما نصنع ولنقاتلن) فأراهم الله القتال عيانا ، وهم ينظرون إليه بأعينهم فولوا مدبرين ، كما قال الله ، ولم يصبروا للقتال . فعفا عنهم وقال : (ولقد كنتم

---

(١) فى الأصل : يروا .

تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) فكان هذا رؤية عيان، لا رؤية خفاء ، حدثناه موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمه ، عن ثابت عن أنس قال : « تغيب أنيس بن النضر عن بدر ، فقال : تغيبت عن أول مشهد شهده النبي صلى الله عليه وسلم لئن أرانى الله قتالا لأرين الله ما أصنع » .

حدثنا العباس بن الوليد النرسى ، عن يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه)قال : « كان أناس لم يشهدوا بدراً ، وكانوا يتمنون أن يروا قتالا فيقاتلوا » ، فهذه رؤية عيان ، لا رؤية خفاء .

فان أنكرت ما قلنا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الموت يرى فى الآخرة » قال « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيذبح بين الجنة والنار ، فيقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ، ويا أهل النار خلود ولا موت » .

ولولا كثرة ما تستنكر الحق وترده بالجهالة لم نشتغل بكل هذه المنازعة فى الرؤية ، لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرها تفسيرا لم يدع لأحد فيها مقالا ، إلا أن يكابر رجل عين الحق وهو يعلمه ، إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له : « هل نرى ربنا يوم القيامة ، فقال : هل تضامون فى رؤية الشمس والقمر صحوا ؟ فكذلك لاتضامون فى رؤيته » حدثناه نعيم ، عن ابن المبارك ، عن معمر، عن الزهرى ، عن عطاء بن يزيد ، عن أبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرى، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وحدثناه نعيم بن حماد ، حدثنا إبراهيم بن سعيد ، عن الزهرى ، عن عطاء ابن يزيد الليثى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم وحدثناه عبد الله بن صالح ، عن ليث بن سعد ، عن هشام بن سعد ، عن عطاء بن يسار ،

عن أبي سعيد الخدرى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدثناه أحمد بن يونس ، عن أبي شهاب الحناط ، عن إسماعيل بن خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير ابن عبد الله رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم وحدثناه على بن المديني ، عن سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بإسناده مثله .

قال ابن المدينى : لايكون من الإسناد شيء أجود من هذا .

وقد روينا فيه بابا كبيرا فى الكتاب الأول بأسانيدها فمن لم يؤمن بها ولم يرجها كان من المحجوبين عنه يوم القيامة ، من الذين قال الله تعالى فيهم : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لأنه يقال : من كذب بفضيلة لم ينلها ، وقد كذبت الجهمية بهذه الفضيلة أشد التكذيب .

وكتب إلىّ على بن خشرم قال « من نازع فى حديث الرؤية ظهر أنه جهمى » .

باب النزول

وادعى المعارض أيضا أن قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله ينزل إلى السماء الدنيا إذا مضى ثلث الليل ، فيقول : هل من تائب ؟ هل من مستغفر ؟ هل من داع ؟ » حدثنا القعنبى ، وابن بكير ، عن مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن الأغر ، وأبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعونى أستجب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ » .

حدثنا أبو عمر الحوضى عن هشام الدستوائى ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن رفاعة الجهنى ، أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مضى ثلث الليل - أو شطر الليل - ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادى غيرى ، من يستغفرنى أغفر له ، من يدعونى أستجب له ، من يسألنى أعطه ، حتى ينفجر الفجر » وهذا باب طويل قد جمعناه فى الكتاب الأول (١) .

فادعى المعارض أن الله لاينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته ، وهو على العرش وبكل مكان ، من غير زوال لأنه الحى القيوم والقيوم بزعمه من لا يزول .

فيقال لهذا المعارض : وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ، لأن أمر الله ورحمته ينزل فى كل ساعة ووقت وأوان. فما بال النبى صلى الله عليه وسلم يحد لنزوله الليل دون النهار ، ويوقت من الليل شطره أو الأسحار ؟ فبرحمته وأمره يدعو العباد إلى الاستغفار ، أو يقدر الامر والرحمة أن يتكلما دونه ، فيقولان « هل من داع فأجيب ؟ هل من سائل فأعطى؟» فإن قدرت مذهبك ، لزمك أن تدعو الرحمة والأمر اللذين يدعوان إلى الاجابة والاستغفار بكلامها ، دون الله ، وهذا محال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء ؟ قد علمتم ذلك ولكن تكابرون .

وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل ، ثم لا يمكثان إلا إلى طلوع الفجر ، ثم يرفعان ، لأن رفاعة يرويه يقول فى حديثه « حتى ينفجر الفجر » .

قد علمتم إن شاء الله أن هذا التأويل أبطل باطل ، لا يقبله إلا كل جاهل .

---

(١) يقصد به كتابه الرد على الجهمية المطبوع فى هذه السلسلة من الذخائر السلفية .

وأما دعواك : أن تفسير « القيوم » الذى لايزول من مكانه فلا يتحرك . فلا يقبل مثل هذا التفسير إلا بأثر صحيح ، مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه ؛ أو التابعين . لأن الحى القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء وينزل ويرتفع إذا شاء ؛ ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء لأن أمارة ما بين الحى والميت التحرك ، كل حى متحرك لا محالة . وكل ميت غير متحرك لا محالة .

ومن يلتفت إلى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبى الرحمة ورسول رب العزة ، إذ فسر نزوله مشروحا منصوصا ، ووقت لنزوله وقتا مخصوصا ، لم يدع لك ولا لأصحابك فيه لبسا ولا عويصا .

ثم أجمل المعارض جميع ما ينكر الجهمية من صفات الله وذاته المسماة فى كتابه ؛ وفى آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعد منها بضعا وثلاثين صفة نسقا واحدا ؛ يحكم عليها ويفسرها بما حكم المريسى وفسرها ، وتأولها حرفا حرفا ؛ خلاف ما عنى الله ؛ وخلاف ما تأولها الفقهاء الصالحون . لايعتمد فى أكثرها إلا على المريسى .

فبدا منها بالوجه ثم السمع والبصر ، والغضب ، والرضا ؛ والحب والبغض ، والفرح والكره ، والضحك والعجب ، والسخط ، والإرادة والمشيئة ، والأصابع والكف والقدمين . وقوله : (كل شىء هالك إلا وجهه) و (أينما تولوا فثم وجه الله) (وهو السميع البصير) و « خلقت آدم بيدى » (وقالت اليهود يد الله مغلولة) و (يد الله فوق أيديهم) (والسموات مطويات بيمينه) وقوله (فانك بأعيننا) و (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) (وجاء ربك والملك صفا صفا) (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) و (الرحمن على العرش استوى) و (الذين يحملون العرش ومن حوله)

و (يحذركم الله نفسه) و (لايكلمهم الله ولا ينظر إليهم) و (كتب على نفسه الرحمة) و (تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك) و (الله يحب التوابين ويحب المتطهرين).

عمد المعارض إلى هذه الصفات والآيات فنسقها ونظم بعضها إلى بعض ، كما نظمها شيئا بعد شيء ، ثم فرقها أبوابا فى كتابه ، وتلطف بردها بالتأويل ، كتلطف الجهمية معتمدا فيها على تفاسير الزائغ الجهمى بشر بن غياث المريسى ، دون من سواه ، مستترا عند الجهال بالتشنيع بها على قوم يؤمنون بها ويصدقون الله ورسوله فيها ، بغير تكييف ولا مثال.

فزعم أن هؤلاء المؤمنين يكيفونها ويشبهونها بذوات أنفسهم .وأن العلماء بزعمه قالوا : ليس فى شيء منها اجتهاد رأى ، ليدرك كيفية ذلك أو يشبه شيء منها بشيء مما هو فى الخالق موجود .

قال : وهذا خطأ لما أن الله ليس كمثله شيء . فكذلك ليس ككيفيته شيء .

قال أبو سعيد : فقلنا لهذا المعارض المدلس بالتشنيع :

أما قولك : إن كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو موجود فى الخلق خطأ ، فإنا لانقول : إنه خطأ بل هو عندنا كفر . ونحن لتكييفها وتشبيهها بما هو موجود فى الخلق أشد أنفامنكم ، غير أنا كما لانشبهها ولانكيفها لانكفر بها ، ولا نكذب ، ولا نبطلها بتأويل الضلال ، كما أبطلها إمامك المريسى فى أماكن من كتابك ، سنبينها لمن غفل عنك ممن حواليك من الأغمار إن شاء الله تعالى .

وأما ماذكرت من اجتهاد الرأى فى تكييف صفات الله ، فإنا لانجيز اجتهاد الرأى فى كثير من الفرائض والأحكام ، التى نراها بأعيننا ، وتسمع فى آذاننا ، فكيف فى صفات الله التى لم ترها العيون ، وقصرت عنها الظنون ؟ غير أنا لانقول فيها كما قال إمامك المريسى : إن هذه الصفات كلها الله غير شيء واحد ، وليس السمع

منه غير البصر ، ولا الوجه منه غير اليد ، ولا اليد منه غير النفس ، وأن الرحمن ليس يعرف بزعمكم لنفسه ، سمعا من بصر ، ولا بصرا من سمع ، ولا وجها من يدين ، ولا يدين من وجه . هو كله بزعمكم بصر وسمع ووجه ، وأعلى وأسفل ، ويد ونفس ، وعلم ومشيئة وإرادة مثل خلق الأرضين والسماء والتلال ، والهواء التى لايعرف شىء منها شيئا. فالله المتعالى عندنا أن يكون كذلك .

فقد ميز الله فى كتابه السمع من البصر فقال: (إننى معكما أسمع وأرى) [٤٦/ طه] و (إنا معكم مستمعون) [١٥/الشعراء] وقال (لايكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة) [٧٧/آل عمران] ففرق بين الكلام والنظر ، دون السمع ، فقال عند السماع والصوت (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) [١/المجادلة] (ولقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) [١٨١/آل عمران] ولم يقل : قد رأى الله قول التى تجادلك فى زوجها وقال فى موضع الرؤية (أنه يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين) [٢١٩/الشعراء] وقال (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) [١٠٥/ التوبة] ولم يقل يسمع تقلبك ويسمع الله عملكم فلم يذكر الرؤية فيما يسمع ، ولا السماع فيما يرى لما عنده خلاف ماعندكم .

وكذلك قال (ودسر تجرى بأعيننا) [١٤/القمر] (ولتصنع على عينى) [٣٩/طه] ولم يقل لشىء من ذلك على سمعى .

فكما نحن لانكيف هذه الصفات لانكذب بها كتكذيبكم ، ولانفسرها كتفسيركم .

باب الحد والعرش

قال أبو سعيد : وادعي المعارض أيضا أنه ليس لله حد ولا غاية ولا نهاية .

وهذا الأصل الذى بنى عليه جهم جميع ضلالاته ، واشتق منه أغلوطاته وهى كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهما إليها أحد من العالمين .

فقال له قائل ممن حاوره : قد علمت مرادك أيها الأعجمى ، وتعنى أن الله لاشىء ، لأن الخلق كلهم علموا أنه ليس شىء يقع عليه اسم الشىء إلا وله حد وغاية وصفة ، وأن لاشىء ليس له حد ولاغاية ولا صفة ، فالشىء أبدا موصوف لامحالة . ولا شىء يوصف بلا حد ولا غاية . وقولك (لا حد له) يعنى أنه لاشىء .

قال أبو سعيد : والله تعالى له حد لايعلمه أحد غيره . ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية فى نفسه . ولكن نؤمن بالحد ونكل علم ذلك إلى الله ، والمكانة أيضا حد ، وهو على عرشه فوق سمواته ،فهذان حدان اثنان .

وسئل عبد الله ابن المبارك (بم تعرف ربنا ؟ قال بأنه على العرش ، بائن من خلقه . قيل : بحد ؟ قال : بحد) .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، عن على بن الحسين بن شقيق ، عن ابن المبارك فمن ادعى أنه ليس لله حد ، فقد رد القرآن ، وادعى أنه لاشىء . لأن الله وصف حد مكانه فى مواضع كثيرة من كتابه . فقال : (الرحمن على العرش استوى) [٥/طه] (أأمنتم من فى السماء) [١٦/الملك] (يخافون ربهم من فوقهم) [٥/النحل] (إنى متوفيك ورافعك إلى) [٥٥/آل عمران] إليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه) [١٠/فاطر] فهذا كله وماأشبهه شواهد ودلائل على الحد .

ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد آيات الله .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله فوق عرشه فوق سمواته) وقال للأمة السوداء (أين الله ؟ قالت : فى السماء . فقال : اعتقها فإنها مؤمنة) .

فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إنها مؤمنة) وإنها لو لم تؤمن بأن الله فى السماء لم تكن مؤمنة ، وأنه لا يجوز فى الرقبة إلا من يحد الله أنه فى السماء ، كما قال الله ورسوله .

فحدثنا أحمد بن منيع البغدادى الأصم ، حدثنا أبو معاوية ، عن شبيب بن شيبة ، عن الحسن ، عن عمران بن الحصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبيه (ياحصين كم تعبد اليوم إلها ؟ قال : سبعة ، ستة فى الأرض وواحد فى السماء . قال : فأيهم تعده لرغبتك ولرهبتك ؟ قال الذى فى السماء) فلم ينكر النبى صلى الله عليه وسلم على الكافر أن عرف أن إله العالمين فى السماء . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم .

فحصين الخزاعى كان يومئذ فى كفره أعلم بالله الجليل الأجل ، من المريسى وأصحابه ، مع ماينتحلون من الإسلام . إذ ميز بين الإله الخالق الذى فى السماء ، وبين الآلهة والأصنام التى فى الأرض مخلوقة .

وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله فى السماء ، وحدوه بذلك إلا المريسى الضال وأصحابه ، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك ، إذا حزب الصبي شيء يرفع يديه إلى ربه يدعوه فى السماء دون ماسواها ، فكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية .

ثم انتدب المعارض لتلك الصفات التى ألفها ، وعددها فى كتابه من الوجه ، والسمع والبصر ، وغير ذلك ، يتأولها ، ويحكم على الله وعلى رسوله فيها حرفا بعد حرف وشيئا بعد شيء ، تحكم بشر بن غياث المريسى ، لا يعتمد فيها على إمام أقدم منه ، ولا أرشد منه عنده فاغتنمنا ذلك منه ، إذ صرح باسمه ، وسلم فيها لحكمه ، لما أن الكلمة قد اجتمعت من عامة الفقهاء فى كفره ، وهتوك ستره ، وافتضاحه فى مصره ، وفى سائر الأمصار ، الذين سمعوا بذكره .

فروى المعارض عن بشر المريسى قراءة منه بزعمه ـ وزعم أن بشر قال له :

أروه عنى — أنه قال لإبليس (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى)[٧٥/ص] فادعى أن بشرا قال يعنى الله بذلك : أنى وليت خلقه ، وقوله : (بيدى) تأكيد للخلق ، لأنه خلقه بيد .

فيقال لهذا المريسى الجاهل بالله وبآياته : فهل علمت شيئا مما خلق الله ولى خلق ذلك غيره ، حتى خصّ آدم من بينهم أنه ولى خلقه من غير مسيس بيده نفسه ؟ وإلا فمن ادعى أن الله لم يل خلق شىء صغر أو كبر ، فقد كفر . غير أنه ولى خلق الأشياء بأمره ، وقوله ، وإرادته ، وولى خلق آدم بيده مسيسا . لم يخلق ذا روح بيده غيره ، فلذلك خصه به ، وفضله وشرف بذلك ذكره ، لولا ذلك ما كانت له فضيلة فى ذلك على شىء من خلقه . إذ كلهم خلقهم بغير مسيس فى دعواك .

وأما قولك : (تأكيد للخلق) فلعمرى أنه لتأكيد جهلت معناه فقلبته، إنما هو تأكيد اليدين وتحققها ، وتفسيرهما ، حتى يعلم العباد أنه تأكيدمسيس بيد ، لما أن الله تعالى قد خلق خلقا كثيرا فى السموات والأرض أكبر من آدم وأصغر، وخلق الأنبياء والرسل . وكيف لم يؤكد فى خلق شىء منها ما أكد فى آدم . إذا كان أمر المخلوقين فى معنى يد الله كمعنى آدم عند المريسى . فإن يك صادقا فى دعواه فليسم شيئا نعرفه ، وإلا فإنه الجاحد بآيات الله ، المعطل ليدى الله .

وادعى الجاهل المريسى أيضا فى تفسير التأكيد من المحال ما لانعلم أن أحدا ادعاه من أهل الضلالة . فقال : هذا تأكيد للخلق ، لا لليد ، كقول الله تعالى (فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) [١٩٦/البقرة] .

فيقال لهذا التائه الذى سلب الله عقله وأكثر جهله : نعم هو تأكيد لليدين ، كما قلنا ، لاتأكيد للخلق . كما أن قوله : (تلك عشرة كاملة) تأكيد للعدد لاتأكيد للصيام ، لأن العدد غير الصيام ويد الله غير آدم .فأكد الله لآدم الفضيلة التى كرمه وشرفه بها ، وآثره على جميع عباده ، إذ كل عباده خلقهم بغير مسيس بيد ،

وخلق آدم بمسيس . فهذه عليك لا لك . وقد أخذنا فالك من فيك ، محتجين بها عليك كالشاة التى تحمل حتفها بأظلافها .

فإن أجاب هذا المريسى أعلمناه أن تأكيد الخلق - إن كان جاهلا به - هو قول الله : (صنع الله الذى أتقن كل شىء خلقه) [٨٨/النمل] و (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه - الآية) [٩/السجدة]وقوله :(خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة) الآية (وصوركم فأحسن صوركم) [٦٤/غافر] (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) [٤/التين] (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة . فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما . فكسونا العظام لحما . ثم أنشأناه خلقا آخر . فتبارك الله أحسن الخالقين) [١٤/المؤمنون] فهذا تأكيد الخلق وتفسيره ، لا ما ادعى الجاهل . وقوله (لما خلقت بيدى) تأكيد يديه لا تأكيد خلق آدم . وما كان حاجة إبليس إلى أن يؤكد الله له خلق آدم ، وقد كان من أعلم الخلق بآدم ؟ رآه قبل أن ينفخ فيه الروح طينا مصورا مطروحا بالأرض . ثم رآه بعدما نفخ فيه الروح . ثم كان معه فى الجنة حتى وسوس إليه فأخرجه منها . ثم كان يراه إلى أن مات . فإنما أكد الله له من أمر آدم مالم ير ، لا مارأى لأنه لم ير يدى الله وهما تخلقانه . فليعلم الجاهل المريسى بأنا ماظننا أن عنده من رثاثة الحجج والبيان ، وقلة الإصابة والبرهان ، قدر ما كشف عنه هذا الإنسان . والحمد لله الذى أنطق بها لسانه ، وعرف الناس شأنه ، ليعرفوه فيجافوا مكانه .

ثم لم يرض الجاهل المريسى ، مع سخافة هذه الحجج ، حتى قاس الله فى يديه اللتين خلق بها آدم أقبح القياس وأسمجه ، بعد مازعم أنه لايحل أن يقاس الله بشىء من خلقه ، ولا بشىء هو موجود فى خلقه ، ولا يتوهم ذلك . ثم قال : أليس يقال للرجل المقطوع اليدين من المنكبين إذ هو كفر بلسانه) إن كفره ذلك بما

كسبت يداه ، وإن لم يكن كفره بيديه .

فيقال لهذا الضال المضل : أليس قد زعمت أن الله لايشبه بشيء من خلقه ، ولايتوهم الرجل فى صفاته مايعقل مثله فى نفسه . فكيف تشبه الله فى يديه اللتين خلق بهما آدم بأقطع مجذوم اليدين من المنكبين؟وتتوهم فى قياس يدالله ماتعقلته فى ذلك المجذوم المقطوع ، وتتوهم ذلك ؟ فقد توهمت أقبح ماعبت على غيرك إذا ادعيت أن الله لايدان له كالأقطع المقطوع اليدين من المنكبين ، وتلك إنما تقال لمن كفر بلسانه وليست له يدان : ذلك بما كسبت يداه مثلا معقولا . يقال ذلك الأقطع وغير الأقطع من ذوى الأيدى ، غير أنه لايضرب هذا المثل ، ولا يقال ذلك إلا لمن هو من ذوى الأيدى أو كان من ذوى الأيدى قبل أن يقطعها . والله بزعمك قط لم يك من ذوى الأيدى ، فيستحيل فى كلام العرب أن يقال لمن ليس بذى يدين ، أو لم يكن قط ذا يدين : إن كفره وعمله بما كسبت يداه وقد يجوز أن يقال : بيد فلان أمرى ومالى ، وبيده الطلاق والعتاق والأمر،وما أشبهه وإن لم تكن هذه الأشياء موضوعة فى كفه ، بعد أن يكون المضاف إليه من ذوى الأيدى . فإذا لم يكن المضاف إلى يده من ذوى الأيدى يستحيل أن يقال : بيده شيء من الأشياء وقد يقال : بين يدى الساعة كذا وكذا ، وكما قال الله : (بين يدى عذاب شديد) [٤٦/سبا] وكقوله (فجعلناها نكالا لما بين يديها وماخلفها) [٦٦/البقرة] وكما قال الله (مصدقا لما بين يديه) [٩٧/البقرة] فيجوز أن يقال : بين يدى كذا وكذا كذا لما هو من ذوى الأيدى وممن ليس من ذوى الأيدى .

ولايجوز أن يقال : بيده إلا لمن هو من ذوى الأيدى . لأنك إذا قلت : بيدى الساعة كذا وكذا كما قلت : بين يديها ، استحال . وبيدى العذاب كذا وكذا وبيدى القرآن الذى هو مصدق لما بين يديه كذا وكذا ، وبيدى القرية التى جعلها الله أنكالا كذا وكذا استحال ذلك كله ، ولا يستحيل أن يقال : بين يديك لأنك تعنى أمامه وقدامه بين يديه . فذلك يجوز أن يقال للأقطع إذا كفر بلسانه : إنه بما كسبت يداه . لأنه كان من ذوى الأيدى فقطعتا ، أو كانتا معه .

ويستحيل أن يقال : بما كسبت يدى الساعة ، و يدى العذاب ، ويدى القرآن. لأنه لايقال : بيدى شىء شىء إلا وذلك الشىء معقول فى القلوب أنه من ذوى الأيدى . وأنت أول من نفيت عن الله يديه ، أنه ليس بذى يدين ،ولم يكن قط له يدان. ثم قلت : بيدى الله كذا وكذا . وخلقت آدم بيدى ولا يدان له عندك فهذا محال فى كلام العرب ، لا شك فيه ، أو سم شيئا يخالف دعوانا .

وكذلك الحجة عليك فيما احتججت به أيضا فى نفى يدى الله أنه عندك كقول الناس فى الأمثال (يداك أو كتا وفوك نفخ) وكقول الله (بيده عقدة النكاح) [٢٢٧/البقرة] فادعيت أن العقدة بعينها ليست موضوعة فى كفه. ويجوز أن يقال ذلك فى الكلام . فقلت لك : أجل ، أيها الجاهل ، هذا يجوز لما أن الموصوف بها من ذوى الأيدى : فلذلك جاز لولا ذلك لم يجز ولم يكن للذى بيده عقدة النكاح ، ولا للموكى ، ولا للنافخ يدان . أو لم يكونوا من ذوى الأيدى كمعبودك فى نفسك لم يجز أن يقال : بيده .

ولو لم يكن لله يدان بهما خلق آدم ومسه بهما مسيسا . كما ادعيت لم يجز ن يقال (بيدك الخير) [٢٦/آل عمران] (وأن الفضل بيد الله) [٧٣/آل عمران] (تبارك الذى بيده الملك) [١/الملك] للمذهب الذى فسرنا . فإن كنت لا تحسن العربية فسل من يحسنها ثم تكلم .

وقد يجوز للرجل أن يقول : بنيت دارا ، أو قتلت رجلا ، أو ضربت غلاما ، أو وزنت لفلان مالا ، أو كتبت له كتابا ، وإن لم يتول شيئا من ذلك بيده ، بل أمر البناء ببنائه ، والكاتب بكتابته ، والقاتل بقتله ، والضارب بضربه والوازن بوزنه . فمثل هذا يجوز على المجاز الذى يعقله الناس بقلوبهم ، على مجاز كلام العرب .

وإذا قال : كتبت بيدى كتابا كما قال الله ، خلقت آدم بيدى. أو قال : وزنت

بيدى . وقتلت بيدى . وبنيت بيدى ، وضربت بيدى . كان ذلك تأكيدا ليديه ، دون يدى غيره . ومعقول المعنى عند العقلاء ، كما أخبرنا الله : أنه خلق الخلائق بأمره فقال: (إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [٤٠/النحل] فعلمنا أنه خلق الخلائق بأمره ، وإرادته وكلامه وقوله(كن) وبذلك كانت،وهو الفعال لما يريد .

فلما قال خلقت آدم بيدى ـ علمنا أن ذلك تأكيد ليديه . وأنه خلقه بهما مع أمره وإرادته . فاجتمع مع آدم تخليق اليد نصا والأمر والارادة. ولم يجتمعا فى خلق غيره من الروحانيين : لأن الله لم يذكر أنه مس خلقا ذا روح بيده غير آدم، إذلم يذكر ذلك فى أحد ممن سواه ولم يخص به بشرا غيره من الأنبياء وغيرهم .

ولو كان على ماتأولت أنه أراد بيديه أنه ولى خلقه فأكده لكان لابليس إذا فيما احتج به الله عليه من أمر اليدين لآدام بذلك فضل وفخر ، إذ ولى خلق إبليس فى دعواك كما ولى خلق آدم سواء ، وأكده كما أكده. ولو كان ذلك على ما تأولت لحاج إبليس ربه ، كما حاجه حين قال : (خلقتنى من نار وخلقته من طين)[٧٦/ص] وكما قال : (أأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون) [٣٣/الحجر] فيقول : خلقتنى أيضا يارب بيديك ، على معنى ماخلقت به آدم ، أى وليت خلقى. فأكذبه فى دعواه ولـكن كان الـكافر الرجيم أجود معرفة بيدى الله منك أيها المريسى بل علم عدو الله إبليس أنه لو احتج بها على الله لأكذبه.

وأما دعواك أيها المريسى فى قول الله (بل يداه مبسوطتان) [٦٧/المائدة] فزعمت أن تفسيرها عندك : رزقاه رزق موسع ورزق مقتور : ورزق حلال ورزق حرام . فقوله يداه عندك رزقاه . فقد خرجت بهذا التأويل من حد العربية كلها ، ومن حد مايفقهه الفقهاء ، ومن جميع لغات العرب والعجم فمن تلقيته؟ وعمن رويته من أهل العلم بالعربية والفارسية؟ وإنك جئت بمحال لايعقله أعجمى

ولا عربى ، ولا نعلم حدا من أهل العلم والمعرفة سبقك إلى هذا التفسير . فإن كنت صادقا فى تفسيرك هذا فأثره عن صاحب علم أو صاحب عربية وإلا فإنك مع كفرك بها من المدلسين .

وإن كان تفسيرهما عندك ماذهبت إليه فإنه كذب محال ،فضلا عن أن يكون كفرا . لأنك ادعيت أن لله رزقا موسعا ورزقا، مقترا ثم قلت : إن رزقيه جميعا مبسوطان . فكيف يكونان مبسوطين ؟ والمقتور أبدا فى كلام العرب غير مبسوط وكيف قال : الله أن كلتيها مبسوطتان وأنت تزعم أن إحداها مقتورة وهذا أول كذبك وجهالتك بالتفسير . وقد كفانا الله ورسوله مؤنة تفسيرك هذا بالناطق من كتابه وبما أخبر الله عن لسان نبيه .

أما الناطق من كتابه فقوله (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى)[٧٥/ص] وقوله (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقوله (يد الله فوق أيديهم) [١٠/ الفتح] وقوله (بيدك الخير) وقوله (وأن الفضل بيد الله) وقوله (تبارك الذى بيده الملك)وقوله (لاتضربوا بين يدى الله ورسوله) [١/الحجرات] فهل يجوز لك أن تتأول فى جميع ماذكرنا من كتابه أنه رزقاه . فتقول : برزقه الخير ، وبرزقه الفضل ، وبرزقه الملك ، ولا تقدموا بين رزق الله ورسوله ؟

وأما المأثور من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله صلى الله عليه وسلم (إن المقسطين عل منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتايديه يمين) حدثنا ابن المدينى ونعيم بن حماد وابن أبى شيبة عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمر بن أوس عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم.

فتفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم فى تأويلك أيها المريسى : أنهم على منابر من نور عن رزقى الرحمن ، وكلتا رزقيه يمين .

وحدثنا مهدى بن جعفر الرملى حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم،عن أبيه. عن

عبد الله بن مقسم،عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيديه ـ وقبض كفيه ، أو قال يديه ـ فجعل يقبضها ويبسطها . ثم يقول : أنا الملك ، أنا الجبار : أين المتكبرون ؟ ويميل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله ، حتى نظرت إلى المنبر من أسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟) .

فيجوز أيها المريسى أن تتأول هذا الحديث أنه يأخذ السموات والأرض برزقيه موسوعه ومقتوره ، وحلاله وحرامه ؟ ما أراك إلا وستعلم أنك تتكلم بالمحال ، لتغالط بها الجهال ، وتروج عليهم الضلال .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده . لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ـ الحديث) .

حدثنا نعيم بن حماد بن المبارك ، أخبرنا يونس،عن الزهرى حدثنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة،عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى بيمينه ، ثم قال أنا الملك أين الملوك) ؟

أفيجوز أن يطوى الله السماء بأحد رزقيه(فأيها الموسع عندك من المقتور ؟ وأيها الحلال من الحرام)؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(وكلتا يديه يمنى) .

وادعيت أنت أن أحدهما موسع والآخر مقتور .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنامحمد بن محمدبن عمرو ،عن أبى سلمة،عن أبى هريرة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لقى آدم موسى . فقال له :أنت الذى خلقك الله بيده) ؟ أفيجوز أيها المريسى أن تتأول قول موسى (خلقك الله بأحد رزقيه . بحلاله أم حرامه) ؟

حدثنا مسلم بن إبراهيم الأزدى ، وأبو عمر الحوضى ، وعمر بن مرزوق ، قالوا:حدثنا شعبة ، عن عمر بن مرة ، عن أبى عبيدة ، عن أبى موسى ، عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها) أفيجوز أن يقال: يبسط حلاله بالليل وحرامه بالنهار ليتوب المسيئان ؟

حدثنا نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، أنا عيينة بن سعيد، عن حبيب بن أبى عمرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) [٦٧/العنكبوت] فأين يكون الناس يومئذ يارسول الله ؟ قال :(على جسر جهنم) أفيجوز أن يقال : إن الأرض جميعا رزق الله يوم القيامة ، والسموات مطويات برزقه حلاله وحرامه ، وموسوعه ، ومقتره ؟ لقد علم الحق من جهل استحالة هذا التأويل .

فلو أنك إذا أردت معاندة الله ورسوله ومخالفة أهل الاسلام احتججت بكلام أستر عورة ، وأقل استحالة من هذا ، لكان أنجع لك فى قلوب الجهال ، من أن تأتى بشىء لايشك عاقل ولا جاهل ، فى بطوله واستحالته .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث حدثنى ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه أن رحمتى تغلب غضبى) أفيجوز لهذا المريسى أن يقول: كتب برزقه حلاله وحرامه على نفسه ؟

وفى هذا الباب أحاديث كثيرة ، تركناها مخافة التطويل .وفيما ذكرنا من ذلك بيان بين ، ودلالةظاهرة، فى تثبيت يدى الله : أنهما على خلاف ماتأوله هذا المريسى الضال ، الذى خرج بتأويله هذا من جميع لغات العرب والعجم . فليعرض هذه الآثار رجل على عقله : هل يجوز لعربى أو عجمى أن يتأول أنهاأرزاقة ،وحلاله، وحرامه ؟ وما أحسب هذا المريسى إلا وهو على يقين من نفسه أنها تأويل ضلال، ودعوى محال ، غير أنه مكذب الأصل ، متلطف لتكذيبه بمحال التأويل ، كيلا

يفطن لتكذيبه أهل الجهل . ولئن كان أهل الجهل فى غلط من أمره ، إن أهل العلم منه لعلى يقين . فلا يظن المنساخ من دين الله أنه يغالط بتأويله هذا إلا من قد أضله ، وجعل على قلبه وسمعه وبصره غشاوة .

ثم إنا ما عرفنا لآدم من ذريته ابنا أعق ولا أحسد منه ، إذا ينفى عنه أنه أفضل فضائله ، وأشرف مناقبه ، فيسويه فى ذلك بأخس خلق الله ، لأنه ليس لآدم فضيلة أفضل من أن الله خلقه بيده من بين خلائقه ، ففضله بها على جميع الأنبياء والرسل والملائكة . ألا ترون موسى حين التقى مع آدم فى المحاورة ؟ احتج عليه بأشرف مناقبه . فقال : (أنت الذى خلقك الله بيده) ولو لم تكن هذه مخصوصة لآدم دون من سواه ، ما كان يخصه بها فضيلة دون نفسه ، إذ هو وآدم فى خلق يدى الله سواء فى دعوى المريسى . فلذلك قلنا : إنه لم يكن لآدم ابن أعق منه ، إذ ينفى عنه ما فضله الله به على الأنبياء والرسل والملائكة المقربين .

ومما يبين ذلك : حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث ، حدثنى هشام بن سعيد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : (لقد قالت الملائكة : ياربنا ، منا الملائكة المقربون ، ومنا حملة العرش ، ومنا الكرام الكاتبون ، ونحن نسبح الليل والنهار ولا نسأم ولا نفتر ، خلقت بنى آدم فجعلت لهم الدنيا ، وجعلتهم يأكلون ويشربون ويستريحون ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة . فقال : لن أفعل ثم عادوا فاجتهدوا المسألة فقال : لن أفعل . ثم عادوا فاجتهدوا المسألة بمثل ذلك فقال : لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى ، كمن قلت له كن فكان) .

أو لا ترى أيها المريسى ، كيف ميز بين آدم فى خلقه بيدى الله من بين سائر الخلق ولو كان تفسيره على ما ادعيت لاحتجت الملائكة على ربها إذ احتج عليهم بيديه فى آدم ، أن يقولوا : ياربنا نحن وآدم فى معنى خلقه بيديك سواء ولكن علمت

الملائكة من تفسير ذلك ماعمى عنه الضال المريسى . والله مارضى الله لذرية آدم حتى أثبت لهم بذلك عنده منقبة آدم ، إذ خلق أباهم بيده خصوصا من بين الخلائق .

حتى احتج به على الملائكة وفضل ولده بذلك عليهم ، فكيف آدم نفسه ؟ لقد حسدت أباك أيها المريسى كما حسده إبليس ، حيث قال (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) وأى عقوق لآدم أعظم من أن يقول الله : خلقت أباك آدم بيدى دون من سواه من الخلائق ، فتقول : لا . خلقته بإرادتك دون يديك ، كما خلقت القردة والخنازير ، والكلاب ، والخنافس ، والعقارب سواء ؟

ومما يزيدك بيانا لاستحالة دعواك : قول ابن عمر رضى الله عنهما (خلق الله أربعة أشياء بيده ثم قال لسائر الخلق كن فكان) .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبدالواحد بن زياد ، حدثنا عبيد بن مهران وهو المكتب ، حدثنا مجاهد قال : قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما (خلق الله أربعة أشياء بيده . العرش ، والقلم ، وعدن ، وآدم ثم قال لسائر الخلق . كن فكان) .

أفلا ترى أيها المريسى كيف ميز ابن عمر وفرق بين آدم وسائر الخلق من خلقه باليد ؟ أفأنت أعلم من ابن عمر بتأويل القرآن وقد شهد التنزيل وعاين التنزيل وكان بلغات العرب غير مجهول .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن عطاء بن السائب ؟ عن ميسرة قال : (إن الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلاث : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده) .

حدثنا محمد بن المنهال ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد بن أبى عروبة ،

عن قتادة ، عن أنس ، عن كعب ، قال : (لم يخلق الله بيده غير ثلاث ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده ، ثم قال لها تكلمى : قالت: قد أفلح المؤمنون) .

ولو كان كما ادعى المريسى لكان معنى هذه الأحاديث : إن الله لم يل خلق شىء غير هذه الثلاث . وهذا الكفر بالله .

ومن يحصى مافى تثبيت يد الله من الآثار والأخبار ؟ غير أنا أحببنا أن نأتى منها بألفاظ إذا فكر فيها العاقل استدل على ضلال هذا الجاهل .

حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن طلق بن حبيب ، حدثه عن ابن عباس فى قول الله تعالى (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) قال (كلهن بيمينه) .

حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى يحى ، عن مجاهد ، (والسموات مطويات بيمينه) وكلتا يدى الرحمن يمين ، قال . قلت : فأين الناس يومئذ ؟ قال: (على جسر جهنم) .

حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن فطر بن خليفة، عن عبد الرحمن بن سابط . عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال (خلق الله الخلق فكانوا فى قبضته) فقال لمن فى يمينه ادخلوا الجنة بسلام ، وقال لمن فى الأخرى ، ادخلوا النار ولا أبالى . فذهبت إلى يوم القيامة .

حدثنا عمر بن عون الواسطى ، أخبرنا خالد ، عن سهيل ، عن أبيه ابن أبى صالح ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن العبد إذا تصدق بالتمرة من الكسب الطيب فيضعها فى حقها ، فيقبضها الله بيمينه ، فما يبرح يربيها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون أعظم من جبل) .

حدثنا مسدد حدثنا يحى - يعنى القطان - عن شعبة ، قال حدثنى عبد الله بن

السائب ، قال : سمعت أبا قتادة ـ رجلا من محارب ـ قال سمعت ابن مسعود يقول: (ما من رجل يتصدق بصدقة إلا وقعت فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل) وقرأ (أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) [١٠٤/التوبة] .

وحدثنا الربيع ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان ، عن سلمان أو عبد الله بن مسعود قال : (إن الله خمر طينة آدم أربعين ليلة ، ثم قال بيده هكذا ، فخرج فى يمينه كل طيب ، وخرج فى الأخرى كل خبيث ، ثم قال : (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) . قال : يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن .

حدثنا الربيع بن نافع ، أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام ، أنه سمع أبا سلام قال : حدثنى عامر بن زيد البكائى أنه سمع عتبة بن عبد السلمى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن ربى وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب ، ويشفع كل ألف بسبعين ألفا ، ويحثى بكفه ثلاث حثيات، فكبر عمر) . وحدثنا الربيع بن نافع أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام قال : حدثنى عبد الله بن عامر أن قيسا الكندى حدث الوليد أن أبا سعيد الخير الأيادى حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن ربى وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا ويشفع كل ألف بسبعين ألف ، ثم يحثى لى ثلاث حثيات بكفه. قال قيس : فأخذت بمنكب أبى سعيد فجبذته . فقلت أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم بإذنى ووعاه قلبى) هو قيس بن الحارث الكندى .

حدثنا الهيثم بن خارجة ، حدثنا إسماعيل بن عياش . عن حميد بن أبى سويد ، عن عطاء ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ـ فى تأكيد الكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض كف الرحمن) يعنى استلام الحجر الأسود .

حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جارية قال : سمعت بشر بن عبيد الله قال سمعت أبا ادريس الخولانى يقول : سمعت النواس بن سمعان الكلابى رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الميزان بيدى الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة) .

وإنما جئت بهذه الأخبار كلها ليعلم الناس أن القوم مخالفون لما قال الله ورسوله وما مضى عليه الصحابة والتابعون ، وأنهم فى ذلك على غير سبيل المؤمنين ومحجة الصادقين .

قد ادعى المريسى أيضا وأصحابه أن يد الله نعمته . فقلت لبعضهم . إذن يستحيل فى دعواكم أن يقال : خلق الله آدم بنعمته . أقوله (مبسوطتان) أنعمتان من أنعمه فقط مبسوطتان ؟ فإن نعمه أكثر من أن تحصى ، أفلم يبسط منها على عباده إلا اثنتين ، وقبض عنهم ماسواهما فى دعواكم ؟ فحين رأينا كثرة نعم الله المبسوطات على عباده ثم قال (بل يداه مبسوطتان) علمنا أنها بخلاف ما ادعيتم ، ووجدنا أهل العلم ممن مضى يتأولونها على خلاف ماتأولتم ، ومحجتهم أرضى وقولهم أشفى .

حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن حسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة قال : قوله : (بل يداه مبسوطتان) قال : (يعنى اليدين) .

حدثنا سعيد بن أبى مريم عن نافع بن عمر الجمحى قال (سألت ابن أبى مليكة عن يد الله تعالى : واحدة ، أو اثنتان ؟ قال بل اثنتان) .

وحدثنا هدبة بن خالد حدثنا سلام بن مسكين عن عاصم الجحدرى فى قول الله تعالى : (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) قال : « بيديه » .

فمن يلتفت بعد إلى تأويل هذا المريسى ، ويدع تأويل هؤلاء الأئمة العلماء الصالحين ؟ أرأيتم إذ تأولتم أن يد الله نعمته أفيحسن أن يقولوا فى قول رسول

الله صلى الله عليه وسلم (يطوى الله السموات بيمينه يوم القيامة) نه يطويها بنعمته؟ أم قوله (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتايديه يمين) على منابر من نور – عن نعمة الرحمن، وكلتا نعمتى الرحمن نعمة واحدة. هذا أقبح محال، وأمج ضلال، وهو مع ذلك ضحكة وسخرية ماسبقكم إلى مثلها أعجمى أو عربى، أم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الصدقة تقع فى يد الله قبل يدى السائل، أنها تقع فى نعمتى الله؟ أم قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه (خلق الله الخلق فكانوا فى قبضته) أى نعمته. قال لمن فى نعمته اليمنى ادخلوا الجنة وقال لمن فى نعمته الأخرى ادخلوا النار؟ أم قول ابن عمر رضى الله عنهما (خلق الله أربعة أشياء بيده، ثم قال لسائر الأشياء كن فكان) أفيجوز أن يقولوا خلق أربعة أشياء بنعمته ورزقه ثم قال. لسائر الخلق كونوا بلا نعمة ولارزق فكانوا؟

قد علمت أيها المريسى أن هذه تفاسير مقلوبة، خارجة من كل معقول، لايعقله إلا كل جهول، فإذا ادعيت أن اليد قد عرفت فى كلام العرب أنها نعمة وقوة، قلنا لك: أجل، ولسنا بتفسيرها منك أجهل، غير أن تفسير ذلك يستبين فى سياق كلام المتكلم حتى لايحتاج له من مثلك إلى تفسير، إذا قال الرجل: لفلان عندى يد أكافئه عليها. علم كل عالم بالكلام أن يد فلان ليست ببائنة منه موضوعة عند المتكلم. وإنما يراد بها النعمة التى يشكر عليها. وكذلك إذا قال: فلان لى يد أو عضد أو ناصر، علمنا أن فلانا لايمكنه أن يكون نفس يده عضوه، ولا عضده فإنما عنى به النصرة والمعونة والتوبة فإذا قال: ضربنى فلان بيده. وأعطانى الشىء بيده. وكتب لى بيده. استحال أن يقال: ضربنى بنعمته، وعلم كل عالم بالكلام أنها اليد التى بها يضرب، وبها يكتب، بها يعطى لا النعمة. كما قال الله تعالى: (أولى الأيدى والأبصار) علم كل عالم أنها ليست باليد التى يضرب بها ويكتب بها لما أن الناس كلهم أولى أيدى وأبصار والأيدى والأبصار التى هى الجوارح. لايجوز الكلام فى آيات الصفات وأحاديث الاثبات لها ونعى المثلية عنها والإيمان

بها بما يعرف من اللغة العربية على سياق الكلام وملازمته والله أعلم .

ولا يجوز لك أيها المريسى أن تنفى اليد التى هى اليد ، لما أنه وجد فى كلام العرب أن اليد قد تكون نعمة وقوة ، ولكن هذا فى سياق الكلام معقول ، ولا ينفى المثلية إلا من بين موجودين بالانصافات ، إما بمدح وكمال ، وإما بذم ونقصان فلما قال الله (خلقت بيدى) استحال فيها كل معنى إلا اليدين . كما قال العلماء الذين حكينا عنهم . فليس من ذكر هذه الايدى إلا ذلك فى سياق الكلام معقول . والشاهد بتفسيرها ينطق فى نفس كلام المتكلم . فإن صرفت منه معنى منهوما إلى غير مفهوم استحال وإن صرفت عاما إلى خاص استحال وإن صرفت خاصا منه إلى عام استحال أو بطل معناه . وأظن ليس لك من الجهل بمعانى الكلام كل مالا تقبل ماقلنا . ولكنك فيه كالغريق يتعلق بكل عود . وقد قلنا يكفينا فى مس الله آدم بيده أقل مما ذكرنا . ولو لم يكن إلا أنا لا نسمع فى شىء من كتاب الله . ولا على لسان أحد من عباد الله أن الله خلق نوحا بيده وهودا وصالحا أو إبراهيم أو إسماعيل ، أو إسحق ، وموسى وعيسى ، ومحمدا صلوت الله عليهم أجمعين لكان كافيا .

ولو كان معناه أيها المريسى كل ما ادعيت أن الله أراد باليدين تأكيد الخلق لا تأكيد اليد ، لأكد أيضا فى خلق نبى أو رسول ، كما أكد فى خلق آدم ، فى دعواك . حتى أن أهل الآخرة يعرفون لآدم تلك الفضيلة فى الموقف يوم القيامة فيقولون : (اذهبوا بنا إلى آدم . فيأتونه فيقولون : ياآدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده اشفع لنا إلى ربك) .

حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن هشام الدستوائى ، عن قتادة ، عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم (يأتون آدم ثم يأتون إبراهيم وموسى وعيسى) ولا يقولون لأحد منهم : أنت الذى خلقك الله بيده كما قالوا لآدم ، بل يقولون لإبراهيم : اتخذك الله خليلا ، ولموسى : كلمك الله تكليما ولعيسى : كنت تبرى الأكمه والأبرص ويقولون لآدم من بينهم خلقك الله تعالى بيده) لما أنه مخصوص بذلك من بينهم . كما أن كل واحد من هؤلاء الأنبياء مخصوص بمنقبته

التى هى له دون صاحبه . فأى ضلال أبين من ضلال رجل خالفه فى دعواه أهل الدنيا والآخرة ولكن (من يضلل الله فلا هادى له ومن يهدى الله فما له من مضل) فإن احتج محتج عن المريسى فى إبطال أن الله خلق آدم بيده بقوله (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن) [٥٩/آل عمران] فقال : جعله مثل عيسى ، وعيسى لم يخلقه بيده ، لقلنا لهذا المحتج : غلطت فى التأويل وضللت عن سواء السبيل . فإنه ليس عيسى مثل آدم فى كل شىء من أمره . وهذا أنه كان بأمر الله وكلمته من غير أب ، كما أن آدم لم يكن له أب ، ثم هو فى سائر أمره مخالفا لآدم ، أوله خلق الله إياه بيديه ، والثانى أن الله خلق آدم بتمامه من طين ، لم يكن صغيرا فكبر ، ولم يشتمل عليه بطن ولا رحم ، ولم يرضع بلبن صغيرا فى المهد ، فكما هو فى هذه الأشياء مخالف لآدم فهو له مخالف فى خلق يدى الله ، كما أنه ليس كمثله شىء ، فليس كيده يد .

فافهم أيها المريسى أنك تأولت فى يدى الله أفحش مما تأولت اليهود قالوا : يد الله مغلولة . وادعيت أنها مخلوقة ، لما أنك تأولتها النعم والأرزاق وهى مخلوقة، فماذا اتقى الله من عماياتكم هذه ؟ تدعون أن يدى الله مخلوقتان إذ هما عندكم رزقاه حلاله وحرامه ، وموسوعه ومقتوره . وهذه كلها مخلوقة .

السمع والبصر

وادعى المريسى أيضا فى قول الله (إن الله سميع بصير) (والله بصير بالعباد) بمعنى عالم بهم ، لا أنه يبصرهم ببصر ، ولا ينظر إليهم بعين . فقد يقال للأعمى : ما أبصره ، أى ما أعلمه ، وإن كان لا يبصر بعين .

فيقال لهذا المريسى الضال : الحمار ، والكلب أحسن حالا من إله على هذه الصفة . لأن الحمار يسمع الأصوات بسمع ، ويرى الألوان بعين . والهك بزعمك أعمى أصم ، لا يسمع بسمع ، ولا يبصر ببصر ؛ ولكن يدرك الصوت كما تدرك

الحيطان والجبال التى ليست لها أسماع ، ويرى الألون بالمشاهدة لا ببصر فى دعواك .

فقد جمعت أيها المريسى فى دعواك هذه جهلا وكفرا . أما الكفر فتشبيهك الله بالأعمى الذى لا يبصر ولا يرى . وأما الجهل فمعرفة الناس بأنه لا يستقيم فى كلام العرب أن يقال لشىء : هو سميع بصير ، إلا وذلك الشىء موصوف بالسمع والبصر من ذوى الأعين والأسماع والأبصار . والأعمى من ذوى الأعين ، وإن كان قد حجب بصره .

فإن كنت تنكر ماقلنا فسم شيئا من الأشياء التى ليست لها أسماع وأبصار : هل يجوز أن يقال : هو سميع بصير ؟ ونحن نقول : الله سميع بصير ثم نفيت عنه السمع والبصر اللذين هما السمع والبصر ، ونفيت عنه العين ، وكما يستحيل هذا فى الأشياء التى ليست لها أسماع وأبصار فهو فى الله السميع البصير أشد استحالة .

وكيف استجزت أن تسمى أهل السنة وأهل المعرفة بصفات الله المقدسة مشبهة إذا وصفوا الله بما وصف به نفسه فى كلامه بالأشياء التى أسماؤها موجودة فى صفات بنى آدم بلا تكييف . وأنت قد شبهت إلهك فى يديه وسمعه وبصره بأعمى وأقطع ، وتوهمت فى معبودك ماتوهمت فى الأعمى والأقطع ، فمعبودك فى دعواك مخدّج منقوص ، أعمى لا بصر له ، وأبكم لا كلام له ، وأجزم لا يدان له ، ومقعد لا حراك به ، وليس هذه بصفة إله المصلين . أفأنت أوحش مذهبا فى تشبيهك إلهك بهؤلاء العميان والمقطوعين ، أم هؤلاء الذين تسميهم مشبهة ، إذ وصفوه بما وصف به نفسه بلا تشبيه ، فلولا أنها كلمة هى محنة الجهمية التى بها ينبزون المؤمنين ماسميت مشبها غيرك ، لسماجة ماشبهت ومثلت ويلك ، إنما نصفه بالاسماء لا بالتكييف ولا بالتشبيه كما يقال : أنه ملك كريم عليم حكيم ، حليم رحيم ، لطيف مؤمن ، عزيز جبار متكبر .

وقد يجوز أن يدعى البشر ببعض هذه الأسماء ، وإن كانت مخالفة لصفاتهم . فالأسماء فيها متفقة ، والتشبيه والكيفية مفترقة ؟ كما يقال : ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء ، يعنى فى الشبه والطعم والذوق ، والمنظر واللون . فإذا كان كذلك فالله أبعد من التشبيه وأبعد . فإن كنا مشبهة عندك إذ وحدنا الله إلها واحدا بصفات أخذناها عنه من كتابه ، فوصفناه بما وصف به نفسه فى كتابه ، فالله فى دعواكم أول المشبهين نفسه ثم رسوله الذى أنبأنا ذلك عنه . فلا تظلموا أنفسكم ولا تكابروا العلم إذ جهلتموه فإن التسمية من التشبيه بعيدة : إذا لزم الاشتراك فى الأسماء مايلزم الاتحاد فى الذوات المحدثة والذات القديمة فيما تقدم انتفى القياس.

وأما ما ادعيت فى تفسير قوله (أنه كان سميعا بصيرا) أنه إنما عنى عالما بالأصوات عالما بالألون ، لايسمع بسمع ، ولا يبصر ببصر ثم قلت : ولم يجىء خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره أنه يسمع بسمع ، ويبصر ببصر . ولكنكم قضيتم على الله تعالى بالمعنى الذى وجدتموه فى أنفسكم .

فيقال لك أيها المريسى : إنما دعواك علينا أنا قضينا عليه بالمعنى الذى وجدناه فى أنفسنا فهذا لايقضى به إلا من هو ضال مثلك . غير أن الله تبارك وتعالى اسمه أخبر عن نفسه أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر واتصلت بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار متصلة . فإن حرمك الله معرفتها فما ذنبنا ؟ قال الله لموسى (ولتصنع على عينى) وقال:(ودسر تجرى بأعيننا) (واصنع الفلك بأعيننا) ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال : (إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور) والعور عند الناس ضد البصر . والأعور عندهم ضد البصير بالعينين .

ورويت أنت أيها المريسى ، عن أبى موسى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم محتجا لمذهبك أن النبي صلى الله عليه سمع أصحابه يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال لهم : (إنكم لاتدعون أصم ولا غائبا) فالصمم ضد السمع الذى هو السمع عند

الناس . وهذا مما رويته وثبته عن النبي صلى الله عليه وسلم صحيحا فى نقض دعواك به . ففيما ذكرنا عن الله ورسوله بيان أن السمع غير البصر ، وأن البصر غير السمع ، وأنه يسمع بسمع ، ويبصر ببصر ، غير مكيف ولا ممثل .

ومما يزيدك بيانا : قول إبراهيم الخليل خليل الله صلوات الله عليه حين قال لأبيه : (ياأبت لم تعبد مالايسمع ولا يبصر) يعنى إبراهيم أن الهه بخلاف الصم ، يسمع بسمع ويبصر ببصر ولو كان على ما تأولت أيها المريسى لقال أبو إبراهيم لإبراهيم : فإلهك أيضا لايسمع بسمع ولا يبصر ببصر . وكذلك قال فى أصنام العرب (أم لهم أيد يبطشون بها ؟ أم لهم أعين يبصرون بها؟ أم لهم آذان يسمعون بها ؟)[١٩٥/الاعراف] يعنى أن الله بخلافهم ،له يد يبطش بها ، وله أعين يبصر بها ، وسمع يسمع به .

وادعيت أيضا أنا إن قلنا : إن الله يسمع بسمع ، ويبصر ببصر ،فقد ادعينا أن بعضه عاجز وبعضه قوى ، وبعضه تام ، وبعضه ناقص ، وبعضه مضطر . فإن قلتم : أيها المريسى لايجوز هذا القياس فى صفة كلب من الكلاب ، فكيف فى صفة رب العالمين ؟ بل حرام على السائل أن يسأل عن مثل هذا ،وحرام على المجيب فيه . والعجب من قائله ، كيف لم يخسف الله به ، غير أن الله حليم ذو أناة وحلم عمن قال : الله ثالث ثلاثة ، وعمن قال : (اتخذ الله ولدا) وعمن قال : (أنا ربكم الأعلى) وعمن قال:(يد الله مغلولة)وكذلك حلم على هذا المريسى إذ لم يخسف به ، ولم يعجزه هربا .

ويلك أيها المريسى ، إنا لاندعى فيه هذه الخرافات التى احتججت بها مما ليس لمثلها جواب ، ونجله أن نلفظ فى صفاته بهذه الخرافات ، غير أنا سمعناه يقول:(أنه سميع بصير)(وإننى معكما أسمع وأرى) ففرق بين السمع والبصر ، فأخذنا عن الله ورددنا عليك جهلك وخرافاتك .

أو لم تقل أيها المريسى : إنه لايحل لأحد أن يتوهم فى صفات الله تعالى بما يعرف

معناه فى نفسه ، فكيف نسبت الله إلى العجز فى سمعه وبصره على المعنى الذى تعرفه من نفسك ؟ ثم قلت : فكما أنك بأحدهما مضطر إلى الآخر كذلك الله ـ فيما ادعيت علينا ـ مضطر إلى الآخر ـ فشبهت الله فى مذهبك بالإنسان المخدج المنقوص .

أو لم تسمع أيها المريسى قول الله (ليس كمثله شىء) وكما أنه ليس كمثله شىء فليس كسمعه سمع ولا كبصره بصر ، ولا لهما عند الخلق قياس ولا امثال ، ولا شبيه فكيف تقيسهما أنت بشبه ما تعرفه فى نفسك ، وقد عبته على غيرك ؟

وأما دعواك : إن قوله (سميع بصير) أنه يدرك الأصوات ويعلم الألوان فقد فهمنا بحمد الله معنى كفر ما تقصد به إليه . فلا يجوز لك علينا فى ذلك أغلوطة إن شاء الله : إن إلهك مهمل همج ، هو قائم داخل فى كل مكان ، لا يوصف بسمع ولا بصر ، ولا علم ولا كلام ، ولا وجه ولا يد ، ولا نفس ولا حد . فالسمع عندك منه بصر ، والبصر منه سمع ، والوجه ظهر ، والأعلى منه أسفل ، والأسفل منه أعلى . يسمع الأصوات بزعمك أنه يبلغه الصوت ولا يفهمه ، كما يبلغ الجبال التى ليست لها أسماع ولا تفقه ، ويعرف الألوان بالترائى والمشاهدة لا أن له سمعا يسمع به فيفقهه ولا له بصر يبصر به فيراه ويعرفه ، كما يقال للدور والقصور ترى بعضها بعضا أى تتراءى وليست لها أبصار ، والجبال ينظر بعضها إلى بعض بلا بصر ، فكما يقال : ذهب فلان بين سمع الأرض وبصرها ، من غير أن يكون للأرض سمع ولا بصر هو السمع والبصر . فوصفت ربك بما وصف الله به الأصنام ، كما قال (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) وكما قال للذين يدعون من دونه (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولا سمعوا ما استجابوا لكم) ولو كان معنى السمع والبصر إدراك الأصوات وتراءى الأجسام لكان كذلك تدرك الأصنام كما يدرك الله فى دعواكم ولكن ما وصفت أيها المريسى صفة الأصنام لا صفة الله . فإلى هذا المعنى تقصد فى سمع الله وبصره وقد سمعنا من خطبائكم مغالطين بمثل هذه الحجج أنباط كوثا أو بطاطا أو يهود الحيرة أهل ملة أبيك وجيرانه .

فقد سمعت أبا هشام الرفاعى يذكر أنه سمع أبا نعيم يقول : إنه رأى أباك يهوديا صباغا بالحيرة .

وأما دعواك : إن من وصف الله بالسمع الذى هو السمع ، والبصر الذى هو البصر ، وميز بينهما فقد نسبه إلى العجز ، فما ظننا أيها المريسى أنه يشك أحد من ولد آدم أن العاجز الضعيف المضطر المحتاج الذى لاسمع له ولا بصر حتى ادعيت أنت على جهل منك ، وما يدعوك إلى ذكر العجز والقوة وما أشبههما من خرافاتك صفه بما وصف به نفسه ، . فإنه أعلم بنفسه أنه القوى المتين ، الغنى بجميع صفاته وعلى كل حال ، وهو بجميع ذلك إله واحد لاشريك له ، المتعالى عما نسبته إليه . قاتلك الله ما أكفرك به . ولقد كنت أسمع بكفرك قديما وحكى لى بعضه عنك وما كنت أظن أنك تعتقد من أنواع الكفر كل ماروى عنك المعارض وما إخاله يعقل معانى كلامك ، وما يؤديك إلى صريح الكفر ، فإن هو عقله واعتقده فهو مثلك إذ يعتقده ، ثم يبثه وينشره للعوام . إذ لم تكن تجترىء أنت أن تنشره فى بلدك للأنام إلا مناجاة بينك وبين جهلة طغام .

وأما ماادعيت : أنه لم يجىء خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يسمع بسمع ويبصر ببصر . فسنروى لك ماقد غضبت منه إن شاء الله تعالى .

حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة قال : قالت عائشة رضى الله عنها : (الحمد الله وسع سمعه الأصوات كلها ، إن خولة جاءت تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخفى على أحيانا بعض ماتقول فأنزل الله تعالى (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله) .

وحدثنا موسى بن إسماعيل أن جرير بن حازم حدثهم قال : سمعت أبا يزيد المزنى قال : لقيت امرأة عمر ، يقال لها خولة ابنة ثعلبة ، فقال عمر :

هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات .

حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا أبو عبد الرحمن المقرى حدثنا حرملة بن عمران التجيبي قال حدثني أبو يونس سليمان بن جبير مولى أبى هريرة ،عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنه كان سميعا بصيرا) فوضع إصبعه الدعاء على عينيه ، وإبهامه على أذنيه .

حدثنا نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك أخبرنا خالد الحذاء ،عن أبى عثمان النهدى،عن أبى موسى الأشعرى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة ، فجعلنا لانصعد شرفا - أولا نعلو شرفا - ولانهبط فى واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، فدنا منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا بصيرا) .

أفلا ترى أيها المريسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الأصم والسميع، وهما متضادان ، فأخبر أن الله سميع بخلاف الأصم .

حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان الثورى،عن الأعمش بن عمارة بن عمير،عن وهب بن ربيعة،عن عبد الله بن مسعود قال : أنى لمستتر بأستار الكعبة إذ جاء ثلاثة نفر : ثقفى وقرشيان ، كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم ، فتحدثوا الحديث بينهم ، فقال أحدهم أترى الله يسمع لما قلنا ؟ فقال الآخر : إن كان يسمع إذا رفعنا فإنه لايسمع إذا خفضنا فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فأنزل الله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم ، فأصبحتم من الخاسرين) .

حدثنا عبد الله بن صالح أن يحيى بن أيوب المصرى حدثه عن عبد الله بن سليمان عن دراج قال : حدثنى أبو الهيثم عن أبى سعيد وعن ابن حجيرة الأكبر عن أبى

هريرة وأحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء والأرض . فإذا قال الرجل : لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم . اللهم أجرنى من حر جهنم . قال الله لجهنم : إن عبدا من عبادى استجارنى من حرك . فانى أشهدك أنى قد أجرته منك . فإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل الأرض ، فإذا قال العبد لا إله إلا الله ماأشد برد هذا اليوم ، اللهم أجرنى من زمهرير جهنم قال الله لجهنم : إن عبدا من عبادى استجارنى من زمهريرك ، وأنى أشهدك أنى قد أجرته . قالوا : ومازمهرير جهنم يارسول الله ؟ قال بيت يلقى فيه الكفار يتميز من شدة برده بعضه من بعض) .

قلت لأبى اليمان : أخبرك شعيب عن الزهرى ؟ قال قال : سالم قال عبد الله ابن عمر (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال . ثم قال : إنى سأقول لكم قولا لم يقله نبى لقومه :(تعلمن أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور) فأخبرنى أبو اليمان أن شعيبا أخبره به .

ففى تأويل قول رسول الله صلو الله عليه وسلم (إن الله ليس بأعور) بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جارية بن أسماء عن نافع عن عبد الله أن الدجال ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :(ألا إن المسيح الدجال أعور عينه اليمنى كأن عينة عنبة طافية) .

حدثنا مسلم بن الهيثم حدثنا شعبة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال : (أعور جعد ، وإن ربكم ليس بأعور) .

حدثنا الزهرانى أبو الربيع حدثنا أبو معشر المدنى عن سعيد ـ وهو المقبرى ـ عن

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي إلا وقد حذر أمته الدجال، حتى نوح وسأخبركم عنه بشيء ما أخبر به نبي كان قبلي: إنه أعور، وإن الله ليس بأعور. وكذلك مكتوب بين عينيه كافر، يقرأه كل مؤمن).

حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله (الر) قال (أنا الله أرى).

حدثنا القعنبي - فيما قرأ على مالك بن أنس - عن نافع وعبد الله بن دينار وزيد بن أسلم كلهم يحدثه[1]، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره خيلاء).

حدثنا القعنبي - فيما قرأ على مالك بن أنس - عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم بمثله إلا أنه قال: (جر إزاره بطرا).

حدثنا القعنبي، عن مالك بن أنس، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله.

حدثنا سهل بن بكار حدثنا عبد السلام أبو الجليل قال: سمعت الهجيمي أبا تميمة يحدث عن أبي جرى جابر قال (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: السلام عليك فقال: وعليك: ثم قال: إن رجلا كان ممن كان قبلكم لبس بردين له فتبختر فيهما. فنظر الله إليه من فوق عرشه. فمقته، فأمر الأرض فأخذته فهو يتجلجل بين الأرضين، فاحذروا وقائع الله).

فهاك خذها أيها المريسي قد جئناك بها، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مأثورة صحيحة بعد ما ادعيت بجهلك أنه لم يأت فيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن غيره.

---

(١) كذا في الأصل ولعله يحدثه.

وما تصنع فيه بأمر بعد قول الله عز وجل (إنه كان سميعا بصيرا)لأنه لا يقال لشيء أنه سميع بصير إلا لمن هو من ذوى الأسماع والأبصار . وقد يقال فى مجاز الكلام ، الجبال والقصور تتراءى وتسمع ، على معنى أنها تقابل بعضها بعضا ، وتبلغها الأصوات ولا تفقه . ولا يقال : جبل سميع بصير ، وقصر سميع بصير . لأن سميع مستحيل ذلك إلا لمن يسمع بسمع ، ويبصر ببصر ، فإن أنكر أصحاب المريسى ماقلنا فليسموا شيئا ليس من ذوى الأسماع والأبصار أجازت العرب أن يقولوا فيه هو سميع بصير فإنهم لا يأتون بشيء يجوز أن يقال له ذلك .

وادعيت أيها المريسى فى قول الله تعالى (هـل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك)[١٥٨/الأنعام]وفى قوله (إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) [٢١٠/البقرة] ادعيت أن هذا ليس منه بإتيان ، لما أنه غير متحرك عندك .

ولـكن يأتى بالقيامة بزعمك . وقوله (يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) يأتى الله بأمره فى ظلل من الغمام ، ولا يأتى هو بنفسه . ثم زعمت أن معناه كمعنى قوله (فأتى الله بنيانهم من القواعد) [١٦/النحل] وقوله (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) [٢/الحشر] .

فقيال لهذا المريسى : قاتلك الله ، ما أجرأك على الله وعلى كتابه بلا علم ولا بصر : أنبأك الله أنه إتيان ، وتقول : ليس إتيانا إنما هو مثل قوله . (فأتى الله بنيانهم من القواعد) لقد ميزت بين ماجمع الله ،وجمعت بين مامين الله، ولا يجمع بين هذين فى التأويل إلا كل جاهل بالـكتاب والسنة . لأن تأويل كل واحـد منهما مقرون فى سياق القراءة بما لا يجهله : إلا مثلك . وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته . وأنه لا ينزل قبل يوم القيامة لعقوبة أحد من خلقه . ولم يشكوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ، ويحاسبهم ويثيبهم ؛ وتشقق السموات يومئذ لنزوله ، وتنزل الملائكة تنزيلا ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، كما قال الله ورسوله : فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا علموا يقينا أن ما يأتى الناس من

العقوبات إنما هو من أمره وعذابه فقوله : (فأتى الله بنيانهم من القواعد) ؛ يعنى مكره من قبل قواعد بنيانهم (فخر عليهم السقف من فوقهم) فتفسير هذا الاتيان . خرور السقف عليهم من فوقهم .

وقوله : (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) ، مكر بهم (فقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) وهم بنو قريظة . فتفسير الإتيانين مقرون بهما : خرور السقف والرعب : وتفسير إتيان الله يوم القيامة منصوص فى الكتاب ، مفسر . قال الله تعالى : (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء فهى يومئذ واهية . والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية ـ إلى قوله ـ هلك عنى سلطانية) [٢٩ / الحاقة] فقد فسر المعنيين تفسيرا لا لبس فيه، ولايشتبه على ذى عقل . فقال فيما يصيب من العقوبات فى الدنيا (أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) [٢٤ / يونس] ، فحين قال : (أتاها أمرنا) علم أهل العلم أن أمره ينزل من عنده من السماء وهو على عرشه . فلما قال (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) الآية التى ذكرنا وقال أيضا (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) [٢٥/الفرقان] و (يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور) و (دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا) [٢٣/الفجر] علم بما قضى الله من الدليل ،وبما حد لنزول الملائكة يومئذ أن هذا إتيان الله بنفسه يوم القيامة ليلى محاسبة خلقه بنفسه، لايلى أحد غيره وإن معناه مخالف لمعنى إتيان القواعد ، لاختلاف القضيتين .

ألا ترى أيها المريسى أنه حين قال:(أتى الله بنيانهم من القواعد)لم يذكر عندها نفخ الصور ولا تشقق السماء ، ولا تنزل الملائكة ،ولا حمل العرش . ولا إتيان الملك صفا صفا ، ولا يوم العرض . ولكن قال :(خر عليهم السقف من فوقهم) فى دنياهم (وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون) فرد الإتيان إلى العذاب . ففرق

بين المعنيين مافرق بها من الدلائل والتفسير . وإنما يصرف كل معنى إلى المعنى الذى ينصرف إليه ويحتمله فى سياق القول إلى أن يحد الشىء اليسير فى الفرط يجوز فى المجاز بأقل المعانى وأبعدها من العقول ، فيعمد إلى أكثر معانى الأشياء وأغلبها فيصرف المشهورات منها إلى المغمورات المستحيلات ، يغالط بها الجهال ، ويروج عليهم الضلال . فيكون ذلك دليلا منه على الظنة والريبة ، ومخالفة العامة والقرآن عربى مبين ، تصرف معانيه إلى أشهر ما تعرفه العرب فى لغاتها ، وأعمها عندهم . فإن تأول متأول مثلك جاهل فى شىء منه خصوصا ، أو صرفه إلى معنى بعيد عن العموم بلا أثر ، فعليه البينة على دعواه . وإلا فهو على العموم أبدا ، كما قال الله . وقد كفانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم تفسير هذا الإتيان ، حتى لايحتاج له منك إلى تفسير ، ولو لم يأت عن رسول الله صلى عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم فيه أثر لم تكن ممن يعتمد على تفسيره لما أنك فيه ظنين غير أمين .

حدثنا نعيم بن حماد حدثنا إبراهيم بن سعد عن ، ابن شهاب ، عن عطاء بن زيد الليثى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه. قال فيقول المؤمنون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه) .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن يوسف ابن مهران ، عن ابن عباس رضى الله عنها فى هذه الآية (ويوم تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة تنزيلا) قال (ينزل أهل السماء الدنيا وهم أكثر من أهل الارض ومن الجن والانس ، فيقول أهل الارض : أفيكم ربنا فيقولون : لا . وسيأتى. ثم تشقق السماء الثانية) وساقه إلى السماء السابعة قال : (فيقولون : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : لا وسيأتى ، ثم يأتى الرب تبارك وتعالى فى الكروبيين ، وهم أكثر من أهل السموات والارض) .

وحدثنا عبد الله بن صالح المصرى حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : وتلا هذه الآية (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) قال:(يبدلها الله يوم القيامة من فضة لم يعمل عليها الخطايا ، ينزل عليها الجبار) .

وحدثنا أحمد بن أبى شهاب ، عن عوف، عن أبى المنهال ، عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، فإذا كان ذلك قبضت هذه السماء الدنيا على أهلها ، فنثروا على وجه الأرض فإذا أهل السماء الدنيا أكثر من جميع أهل الأرض . فإذا رآهم أهل الأرض فزعوا. وقالوا : أفيكم ربنا ؟ فيقولون ليس فينا ، وهو آت . قال : ثم يقبض أهل السماء الثانية) وساق الحديث إلى السماء السابعة . قال : فلأهل السماء السابعة وحدهم أكثر من أهل ست سموات ، ومن جميع أهل الأرض بالضعف) قال : ويجىء الله فيهم ، والأمم جثيا صفوف . قال : فينادى مناد ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم) .

ومن يلتفت أيها المريسى إلى تفسير المحال فى إتيان الله تعالى يوم القيامة ، ويدع تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم إلا كل جاهل مجنون ، خاسر مغبون ، لما أنك مغبون فى الدين مأبون ، وعلى تفسير كتاب الله تعالى غير مأمون ، ويلك ؟ أيأتى الله بالقيامة ويتغيب هو بنفسه ؟ فمن يحاسب الناس يومئذ ؟ لقد خشيت على من ذهب مذهبك هذا ، واستيقن أنه لا يؤمن بيوم الحساب .

وادعيت أيها المريسى أن قول الله تعالى:(هو الحى القيوم) ادعيت أن تفسير القيوم عندك : الذى لا يزول . يعنى الذى لا ينزل ، ولا يتحرك ، ولا يقبض ، ولا يبسط وأسندت ذلك عن بعض أصحابك ، غير مسمى ، عن الكلبى ، عن أبى صالح عن ابن عباس أنه قال (القيوم الذى لا يزول) ومع روايتك هذه عن ابن عباس دلائل وشواهد أيضا باطل .

إحداها : أنك أنت رويتها ، وأنت المتهم فى توحيد الله .

والثانية : أنك رويته عن بعض أصحابك غير مسمى ، وأصحابك مثلك فى الظنة والتهمة .

والثالثة : أنه عن الكلبي . وقد أجمع أهل العلم بالأثر على أن لا يحتجوا بالكلبي فى أدنى حلال ولا حرام ، فكيف فى تفسير توحيد الله وتفسير كتابه ؟ وكذلك أبو صالح .

ولو صحت روايتك عن ابن عباس أنه قال (القيوم : الذى لايزول) لم يستنكر وكان معناه مفهوما واضحا عند العلماء ، وعند أهل البصر بالعربية ، أن معنى (لايزول) لا يفنى ولايبيد ، لا أنه لا يتحرك ولا يزول من مكان إلى مكان ، إذا شاء ، كما كان يقال للشيء الفانى : هو زائل ، كما قال لبيد .

ألا كل شيء ماخلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

يعنى فان ، لا أنه متحرك . فإن أمارة ما بين الحى والميت التحرك ، وما لايتحرك فهو ميت ، لايوصف بحياة ، كما وصف الله الأصنام الميتة ، فقال (والذين تدعون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون إيان يبعثون) [٢٠/النحل] فالله الحى القيوم الباسط يتحرك إذا شاء ، وينزل إذا شاء ، ويفعل مايشاء ، بخلاف الأصنام الميتة التى لا تزول حتى تزال .

واحتججت أيها المريسى فى نفى التحرك عن الله والزوال بحجج الصبيان ، فزعمت أن إبراهيم حين رأى كوكبا وشمسا وقمرا قال:(هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين) ثم قلت : فنفى إبراهيم المحبة عن كل إله زائل : يعنى أن الله إذا نزل من سماء إلى سماء أو نزل يوم القيامة لمحاسبة العباد . فقد أفل وزال ، كما أفلت الشمس والقمر ، فتنصل من ربوبيتها إبراهيم ، فلو قاس هذا القياس تركى طمطمانى أو ذى (١) أعجمية مازاد على ماقست قبحا وسماجة .

(١) كذا فى الأصل .

ويلك ، ومن قال من خلق الله : إن الله إذا نزل أو تحرك ، أو نزل ليوم الحساب أفل فى شىء ، كما تأفل الشمس فى عين حمئة . إن الله لا يأفل فى شىء خلق سواه إذا نزل أو ارتفع ، كما يأفل الشمس والقمر والكواكب . بل هو العالى على كل شىء ، المحيط بكل شىء فى جميع أحواله : من نزوله وارتفاعه . وهو الفعال لما يريد ، لا يأفل فى شىء بل الأشياء كلها تخشع له . والمواضع والشمس والقمر والكواكب خلائق مخلوقة . إذا أفلت ، أفلت فى مخلوق فى عين حمئة ، كما قال الله والله أعلى وأجل ، لايحيط به شىء ، ولايحتوى عليه شىء .

الرؤية

ثم انتدب المريسى الضال لرد ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرؤية فى قوله : (سترون ربكم يوم القيامة لاتضامون فى رؤيته كما لاتضامون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر) فأقر الجاهل بالحديث وصححه ، وثبت روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم تلطف لرده وإبطاله بأقبح تأويل ، وأسمج تفسير ، ولو قد رد الحديث أصلا كان أعذر له من تفاسيره هذه المقلوبة ، التى لا يوافقه عليها أحد من أهل العلم ، ولا من أهل العربية ، فادعى الجاهل أن تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (سترون ربكم لاتضامون فى رؤيته) تعلمون أن لكم ربا لاتشكون فيه كما لا تشكون فى القمر أنه قمر ، لا على أن أبصار المؤمنين تدركه جهرة يوم القيامة لأنه نفى ذلك عن نفسه بقوله (لاتدركه الأبصار) قال : وليس على معنى قول المشبهة ، فقوله : (ترون ربكم) تعلمون أن لكم ربا لايعتريكم فيه الشكوك والريب ألا ترون أن الأعمى يجوز أن يقال : ماأبصره أى ما أعلمه ، وهو لايبصر شيئا . ويجوز أن يقول الرجل : قد نظرت فى المسئلة ، وليس المسئلة جسم ينظر إليه فقوله : نظرت فيها ، رأيت فيها ، فتوهمت المشبهة الرؤية جهرة وليس ذلك من جهة العيان .

فيقال لك أيها المريسى : أقررت بالحديث وثبته عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، فأخذ الحديث بحلقك ، لما أن رسول الله صلى عليه وسلم قد قرن التفسير بالحديث ، فأوضحه ولخصه لجمعها جميعا فى إسناد واحد ، حتى لم يدع لمتأول فيه مقالا . وأخبر أنه رؤية العيان نصا كما توهم هؤلاء الذين تسميهم بجهلك مشبهة. فالتفسير فيه مأثور مع الحديث ، وأنت تفسره بخلاف مافسره الرسول ، من غير أثر تأثره عمن هو أعلم منك . فأى شقى من الأشقياء، وأى غوى من الأغوياء يترك تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم المقرون بحديثه ، المعقول عند العلماء ، الذى يصدقه ناطق الكتاب ؟ ثم يقبل تفسيرك المحال الذى لاتأثره إلا عمن هو أجهل منك وأضل ؟ .

أليس قد أقررت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال(ترون ربكم لاتضامون فيه ، كما لا تضامون فى رؤية الشمس والقمر) وإنما قال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لاتشكون يوم القيامة فى رؤيته . وهذا التفسير مع مافيه من معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو محال خارج عن المعقول . لأن الشك فى ربوبية الله زائل عن المؤمن والكافر يوم القيامة فكل مؤمن وكافر يومئذ يعلم أنه ربهم ، لايعتريهم فى ذلك شك : فيقبل الله ذلك من المؤمنين ولا يقبله من الكافرين ، ولا يعذرهم بمعرفتهم ويقينهم به فى ذلك اليوم فما فضل المؤمن على الكافر يوم القيامة عندك فى معرفة الرب ؟ إذ مؤمنهم وكافرهم لايعتريه فى ربوبيته شك .

أو ماعلمت أيها المريسى أنه من مات ولم يعرف قبل موته أن الله ربه فى حياته، حتى يعرفه بعد مماته ، فإنه يموت كافرا ، ومصيره إلى النار أبدا ؟ ولن ينفعه الإيمان بالله يوم القيامة بما يرى من آياته ، إن لم يكن آمن به من قبل؟ فما موضع بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين برؤية ربهم يوم القيامة ؟ إذ كل مؤمن وكافر فى الرؤية يومئذ سواء عندك ، إذ كل لايعتريه فيه شك ولا ريبة .

أو لم تسمع أيها المريسى قوله تعالى (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) [١٢/السجدة] (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق؟

قالوا . بلى ، وربنا) [٣٠/ الأنعام] فقد أخبر الله عن الكفار أنهم يومئذ موقنون . فكيف المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين سألوه (هل نرى ربنا) وقد علموا قبل أن يسألوه أن الله ربهم لايعتريهم فى ذلك شك ولا ريبة .

أو لم تسمع ما قال الله (يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا) [١٥٨/ التوبة] (يقال فى تفسيره . إنه طلوع الشمس من مغربها . فإذا لم ينفع الرجل إيمانه عند الآيات فى الدنيا ، فكيف ينفعه يوم القيامة فيستحق به النظر إلى الله ، فاعقل أيها المريسى ما يجلب عليك كلامك من الحجج الآخذة بحلقك .

وأما إدخالك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حقق من رؤية الرب يوم القيامة قوله تعالى (لاتدركه الأبصار) فانما يدخل على من عليه نزل وقد عرف ما أراد الله تعالى به وعقل فأوضحه تفسيرا وعبره تعبيرا . ففسر الأمرين جميعا تفسيرا شافيا كافيا سأله أبو ذر (هل رأيت ربك) يعنى فى الدنيا ، فقال (نور ، أنى أراه ؟) .

حدثنا الحوضى وغيره عن يزيد بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن عبدالله بن شقيق ، عن أبى ذر رضى الله عنه ، عن النبى صلعم .

فهذا معنى قوله (لا تدركه الأبصار) فى الحياة الدنيا . فحين سئل عن رؤيته فى المعاد قال (نعم جهرة كما ترى الشمس والقمر ليلة البدر) ففسر رسول الله صلعم المعنيين على خلاف ما ادعيت .

والعجب من جهلك بظاهر لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ تتوهم فى رؤية الله جهرة أنها كرؤية الشمس والقمر ثم تدعى أنه من توهم من سميتهم مشبهة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعواك أول المشبهة . إذ شبه رؤيته تعالى

برؤية الشمس والقمر ، كما شبهه أولئك المشبهون فى دعواك .

وأما أغلوطتك التى غالطت بها جهال أصحابك فى رؤية الله يوم القيامة فقلت : ألا ترى أن قوم موسى حين قالوا : (أرنا الله جهرة) (١٥٣/النساء] أخذتهم الصاعقة ، وقالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) [٥٥/البقرة] فأخذتهم الصاعقة ، وقالوا (أو نرى ربنا فقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيرا) [٢١/ الفرقان] فادعيت أن الله أنكر عليهم ذلك وعابهم بسؤالهم الرؤية .

فيقال لهذا المريسى : تقرأ كتاب الله وقلبك غافل عما يتلى عليك فيه ؟ ألا ترى أن أصحاب موسى سألوا موسى رؤية الله تعالى فى الدنيا إلحافا . فقالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) ولم يقولوا حتى نرى الله فى الآخرة . ولكن فى الدنيا فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وسؤالهم ماحظره الله على أهل الدنيا . ولو قد سألوه رؤيته فى الآخرة كما سأل أصحاب محمد صلعم لم تصبهم تلك الصاعقة ، ولم يقل لهم إلا ماقال محمد صلعم لأصحابه إذ سألوه (هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال نعم لاتضارون فى رؤيته) فلم يعبهم الله ولا رسوله بسؤالهم عن ذلك ، بل حسنة لهم وبشرهم بشرى جميلة كما رويت أيها المريسى عنه . وقد بشرهم الله بها قبله فى كتابه : فقال : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظره) [٢٣/القيامة] وقال : للكفار (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [١٥/المطففين] فقوم موسى سألوا نبيهم ما قد حظر الله على أهل الدنيا بقوله (لاتدركه الأبصار) وسأل أصحاب محمد صلعم نبيهم ما أخبر الله أنه سيعطيهم ويثيبهم به يوم القيامة ، فصعق قوم موسى بسؤالهم مالا يكون . وسلم أصحاب محمد صلعم بسؤالهم ما يكون . ومتى عاب الله على قوم موسى سؤال الرؤية فى الآخرة . فتفترى بذلك عليهم ! تكذب على الله وعلى رسوله ، والله لايحب الكاذبين ؟

وقد فسرنا أمر الرؤية ، وروينا ماجاء فيها من الآثار فى الكتاب الأول ، الذى أمليناه فى الجهمية وروينا منها صدرا فى هذا الكتاب أيضا . فالتمسوها هناك

واعرضوا ألفاظها على قلوبكم وعقولكم تنكشف لكم عورة كلام هذا المريسى، وضلال تأويله، ودحوض حجته إن شاء الله. ولولا أن يطول به الكتاب لأعدت الباب بطوله هاهنا وأسانيده.

أصابع الرحمن

ورويت أيها المريسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) فأقررت أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله، ثم رددته بأقبح محال، وأوحش ضلال. ولو قد دفعت الحديث أصلا كان أعذر لك من أن تقر به ثم ترده بمحال من الحجج، وبالتى هى أعوج فزعمت أن إصبعى الله. قدرتيه. قلت: وكذلك قوله (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) أى فى ملكه.

فيقال لك أيها المعجب بجهالته: فى أى لغات العرب وجدت إن إصبعيه قدرتيه؟ فأنبئنا بها فإنا قد وجدناها خارجة فى جميع اللغات إنما هى قدرة واحدة قد كفت الأشياء كلها وملأتها واستنطقتها، فكيف صارت القلوب من بين الأشياء بين قدرتين؟ وكم تعدها قدرة؟ فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال (بين أصبعين من الأصابع) وفى دعواك: هى أكثر من قدرتين وثلاث وأربع حكمت فيها للقلوب بقدرتين وسائرها لما سواها. فى دعواك هذا أقبح محال، وأبين ضلال. فكيف ادعيت أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه: أنهما صارتا يوم القيامة فى ملكه، كأنهما كانتا قبل يوم القيامة فى ملك غيره، خارجتان عن ملكه. فكان مغلوبا عليهما فى دعواك، حتى صارتا يوم القيامة فى ملكه وما بالهما تصير فى ملكه يوم القيامة مطويات، ولا تكونان فى يده منشورات؟ وما أراك إلا ستدرى أن قوله (مطويات) ناقض لتأويلك.

ومما يزيده نقضا: قوله تعالى: (يوم نطوى السماء كسطى السجل للكتاب)

[١٠٤/الانبياء] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (يطوى الله السماء يوم القيامة بيمينه ثم يقول أنا الملك فى قول الله (يوم نطوى السماء) وحديث رسوله : بيان ومعنى مخالف لقولك . وكيف أقررت بالحديث فى الأصبعين من أصابع الله وفسرتها قدرتين ، وكذبت بحديث ابن مسعود رضى الله عنه فى خمس أصابع ، وهو أجود إسنادا من حديث الإصبعين ؟ أفلا أقررت بحديث ابن مسعود ، ثم تأولته : القدرة خمس قدرات كما تأولت من الاصبعين بقدرتين ؟ فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (بين إصبعين من الأصابع) فأما تكذيبك بحديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم (أن حبرا من اليهود قام إليه فقال : أبلغك أن الله يحمل يوم القيامة السموات على إصبع ، والجبال على إصبع والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، والخلائق على إصبع . ثم يهزهن ويقول : أنا الملك ، فضحك رسول صلى الله عليه وسلم تعجبا لما قال الحبر وتصديقا له ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) فادعيت أن هذه الآية نزلت تكذيبا لما قال الحبر ، ثم قلت : أفتحتجون بقول اليهود ؟

فيقال لك أيها المريسى . قلما رأينا مفسرا ومتكلما أشد مناقضة لكلامه منك ؟ مرة تقول : الحديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفسره قدرتين ، ومرة تقول : هو كذب وقول اليهود ، وتقر به مرة وتنكره أخرى . ولو قد كنت من أهل الحديث ورواته لعلمت أن الأثر قد جاء به تصديقا لليهودى ، لا تكذيبا له كما ادعيت .

حدثنا أحمد بن يونس ، عن فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (ضحك من قول الحبر تعجبا لما قال وتصديقا له) .

فمن رويت أيها المريسى أنه قال فى حديث ابن مسعود : أنه قال تكذيبا له، فأنبئنا به ، وإلا فانك فيها من الكاذبين .

وأما تشنيعك على هؤلاء المقرين بصفات الله ، المؤمنين بما قال الله : إنهم يتوهمون فيها جوارح وأعضاء فقد ادعيت عليهم فى ذلك زورا وباطلا ، وأنت من أعلم الناس بما يريدون بها ؛ إنما يثبتون منها ماأنت معطل . وبه مكذب ، ولا يتوهمون فيها إلا ماعنى الله ورسوله ،ولايدعون جوارح ولا أعضاء كماتقولت عليهم . غير أنك لاتألو فى التشنيع عليهم بالكذب ، ليكون أروج لضلالاتك عند الجهال ، ولئن جزعت من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قصه الحبر ، فمالك راحة فى رواية عائشة وأم سلمة وغيرهما مما يحقق حديث ابن مسعود ويثبت روايته .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أم محمد ؛ عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الله ، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه) حدثنا نعيم ابن حماد ،حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا حيوة بن شريح ؛ أخبرنى أبو هانىء الخولانى أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلى يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفها كيف يشاء ، ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) .

حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال سمعت بشر بن عبيد الله قال سمعت أبا إدريس الخولانى يقول :سمعت النواس ابن سمعان الكلابى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (مامن قلب إلا بين اصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك) .

حدثنا عبد الله بن صالح ، عن ليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن خالد ابن أبى عمران ، عن أبى عباس بن أبى مهران ، عن أبى هريرة رضى الله عنه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن) .

حدثنا يزيد بن عبد ربه الحمصى ، أخبرنا بقية بن الوليد ، عن عتبة بن أبى حكيم ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذى نفس محمد بيده لقلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إذا شاء قال به هكذا ـ وأمال يده ، وإذا شاء قال به هكذا ـ وأمال يده ـ وإذا شاء ثبته) حدثنا عمر بن عون الواسطى ، أخبرنى عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر ابن حوشب ، قال : سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (مامن بنى آدم بشر إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن ، فإن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه) .

فهذه ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى بينته ورويته بلسان عربى مبين . ففى أى لغات وجدت أنها قدرتين [1] من القدر ؟ وهل من شىء ليس تحت قدرة الله التى وسعت كل شىء ، حتى خص رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب من بينها بقدرتين . فلم يدع ما إذا رجعت فيه إلى نفسك علمت أنه ضلال وباطل وضحكة وسخرية ، مع أن المعارض لم يقنع بتفسير إمامه المريسى حتى اخترق لنفسه فيه مذهبا خلاف ماقاله إمامه ، وخلاف ما يوجد فى لسان العرب والعجم ، فقال : إصبعاه : نعمتاه قال : وهذا جائز فى كلام العرب .

فيقال لهذا المعارض : فى أى كلام العرب وجدت إجازته ؟ وعن أى فقيه أخذته ؟ فأسنده إليه وإلا فانك من المفترين على الله وعلى رسوله . فلو كنت الخليل بن أحمد أو الأصمعى ماقبل ذلك منك إلا بحجة .

ومعنى الأصابع مفهوم ، ومعنى النعمة مفهوم .

وكذا وافقه أبو حامد فى نفى الأصابع فسماها نعمة فكفى خيبة وخسارة

---

(١) كذا فى الأصل وصوابه : قدرتان .

برجل يضاد قوله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكذب دعواه ، ويرجح تنزيهه على تنزيه رسوله .

وأما إنكارك أيها المريسى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن الله يتراءى لعباده المؤمنين يوم القيامة فى غير صورته . فيقولون : نعوذ بالله منك ، ثم يتراءى فى صورته التى يعرفونها ، فيعرفونه ، فيتبعونه) .

فزعمت : أيها المريسى أنه من أقر بهذا فهو مشرك .

يقال لهم : أليس قد عرفتم ربكم فى الدنيا فكيف جهلتموه عند العيان وشككتم فيه ؟

قال أبو سعيد : فيقال لك أيها المريسى : قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رواية الزهرى .

حدثناه نعيم بن حماد عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عطاء بن يزيد الليثى ، عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما عن النبى صلى الله وسلم كأنك تسمع رسول الله يقوله ، من جودة إسناده ، فاحذر أن لا يكون قذفك بالشرك أن يقع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وماذنبنا أن كان الله سلب عقلك حتى جهلت معناه ؟

ويلك إن هذا ليس بشك ولا ارتياب منهم ، ولو أن الله تجلى لهم أول مرة فى صورته التى عرفهم صفاتها فى الدنيا لاعترفوا بما عرفوا ، ولم ينفروا ، ولكنه يرى نفسه فى أعينهم ، لقدرته ولطف ربوبيته فى صورة غير ماعرفهم الله صفاتها فى الدنيا ، ليمتحن بذلك إيمانهم ثانية فى الآخرة . كما امتحن إيمانهم فى الدنيا ، ليثبتهم أنهم لايعترفون بالعبودية فى الدنيا والآخرة إلا للمعبود الذى عرفوه فى الدنيا بصفاته التى أخبرهم بها فى كتابه ، واستشعرتها قلوبهم حتى ماتوا على ذلك .

فإذا مثل فى أعينهم غير ماعرفوا من الصفة نفروا وأنكروا إيمانهم بصفة

ربوبيته التى امتحن قلوبهم فى الدنيا بها ، فلما رأى أنهم لايعرفون إلا الذى امتحن الله به قلوبهم تجلى لهم فى الصورة التى عرفهم فى الدنيا فآمنوا به . وصدقوا ، وماتوا ، ونشروا عليه ، من غير أن يتحول الله من صورة إلى صورة . ولكن يمثل ذلك فى أعينهم بقدرته . فليس هذا أيها المريسى بشك منهم فى معبودهم ، بل هو زيادة يقين بايمان به مرتين ، كما قال ابن مسعود رضى الله عنه (إنه قال لهم يوم القيامة : أتعرفون ربكم ؟ فيقولون : إنه إذا تعرف لنا عرفناه) يقولون : لانقر بالربوبية إلا لمن استشعرته قلوبنا ، بصفاته التى أنبأنا بها فى الدنيا . فحينئذ يتجلى له فى صورته المعروفة عندهم ، فيزدادون به عند رؤيته إيمانا ويقينا، وبربوبيته اغتباطا وطأنينة ، وليس هذا من باب الشك على ماذهبت إليه ، بل هو يقين بعد يقين ، وإيمانا بعد إيمان . ولكن الشك والريبة كلها فيما ادعيت أيها المريسى فى تفسير الرؤية : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ترون ربكم يوم القيامة لاتضامون فى رؤيته) فادعيت أن رؤيتهم تلك أنهم يعلمون يومئذ أن لهم ربا لايعتريهم فى ذلك شك . كأنهم فى دعواك أيها المريسى لم يعلموا فى الدنيا أنه ربهم، حتى يستيقنوا به فى الآخرة . فهذا التفسير إلى الشك أقرب مما ادعيت فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشك والشرك ، لا بل هو الكفر ، لأن الخلق كلهم : مؤمنهم وكافرهم ، يعلمون يومئذ أن الله ربهم ، لايعتريهم فى ذلك شك . ألا ترى أنه تعالى يقول (أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) والشك فى الله هذا الذى تأولته أنت فى الرؤية ، لا ما قال رسول صلى الله عليه وسلم .

ويلك إن الله لاتتغير صورته ولا تتبدل ، ولكن يمثل فى أعينهم يومئذ . أولم تقرأ كتاب الله (وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمر كان مفعولا) [٤٤/الأنفال] وهو الفعال لما يشاء ، كما مثل جبريل مع عظم صورته وجلالة خلقه فى عين النبى صلى الله عليه وسلم صورة دحية الكلبى، وكما مثلة لمريم بشرا سويا ، وهو ملك كريم فى صورة الملائكة ، وكما شبه فى أعين

اليهود إذ قالوا (إنا قتلنا المسيح) فقال (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) [١٥٧/النساء] .

وماعلمك أيها المريسى بهذا وما أشبهه ، غير أنه وردت عليك آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت بحلقك ، ونقضت عليك مذهبك ، فالتمست الراحة منها بهذه المغاليط والأضاليل ، التي لا يعرفها أحد من العلم والبصر بالعربية . وأنت منها فى شغل ، كلما غالطت بشىء أخذ بحلقك شىء آخر ، فخنقك ، حتى تلتمس له أغلوطة أخرى . ولئن جزعت من هذه الآثار فدفعتها بالمغاليط ، مالك من راحة فيما يصدقها من كتاب الله الذى لا تقدر على دفعه . وكيف تقدر على دفع هذه الآثار وقد صحت عن رسول الله صل الله عليه وسلم ألفاظها بلسان عربى مبين ، مناقضة لمذاهبك وتفاسيرك ، قد تداولتها أيدى المؤمنين ، وتناسخوها ، يؤديها الأول إلى الآخر ، والشاهد إلى الغائب إلى أن تقوم الساعة ، ليقرعوا بها رؤوس الجهمية ، ويهشموا بها أنوفهم ، وينبذوا تأويلك هذا فى حش أبيك . ويكسر فى حلقك كما كسر فى حلوق من كان فوقك من الولاة والقضاة الذين كانوا من فوقك ، مثل ابن أبى دؤاد وعبد الرحمن وشعيب بعده ، وغسان ، وابن رباح المفترى على القرآن .

فإن كنت تدفع هذه الآثار بجهلك فما تصنع فى القرآن وكيف تحتال له ؟ وهو من أوله إلى آخره ناقض لمذهبك ، ومكذب لدعواك ، حتى بلغنى عنك من غير رواية المعارض : أنك قلت : ماشىء أنقض لدعوانا من القرآن غير أنه لاسبيل إلى دفعه إلا مكابرة بالتأويل .

ثم أنشأت أيها المريسى تطعن فى حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ماصدقت به ، وعرفت أنه قد قاله ، ثم فسرته تفسيرا مخالفا لتفاسير أهل الصلاة وهو قوله صلى الله عليه وسلم (لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد ، حتى يضع الجبار فيها قدمه ، فتزوى ، وتقول قط قط) فادعيت أيها المريسي أن

الحديث حق ، ومعناه عندك : أنها تمتلىء حتى يضع الجبار قدمه فيها ، فقلت : معنى (قدمه) أهل الشقوة الذين سبق لهم فى علمه أنهم صائرون إليها . كما قال ابن عباس بباطل زعمك فى تفسير قول الله (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) [٢١/يونس] قال:(ماقدموا من أعمالهم) .

فقد روينا أيها المريسى عن الثقات الأئمة المشهورين عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير القدم خلاف ماادعيت من تأويلك هذا .

الجزء الثانى

من نقض أبى سعيد عثمان بن سعيد الدارمى على الضال المضل بشر المريسى الجبار العنيد

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن برحمتك

أخبرنا الشيخ أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الأحنف أخبرنا إسحق ابن أبى إسحق القراب الحافظ أخبرنا أبو بكر محمد بن أبى الفضل بن محمد بن الحسين المزكى قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الصوام قال: حدثنا عثمان بن سعيد الدارمى قال حدثنا عبد الله بن أبى شيبة ويحيى الحمانى، عن وكيع، عن سفيان، عن عمار الدهنى عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (الكرسى موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله).

فهذا الذى عرفناه عن ابن عباس صحيحا مشهورا.

فما بالك تحيد عن المشهور المنصوص من قوله وتتعلق بالمغموز منه، المتلبس، الذى يحتمل المعانى؟

وكيف تدعى أنها لا تمتلىء حتى يلقى الله فيها الأشقياء الذين هم قدم الجبار عندك، فتمتلىء بهم فى دعواك؟ وهل استزادت أيها التائه إلا بعد مصير الأشقياء إليها، وإلقاء الله إياهم فيها؟ فاستزادت بعد ذلك. أفيلقيهم فيها ثانية، وقد ألقاهم فيها قبل، فلم تمتلىء؟ كأنه فى دعواك حبس عنها الأشقياء، وألقى فيها السعداء، فلما استزادت ألقى فيها الأشقياء بعد، حتى ملأها.

لو ادعى هذا من لم يسمع حرفا من القرآن مازاد.

ثم رددت الحديث بعد ما أقررت به أنه حق . فقلت : يقال لهؤلاء المشبهة : أليس من قال : إن الله يخلف وعده كافر . فإن قالوا : نعم ، فقل لهم : من زعم أن جهنم تمتلىء من غير الجن والإنس فقد كفر . لأن الله قال : (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) [١١٩/هود] :

ويلك أيها المريسى ، إنما أنزل هذه من أنزل التى فى سورة قٓ (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) ويجوز فى الكلام أن يقال لممتلىء : استزاد ، كما يمتلىء الرجل من الطعام والشراب ، فيقول : قد امتلأت وشبعت ، وهو يقدر أن يزداد ، كما يقال : امتلأ المسجد من الناس ، وفيه فضل وسعة للرجال بعد ، وامتلأ الوادى ماء ، وهو محتمل لأكثر منه . وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم (يخرج المهدى فيملأ الأرض قسطا كما ملئت جورا وظلما) وفى الأرض سعة بعد لأكثر من ذلك الظلم ، وأكثر من ذلك القسط . فتمتلىء جهنم مما يلقى الله فيها مما وعدها من الجنة والناس ، وتقول هل من مزيد ، لفضل فيها ، غضبا الله على الكفار ، حتى يفعل الجبار بها ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشاء ، وكما عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحينئذ تقول (حسبى ، حسبى) .

وكيف يستحيل أيها المريسى ماوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع القدم فى جهنم ؟ وأنت تزعم أن الله بكماله فى جهنم قبل أن يملأها ، وبعد ماملأها ، لأنك تزعم أنه لا يخلو منه مكان ، فجهنم من أعظم الأمكنة ، فأنت أول من كذب بالآية ، إذ تدعى أن جهنم ممتلئة من الجبار ، تبارك وتعالى عز وجل عن وصفك بماوصفته به .

ثم ادعيت أن من تأول فى هذا قدم الجبار فقد جعل الله من الجنة والناس ومن يتبع إبليس . إذ زعم أن شيئا منه يدخل جهنم ، والله يقول (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) .

فيقال لك أيها المريسى : فأنت أول من جعله من الجنة والناس ، ومن يتبع إبليس ، إذ تزعم أنه لايخلو من جهنم ، ولا شيء من الأمكنة ، أفبعض أوحش أم كل ؟

ويلك إنما أراد الله بقوله (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) الذين حق عليهم العذاب ، ولها خزنة يدخلونها ملائكة غلاظ شداد ، غير معذبين بها وفيها كلاب وحيات وعقارب . قال (عليها تسعة عشر ، وماجعلنا أصحاب النار إلا ملائكة . وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) فلا يدفع هذه الآيات قوله (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين كما لايدفع هذه الآية قول النبى صلى الله عليه وسلم (يضع الجبار فيها قدمه) فإذا كانت جهنم لاتضر الخزنة الذين يدخلونها ويقومون عليها ، فكيف تضر الذى سخرها لهم ؟

فإن أنت أقررت بالخزنة وملائكة العذاب وما فيها من غير الجنة والناس كفرت فى دعواك ، لأنك زعمت أن من ادعى أن جهنم تمتلىء من غير الجنة والناس فقد كفر . وهذه الآثار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذكر القدم مما أنت مصدق به محقق .

حدثنا سهيل بن بكار البصرى حدثنا أبان عن قتادة عن أنس قال: قال نبى الله صلى الله عليه وسلم (لاتزال جهنم تقول : هل من مزيد ، فيدلى فيها رب العالمين قدمه فينزوى بعضها إلى بعض ، فتقول قط بعزتك . ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله خلقا فيسكنهم فيها) .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد ـ وهو ابن سلمة ـ عن عطاء بن السائب عن عبيد الله بن عتبة ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (افتخرت الجنة والنار فقالت النار : يارب يدخلنى الجبارون والملوك والأشراف ، وقالت الجنة يدخلنى الفقراء والضعفاء والمساكين فقال الله للنار : أنت عذابى أصيب بك من أشاء . وقال للجنة . أنت رحمتى وسعت كل شىء ، ولكل واحدة منكما ملؤها . فأما النار فيلقى فيها وتقول هل من مزيد ، ثلاث

مرات ، حتى يأتيها فيضع قدمه عليها . فتقول : قد ، قد ، ثلاثا) .

وقرأت على عثمان بن الهيثم المؤذن أن عوف بن أبى جميلة الأعرابى حدثه ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اختصمت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : مالى لا يدخلنى إلا سفلة الناس وسقطتهم ، أو كما قالت ـ فقال لها . قال للجنة أنت رحمتى أسكنك من أشاء من خلقى ، ولكل واحدة منكما ملؤها . وأما جهنم فانها لا تمتلىء حتى يضع الله قدمه فيها ، فينزوى بعضها إلى بعض : وأما الجنة فإن الله ينشىء لها من شاء من خلقه).

فأخبرنى عثمان بن الهيثم أن عوفا حدثه بذلك كما قرأت عليه .

حدثنا عبد الله بن صالح أن معاوية بن صالح حدثه ، عن راشد بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (إن الله يطوى المظالم يوم القيامة فيجعلها تحت قدميه ، إلا ما كان من أجر الأجير ، وعقر البهيمة ، وفض خاتم بغير حق) يريد افتضاض الأبكار .

فانظر أيها المريسى فى ألفاظ ما رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أقررت بأنه قاله ، هل تحتمل ألفاظه التأويل الذى ذهبت إليه أنت ؟

باب ما جاء فى العرش

ثم انتدبت أيها المريسى مكذبا بعرش الله وكرسيه ، مطنبا فى التكذيب بجهلك متأولا فى تكذيبه بخلاف ما تفعله العقلاء والعلماء . فرويت عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال :(وسع كرسيه السموات والأرض : علمه) .

قلت : فمعنى الكرسى العلم . فمن ذهب فيه إلى غير العلم أكذبه كتاب الله .

فيقال لهذا المريسى : أما ما رويت عن ابن عباس فإنه من رواية جعفر الأحمر ،

وليس جعفر ممن يعتمد على روايته . إذ قد خالفه الرواة الثقات المتقنون . وقد روى مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما فى الكرسى خلاف ماادعيت على ابن عباس .

حدثناه يحيى وأبو بكر بن أبى شيبة ، عن وكيع ، عن سفيان ، عن عمار الدهنى ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال (الكرسى موضع القدمين ، والعرش لايقدر قدره إلا الله) .

فأقر المريسى بهذا الحديث وصححه ، وزعم أن وكيعا رواه ، إلا أن تفسير القدمين هاهنا فى دعواه : الثقلين قال . يضع الله علمه وقضاءه للثقلين يوم القيامة فيحكم به فيهم فهل سمع سامع من العالمين مثل ماادعى هذا المريسى ؟

ويلك عمن أخذته ؟ ومن أى شيطان تلقيته ؟ فإنه ماسبقك إليه آدمى نعلمه .

أيحتاج الرب أن يضع محاسبة العباد على كتاب علمه وأقضيته يحكم بما فيه بينهم ؟ ولا أراك مع كثرة جهلك إلا وستعلم أنك احتججت بباطل ، جعلته أغلوطة تغالط بها أغمار الناس وجهالهم .

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (آتى باب الجنة فيفتح لى ، فأرى ربى وهو على كرسيه ، تارة يكون بذاته العرش . وتارة يكون بذاته على الكرسى ، فيجلى لى . فأخرله ساجدا) فهل يجوز لك فى تأويلك أنه يأتى ربه وهو على علمه . إذ ادعيت أن من زعم أن الكرسى غير العلم أكذبه القرآن بما رويت فيه عن ابن عباس . فهذا ابن عباس يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن نفسه خلاف مارويت فيه فكيف تحيد عن هذا المشهور عن ابن عباس إلى المغموز عنه إلا من ظنة وريبة ؟

وأما قولك : من ذهب فى الكرسى إلى غير العلم أكذبه كتاب الله .

ويلك ، وأية آية لم تنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ؟

ويلك ، وهل بقى أحد من نساء المسلمين وصبيانهم إلا وقد عقل أمر العرش والكرسى ، وآمن بها إلا أنت ورهطك ؟ وليس العرش والكرسى ، مما ينبغى أن يسند فى تثبيتها الآثار وتكيف فيها الأخبار ، ولولا أغلوطتك هذه . لما كان علمها والايمان بها خاص إلى النساء والصبيان إلا إليك وإلى أصحابك ، طهر الله منكم بلاده ، وأراح منكم عباده .

والعجب من استطالتك هذه وجهالتك وأغلوطتك ، إذ تقول لمن هو أعلم بالله وبكتابه منك : إن لم تعلموا تفسير ماقلنا وإلا فسلوا العلماء ولا تعجلوا بالقضاء .

ويلك أيها المريسى ، قد سألنا العلماء ، وجالسنا الفقهاء ،فوجدنا كلهم على خلاف مذهبك فسم عالما ممن مضى وممن غبر يحتج بهذه العمايات ، ويتكلم بها حتى نعرفه ونسأله . فانا مارأينا متكلما ينتحل الاسلام أظهر كفرا وأسمج كلاما ، وأقل إصابة فى التأويل منك . وقد عرضنا كلامك على كلام من مضى ومن غبر من العلماء فما وجدنا أحدا على مذهبك ، وعرضناه على لغات العرب والعجم فلم يحتمل شىء منها شيئا من كلامك . ولو كان عندك من ينصحك لحجر عليك الكلام ، فضلا أن تفتخر بحسن الكلام وسنذكر لك آثارا مما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الكرسى ، لتنظر فى ألفاظها : هل تدل على شىء من أغلوطاتك هذه ؟

حدثنا عبد الله بن أبى شيبة حدثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبى إسحق ، عن سعد بن معبد قال : حدثنى أسماء بنت عميس (أن جعفرا جاءها إذهم بالحبشة وهو يبكى ، فقالت ماشأنك ؟ قال رأيت فتى مترفا من الحبشة شابا جسيما مر على امرأه ، فطرح دقيقا كان معها ، فسفته الريح ، فقالت : أكلك إلى يوم يجلس الملك على الكرسى . فيأخذ للمظلوم من الظالم) .

حدثنى يحيى الحمانى حدثنا خالد بن عبد الله ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد

الله بن بريدة ، عن أبيه قال (لما قدم جعفر من الحبشة قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ماأعجب مارأيت بالحبشة ؟ قال : رأيت امرأة على رأسها مكتل فيه طعام فجاء فارس فأذراه فجلست تجمعه ، ثم التفتت ، ثم قالت : ويحك ، كيف تصنع لو قد وضع الملك كرسيه فيأخذ للمظلوم من الظالم ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعجب من ذلك . وقال : ماقدس الله أمة لايؤخذ لضعيفها من شديدها غير متعتع) .

حدثنا هشام بن خالد الدمشقي حدثنا محمد بن شعيب بن سابق وأخبرنا عمر ابن عبد الله مولى غفرة قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتاني جبريل فقال : إن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض ، فاذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب عن عرشه إلى كرسيه ، وحف الكرسي بمنابر من نور ، فيجلس عليها النبيون ، وحفت المنابر بكراسي من ذهب ، فيجلس عليها الصديقون والشهداء) .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد ـ وهو ابن سلمة ـ عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (بين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام ، والعرش على الماء ، والله فوق العرش ، وهو يعلم ماأنتم عليه) .

حدثنا يحيى الحماني وأبو بكر قالا : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عمار الدهني ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (الكرسي موضع القدمين لايقدر قدره إلا الله) .

حدثنا الحماني حدثنا الحكم بن ظهير ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال (ماالسموات والأرض في الكرسي إلا مثل حلقة في أرض فلاة) .

حدثنا يحيى الحماني حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد قال

(ما السموات والأرض فى الكرسى إلا بمنزلة حلقة فى أرض فلاة).

حدثنا عبد الله بن رجاء أخبرنا إسرائيل، عن أبى إسحق، عن عبد الله بن خليفة قال (أتت امرأة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: ادع الله أن يدخلنى الجنة، فعظم الرب. فقال: إن كرسيه وسع السموات والأرض، وإنه ليقعد عليه، فما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع، ومد أصابعه الأربع ـ وإن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد إذا ركبه من يثقله).

فهاك أيها المريسى خذها مشهورة مأثورة فصرها وضعها بجنب تأويلك الذى خالفت فيه أمة محمد، ثم أنشأت أيها المريسى، واعظا لمن اتعظ قبلك بمواعظ وقبلها عن الله، وصدق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتهى فيها إلى ما أمر الله. فانزجر عما نهى الله. فقلت لهم: لاتعتقدوا فى نفوسكم أن لله شبها أو مثلا، أو عدلا، أو يدرك بحاسة. وانفوا عن الله مانفاه عن نفسه، وصفوه بما وصف به نفسه فى كتابه، فإن من زعم أن لله شبها أو عدلا فهو كافر.

فيقال لك أيها المريسى المدعى فى الظاهر، لما أنت له ناف فى الباطن: قد قرأنا القرآن كما قرأته، وعقلنا عن الله أنه ليس كمثله شىء، وقد نفينا عن الله ما نفاه عن نفسه، ووصفناه بما وصف به نفسه فلم نعده، وأبيت أن تصفه بما وصف به نفسه، فنفيت عنه ماوصف به نفسه، ووصفته بخلاف ماوصف به نفسه. أخبرنا الله فى كتابه أنه ذو سمع وبصر، ويدين، ووجه، ونفس، وعلم، وكلام، وأنه فوق عرشه فوق سمواته، فآمنا بجميع ماوصف به نفسه كما وصفه بلا تكييف ونفيتها أنت عنه كلها أجمع بعمايات من الحجج، وتكييف. فادعيت أن وجهه: كله. وأنه لايوصف بنفس، وأن سمعه: إدراك الصوت إياه، وأن بصره: مشاهدة الألوان كالجبال والحجارة والأصنام التى تنظر إليك بعيون لاتبصر، وأن يديه: رزقاه: موسوعه ومقتوره، وأن علمه وكلامه مخلوقان محدثان. وأن أسماءه

مستعارة مخلوقة محدثة ، وأن مافوق عرشه منه مثل ماهو أسفل سافلين ، وأنه فى صفاته كقول الناس فى كذا وكقول العرب فى كـذا ، تضرب له الأمثال تشبيها بغير شكلها ، وتمثيلا بغير مثلها ، فأى تكييف أوحش من هذا إذ نفيت هـذه الصفات وغيرها عن الله بهذه الأمثال والضلالات المضلات ؟

وداعيت فى تأويلك أن معبودك أصم لايسمع أبكم لايتكلم ، أعمى لايبصر أجذم لايد له ، مقعد لايقوم ولايتحرك ، جاهل لايعلم،مضمحل ذاهب لايوصف بحد ولا يدرك بحاسة فى دعواك . وهذا خلاف صفة رب العالمين ، والحمد لله الذى من علينا بمعرفته ، وطبع على قلبك بجهالته ،ولو قدقرأت القرآن، وعقلت عن الله معناه لعلمت يقينا أنه يدرك بحاسة بينة فى الدنيا والآخرة ، فقد أدرك موسى منه الصوت فى الدنيا ، والكلام هو من أعظم الحواس ، قال الله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) ويدرك منه فى الميعاد الرؤية والكلام والنظر عيانا ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رغمك ، وإن كرهت ، وكما قال الله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) (أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولايكلمهم الله ولا ينظر إليهم) فهل من حواس أعظم من الكلام والنظر؟ غير أنـكم جعلتم الحواس كلمة أغلوطة تغالطون بها الصبيان والعميان : لأن قولـكم : لاتدركه الحواس معناه عندكم أنه لاشىء بما قد علمتم ، وجميع العالمين أن الشىء الذى يقع عليه اسم الشىء لايخلو من أن يدرك بكل الحواس أو ببعضها . وأن لاشىء لايدرك بشىء من الحواس فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فجعلتموه لاشىء . وقد كذبتم الله بذلك فى كتابه إذ قال (كل شىء هالك إلا وجهه) وقال (قل أى شىء أكبر شهادة ؟ قل الله) فجعل نفسه أعظم الاشياء أو أكبر الأشياء ، وخالق الأشياء . فإن أنكرت ماقلنا ، ولم تعقله بقلبك فسم من الأشياء شيئا صغير أو كبيرا يقع عليه اسم الشىء لايدرك بشىء من الحواس الخمس ، غير ماادعيتم على الأكبر الأكبر ، والأعظم الاعظم والأوجد [1]الأوجد[2] الذى لم يزل ولا يزال . فجعلتم الخالق الفانى موجودا

(١، ٢) كذا فى الأصل ولعله الأوحد

والقيوم الدائم الباقى غير موجود ، ولا يدرك بحاسة فى الدنيا والآخرة .

وادعيتم على غيركم ممن لا يكيف : التكييف . وعلى من لا يشبه : التشبيه ، وأنتم دائبون تكيفون وتشبهون بأقبح الأشياء . وأبطل الأمثال ، فمرة تكيفه فتشبهه بأعمى ، ومرة بأقطع ، فكان وعظك هذا لهؤلاء كقول القائل كلمة حق يبتغى بها باطل .

والعجب من إعجابك بهذه المقلوبات من تفاسيرك ، والمحالات من شرحك وتعبيرك حتى رويت عن مجاهد أنه قال (للحديث جهابذة كجهابذة الورق) وصدقت أيها المريسى وما أنت والله منهم ، ولا من رجاله ولا من رواته . ولا من جهابذته ، فقد وجدنا الزيوف عندكم جائزة نقادة ، والنقادة نفاية ، فكيف تستطيل بمعرفتها ، وأنت المنسلخ منها ؟

ثم ادعى المعارض أنه انتهى إلى هاهنا السماع من بشر . قال : ثم ابتدأنا نقول فى حكايات ابن الثلجى .

فيقال لهذا المعارض المعجب بضلالات هذين الضالين : فرغت من كلام بشر بسخط من الرحمن ، وابتدأت فى كلام ابن الثلجى بعون الشيطان : ومثل فراغك من بشر بسخط الرحمن ، وابتدأت فى كلام ابن الثلجى بعون الشيطان . ومثل فراغك من بشر وشروعك فى كلام ابن الثلجى كمثل المستجير من الرمضاء بالنار . فزعت من احتجاج كافر إلى احتجاج جهمى خاسر . فعلى أى جنبيك وقعت منها لم تنجبر ، وبأيهما استعنت لم تظفر ، وبأيهما استنصرت لم تنصر وكذلك قال الأوزاعى لبعض أهل البدع إذا انتقلوا من رأى إلى رأى : إنكم لا ترجعون عن بدعة إلا تعلقتم بأخرى هى أضر عليكم منها .

حدثناه عبد الله بن صالح عن الهقل بن زياد عن الأوزاعى وسننقض على ابن الثلجى ضلالاته ، كما نقضنا من قبل ضلالات المريسى إن شاء الله بعون الله وتوفيقه .

حكيت أيها المعارض عن ابن الثلجى أنه قال : ناظرت بشرا المريسى فى العرش أن الله فوقه . قال فقال لى بشر : لا أقول إنه على عرشه ، كمخلوق على مخلوق .

فيقال لهذا الثلجى الغوى : أول غوايتك سؤالك المريسى عن تفسير العرش ، إذ عقل أمره النساء والصبيان .

ويلك ، أما وجدت شيخا من أهل الإسلام وأهل العلم الذين أدركت أجود إيمانا بالعرش من بشر وأحسن معرفة له : حتى تناظره فيه من بينهم ؟ ثم تستحسن تفسيره وترويه لأهل الغفلة عنه ، كيما يعتقدونه دينا ، وكان أكفر أهل زمانه بالعرش ، وأشدهم له إنكاراً ممن ينتحل الإسلام . فكفى بهذا دليلا وظنه على الريبة أن يكون المختار عندك من جميع العلماء فى تفسير العرش بشر بن غياث المريسى .

أو ماسمعت بشرا وسوء مذهبه ، وافتضاحه فى بلده ، وأهل مصره ، وأنت له جار قريب ؟ ولكنا نعتبر بالإمام المأموم ، والصاحب بالصاحب .

أو لم يكفك أيها الثلجى ماقص الله فى كتابه من ذكر العرش وتفسيره وماروى فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تقنع بها حتى اضطررت إلى مناظرة المريسى ؟ والمناظرة فى العرش ريبة . والعرش لاشك فيه . لأن الإيمان به قدخلص إلى النساء والصبيان الذين لافقه لهم ولا علم . فكيف إلى من يدعى معرفة العلم ؟

فاما إذ أبيت إلا مناظرته فإنه يقال : أيها المريسى ، لايقال لله : أنه على العرش كمخلوق على مخلوق ، ولكن ملك كريم خالق غير مخلوق على عرش عظيم مخلوق على رغمك وأنت ملوم . فمن لم يؤمن به أنه كذلك فقد كفر بما أنزل الله وجحد آيات الله ورد أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولك كذا على كذا ، وكمخلوق على مخلوق : تشبيه ودلسة ، وكافة لم نكلف

ذلك فى ديننا ، ولكن نقول كما قال : (الرحمن على العرش استوى) وكما قال الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم (إنه فوق عرشه الأعلى فوق سمواته العلى) وتلك العروة الوثقى ، من انتهى إليها اكتفى ، ومن عدل عن ذلك اعتدى .

ثم انتدب المعارض متكلما من قبل نفسه فى العرش ، متأولا فى تفسيره ومعناه خلاف ما تأوله أهل العلم بالله وكتابه وآياته : فقال (الرحمن على العرش استوى) ليس له تأويل إلا على أوجه نصفها ؛ ونكل علمها إلى الله .

قال بعضهم : العرش أعلى الخلق ، والله عليه وعلى كل شىء ، وبكل مكان غير محوى ولا ملازق ، ولا ممازج ، ولا بائن باعتزال وبفرجة بينه وبين خلقه : ولا يتوهم أنه على العرش كجسم على جسم .

فيقال لهذا المعارض : ما تركت أنت وإمامك هذا من التكذيب بالعرش غاية ولا من الافتراء على الله نهاية . أوله أنك قلت وحكيت أن العرش أعلى الخلق . والله مكذبك فى كتابه بقوله إذ يقول : (وكان عرشه على الماء) [٧/هود]فكيف يمكن أن يكون العرش أعلى الخلق وكان العرش على الماء قبل الخلق ، إذ لا أرض ولا سماء ولا خلق غير العرش والماء ؟ ومما يزيدك تكذيبا قول الله(وترى الملائكة حافين من حول العرش) [٧٥/الزمر] وقال (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم)[٧/غافر] أفتحمل الملائكة فى دعواك أعلى الخلق ، أو أسفله ، أو شيئا من الخلق ؟ وقال (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) [١٧/الحاقة] أيحملون يومئذ أعلى الخلق ويتركون أسفله ؟ أم الملائكة تحمل الناس يوم القيامة والسموات ، لأنها أعلى الخلق فهل سمع سامع بمحال من الحجج أبين من هذا ؟ مع ما فيه من التكذيب بالعرش نصا ، ودفعه رأسا ، لأنه إن يكن العرش فى دعواه أعلى الخلق فقد بطل العرش الذى هو أعلى الخلق ، لأن العرش غير ما سواه من الخلق ، إذ كان مخلوقا على الماء قبل الخلق . فى أى كلام العرب وجدت هذا أيها

المعارض أن العرش أعلى الخلق فبينه لنا وإلا فإنك من المبطلين ، والله مكذبك فى كتابه إذ يقول :(قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم)[٨٦/المؤمنون] فميز الله بين أعلى الخلق وبين العرش العظيم وجعله غير السموات السبع فما دونها .

ومما يزيدك تكذيبا قوله (ذو العرش المجيد) [١٥/البروج] وقوله (لا إله إلا هو رب العرش الكريم)[١١٦/المؤمنون] وأى مجد وكرم لأعلى الخلق ما ليس لأوسطه وأسفله . فلذلك قلنا : إن تأويلك هذا تكذيب بالعرش صراحا وإنكار له نصا .

وأما قولك : إن الله غير محوى ولا ملازق ، ولا ممازج فهو كما ادعيت.

وأما قولك ، غير بائن باعتزال ، ولا بفرجة بينه وبين خلقه . فقد كذبت فيه فضللت عن سواء السبيل ، بل هو بائن من خلقه فوق عرشه بفرجة بينة . والسموات السبع فيما بينه وبين خلقه فى الأرض ، وهو يعلم من فوق عرشه ماهم عاملون ، لايخفى عليه منهم خافية فى الأرض . كما أنبأنا الله ورسوله وأصحاب رسول الله .

وأما قولك كجسم على جسم فإنا لانقول أنه كجسم على جسم . لكنا نقول رب عظيم ، وملك كريم كبير نور السموات والأرض ، وإله السموات والأرض على عرش مخلوق عظيم فوق السماء السابعة . دون ماسواها من الأماكن . من لم يعرفه بذلك كان كافرا به وبعرشه والأنوار المخلوقة ليس منها نور إلا وله ضوء ساطع ، ومنظر رائع . فكيف النور الذى ليس كمثله شىء ؟

وزعمت أيها المعارض أن الله لم يصف نفسه أنه بموضع دون موضع ، ولكنه بكل مكان . وتأولت فى ذلك بما تأولت به جهم بن صفوان قبلك ، فقلت : (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم - الآية)

ثم رويت عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه وقد رفعوا الصوت بالتكبير (إنكم لاتدعون أصم ولا غائبا إنه أقرب إليكم من رءوس رواحلكم) .

فيقال لهذا المعارض : هو كما وصف نفسه ووصفه الرسول ، مع كل ذى نجوى. وهو أقرب إلى أحدهم من حبل الوريد ، وأقرب منها ، يعلم وينظر ويسمع من فوق العرش ، لايخفى عليه منهم خافية ، ولايحجبهم عنه شىء ،علمه بهم من فوق عرشه محيط . وبصره فيهم نافذ ، وهو بكماله فوق عرشه . والسموات ومسافة مابينهن وبينه وبين خلقه فى الأرض ، فهو كذلك معهم رابعهم وخامسهم وسادسهم ، يعلم ماعملوا من شىء ثم ينبئهم يوم القيامة بما عملوا . كذلك هو مع كل ذى نجوى لا كما ادعيتم أنه مع كل بائل ومحدث ومجامع ، فى كنفهم وحشوشهم ومضاجعهم . وإنما يعرف فضل الربوبية وعظم القدرة بأن الله فوق عرشه وبعد مسافة السموات والأرض يعلم مافى السموات والاض ومابينهما وما تحت الثرى ،وهو مع كل ذى نجوى . ولذلك قال (عالم الغيب والشهادة) ولو كان فى الارض كما ادعيتم بجنب كل ذى نجوى ما كان بعجب أن ينبئهم بما عملوا يوم القيامة . فلو كنا نحن بتلك المنزلة منهم لنبأنا كل عامل منهم بما عمل وقال ، وناجى به أصحابه. فما فضل علام الغيوب على المخلوق الذى لايعلم الغيب فى دعواك .

وأما قولك : إن الله لم يصف نفسه أنه فى موضع دون موضع . فإن كنت أيها المعارض ممن تقرأ كتاب الله أو تفهم شيئا من العربية علمت أنك كاذب على الله فى دعواك ، لانه وصف نفسه أنه فى موضع دون موضع ،ومكان دون مكان. ذكر أنه فوق العرش ، والعرش فوق سمواته . قد عرف ذلك كثير من النساء والصبيان . فكيف من الرجال ؟ قال الله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) (أأمنتم من فى السماء) [١٧/الملك] (وهو القاهر فوق عباده) [١٨/الانعام] (يخافون ربهم من فوقهم) [٥٠/النحل] (إنى متوفيك ورافعك إلى) [٥٥/ آل عمران] (ذو المعارج تعرج الملائكة والروح إليه) [٤/المعارج]من الارض

السافلة . وقال:(إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [١٠/فاطر] ولم يقل ينزل به إليه تحت الأرض :

فهذى الآى كلها تنبئك عن الله أنه فى موضع دون موضع ، وأنه على السماء دون الأرض ، وأنه على العرش دون ماسواه من المواضع .

قد عرف ذلك من قرأ القرآن وآمن به ؛ وصدق الله بما فيه . فلم تحكم على الله أيها العبد الضعيف الا بما هو مكذبك فى كتابه ، ويكذبك به الرسول صلى الله عليه وسلم أو لم يبلغك حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للأمة السوداء (أين الله؟) فقالت فى السماء . قال : (اعتقها فإنها مؤمنة) فهذا ينبئك أنه فى السماء دون الأرض ، فكيف نترك ماقال الله ورسوله : ونختار عليهما فى ذلك قول بشر وابن الثلجى ونظرائهم من الجهمية ؟

وأما قولك : إنه غير محوى ولا محاط به . فكذلك هو عندنا وفى مذهبنا . لما أنه فوق العرش فى هواء الآخرة حيث لاخلق معه هناك غيره ، ولافوقه سماء. وفى قياس مذهبك ومذاهب أصحابك ، هو محوى ، محاط به ، ملازق مماس قد اعترفت بذلك من حيث لاتشعر ، لأنكم تزعمون أنه فى كل مكان من السموات والأرض ، والسموات فوق بعضه . وأنه فى كل بيت مغلق ، وفى كل صندوق مقفل ، فهو فى فى دعواكم محاط به مماس . ولا يكون شيء فى مكان إلا وذلك الشيء مما بين الأمكنة قد أحاطت به الأرض فى دعواكم والسماء . وحيطان البيوت ، والأغلاق والاقفال . فإذا كان فى كل مكان ، يلزم هذا الجاهل على ما ادعاه أن تكون ذاته ملء الخلاء بأسره ، فيلزمه أن يكون ظرفا لحوادثه وتعالى الله عن ذلك علوا كبير أن يكون ظرفا لحوادثه ، أو تكون حوادثه ظرفا له ، لانه تعالى محيط بالأشياء لامحاط به .

فبطل ماقاله ، وظهر فساد ماادعاه ونحن نبرأ إلى الله أن نصفه بهذه الصفة، بل هو على عرشه ، فوق جميع الخلائق فى أعلى مكان وأطهر مكان ، كما قال الله تعالى

(وهو القاهر فوق عباده) يعلم من فوق عرشه مافى السموات وما فى الأرض ، وما تحت الثرى ! يدبر منه الامر ، ويعرج إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، كما قال لايحيط به شىء ولايشتمل عليه حائط ولا سقف بيت ، ولا تقله أرض ، ولا تظله سماء كما ادعيت أيها المتبلى أنه فى كل جحر وزاوية ، وفى كل حش وكنيف ومرحاض ، حيث مقيل الشيطان ومبيته ، تعالى الله عن وصفك .

وادعى المعارض على قوم من أهل الجماعة : أنهم يقولون . علم الله من ذاته . وهو فى الارض بائن منه . فإنا لانقول كما ادعيت أيها المعارض . ولا نقول إن بعض ذاته فى الارض منزوع بجسم بائن منه . ولكنا نقول : علمه وكلامه معه كما لم يزل ، غير بائن منه . فهو بعلمه الذى كان فى نفسه عالم من فوق عرشه بكل ذى نجوى ، أى لايخفى عليه منهم خافية . لانهم منه بمنظر ومسمع ، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد . لايخفى عليه من جسدهم ظاهرا وباطنا قيس خردلة من مخ أو عظم أو لحم أو عرق . داخل وخارج . لقوله تعالى (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون) أى نحن نعلم ماظهر وما بطن . وما غيبت منه الجلود ، وواراه الجوف ، وأخفته الصدور ، وأنتم لاتبصرون . فنحن أقرب إليه منكم بالعلم بذلك . لا بأن علمه منزوع منه بائن بجسم فى الارض كما ادعيت بجهلك فعلى هذا التأويل ندعى أن علمه فى الارض . لا ما ادعيت علينا من الباطل . وكيف يتوجه لحجة غيره من لايتوجه لحجة نفسه ولا يدرى ماينطق به؟ وادخال الحشو من الكلام والحجج الداحضة فيه من هذا المعارض .

وكلما أكثر من ذلك أو كان أدحض لحجته ، وأكشف لعورته .

فاقصر أيها المعارض ، فان العرش لايعطل بإكثار حشوك ، وخرافات كلامك ، وكلام المريسى وابن الثلجى ، إذ عقل أمره النساء والصبيان ، فكيف الدجال ؟

ويحك ، هذا المذهب أنزه لله من السوء أم مذهب من يقول : هو بكماله وجلاله وعظمته وبهائه فوق عرشه فوق سمواته ، وفوق جميع خلقه فى أعلى مكان ، وأطهر مكان ، حيث لا خلق هناك من إنس ولا جان ، فيكفر ؟ فأى الحزبين أعلم بالله وأشد له تعظيما وإجلالا ؟

وأما مارويت عن ابن الثلجى من غير سماع منه من حديث السدى عن أبى مالك عن ابن عباس فى قوله (الرحمن على العرش استوى) قال (ارتفع ذكره وثناؤه على خلقه)وعن ابن عباس أنه قال (استوى له أمره وقدرته فوق بريته) .

وعن ابن الثلجى أيضا من حديث جويبر عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس (الرحمن على العرش) قلت ثم قطع الكلام فقال (استوى به مافى السموات ومافى الأرض) ينفى عن الله الاستواء ويجعله لما فى السموات والأرض .

فيقال لك أيها المعارض : لو قد سمعت هذا من ابن الثلجى لما قامت لك به حجة فى قيس تمرة . وهذه الروايات كلها لاتساوى بعرة ، ومايحتج بها فى تكذيب العرش إلا الفجرة . وأول مافيه من الريبه أنك ترويه عن ابن الثلجى المأبون المتهم فى دين الله . والثانى : عن الكلبى هو ابن عم الثلجى ، وعن جويبر .ولوصح ذلك عن الكلبى وجويبر من رواية سفيان وشعبة وحماد بن زيد لم نكترث بها . لأنهما مغموزان فى الرواية لاتقوم بهما الحجة فى أدنى فريضة ، فكيف فى إبطال العرش والتوحيد ؟ ومع ذلك لانراه إلا مكذوبا على جويبر والكلبى . ولكن من يريد أن يعدل عن الحجة يحتج لمذهبه بما لاتقوم به الحجة .

والعجب ممن يدفع ماروى الزهرى ، عن عطاء بن يزيد الليثى ، عن أبى هريرة وأبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن زيد بن أسلم ، عن أبى سعيد المقبرى ، وثابت البنانى ، من رواية معمر وسفيان وشعبة ومالك بن أنس وحماد ابن زيد، ونظرائهم من أعلام المسلمين ، ويتعلق برواية ابن الثلجى والمريسى

ونظرائهم من أهل الظنة فى دين الله إذا وجد فى شىء فيها أدنى متعلق يدخل بها دلسة على الجهال .

وسنبين لهم من ذلك مادلس إن شاء الله تعالى .

ادعى المعارض أن بعض الناس قال فى قوله : (استوى على العرش) قال استولى : وقال بعضهم : استوى عليه ، أى هو عال عليه . يقال للرجل : علا الشىء أى ملكه ، وصار فى سلطانه ، كما يقال : غلب فلان على مدينة كذا ثم استوى على أمرها ، يريد استولى ولا يريد الجلوس وهذه تأويلات محتملة .

فيقال لهذا المعارض العامه التائه المأبون ، الذى يهذى ولا يدرى : هذه تأويلات محتملة لمعانى هى أقبح الضلال . وأفحش المحال ، ولا يتأولها من الناس إلا الجهال ، وكل راسخ فى الضلال .

ويحك ، هل من شىء لم يستول الله عليه فى دعواك ولم يعلمه ، حتى خص العرش به من بين مافى السموات ومافى الأرض ؟ وهل نعرف من مثقال ذرة فى السموات وفى الأرض ليس الله مالكه ولا هو فى سلطانه ، حتى خص العرش بالاستيلاء عليه من بين الأشياء ؟ وهل نازع الله من خلقه أحد أو غالبه على عرشه ، فغلبه الله ثم استوى على ما غالبه عليه مغالبة ومنازعة ، مع أنك صرحت بما قلنا ، إذ قسته فى عرشه بمتغلب غلب على مدينة فاستوى عليها بغلبته ؟

ففى دعواك لم يأمن الله أن يغلب لأن الغالب المستولى ربما غلب وربما غلب .

فهل سمع سامع بجاهل أجهل بالله ممن يدعى أن الله استولى على عرشه مغالبة ، ثم يقيسه فى ذلك بمتغلب ؟ فيقول : ألا ترى أنه يقال للرجل : غلب على مدينة واستولى على أهلها ؟ وأين ماانتحلت أنه لايجوز لأحد أن يشبه الله بشىء من خلقه ، أو يتوهم فيه ماهو موجود فى الخلق ؟ وقد شبهته بمتغلب غلب على مدينة

بغلبته ، فاستولى عليها ؟ لو ولدتك أمك أصم أخرس كان خيرا لك من أن تتأول هذا وما أشبهه فى عرشه تعالى .

فاقصر أيها المرء الضعيف . فإنك لن تدفع العرش والكرسى بمثل هذا الحشو والخرافات والعمايات لأن الإيمان بهما قد خلص إلى كل من عرف الله : من عالم ، أو جاهل .

وأعجب من ذلك كله : قياسك الله بمقياس العرش ومقداره ووزنه من صغير أو كبير . وزعمت كالصبيان العميان إن كان الله تعالى أكبر من العرش فقدادعيتم فيه فضلا على العرش . وإن كان مثله فإنه إذا ضم إلى العرش السموات والأرض كانت أكبر ، مع خرافات تكلم بها وترهات يلعب بها ، وضلالات يضل بها ، لو كان من يعمل عليه الله لقطع ثمرة لسانه والخيبة لقوم هذا فقيههم . والمنظور إليه مع هذا التمييز كله ، وهذا النظر ، وكل هذه الجهالات والضلالات .

فيقال لهذا البقباق النفاج : إن الله أعظم من كل شىء ، وأكبر من كل خلق ولم يحتمل العرش عظمة ولا قوة ، ولا حملة العرش بقوتهم ، ولكنهم حملوه بقدرته ومشيئته وإرادته وتأييده . لولا ذلك ماأطاقوا حمله .

وقد بلغنا أنهم حين حملوا العرش وفوقه الجبار فى عزته ، وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا ، وجثوا على ركبهم ، حتى لقنوا (لاحول ولا قوة إلا بالله) فاستقلوا به بقدرة الله وإرادته . لولا ذلك ما استقل به العرش ، ولا الحملة ، ولا السموات ولا الأرض ، ولا من فيهن . ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة، فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته ، فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات السبع ؟ وكيف تنكر أيها النفاج أن عرشه يقله ، والعرش أكبر من السموات السبع والأرضين السبع ؟ ولو كان العرش فى السموات والأرضين ماوسعته . ولكنه فوق السماء السابعة .

فكيف تنكر هذا وأنت تزعم أن الله فى الأرض فى جميع أمكنتها ، والأرض دون العرش فى العظمة والسعة ؟ فكيف تقله الأرض فى دعواك ، ولا يقله العرش الذى هو أعظم منها وأوسع ؟ وأدخل هذا القياس الذى أدخلت علينا عظم العرش وصغره وكبره على نفسك وعلى أصحابك فى الأرض وصغرها ، حتى تستدل على جهلك وتفطن لما تورد عليك حصائد لسانك فانك لاتحتج بشىء إلا هو راجع عليك وآخذ بحلقك .

وقد حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح قال (أول ماخلق الله حين كان عرشه على الماء حملة العرش . فقالوا : ربنا لم خلقتنا ؟ فقال : خلقتكم لحمل عرشى . قالوا : ربنا ومن يقوى على حمل عرشك ، وعليه عظمتك وجلالك ووقارك ؟ فقال لهم : إنى خلقتم لذلك . قال :فيقولون ذلك مرارا . قال فقال لهم : قولوا : (لاحول ولا قوه إلا بالله . فيحملكم والعرش قوة الله) .

أفلا تدرى أيها المعارض أن حملة العرش لم يحملوا العرش ومن عليه بقوتهم وبشدة أسرهم إلا بقوة الله وتأييده ؟

وقد بينا لك ماجهلت من أمر العرش بشواهده من كتاب الله ، وشواهده من معقول الكلام ، ومما مضى عليه أهل الإسلام .

وسنقص عليك فيه آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم المأثورة وأخباره المشهورة ما لوعرضتها على قلبك ، وتدبرت ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها علمت إن شاء الله أن ماتأولته فى تفسير العرش باطل .

حدثنا محبوب بن موسى الانطاكى أخبرنا أبو اسحق الفزاوى ، عن الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه نفر من أهل اليمن فقالوا : أتيناك لنتفقه فى الدين ،

ولنسألك عن أول هذا الأمر ، كيف كان ؟ قال : (كان الله ولم يكن شيء غيره . وكان عرشه على الماء ثم كتب فى الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض) .

فهذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض التى هى أعلى الخلق . فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تكذيب لدعواك ، وإبطال لتأويلك .

حدثنا عبد الله بن أبى شيبة حدثنا عبد الله بن بكر السهمى حدثنا بشر بن نمير عن القاسم ، عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء) .

حدثنا محمد بن كثير العبدى أخبرنا سفيان الثورى حدثنا أبو هاشم ، عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا) ثم قال : ابن عباس يخبر أن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا من خلقه من سماء وأرض .

وادعيت أنت وصاحبك أن العرش أعلى الخلق تكذيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه .

وروى مجاهد أنه قال (بدء الخلق العرش) .

حدثنى موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد قال : (بدء الخلق العرش والماء) .

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وكان عرشه على الماء) قال (والماء على أى شيء ؟ قال : على متن الريح) .

حدثنى محمد بن بشار بندار حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى قال : سمعت فى حديثك من الحلية والكسوة والمعاينة (١).

---

(١) يبدو أن الكلام ناقص .

فلفظ هذا الحديث بخلاف مافسرت وتفسيرك أنكر من نفس الحديث . فافهم واقصر عن شبه هذا الضرب من الحديث ، فإن الخطأ فيه كفر ، وأرى الصواب مرفوعا عنك .

ومن الأحاديث أحاديث جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم قالها العلماء ورووها ولم يفسروها . ومتى فسروها أحد برأيه اتهموه .

فقد كتب إلى علي بن خشرم أن وكيعا سئل عن حديث عبد الله بن عمر (والجنة مطوية معلقة بقرون الشمس) فقال وكيع : هذا حديث مشهور قد روى فهو يرويها .

فإن حديث الجنة سألوا عن تفسيره فلم يفسر لهم ، ويتهم من يذكره وينازع فيه . والجهمية تنكره .

فلو اقتديت أيها المعارض فى مثل هذه الأحاديث الضعيفة المشكلة المعانى بوكيع كان أسلم لك من أن تنكره مرة ، ثم تثبته أخرى ، ثم تفسره تفسيرا لاينقاس فى أثر ولاقياس عن ضرب المريسى وابن الثلجى ونظرائهم . ثم لاحاجة لمن بين ظهريك من الناس إلى مثل هذه الأحاديث ، ثم فسرته تفسيرا أوحش من الاول فقلت : يحتمل أن يكون هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت على ربى فى جنة عدن شابا جعدا أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شابا فى الجنة من أولياء الله وافاه رسوله فى جنة عدن . فقال (دخلت على ربى) .

فقد ادعى المعارض على رسول الله صلى الله عليه وسلم كفرا عظيما أنه دخل الجنة فرأى شابا من أولياء الله : فقال : رأيت ربى .

ثم بعد مافسر هذه التفاسير المقلوبة قال : ويحتمل أن يكون هذا من الأحاديث التى وضعتها الزنادقة فدسوها فى كتب المحدثين .

فيقال لهذا المعارض الأحمق ، الذى تلعب به الشياطين : وأى زنديق استمكن

من كتب المحدثين مثل حماد بن زيد وسفيان وشعبة ومالك ووكيع ونظرائهم فيدسوا منها كبير الحديث في كتبهم ؟ وقد كان أكثر هؤلاء أصحاب حفظ . ومن كان منهم من أصحاب الكتب كانوا لا يكادون يطلعون على كتبهم أهل الثقة عندهم فكيف الزنادقة ؟ وأى زنديق كان يجترىء على أن يتراءى لأمثالهم ويزاحمهم فى مجالسهم . فكيف يفتعلون عليهم الأحاديث ويدسونها فى كتبهم ؟ أرأيتك أيها الجاهل إذ كان هذا الحديث عندك من وضع الزنادقة فلم تلتمس له الوجوه والمخارج من التأويل والتفسير ، كأنك تصوبه وتثبته ؟ أفلا قلت أولا : هذا من وضع الزنادقة فتستريح وتريح من العناء والاشتغال بتفسيره . ولا تدعى فى تفسيره على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل الجنة فرأى شابا من أولياء الله تعالى . فقال : هذا ربى . غير أنك خلطت على نفسك فى تشويش وتخليط ، لا تجد لنفسك منا مفزعا إلا بهذه التخاليط ولن تجزى عنك شيئا عند أهل العلم والمعرفة . وكلما أكثرت من هذا وشبهه ازددت به فضيحة ، لأن أحسن حجج الباطل تركه .

سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن شيبة وجبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله فوق عرشه فوق سمواته فوق أرضه مثل القبة — وأشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده مثل القبة وأنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب » .

وهذا أيها المعارض ناقض لتأويلك : إن العرش إنما هو أعلى الخلق ، يعنى السموات فما دونها من السقوف والعرش وأعالى الخلائق ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه فوق السموات العلى . فكفى خيبة وخسارة برجل أن يضاد قوله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكذب دعواه .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد — وهو ابن سلمة — عن عاصم عن زر ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « ما بين السماء الدنيا والتى تليها مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة وبين الكرسى خمسمائة عام . والعرش على الماء . والله فوق العرش . وهو يعلم ما أنتم عليه » .

قال أبو سعيد أفلا ترى أيها المعارض أن ابن مسعود كيف ميز بين العرش والكرسى ، وبين السموات فما دونها التى هى أعلى الخلائق فى دعواك وسميتها عرشا.

وعرش الرحمن الذى هو العرش على ألسن العالمين حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبيد بن مهران - وهو المكتب - حدثنا مجاهد قال قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « خلق الله أربعة أشياء بيده : العرش، والقلم ، وعدن ، وآدم . ثم قال لسائر الخلق كن فكان » وفى قول ابن عمر : خلق الله العرش بيده ثم قال لسائر الخلق كن فكان - تكذيب لما ادعيت أيها المعارض، إذ خلقه الله بيده خصوصا ثم قال لما هو أعلى الخلائق عندك (ائتيا طوعا أو كرها) فإذا كان العرش فى دعواك ودعوى إمامك السموات ، فما بال حملة العرش وما يصنع بهم فى رفع السموات ، وقد قال تعالى (الله الذى خلق السموات بغير عمد ترونها) ففى معرفة الناس لحملة العرش واستفاضته منهم وعلى ألسنتهم ، تكذيب دعواك ودعوى صاحبك ثم ماروى فيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه سنذكر منها بعض ما حضر إن شاء الله تعالى .

حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبى ثور، عن سماك، عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب قال « كنت بالبطحاء فى عصابة فمرت سحابة . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما هذه ؟ قلنا السحاب . قال : والمزن . قلنا : والمزن قال : والعنان ؟ قلنا : والعنان . فسكتنا . فقال : هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، وكذلك غلظ كل سماء ثم ذكر السموات حتى عد سبع سموات . قال : وفوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء إلى السماء ، وفوق ذلك ثمانية أوعال ما بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين السماء إلى السماء ، وعلى ظهورهن العرش ما بين أسفله وأعلاه ما بين السماء إلى السماء ، ثم الله فوق ذلك » .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد ـ وهو ابن سلمة ـ عن الزبير أى عبد السلام عن أيوب بن عبد الله الفهرى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار . نور السموات من نور وجهه . وإن مقدار كل يوم من أيامكم عنده ثنتا عشرة ساعة فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار ، فينظر فيها ثلاث ساعات فيطلع منها على مايكره ، فيغضبه ذلك . فأول من يعلم بغضبه الذين يحملون العرش يجدونه يثقل عليهم فيسبحه الذين يحملون العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة).

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال:(حملة العرش قرون لها كعوب ككعوب القنى ، ما بين إخمص أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام . ومن كعبه إلى ركبتيه مسيرة خمسمائة عام ، ومن ركبيته إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته إلى موضع القرن مسيرة خمسمائة عام) .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد ، عن هشام بن عروة ، عن عروة قال « حملة العرش منهم من صورته على صورة النسر . ومنهم من صورته على صورة الثور ، ومنهم من صورته على صورة الأسد » .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا إسحق بن منصور السلولى ، عن معاوية بن إسحق ، عن سعيد إبن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله أذن لى أن أحدثكم عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض السابعة السفلى والعرش على منكبه وهو يقول : سبحانك أنت وحيث تكون »

حدثنا إسماعيل بن عبد الله الرقى أبو الحسن السكرى حدثنا شريك ، عن سماك بن حرب ، عن عبد الله بن عميرة ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس ابن عبد المطلوب فى قوله (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال « ثمانية أملاك على صورة الأوعال » .

وحدثنا الحكم بن موسى البغدادى حدثنا الهقل بن زياد ، عن الأوزاعى ، عن حسان بن عطية قال : « حملة العرش ثمانية ، أقدامهم فى الأرض ورؤوسهم قد جاوزت السماء ، وقرونهم مثل طولهم عليها العرش » .

حدثنا أبو صالح الحرانى حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن على بن رباح ، عن رجل سمع عبادة بن الصامت يقول : « إن النبى صلى الله عليه وسلم خرج فقال : إن الله رفعنى يوم القيامة فى أعلى غرفة من جنات النعيم ، ليس فوقى إلا حملة العرش » .

وفى العرش وحملة العرش أخبار كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين اختصرنا منها هذه الأحاديث ، ليعلم من نظر فيها مخالفتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ، وإن لم تكن تؤمن بها أنت وأصحابك ، فقد آمن بها من هو خير منك وأطيب ، وعلموا أن قول هؤلاء القوم أصح عند الله مما يروى عن المريسى وابن الثلجى ، ومن خرافاتهم وترهاتهم التى لا تنقاس فى كتاب ولا سنة ولا فى شىء من لغات العرب والعجم .

وادعيت ايضا على قوم أعلم بكتاب الله وسنة نبيه منك ومن أصحابك أنهم يقولون علم الله غيره ، والعلم بمعزل منه والعلم فى السماء والعلم فى الأرض منه بمعزل .

فيقال لهذا المعارض الباهت : مثل هذا لايتفوه به إلا جاهل مثلك ، ولكنهم يقولونه على معنى لايتوجه له أمثالك . يقولون العالم بكماله وبجميع علمه فوق عرشه ، وعلمه غير بائن منه ، يعلم بعلمه الذى فى نفسه مافى السموات والارض وما تحت الثرى ، على بعد مسافة مابينهن . فمعنى قولهم (أن علمه فى الأرض) على هذا التأويل ، لاعلى ماادعيت عليهم من الزور : أنهم يزعمون أن علم الله منزوع منه مجسم فى الأرض ، إذا هم فى الجهل والضلال مثلك ومثل أئمتك المريسى وابن الثلجى ونظرائهم .

وادعيت عليهم أيضا أنهم يزعمون أن كلام الله من صفاته وذاته. والكلام هو الفعل بزعمك ، وزعم هؤلاء أنه من الذات .

فيقال لهذا المعارض : أما مايزعم هؤلاء من ذلك فسنبينه لك . وإن جهلت ، غير أنك ترددت وراوغت ووالست ودالست ، تقدم رجلا ، وتؤخر أخرى ، كيف تصرح بالقرآن أنه مخلوق ؟ فلم تزل عندك ودونك تلجلج بها فى صدرك ، حتى صرحت بها فى هذه المسئلة . وزعمت أنه فعل . والفعل عندك مخلوق لاشك فيه .

وأما دعواك علينا أننا نقول : كلام الله من صفاته . فأنا نقول علانية غير سر ، وهو الحق المبين . وليس شيء من صفاته مخلوق . وكل كلام صفة كل متكلم به ، خالق أو مخلوق ، غير أنه لايقاس به من الخالق والمخلوق بسائر الصفات: من اليد والوجه ، والنفس ، والسمع ، والبصر ، وماأشبهها من الصفات التى إذا بانت من الموصوف استبان مكانها فيه ، وقام البائن منه بعينه فى مكان آخر . لأنك ترى المتكلم من الناس يتكلم نهاره أجمع ، وكلامه يخرج منه وصفا لاينقص من كلامه شيء للذى يخرج منه ، فانه متى شاء عاد فى مثله من الكلام . ولا الكلام يقوم بعينه جسما يرى وينظر إليه دونه وينشر كلامه فى الآفاق على لسان غيره، فينسب إليه حيا وميتا ، كما ينسب اليوم أشعار الشعراء فيقال : شعر لبيد ، والأعشى . ولو قطعت يده لاستبان موضع قطعها منه ، واستبان المقطوع فى مكان آخر ، فلذلك قلنا : إن الكلام له حال خلاف حال هذه الصفات الأخر ، لايقاس بشيء منها ، ولا يشك فيها أنها صفة المتكلم ، لأنه منه خرج .

وأما قولك : كلام الله : فعله ، فقد صرحت بأنه مخلوق ، وادعيت أن أفاعيل الله زائلة عنه مخلوقة ، والكلام أحد أفاعيله عندك ، فقلت فيه قولا أفحش مما قاله إمامك المريسى زعم المريسى أنه مجعول وكل مجعول مخلوق: وزعمت أنت أنه مفعول، وكل مفعول مخلوق ، وأنتما إن اختلفت منكما الألفاظ فان المعنى فيه منكما متفق ، كما

اتفق القول من إمامك المريسى مع الوليد بن المغيرة المخزومى المشرك إذ قال (إن هذا إلا قول البشر) [٢٥/المدثر] وكذا الذى قال (إن هذا إلا اختلاق) [٧/ص] فزعم إمامك أنه مجعول ، وزعمت أنت أنه مفعول ، فاتفقت المعانى ، واختلفت الألفاظ منكما جميعا . ولئن كان أهل الجهل من مرادكم فى شك إن أهل العلم منكم لعلى يقين . فكان من صنع الله لمن بين ظهريك أن صرحت بالمخلوق بشر (١) وانقباض منه ، مخافة الفضيحة ، حتى صرحت بها ، فاستدلوا على مذهبك ليحذروا مثلها من زلاتك ، ويجتنبوا أخواتها من سقطاتك . ثم صرحت بها ثانية فى آخر كتابك ، فادعيت أن من قال: القرآن غير مخلوق فقد جاء بالكفر عيانا .

أو لم تزعم أيها المعارض فى صدر كتابك هذا : أن من قال القرآن مخلوق فقد ابتدع . ثم ادعيت أن من قال : غير مخلوق فهو كافر . فإن كان الذى قال غير مخلوق كافرا عندك ، إن الذى يقول مخلوق مؤمن موفق ، مصيب فى دعواك ، فلم تنسبه إلى البدعة ، وهو فى دعواك موفق مصيب ،ولكنك موهت بالأول لئلا يفطن الجهال منك الاخرى(٢) وقد صرحت وأوضحت وأفصحت به ،حتى لم تدع لمتأول عليك موضع شبهة .

ثم صرحت أيضا بمذهب كبير فاحش من قول الجهمية . فقلت : إذا قالوا لنا أين الله ؟ فانا لانقول بالأينية بحلول المكان . إذا قيل : أين هو ؟ قيل : على العرش وفى السماء .

فيقال لك : أيها المعارض ، ما أبقيت غاية فى نفى استواء الله على العرش ، واستوائه إلى السماء إذ قلت لانقول : إنه على العرش وفى السماء بالأينية ، ومن لم يعرف أن إلهه فوق عرشه ، فوق سمواته ، فانما يعبد غير الله ، ويقصد بعبادته إلى إلهه وفى الأرض ، ومن قصد بعبادته إلى إلهه فى الأرض كان كعابد وثن . لأن الرحمن على العرش ، والأوثان فى الارض ، كما قال جبريل (عند ذى العرش

(١) كذا فى الأصل .
(٢) كذا فى الأصل .

مكين . مطاع ثم أمين) [٢١/التكوير] ففى قوله دليل على البينونة والحد «ثَمّ» لاهاهنا فى الكنف والمراحيض كما ادعيتم . وإن أبيت أيها المعارض أن تؤين الله وتقر به أنه فوق عرشه ، دون ماسواه ، فلا ضير على من أينه ، إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أينه . فقال للأمة السوداء (أين الله ؟ قالت : فى السماء . قال اعتقها فإنها مؤمنة) وكذلك أينه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليله إبراهيم عليه السلام أنه فى السماء .

حدثنا أبو هاشم الرفاعى حدثنا إسحق بن سليم ، عن أبى جعفر الرازى ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما ألقى إبراهيم فى النار قال : اللهم إنك فى السماء واحد ، وأنا فى الأرض واحد عبدك) .

حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن أبان ، عن يزيد العطار ، عن يحيى بن أبى كثير عن هلال بن أبى ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للأمة السوداء : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : (اعتقها فإنها مؤمنة) .

فما تصنع بقولك أيها المعارض ، وقول إمامك المريسى مع قول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإبراهيم خليل الله صلى الله عليهما وسلم إلا أن ينبذ فى الحش .

والقرآن يصدق ماقالا ويحققه ، من أوله الى آخره . إذ يقول : (أأمنتم من فى السماء) و (إليه يصعد الكلم الطيب) (ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) (وهو القاهر فوق عباده) (إنى متوفيك ورافعك إلىّ) وما أشبهها من القرآن .

وزعمت أيها المعارض أنك لاتصف الله تعالى بحلول فى الأماكن ، فلو شعرت

أيها المعارض أنك وصفته بأقبح حلول فى الأماكن وأفحش مما عبت على غيرك لأنا قد أبنا له مكانا واحدا أعلى مكان ، وأطهر مكان ، وأشرف مكان : عرشه العظيم المقدس المجيد ، فوق السماء السابعة العليا ، حيث ليس معه هناك إنس ولا جان ولا بجنبه حش ولا مرحاض ولا شيطان .

وزعمت أنت والمضلون من زعمائك أنه فى كل مكان ، وكل حش ومرحاض وبجنب كل إنسان وجان . أفأنتم تشبهونه إذ قلتم بالحلول فى الأماكن ، أم نحن ؟ هذا واضح بين مذهبكم ، ودعوا كم صرحت به أيها المعارض فى غير موضع من كتابك . ولكنك تقول الشىء فتنساه ، ثم تنقض على نفسك ، وأنت لا تشعر به حتى يأخذ بحلقك . والحمد لله الذى أعاننا عليك بالنسيان ، وكثرة الهذيان .

ثم ذهبت تنكر النزول وتدفعه بضروب من الأباطيل والأضاليل من كلام المريسى وابن الثلجى ونظرائهم من الجهمية وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير خبر ، كأنك تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ،وقل حديث روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنقض لدعواكم فى أن الله فى كل مكان من حديث النزول ، لما أنكم تقولون : لا يخلو منه مكان . فكيف ينزل من مكان إلى مكان من هو فى كل مكان .

فكان من أعظم حجج المعارض لدفع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النزول حكاية حكاها عن أبى معاوية الضرير لعلها مكذوبة عليه . أنه قال : نزوله نزول أمره وسلطانه ، وملائكته ، ورحمته ، وما أشبهها .

فقلنا له : أيها المعارض : أما لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فينقض ما حكيت عن أبى معاوية . فإن قاله فالحديث يكذبه ويبطل دعواه . لأن لفظ الحديث «إذا مضى ثلث الليل ، أو شطر الليل : نزل الله إلى سماء الدنيا ، فيقول : هل من داع ، فأجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطيه سؤاله ؟ حتى ينفجر الفجر» وقد جئنا بالحديث بإسناده فى صدر هذا الكتاب . فلو كان ذلك على ما حكيت عن

أبى معاوية وادعيته أنت أيضا أنه أمره ورحمته وسلطانه ، ماكان أمره وسلطانه يتكلم بمثل هذا ويدعو الناس إلى استغفاره وسؤاله دون الله ، ولا الملائكة يدعون الناس إلى إجابة الدعوة وإلى المغفرة منها لهم ، وإلى إعطاء السؤال لان الله ولى ذلك دون من سواه .

وأخرى أن أمره وملائكته ورحمته وسلطانه دائما ينزل آناء الليل والنهار ، لايفتر فى كل ساعة ، ولاينقطع فما بال ثلث الليل خص بنزول رحمته وأمره من بين أوقات الليل والنهار ؟ حتى وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتا آخر . فقال « إلى أن ينفجر الفجر » ففى دعواك تنزل رحمته على الناس فى ثلث الليل . فإذا انفجر الفجر رفعت فى دعواك ، هذا والله تفسير محال ، وتأويل ضلال ، يشهد عليه ظاهر الحديث بالإبطال .

وأما مارويت فى صدر كتابك عن المريسى أن الله بكل مكان عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن ابن عمر أنه قال لرجل « لاتقل الله حيث كان ، فإنه بكل مكان » .

وعن أبى الاحوص ، عن زيد بن جبير ، عن أبى البخترى مثله .

فتأويل هذا أيها المعارض على مافسرنا : أنه فوق عرشه ، بكل مكان بالعلم به ، ومع كل صاحب نجوى ، وأقرب من حبل الوريد ، كما قال الله تعالى ، لاعلى أنه بنفسه فى كل مكان ، بما بين الخلق فى الأرض والأمكنة ، ويجنب كل مصل وقائم وقاعد ، فهو من فوق عرشه مع من بالمشرق ، كما هو مع من بالمغرب ، ومع من فى الأرض السابعة ، كما هو مع من فى السماء ، لايبعد عنه شىء فى الأرض ولا فى السماء ولايخفى عليه خافية من خلقه .

والعجب منك ومن إمامك المريسى أن يحتج فى ضلاله بالتوبة على ابن عمر وعن أبى البخترى ويدع المنصوص المفسر عن ابن عمر فى الرؤية والعرش خلاف ماموه من كتاب الله ، ورواية بضع وعشرين رجلا من الصحابه عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى النزول ، وفى أن الله فى السماء دون الأرض ، هذا إلى الابتداع أقرب منه إلى الاتباع ، وإلى الجهل أقرب منه إلى العدل ، غير أن المصيب يتعلق من الآثار بكل واضح مشهور ، والمريب يتعلق بكل متشابه مغمور .

وأعجب من ذلك قولك فيما ادعيت على أبى معاوية فى تفسير هذا النزول ، ثم قلت : يحتمل ما قال أبو معاوية ، كما تروون أن القرآن يجىء يوم القيامة شافعاً مشفعاً وما حلا مصدقا ، فقالوا : معنى ذلك أنه ثوابه . فإن جاز لهم هذا التأويل فى القرآن جاز لنا أن نقول إن نزوله : أمره ورحمته .

فيقال لهذا المعارض : لقد قست بغير أصل ولا مثال ، لأن العلماء قد علموا أن القرآن كلام ، والكلام لا يقوم بنفسه شيئا قائماً حتى تقيمه الألسن ويستبين عليها وأنه بنفسه لا يقدر على المجىء والتحرك والنزول بغير منزل ولا محرك ، إلا أن يؤتى به ، وينزل والله حى قيوم ، ملك عظيم . قائم بنفسه ، فى عزه وبهائه ، يفعل ما يشاء ، كما يشاء وينزل بلا منزل ويرتفع بلا رافع ، ويفعل ما يشاء بغير استعانة بأحد ، ولا حاجة فيما يفعل إلى أحد : ولا يقاس الحى القيوم الفعال لما يشاء بالكلام الذى ليس له عين قائمة حتى تقيمه الألسن ، ولا له أمر ولا قدرة ولا إرادة ولا يستبين إلا بقراءة القراء .

أرأيت إن كان نزوله : أمره ورحمته فما بال أمره ورحمته لا تنزل إلا فى ثلث الليل ؟ ثم إلى السماء الدنيا ، وما بال أمره ورحمته فى دعواك لا تنزل إلى الأرض من حيث مستقر العباد ، بمن يريد الله أن يرحمه ويجيب ويعطى . فما بالها تنزل إلى السماء الدنيا ، ثم لا تجوزها ؟ وما بال رحمته تبقى على عباده من ثلث الليل إلى انفجار الفجر ، ثم ترجع من حيث جاءت بزعمك ؟ وما باله إذ الله بزعمك فى الأرض فإذا استرحمه عباده واستغفروه وتضرعوا إليه بعد عنهم رحمته إلى السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، ولا يغشيهم إياها وهو معهم فى الأرض بزعمك . إذا زعمت أن نزوله

تقريب رحمته إليهم كقوله الآخر (منى تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب منى ذراعا تقربت عنه باعا) فقلت : هذا تقرب بالرحمة .

ففى دعواك فى تفسير النزول : من تقرب إليه شبرا تباعد هو عنه مسيرة مابين الأرض إلى السماء ، وكلما ازداد العباد إلى الله تقربا تباعد هو برحمته عنهم بعد مابين السماء والأرض بزعمك .

لقد علمت أيها الجاهل أن هذا تفسير محال يدعو إلى الضلال ، والحديث نفسه يبطل هذا التفسير ويكذبه ، غير أنه أغيظ حديث للجهمية ، وأنقض شيء لدعواهم لأنهم لايقرون أن الله فوق عرشه ، فوق سمواته ، لكنه فى الأرض ، كما هو فى السماء . فكيف ينزل إلى السماء الدنيا من هو تحتها فى الأرض ؟ وجميع الأماكن منها ، ولفظ الحديث ناقض لدعواهم ، وقاطع لحججهم .

وأخرى : أنه قد عقل كل ذى عقل ورأى أن القول لايتحول صورة لها لسان وفم ، ينطق ويشفع ، فحين اتفقت المعرفة من المسلمين أن ذلك كذلك علموا أن ذلك ثواب يصوره الله بقدرته صورة رجل يبشر به المؤمنين ، لأنه لو كان للقرآن صورة كصورة الإنسان لم يتشعب أكثر من ألف ألف صورة . فيأتى أكثر من ألف ألف شافع ، وماحل . لأن الصورة الواحدة إذا هى أتت واحدا زالت عن غيره . فهذا معقول ، لايجهله إلا كل جهول . وهذا كحديث الأعمش عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن الرجل إذا مات تأتيه أعماله الصالحة فى صورة رجل فى أحسن هيئة وأحسن لباس وأطيب رائحة ، فيقول : أنا عملك الصالح ، كان حسنا ، فكذلك ترانى طيبا . وكذلك العمل السيء يأتى صاحبه فيقول له : أنا عملك الخبيث ويبشره بعذاب الله) .

وإنما عملهما الصلاة والزكاة والصيام وما أشبهها من الأعمال الصالحة ، وعمل الزنا والربا وقتل النفس بغير حقها ، وما أشبهها من المعاصى قد اضمحلت وذهبت

فى الدنيا . فيصور الله بقدرته المؤمن والفاجر ثوابها وعقابها يبشرهما به ، إكراما للمؤمنين وحسرة على الكافرين .

وهذا المعنى أوضح من الشمس وقد علمتم ذلك إن شاء الله ، ولـكن تغالطون وتدلسون ، وعليكم أوزاركم وأوزار من تضلون .

ثم أكد المعارض دعواه فى أن الله فى كل مكان بقياس ضل به عن سواء السبيل .

فقال : ألا ترى أنه من صعد الجبل لايقال : أنه أقرب إلى الله .

فيقال لهذا المعارض المدعى مالاعلم به ، من أنبأك أن رأس الجبل ليس بأقرب إلى الله من أسفله ، لأنه من آمن بأن الله فوق عرشه فوق سمواته علم يقينا أن رأس الجبل أقرب إلى السماء من أسفله ، وأن السماء السابعة أقرب إلى عرش الله من السادسة ، والسادسة أقرب إليه من الخامسة ثم كذلك إلى الأرض . كذلك روى إسحاق بن إبراهيم الحنظلى عن ابن المبارك أنه قال: (رأس المنارة أقرب إلى الله من أسفلها) وصدق ابن المبارك . لأن كل ما كان إلى السماء أقرب كان إلى الله أقرب، وقرب الله إلى جميع خلقه أقصاهم وأدناهم واحد لايبعد عن شىء من خلقه . وبعض الخلق أقرب إليه من بعض على نحو مافسرنا من أمر السموات والأرض، وكذلك قرب الملائكة من الله . فحملة العرش أقرب إليه من جميع الملائكة الذين فى السموات كلها . والعرش أقرب إليه من السماء السابعة . وقرب الله إلى جميع ذلك واحد معقول مفهوم إلا عند من لايؤمن بأن فوق العرش إلها وكذلك سمى الملائكة المقربين وقال (إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحون وله يسجدون) [٢٠/الأعراف] فلو كان الله فى الأرض كما ادعيت الجهمية ما كان لقوله (الذين عند ربك) معنى ، إذ كل الخلق عنده ومعه فى الأرض بمنزلة واحدة مؤمنهم وكافرهم ، ومطيعهم وعاصيهم . وأكثر أهل الأرض من لايسبح بحمده ولا يسجد له . ولو كان فى كل مكان ومع كل أحد لم يـكن لهذه الآية معنى . لأن

أكثر من فى الأرض لايؤمنون به ولا يسجدون له ويستكبرون عن عبادته . فأى منقبة إذن فيه الملائكة ؟ إذ كل الخلق عند الجهمية فى معناهم على تفسيرهم هذه الآية .

ثم فسر المعارض هذا المذهب تفسيرا أشنع من هذا ، دفعا بأن يقال :إن الله فى السماء . فقال : يحتمل التأويل أن يكون فى السماء ، على أنه مدبرها ومتقنها . كما يقال : للرجل هو فى صلاته وعمله ، وتدبير معيشته . وليس هو فى نفسها وفى جوفها ، وفى نفس المعيشة بالحقيقة . ولكن بالمجاز على دعواه .

فيقال لهذا المعارض : قد قلنا لك : إنك تهذى ولا تدرى ، تتكلم بالشىء ثم تنقض على نفسك ، أليس قد زعمت أن الله فى السماء ، وفى الأرض ، وفى كل مكان بنفسه ، فكيف تدعى فيه هاهنا أنه ليس فى السموات منه إلا تدبيره وإتقانه كتدبير الرجل معيشته ، وليس بداخل فيها ؟

ما أولى بك أيها المعارض أن تعض على لسانك ، ولا تحتج بشىء لا تقدر أن تقوده . وتتخلص منه بحجة حتى تنقضه على نفسك بنفس كلامك ولو كان لك ناصح لحجر عليك الكلام ، ولولا أنه يشير إليك بعض الناس ببعض النضرة فى العلم ما اشتغلنا بالرد على مثلك ، لسخافة كلامك . ورثاثة حججك ولكنا تخوفنا من جهالتك ضررا على الضعفاء الذين بين ظهريك . فأحببنا أن نبين أن نبين لهم عورة كلامك وضعف احتجاجك كى يحذر وامثلها من رأيك. وقد فضحناك فى ذلك ولو استقصينا عليك الاحتجاج لطال به الكتاب ، غير أنا أحببنا أن نفسر منها قليلا يدل على كثير . ولولا أنك ابتدأتنا بالخوض فيه وفى إذاعة كلام بشر المريسى الملحد فى توحيد الله ، المعطل لصفات الله ، المفترى على الله ، لم نعرض لشىء من هذا وما أشبهه . لأنه لايحل لمسلم عنده شىء من بيان أو برهان يكون ببلدة ينشر فيها كلام المريسى فى التوحيد ثم لاينقضه .

ثم عاد إلى مذهبه الأول ناقضا على نفسه فيما تاول فى المسئلة الأولى فاحتج ببعض كلام جهم والمريسى .

فقال : إن قالوا لك أين الله ؟ فالجواب لهم : إن أردتم حلولا فى مكان دون مكان ، وفى مكان يعقله المخلوق. فهو المتعالى عن ذلك . لأنه على العرش . وبكل مكان ، لايوصف بأين .

فيقال لهذا المعارض : أما قولك كالمخلوق . فهذه كذبة منك ، وتلبيس ولا يقوله أحد من العلماء ، ولكنه بمكان يعقله المخلوقون المؤمنون بايات الله ، وهو على العرش فوق السماء السابعة ، دون ماسواها من الأمكنة ، وعلمه محيط بكل مكان ، وبمن هو فى كل مكان . من لم يعرفه بذلك لم يؤمن بالله . ولم يدر من يعبد ، ومن يوحد .

مع أنك أيها المعارض أقررت بأنك تعقل مكانه لأنك ادعيت أنه فى كل مكان من سماء ومن أرض .

وأما اشتراطك على من سألك : أين الله . فتقول له : إن كنت تريد كذا وكذا فهذا شرط باطل . لم يشترط ذلك أحد من الأئمة على أحد أراد أن يعرف الله : لأن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأل الأمة السوداء « أين الله » لم يشترط عليها كما اشترطت أنت إن كنت تريد حلولا كحلول كذا وكذا ولكن قالت « فى السماء » فاكتفى منها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ولم يقل لها : كيف كينونته فى السماء ؟ وكيف حلوله فيها ؟

وأما قولك : لايوصف بأين . فهذا أصل كلام جهم ، وهو خلاف ماقال الله ورسوله والمؤمنون ، لأن الله قال (أأمنتم من فى السماء) وقال للملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) وقال (الرحمن على العرش استوى) فقد أخبر الله العباد أين هو ، وأين مكانه ، وأينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير حديث فقال « من لم يرحم من فى الأرض لم يرحمه من فى السماء » .

حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص ، عن أبى اسحق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد

الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء »
فلو لم يوصف بأين كما ادعيت أيها المعارض ، لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول للجارية « أين الله » فيغالطها فى شىء لا يؤين . وحين قالت «هو فى السماء »
لو قد أخطأت فيه لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وعلمها . ولكنه استدل على
إيمانها بمعرفتها أن الله فى السماء وكذلك روى لنا عن ابن المبارك .

حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا على بن الحسن الشقيق قال : قيل لابن المبارك
« بأى شىء نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فى السماء على عرشه ، بائن من خلقه : قلت :
بحد ؟ قال : بحد » فهذا القرآن ينطق بأن يوصف الله بأين ، وهذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد وصفه ، وعليه درج أهل المعرفة من أهل الإسلام .

فمن أنبأك أيها المعارض غير المريسى وأصحابه أنه لا يوصف بأين ؟ فأخبرنا
به وإلا فأنت المفترى على الله ، الجاهل به وبمكانه .

ثم نقضت على نفسك دعواك أنه فى السماء على أنه مدبرها ، كما يكون الرجل
فى عمارة داره خارجا منها ، وليس بداخل فيها . فتركت المذهب الأول . ثم ادعيت
أخيرا فقلت : هو فى السموات وفى الأرض . وفى كل مكان ، تحتج بالشىء ثم
تنساه حتى تنقضه على نفسك . وأنت لا تشعر ؟

وسنذكر فى إبطال حجتك فى هذه المسئلة أخبارا صحيحة يستدل بها من
وفقه الله على إلحادك فيها إن شاء الله .

حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن عمرو - وهو ابن دينار - عن أبى قابوس ،
عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الراحمون يرحمهم
الرحمن . ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء) .

حدثنا سعيد بن أبى مريم المصرى أخبرنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصارى
عن محمد بن كعب القرظى ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى أحدكم شيئا أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا الذى فى السماء ، تقدس اسمك،أمرك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء . فاجعل رحمتك فى الأرض واغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل شفاء من شفائك ، ورحمة من رحمتك على هذا الوجع ، فيبرأ .

أفلا ترى أيها المعارض رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حده فى السماء دون الأرض بقوله « ربنا الله الذى فى السماء » .

وكذلك روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا،وكيع حدثنا سعيد بن عبد العزيز التنوخى عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن عبد الرحمن بن غنم قال : قال عمر بن الخطاب « ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه » .

حدثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى سالم بن عبد الله أن كعبا قال لعمر « ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء » فقال عمر « إلا من حاسب نفسه » قال كعب « إلا من حاسب نفسه » فكبر عمر ثم خر ساجدا .

ففى هذا بيان بين الحد ، وأن الله فى السماء دون الأرض . لأن الله ديان السموات والأرض جميعا وسلطانها . ولكنه حد مكانه فى السماء دون الأرض ، لأنه هناك على العرش دون ماسواه من الأمكنة .

حدثنا محمد بن بشار حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى قال سمعت محمد بن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد بن مطعم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله فوق عرشه ، وعرشه فوق سمواته ، فوق أرضه مثل القبة . وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب » .

حدثنا عبد الله بن أبى شيبة حدثنا محمد بن الفضل ، عن أبيه ، عن نافع ، عن

ابن عمر قال (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر : أيها الناس إن كان محمد الهكم الذى تعبدون فإنه قد مات وإن كان الهكم الله الذى فى السماء فإن الهكم لم يمت) ثم تلا (وما محمد إلا رسول قدخلت من قبله الرسل،أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم) حتى ختم الآية .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود قال (مابين السماء الدنيا والتى تليها مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين الكرسى مسيرة خمسمائة عام ، وبين الكرسى إلى الماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء ، والله فوق العرش ، ويعلم ماأنتم عليه) .

حدثنا النفيلى حدثنا زهير ـ وهو ابن معاوية ـ حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن مليكة أنه حدثه ذكوان حاجب عائشة رضى الله عنها (أن ابن عباس رضى الله عنهما دخل على عائشة رضى الله عنها وهى تموت ، فقال لها كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إلا طيبا . وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات ، جاء بها الروح الأمين . فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيه الله إلا وهى تتلى آناء الليل وآناء النهار) .

حدثنا نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك أخبرنا سليمان بن المغيرة عن ثابت البنانى قال حدثنا رجل من أهل الشام وكان يتبع عبد الله بن عمرو بن العاص ويسمع منه قال : (كنت معه ، فلقى نوفاً البكالى . فقال نوف ذكر لنا أن الله قال للملائكته ادعوا لى عبادى . قالوا : يارب كيف ندعوهم ، والسموات السبع دونهم ، والعرش فوق ذلك ؟ قال : إنهم إذا قالوا لا إله إلا الله فقد استجابوا) .

حدثنا موسى بن إسماعيل ـ أبو سلمة ـ حدثنا أبو هلال حدثنا قتادة قال (قالت بنو إسرائيل : يارب ، أنت فى السماء ، ونحن فى الأرض فكيف لنا أن نعرف

رضاك وغضبك ؟ قال : إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم . وإذ غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم) .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر ، وخيارأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون حتى بنو إسرائيل كلهم قد قالوا بخلاف مذهبكم فى أن الله فى كل مكان . وهذا باب طويل والآثار فيه كثيرة . ويكفى العاقل ماذكرنا من ذلك .

القول فى كلام الله

ثم رأيناك أيها المعارض من بعد مافرغت من إظهار حجج الجهمية من كلام بشر المريسى ونظرائه ، تقلدت كلام ابن الثلجى الذى كان يستتربه من التجهم ، بعد مالم تدع للجهمية من كبير حجة إلا قمت بها ، وأظهرتها وزينتهافى أعين الجهال ودعوتهم إليها ، وبعد ماصرحت بأن القرآن مخلوق فى مواضع كثيرة من كتابك هذا ، ومن قال غير مخلوق . فهو عندك كافر ، وأن الله فى كل مكان بزعمك .

ثم أنشأت طاعنا على من يزعم أنه غير مخلوق . فسطرت فيه الأساطير وأكثرت من المناكير ، وغلطت فى كثير . فادعيت أن قول الناس فى القرآن إنه مخلوق وغير مخلوق بدعة ، إذ لم يكن يخاض فيه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأنهم كانوا يكرهون الخوض فى القرآن ،فحكمت أيها المعارض على نفسك بالبدعة ، وشهدت بها على نفسك كما أنك صرحت بأنه مخلوق . وهو قولك : كلام الله غير الله . وهو من أفاعليه والأفاعيل بزعمك زائلة عنه ومخلوقة . فحكمت على نفسك بما تخوفت على غيرك .

فأما قولك . إن السلف كانوا يكرهون الخوض فى القرآن فقدصدقت. وأنت المخالف لهم لما أنك قد أكثرت فيه من الخوض . وجمعت على نفسك كثيرا من

النقض . فمثلك فيما ادعيت من كراهية الخوض فيه كما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه للخوارج حين قالوا : (لاحكم إلا لله) فقال (كلمة حق يبتغى بها باطل) فقد خضت فيه أيها المعارض بأقبح الخوض ، وضربت له أمثال السوء . وصرحت بأنه مفعول كما قال إمامك المريسى أنه مجعول . وكل مفعول عندك مخلوق لاشك فيه .

ويحك ، إنما كره السلف الخوض فيه مخافة أن يتأول أهل البدع والضلال ، وأغمار الجهال ، ماتأولت فيه أنت وإمامك المريسى ، فحين تأولتم فيه خلاف ماأراد الله ، وعطلتم صفات الله ، وجب على كل مسلم عنده بيان أن ينقض عليكم دعواكم فيه ، ولم يكره السلف الخوض فى القرآن جهالة بأن كلام الخالق غير مخلوق ، ولا جهالة أنه صفة من صفاته ، حتى لو قد ادعى مدع فى زمانهم أنه مخلوق ما كان سبيله عندهم إلا القتل ، كما همّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بصبيغ أن يقتله ، إذ تعمق فى السؤال عن القرآن ، فيما كان أيسر من كلامكم هذا . فلما لم يجترىء كافر أو متعوذ بالاسلام أن يظهر شيئا من هذا وماأشبهه فى عصرهم لم يجب أن يتكلفوا النقض لكفر لم يحدث بين أظهرهم فيكونوا سببا لإظهاره ، إنما كانت هذه كلمة كفر تكلم بها بدءا كفار قريش ، منهم الوحيد: الوليد بن المغيرة المخزومى فقال (إن هذا إلا قول البشر) ومنهم النضر بن الحارث قال (لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين) كما قال جهم والمريسى : إنه مخلوق لأن قول البشر مخلوق لاشك فيه ، وكذلك قالت طائفة منهم (إن هذا إلا أساطير الأولين) كما قال جهم والمريسى سواء ، لافرق بينهما فى اللفظ والمعنى إن هـذا إلا مخلوق ، فانكر عليهم قولهم . فقال للوحيد (سأصليه سقر) لما قال (إن هذا إلا قول البشر) وقال للذى قال (لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين : ـ فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) .

ثم لم يزل هذا الكفر دارسا طامسا بعد كفار قريش ، لما قد طمسه الله بتنزيله، حتى مضى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون . فكان أول من أظهره فى آخر الزمان فى الاسلام الجعد بن درهم بالبصرة ، وجهم بخراسان ، فقتلهما الله بشر قتلة ، وفطن الناس لكفرهما ، حتى كان سبيل من أظهر ذلك فى الاسلام القتل صبرا . وحتى كانوا يسمونهم بذلك الزنادقة .

ثم لم يزل طامسا دارسا حتى درج العلماء ، وقلت الفقهاء ، ونشأ نشء من أبناء اليهود والنصارى : مثل بشر بن غياث المريسى ونظرائه ، فخاضوا فى شيء منه ، وجانبهم أهل الدين والورع ، وشهدوا عليهم بالكفر حتى هم بهم وبعقوبتهم قاضى القضاة يومئذ أبو يوسف ، حتى فرمنه المريسى إمامك ، والحق بالبصرة بزعمك وبروايتك عنه ، فلم يزالوا أذلة مقموعين ، لا يقبل لهم قول ، ولا يلتفت لهم إلى رأى ، حتى ركنوا إلى بعض السلاطين الذين لم يجالسوا العلماء ، ولم يزاحموا الفقهاء ، فاخترعوهم بهذه المحنة الملعونة حتى أكرهوا الناس عليه بالسيوف والسياط .

فلم تزل للجهمية سنوات يركبون فيها أهل السنة والجماعة بقوة ابن أبى دؤاد المحاد لله ولرسوله حتى استخلف المتوكل رحمه الله ، فطمس الله به آثارهم . وقمع به أنصارهم . حتى استقام أكثر الناس على السنة الأولى ، والمنهاج الأول .

فاحتال رجال ممن كانوا يؤمنون باعتقاد التجهم حيلة لترويج ضلالتهم فى الناس، ولم يمكنهم الافصاح به مخافة القتل والفضيحة والعقوبة من الخليفة المنكر لذلك ، فاستتروا بالوقف من محض التجهم ، إذ لم يكن يجوزلهم من إظهاره مع المتوكل ما كان يجوز لهم من قبله . فانتدبوا طاعنين على من أنكر التجهم ودان بأن كلام الله غير مخلوق . فانتدب هؤلاء الواقفة منافحين عن الجهمية . محتجين لمذاهبهم بالتمويه والتدليس منتفين فى الظاهر من محض كلام الجهمية ، متابعين لهم فى كثير من الباطن . مموهين على الضعفاء والسفهاء بما حكيت عنهم أيها المعارض أن

أبا أسامة وأبا معاوية ، وبعض نظرائهم كرهوا الخوض فى المخلوق وغير المخلوق فقلنا : روايتك لما أنه لم يكن يخوض فيه إلا شرذمة أذلة سرا بمناجاة بينهم ، وأن العامة متمسكون منهم بالسنن الأولى والأمر الأول .

فكره القوم الخوض فيه إذ لم يكن يخاض فيه علانية ، وقد أصابوا فى ترك الخوض فيه إذ لم يعلن . فلما أعلنوه بقوة السلطان ، ودعوا العامة إليه بالسياط والسيوف ، وادعوا أن كلام الله مخلوق أنكر عليهم ذلك من غبر من العلماء ، ومن بقى من الفقهاء فكذبوهم وكفروهم وحذروا الناس أمرهم ، وفسروا مرادهم من ذلك . فكان هذا من الجهمية خوضا فيما نهوا عنه ، ومن أصحابنا انكارا للكفر المبين ، ومنافحة عن الله كيلا يسب ولا تعطل صفاته ، وذباً عن ضعفاء الناس كيلا يضلون بمحنتهم هذه ، من غير أن يعرفوا ضدها من الحجج التى تنقض دعواهم وتبطل حججهم .

فقد كتب إلى على بن خشرم أنه سمع عيسى بن يونس يقول (لاتجالسوا الجهمية ، وبينوا للناس أمرهم . كى يعرفوهم فيحذروهم) .

وقال ابن المبارك (لأن أحكى كلام اليهود والنصارى أحب إلى من أن أحكى كلام الجهمية) .

فحين خاضت الجهمية فى شىء منه وأظهروه وادعوا أن كلام الله مخلوق أنكر ذلك ابن المبارك ، وزعم أنه غير مخلوق ، وأن من قال (أنا الله لا إله إلا أنا) مخلوق فهو كافر .

حدثنيه يحيى الحمانى ، عن الحسن بن الربيع ، عن ابن المبارك . فكره ابن المبارك حكاية كلامهم قبل أن يعلنوه . فلما أعلنوه أنكر عليهم وعابهم على ذلك .

وكذلك قال ابن حنبل (كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه

هؤلاء فلما أظهروه لم نجد بدا من مخالفتهم والرد عليهم) .

ولم يقل أبو أسامة وأبو معاوية إنه متى ماأظهرت الجهمية محنتهم وأذاعوا كفرهم ودعوا الناس إليها ، فأمسكوا عن الانكار عليهم حتى يستمر فى الناس كفرهم ، وتدرس سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . ولكن قالوا : أمسكوا عن الخوض فيه ما لم ينصب القوم الكفر إماما . فإذا نصبوه إماما فمن يعقل تدليسهم وتمويههم لولا أن من الله على أهل الاسلام ببعض من ناقضهم ، فرد عليهم كفرهم وضلالهم فمن المبتدع الضال من الحزبين ؟ الذى نصب رأى جهم إماما وأذاعه فى الناس بدءا ، أو المتبع للسنة الذى أنكر عليه وناقضه . فمن أجرى الناقض للبدعة الراد للكفر مجرى من شرعها فقد جمع بين مافرق الله ، وفرق بين ماجمع الله . وليس بأهل أن يسمع منه ويقبل .

أو طمعتم معشر الجهمية والواقفة أن تنصبوا الكفر للناس إماما تدعونهم إليه ، وتسكتوا أهل السنة عن الانكار عليكم ، حتى يروج على الناس ضلالكم بما حكيتم عن أبى بكر بن عياش وأبى أسامة ، وأبى معاوية ـ إن صدقت دعواكم ـ حتى تضمحل مذاهب أهل السنة وتستفيض مذاهب الجهمية فى العامة ، لقد أسأتم بأهل السنة الظن ، ونسبتموهم إلى العجز والوهن .

وإن يك أبو أسامة وأبو معاوية وأبو بكر جبنوا عن الخوض فيه ، إذ لم يكن يخاض فيه فى عصرهم ، فقد جسر على الرد عليهم من كان أعلم منهم . مثل ابن المبارك وعيسى بن يونس وغيرهم .

وأما ماادعيت على أبى يوسف من رواية ابن الثلجى فلم يقم لك به حجة . فكيف إذا لم تسمعه . لأنه المطعون فى دينه ، المأبون فى روايته ، فإن لم تعرف بذلك فسم رجلا صالحا رضى بابن الثلجى فى الفتيا والرواية إماما به فى السنة نظاما ، أو روى عنه شيئا ، أو حمد له مذهبا . فإن كنت محتجا بحق فعليك بغير ابن الثلجى ونظرائه ممن روينا عنهم من أعلام الناس وأئمتهم . ولكن الغريق يتعلق بكل عود .

وأما أبو يوسف فإن صح عنه ماروى ابن الثلجى فمردود عليه غير مقبول منه . فإنه لم يكن من التابعين ، ولا من أجلة اتباع التابعين. فينصب إماما يقتدى به فى ترك الصلاة خلف من يناقض الجهمية . ويرد المحدثات من كفرهم ، ويزعم أن كلام الله غير مخلوق ، فيجهل أبى يوسف أن يقيم حديثه فى العلماء الذين يزعمون أن كلام الله غير مخلوق .

وكيف يحتج بأبى يوسف فى ترك الصلاة خلف من يدعى أن كلام الله غير مخلوق ولا تحتج به على نفسك فيما رويت عن المريسى من ضلالاته ، وقد رويت عن أبى يوسف أنه هم بعقوبته وأخذه فيها حتى فر من مجلسه إلى البصرة ؟

فإن كنت محتجا علينا بأبى يوسف فهو عليك أحج ، لما أنك به أعجب ، وبامامته أرضى ممن يزعم أن القرآن غير مخلوق ، فمن لم يستيقن أن القرآن غير مخلوق ، لم يؤمن بعد بأنه نفس كلام الله ، لأنه لو آمن بأنه نفس كلام الله لعلم يقينا أن الكلام صفة المتكلم . والله بجميع صفاته وكلامه غير مخلوق .

فإن طلبتم منافيه آثارا مأثورة مسندة منصوصة عن الصحابة والتابعين فقد أخبرناكم أنه كفر لم يحدث فى عصرهم . فيروى عنهم فيه ، غير أنه كفر معقول ، تكلم به مشركو قريش عند مخرج النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : (إن هذا إلا قول البشر) فأنكر الله ذلك عليهم ، ثم طمس حتى ظهر فى العصر الذى أنبأناكم به، فى عصر جهم والجعد ، ثم المريسى ونظرائهم . فروينا لكم عمن أنكر ذلك عليهم وخالفهم فيه من أهل زمانهم ، مثل جعفر بن محمد ، وعمرو بن دينار، وابن المبارك، وعيسى بن يونس ، ووكيع بن الجراح ، ويزيد بن هارون ، والمعافى بن عمران، وبقية بن الوليد . وغيرهم ، وهذا كفر معقول لايحتاج فيه إلى أثر ، ولا خبر . كما لو أن رجلا ادعى أن ملك الله قدرته وسلطانه ، وعلمه ، ومشيئته ، وإرادته ، ووجهه ، وسمعه وبصره ويديه ، أن شيئا منها مخلوق . قيل له : كفرت وكذبت، بل

كلها غير مخلوق . فإن طلبت منا فى كل شيء منها أثراً منصوصا بتسمية ذلك الشيء بعينه قلنا له أنت مريب كافر . ومن أشبهه عليه هذا وما أشبهه حتى يطلب فيها الآثار ؟ وكذلك كلام الله مثل هذه الأشياء سواء ، غير مخلوق محدث ، لايشك فيه . فالله بزعمك كان بلا كلام حتى خلق لنفسه كلاما . ثم انتحله اضطرارا إلى كلام غيره . فتمت به ربوبيته ، ووحدانيته ، وأمره ونهيه بزعمك . فمن يحتاج فى مثل هذا المعقول إلى أثر ؟

وأخرى أن الكلام لايقوم بنفسه شيئا يرى ويحس إلا بلسان متكلم به . فالكلام من الخالق والمخلوق صفتها . فالخالق بجميع صفاته غير مخلوق . والمخلوق بجميع صفاته مخلوق . لاشك فيه .

فلينظر هذا الشاك فى القرآن . فإن كان الله المتكلم بالقرآن عنده فلا يشكن أن الله لم يتكلم بمخلوق من الكلام ، ولم يضطر إلى شيء مخلوق قط من الكلام وغيره ولم يكن له حاجة . وإن كان ابتدعه مخلوق أضافه الى الله ، فلا يشكن هذا الشاك فى صفات المخلوقين وكلامهم أنها مخلوقة كلها ، وأن مبتدعها والمتكلم بها من المخلوقين الكافرين كافر . إذ يقول (إنى أنا الله رب العالمين) (لا إله إلا أنا فاعبدنى) و (إنى أنا ربك) قائل هذا القول غير الله كافر ، مثل فرعون الذى قال (أنا ربكم الأعلى) و (ماعلمت لكم من إله غيرى) .

وادعيت أيها المعارض أن من قال : القرآن هو الله فهو كافر ومن قال هو غير الله فقد أصاب . ومن قال : غير مخلوق : فقد جهل وكفر .

فيقال لهذا المعارض : لم تدع من صريح المخلوق شيئا . إذا زعمت أن من قال : القرآن غير الله فقد أصاب . ومن قال غير مخلوق فقد جهل . لما أن كل من زعم أن القرآن غير الله فقد أقر بأنه مخلوق . لأن كل شيء غير الله فهو مخلوق لاشك فيه .

ولا يقال أيها المعارض : إن القرآن هو الله فيستحيل . ولا هو غير الله فيلزم القائل به أنه مخلوق . ولكن يقال : كلام الله ، علم من علمه ، وصفة من صفاته . والله بجميع صفاته إله واحد غير مخلوق ، لاشك فيه . فافهم وما أراك تفهمه وتعقله . لأنك تقول : لايجوز : إلاأن يقال : هو الله ، أوغير الله . فإن قال رجل : هو الله أ كفرته . وإن قال غير الله قلت له : أقررت بأنه مخلوق. وصوبت مذهبي . لأن كل شيء غير الله مخلوق .

فيقال لك : أخطأت الطريق ، وغلطت فى التأويل : لأنه لا يقال : القرآن هو الله أو غير الله ، كما لايقال : علم الله هو الله ، وقدرة الله هى الله . وكذلك عزته وملكه وسلطانه وقدرته ، لايقال لشيء منها هو الله بعينه وكماله ، ولا غير الله ، ولكنها صفات من صفاته ، غير مخلوقة . وكذلك الكلام ، فافهم .

وادعى المعارض أيضا : أن بعض علمائه وزعمائه قال : إن كلام الله مضاف إليه كما أضيفت إليه روح الله ، وبيت الله ، وخلق الله .

وهذا من قديم حجج الجهمية . وليس من حجج الواقفة . فليكشف المعارض عن اسم هذا العالم الذى قال ، فإنه لايكشف إلا عن جهمى خبيث . وإنه لايقاس روح الله ، وبيت الله ، وعبد الله ، المجسمات المخلوقات القائمات المستقلات بأنفسهن اللاتى كن بكلام الله لم يخرج شيء منها من الله . ككلامه الذى خرج منه . لأن هذا المخلوق قائم بنفسه وعينه ، وحليته وجسمه . لايشك أحد فى شيء منها أنه غيرالله وأنه ليس شيء منها لله صفة . والقرآن كلام الله الذى خرج منه وبه تكلم ، لم يقم بنفسه جسما غير الله ، قائما يحس أو لم يحس حتى تقيمه القراءة والألسن . فإذا زالت عنه القراءة خفى فلم يحس منه بشيء . فلم يقم له عين إلا أن يبين بكتاب يكتب ، وبين روح الله وبيت الله وعبد الله ، والقرآن الذى هو نفس كلام الله الخارج من ذاته بون بعيد .

فكيف تقلدت أيها المعارض كلام الواقفة بدءا ؟ ثم فزعت منه إلى أفحش

كلام الجهمية : أنه كعبد الله ، وبيت الله، ثم ادخال الحجج على تعطيل ماسواها من الصفات ؟ إنما تقول الواقفة إن القرآن كلام الله . ولا تقول مخلوق ولا غير مخلوق ثم لايعرضون لهذه الحجج التى عرضت لها واحتججت بها . فلذلك قلنا : إنك مستتر بالوقف ، منافح عن التجهم ، حتى صرحت به فى غير مكان من كتابك . ولو لم يكن إلا تشبيهك إياه ببيت الله أو عبد الله ، وبقولك: إنه غير الله ، وإنه مفعول ، وإن من قال : غير مخلوق فهو كافر عندك ، لاكتفينا بهذا دون ماسواه .

ثم تعلقت بعده بالوقف مستترا به عن التجهم : تتقدم إلى هؤلاء برجل ، وتتأخر عنهم بأخرى ، فمرة تحتج بحجج الجهمية كأنك تلاعب الصبيان، ومرة تحتج بحجج الواقفة ، وكذلك تأولت فى العرش كما تأول جهم بن صفوان : وكتبت عن بعض علمائك وزعمائك ولم تصرح باسمه : أن تفسير قوله (الرحمن على العرش استوى) استولى عليه ، ترى من بين ظهريك هذا الذى رويت عنه هذا التفسير وسميته أحد العلماء ولايدرى من حولك أنه أحد السفهاء ، وقد فسرناه لك تفسيره فى صدر هذا الكتاب وبينا لك فيه استحالة هذا المذهب وبعده من الحق والمعقول .

فاكشف عن رأس هذا المفسر حتى نعرفه ، أمن العلماء هو أم من السفهاء ؟ فإنك لاتؤثره إلا عن المريسى أو عمن هو أخبث منه .

والعجب من المريسى صاحب هذا المذهب - إذ يدعى توحيد الله بمثل هذا المذهب وما أشبهه ، وقد عطل جميع صفات الواحد الأحد ، فادعى فى قياس مذهبه أن واحده الذى يوحده إله مخدج منقوص ، مشوه لاتتم وحدانيته إلا بمخلوق ، ولايستغنى عن مخلوق : من الكلام والعلم والاسم .

ويلك ، انما الموحد الصادق فى توحيده الذى يوحد الله بكماله فى جميع صفاته وعلمه وكلامه وقبضه وبسطه وهبوطه وارتفاعه ، الغنى عن جميع خلقه بجميع صفاته . من النفس والوجه والسمع والبصر واليدين والعلم والكلام ، والقدرة

والمشيئة والسلطان ، القابض الباسط ، المعز المذل ، الحي القيوم ، الفعال لما يشاء . هذا إلى التوحيد أقرب أم هذا الذى يوحد إلها مخدجا منقوصا مقصوصا ، لو كان عبدا على هذه الصفة لم يكن يساوى تمرتين ؟ فكيف يكون مثله إلها للعالمين ؟ تعالى الله عن هذه الصفة علوا كبيرا .

واحتج المعارض أيضا لمذهبه ببعض حجج الجهمية ، وليست هذه من حجج الواقفة . فقال : تقولون يارب القرآن افعل بنا كذا وكذا أيصلى أحد للقرآن كما يصلى لله ؟ يعنى أن القرآن مخلوق مربوب .

فيقال لهذا التائه الحائر ، الذى لايدرى ماينطق به لسانه : إنه لا يصلى للقرآن ولكن يصلى به لله الواحد ، الذى هذا القرآن كلامه وصفته ، لايخص بالصلاة قرآنا ولا غيره ، كما أن علمه وقدرته وسلطانه وعزه وجلاله لا يصلى لشيء منها ، مقصودا بالصلاة إليها وحدها ، ولكن يصلى للواحد الأحد الذى هو إله واحد بجميع صفاته من العلم والكلام والملك والقدرة وغيرها . فاعقله : وأنى لك العقل مع هذا الاحتجاج والخرافات ؟

أرأيتك إن عرضت بالقرآن أنه مخلوق مربوب لما أنه قد قال بعض الناس : يارب القرآن . فجعلته مخلوقا بذلك فقد قال الله تعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) أفتحكم على عزة الله بقوله (رب العزة) كما حكيت على القرآن ؟ ويحك إنما قوله (رب العزة) يقول ذى العزة . وكذلك ذو الكلام . كقوله (ذو الجلال والإكرام) .

ومما يدل على اعتقاد هذا المعارض رأى الجهمية لا رأى الواقفة : أن ذبه ومنافحته واحتجاجه عن غير الواقفة . وأنه أظهر بلسانه الانكار على الفريقين جميعا : على من يقول مخلوق وعلى من يقول : غير مخلوق تمويها منه ودنوا إلى العامة

ثم لم يكثر الطعن من قال : مخلوق ، كما أطنب فى الطعن على من قال : غير مخلوق ، حتى جاوز فيهم الحد والمقدار ، فنسبهم فيه إلى الكفر البين ، والبدعة الظاهرة ، والضلال والجهل ، وقلة العلم والتمييز وسوء الديانة وسوء مراقبة الله ، وأنهم فى قولهم : غير مخلوق مطيعون للشيطان وجنوده ، مقدمون بين يدى الله ورسوله ، ليشهد عليهم بالكفر إذ قالوا القرآن غير مخلوق ، ولم ينسب من قال: مخلوق إلى جزء من ألف جزء مما نسب إليه الذين خالفوهم مما شاء الله ،ولكنكم تغالطون والعلماء بمغالطتكم عالمون ، ولضلالاتكم مبطلون . ويكفى العاقل أقل ما بينا وشرحنا من مذاهبكم ، غير أن فى تكرير البيان شفاء لما فى الصدور .

وأما دعواك أيها المعارض أنه لم يسبق من السلف فى القرآن قول ولا خوض أنه غير مخلوق فسنقص عليك إن شاء الله عنهم مايكذب دعواك وسنحكيه لك عن قوم منهم أعلى وأعلم ممن حكيت عنهم مذهبك نحو المريسى والثلجى ونظرائهم .

حدثناه على بن المدينى حدثنا موسى بن داود حدثنا معبد قال على ـ وهو ابن راشد ـ عن معاوية بن عمار قال : قيل لجعفر بن محمد (القرآن خالق أو مخلوق ؟ قال : ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله) .

سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلى يقول : قال سفيان بن عيينة قال عمرو بن دينار (أدركت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق ، وماسواه مخلوق . والقرآن كلام الله . منه خرج وإليه يعود) .

حدثنى محمد بن منصور الطوسى ـ من أهل بغداد ـ قال حدثنى على بن محمد بن مضاء المصيصى مولى خالد القسرى قال سمعت محمد بن المبارك بالمصيصة ، وسأله رجل عن القرآن فقال (هو كلام الله غير مخلوق) .

حدثنى محمد بن منصور ، عن على بن مضاء قال :سمعت بقية بن الوليد يقول (القرآن كلام الله غير مخلوق) .

حدثنى محمد بن منصور حدثنا على بن محمد بن مضاء قال. سمعت عيسى بن يونس يقول (القرآن كلام الله غير مخلوق) .

حدثنى محمد بن منصور حدثنا على بن محمد بن مضاء قال سمعت القاسم الجورى يقول (القرآن كلام الله غير مخلوق) .

حدثنى محمد بن منصور حدثنا على بن محمد بن مضاء قال : حدثنا هشام بن بهرام قال سمعت المعافى بن عمران يقول (القرآن كلام الله غير مخلوق) .

قال هشام (وأنا أقول كما قال المعافى) قال على (وأنا أقول كما قال هشام) قال محمد بن منصور (وأنا أقول كما قال خمسين مرة) قال أبو سعيد (وأنا أقول كما قالوا) قال الصرام (وأنا أقول كما قالوا) قال رواة الصرام (ونحن نقول كما قالوا) وقال لنا إسحق (ونحن نقول كما قالوا) .

فكل هؤلاء قد قالوا (إنه غير مخلوق) وليس بدون من رويت عنهم أنهم كرهوا الخوض فيه فيقولون (هو غير مخلوق) مثل أبى أسامة وأبى معاوية . ومنصور بن عمار إن صدقت عليهم دعواك . وأخسهم عند الناس منزلة أعلى من المريسى واللؤلؤى وابن الثلجى ، ونظرائهم الذين ادعوا أنه مخلوق حتى لقد أكفرهم كثير من العلماء وكثير منهم أوجب عليهم به القتل ، ولم يوجبوا عليهم القتل بذلك إلا وأن قولهم كان عندهم كفرا .

حدثنى يحيى الحمانى أن أبا بكر بن عياش حدثهم عن أبى حصين عن سويد بن غفلة أن عليا قتل زنادقة ، ثم أحرقهم ثم قال (صدق الله ورسوله) فالجهمية عندنا أخبث الزنادقة لأن مرجع قولهم إلى التعطيل ، كمذهب الزنادقة سواء .

حدثنا القاسم بن محمد المعمرى البغدادى حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب

إبن أبى حبيب قال : « خطبنا خالد بن عبد الله القسرى بواسط يوم الأضحى فقال : أيها الناس ؛ ارجعوا فضحوا ، تقبل الله منا ومنكم . فإنى مضح بالجعد بن درهم أنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما . سبحانه وتعالى عما يقوله الجعد بن درهم علوا كبيراً ثم نزل اليه فذبحه » .

حدثنا موسى بن إسماعيل قال: قلت لإبراهيم بن سعد « ما تقول فى الزنادقة ، ترى أن تستتيبهم ؟ قال : لا . قلت فبم تقول ذلك ؟ قال كان علينا وال بالمدينة . فقتل منهم رجلا ولم يستتبه، فسقط فى يده ، فبعث إلى أبى، فقال له أبى: لا يهتديك فإنه قول الله (فلما رأوا بأسنا) قال : السيف (قالوا آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) قال السيف : سنة القتل » .

وسمعت الربيع بن نافع أبا توبة يقول : قلت لأحمد بن حنبل « وما ترى فى قتل الجهمية ؟ يستتابون ؟ فقال : لا . أما خطباؤهم فلا يستتابون وتضرب أعناقهم » .

حدثنا يحيى بن بكير بن المصرى، حدثنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من غير دينه فاضربوا عنقه » قال مالك: ومعنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا — فيما نرى ، والله أعلم — أنه من خرج من الإسلام إلى غيره مثل الزنادقة وأشباهها، فإن أولئك يقتلون ،ولا يستتابون . لأنه لم يعرف رويتهم وأنهم قد كانوا يسرون الكفر ويعلنون بالاسلام ولا أرى أن يستتاب هؤلاء ولا يقبل قولهم » .

حدثنا يوسف بن يحيى البويطى ، عن الشافعى ، فى الزنديق « يقبل قوله إذا رجع ولا يقتل » :

حدثنا محمد بن المعمر السجستانى — وهل من آثر أهل سجستان وأصدقهم — عن زهير بن نعيم البانى ، أنه سمع سلام بن مطيع يقول « الجهمية كفار » .

قال : وسمعت زهير بن نعيم يقول : سئل حماد بن زيد — وقيل له عن بشر المريسى — فقال « ذلك كافر » .

حدثنى يحيى الحمانى ، حدثنا الحسن بن الربيع قال : سمعت ابن المبارك يقول : من زعم أن قول الله (إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى) . أنه مخلوق فهو كافر .

وسمعت محبوب بن موسى الأنطاكى يقول إنه سمع وكيعا يكفر الجهمية ، وكتب إلىّ على بن خشرم أن ابن المبارك كان لا يعد الجهمية فى عداد المسلمين .

وسمعت يحيى بن يحيى يقول « القرآن من كلام الله . من شك فيه أو زعم أنه مخلوق فهو كافر » .

فاجتهاد هذا المعارض فى الطعن على من يقول « غير مخلوق » وصفحه عمن يقول « مخلوق » فهذا يدل على أسوإ الريبة ، وأقبح الظن ، وأن إلشبه وميله إلى من يصفح عنه .

ومما يدل على ظنته أن احتجاجه فيه بالمقذوفين المتهمين فى دين الله ، مثل المريسى واللؤلؤى وابن الثلجى ونظرائهم ، فأين هو من الزهرى والأوزاعى ومالك بن أنس وشعبة وابن المبارك ووكيع ونظرائهم ؟ وأين هو ممن كان فى عصر ابن الثلجى من علماء أهل زمانه ، مثل أحمد بن حنبل وابن نمير وابن أبى شيبة وأبى عبيد ونظرائهم ؟ إن كان متبعا مستقيم الطريقة ، ولكن لا يمكنه عن أحد منهم فى مذهبه حكاية ولا رواية ، وإنما يتعلق بالمغموزين ، إذ لم يمكنه التعلق بهؤلاء المشهورين ، كيما يروج ضلالته على الناس بأهل الريب الذين لا قبول لهم ولا عدالة عند أهل الإسلام .

ثم تقلدت أيها المعارض أفحش حجج الجهمية فى نفى الكلام عن الله تعالى ، لما أن الله قد نسب الكلام إلى الجبال والشجر والشمس والقمر ، فشبهت الله فى كلامه بالجبال والشجر والشمس والقمر ، التى لا تقدر على الكلام ، ولا لها أسماع ولا

أبصار . وهذا من أعظم حجج الجهمية يجعلون الله الحى القيوم المتكلم بالكلام ، السميع البصير القابض الباسط كالمدر والحجارة والتلال الصم البكم التى ليس لها كلام ولا أسماع ولا أبصار .

فقال يجوز عندنا فى المجاز أن ينسب الكلام إلى هذه الأشياء الصم البكم ، فكذلك يجوز فى المجاز أن ينسب الكلام إلى الله من غير أن يقدر الله على الكلام فى دعواكم إلا كقدرة الجبال والشجر والشمس والقمر ، فهل من شىء أشبه بالكفر البين من هذا المذهب ، بل هذا الكفر صراحاً : أن يكون منزلة كلام الله عندهم ككلام الجبال والشجر والحجر والشمس والقمر والأشياء المخلوقة البينة .

هذا كلام ليس له نظام ، ولا هو من مذاهب الاسلام ، ولا يحتاج إلى نقيضه من الكلام ، لأن مع كل كلمة منها نقيضها من نفس كلام المعارض ، ومن ادعى أن كلام الله والقرآن مضاف إلى الله كبيت الله وروح الله وكعبد الله ، أو شبهه بكلام الجبال والشجر فقد صرح بأنه مخلوق اختلقه فى دعواه بشر كذاب ، كما قال الوحيد (إن هذا إلا قول البشر) ، لما أن الله لم يخلق لنفسه كلاما يدعو إلى الله وإلى توحيده وطاعته ، فإما أن يكون المتكلم به الله عندكم فهو كلام نفسه حقيقة ، ومنه خرج ، ولا يجهل ذو عقل أنه لا يخرج من الله كلام مخلوق ، وإما أن يكون المتكلم به عندكم غير الله ، ثم أضافه كذبا وزورا وبهتانا إلى الله، فهذا المتكلم به المضيفه إلى الله كذاب مفتر كافر بالله إذ يقول : (إنى أنا الله رب العالمين). ويقول : (إننى أنا الله لاإله إلاأنا فاعبدنى) ويقول لموسى: (أنا ربك) من ادعى شيئا من هذا أو قاله غير الله فهو كافر كفرعون الذى قال (أنا ربكم الأعلى) لا يستحق قائل هذا أن يجعل قوله قرآنا يضاف إلى الله ويقام به دين الله ، فهذا أوضح من الشمس وأضوأ منها إلا عند كل مدلس .

ولولم يذع هذا المعارض هذا الكلام ، وينشره فى الناس لم نتعرض لمناقضته والرد عليه ، مع أنا لم نقصد بالنقض إليه ، ولكن إلى ضعفاء من بين ظهريه ، الذين لاعلم لهم بهذا المذهب وسمعوا به منه ، ولم يسمعوا ضد كلامه من كلام أهل السنة واحتجاجهم ، فيضلون به ، إذ لا يهتدون بضده وما ينقضه عليه . فلو أنه ألف لهم كتابا فى معالم دينهم من نحو الصلاة والوضوء والزكاة ونحوها كان أولى به وأسلم لدينه وأنفع لمن حواليه من المسلمين .

غير أنى أظنه اصطلم هذا الرأى قديما ، وكان يجيش فى صدره ، ولا يمكنه كتمه ، حتى هم بإظهاره فيما بلغنى مرة ، فأنكرعليه علماؤهم وفقهاؤهم ، واستتابوه منه فتاب وعاهدهم أن لا يعود فى شىء منه ؛ ثم عيل صبره بعد وفاة هؤلاء العلماء حتى عرف بما فى صدره فافتضح وفضح أئمته ، وضل وأضل وجهل فلم يعقل ، وهو فى ذلك معجب بنفسه ، غافل عما عليه فى ذلك من الاثم والعار ، والنقض من كتاب الله وآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب الصالحين . ولو علم بذلك لكان أن يكون أخرس أحب إليه من أن يتكلم بهذا أوما أشبهه ، فكان يتستر من الافتضاح حتى نطق بلسانه .

وصرح بالمخلوق أيضا فى كلام يموه عند السفهاء ، مكشوف عند الفقهاء ، فادعى أيضاً أن كلام الله يحتمل أن يكون من أفاعيله ؛ وأن أفاعيله زائلة عنه ، وكل زائل عن الله مخلوق فى دعواه .

قيل له : لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة . وقد أجمعنا واتفقنا على أن الحركة والنزول والمشى والهرولة والاستواء على العرش ، وإلى السماء قديم ، والرضى والفرح والغضب ، والحب ، والمقت كلها أفعال فى الذات للذات ، وهى قديمة فكل ما خرج من قول « كن » فهو حادث . وكل ما كان من فعل الذات فهو قديم . والله أعلم .

فلم يزل يعيب هذا القول ويلجلج فى صدوه حتى صرح به وهو يرى أنه ليس معه بالبلاد من يفطن لمذهبه .

فيقال لهذا المعارض : من زعم أن القرآن فعل الله الزائل عنه ؛ فقد رجع عن قوله : كلام الله . لأن القول غير الفعل ، عند جميع الناس . والمفعولات كلها مخلوقة ولا شك فيها . فقد صرح بالمخلوق مرة بعد مرة ، بعد ما عاب من قاله ؛ فرجع عليه من حيث لا يشعر .

أرأيتك أيها المعارض إذا ادعيت فى بعض كلامك أنه لا يجوز أن تقول : مخلوق ولا غير مخلوق ، ولا يزاد على أن يقال : كلام الله ثم يسكت عما وراء ذلك ؛ لما أنه لم يخض فيه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فمن خاض فيه بزعمك كان مقدما بين يدى الله ورسوله . فكيف تركت فيه قول الله ومنهاج السلف ، ورجعت عن كلام الله فجعلته فعلا له مخلوقا ؟

أو ما تخشى على نفسك ما تخوفت على غيرك ؟ فقد ارتطمت فيما تخوفته على غيرك وأنت لا تشعر ؛ وصرحت بالمخلوق بعد ما نسبت إلى البدعة من قالها ، وبؤت بما عبت به على غيرك ، وقدمت بين يدى الله ورسوله ، وشايعت جهما والمريسى فى دعواهما . زعم أن هذان أنه مجعول ، وزعمت أنت أنه مفعول . وكلا المعنيين سواء .

وقد كان هذا رأس حجج المريسى وأصحابه من الجهمية وأوثقها فى أنفسهم ؛ حتى تأولوا فيها على الله من كتابه خلاف ما أراد . فقالوا : قال الله : (حم والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) و (جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) فادعوا أنه لا يقال لشىء (جعلناه) إلا وذلك الشىء مخلوق ، فضلوا بهذا التأويل عن سواء السبيل ، وجهلوا فيه بغير مذاهب أهل الفقه والبصر بالعربية .

فقلنا لهم : ماذنبنا أن سلب الله منكم معرفة الكتاب والعلم به وبمعانيه ، وبمعرفة لغات العرب ، حتى ادعيتم أن كل شيء يقال له (جعلناه) فهو خلقناه ؟

أرأيتم أيها الجهلة قول الله (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب)أهو خلقنا في ذريته النبوة والكتاب ؟ وكذلك (وجعلها كلمة باقية في عقبه) لا إله إلا الله. أهو خلقها ؟ وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)و(يجعل من أمره يسرا) أهو خلق له مخرجا ؟ أم قوله (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) أهو خلقنا ؟ أم قوله (حملنا كم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة)أم قوله(ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) أم قوله (لا تجعلنا فتنة للذين كفروا)أهو في دعواكم لا تخلقنا بعد ماخلقهم مرة ؟ أم قوله (اجعل لي لسان صدق في الآخرين)أتقول: اخلق لي ؟ أم قوله (واجعلنا للمتقين إماما) أي اخلقنا ؟ أم قوله (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) بعد مافرغ من خلقه ؟ أم قوله (اجعل هذا البلد آمنا)أم قوله (قد جعلتم الله عليكم كفيلا) أم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) أم قوله (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أهو واخلقني . وقد فرغ من خلقه ؟ أم قول الرجل للرجل : جعلك الله بخير ؟

وكل ما عددنا من هذه الأشياء وما أشبهها مما لم يتعدد بمستحيل أن يصرف جعلنا . وأشدها استحالة : ماادعيتم على الله في قوله (إنا جعلناه قرآنا عربيا) إنا خلقناه فلم تفهموا معناه من قلة علمكم بالعربية .

ويلكم ، إنما الكلام لله بدءاً وآخراً ، وهو يعلم الألسنة كلها ، ويتكلم بما شاء منها : إن شاء تكلم بالعربية وإن شاء بالعبرية ، وإن شاء بالسريانية ، يقول فقد جعلت هذا القرآن عربيا من كلامي . وجعلت التوراة والانجيل من كلامي عبرانيا ، لما أنه أرسل كل رسول بلسان قومه ، كما قال : فجعل كلامه الذي لم يزل

له كلاما لكل قوم بلغاتهم فى ألسنتهم . فقوله (جعلناه) صرفناه من لغة إلى لغة أخرى ، ليس (إنا جعلناه) خلقناه خلقا بعد خلق فى دعواكم ، فهو مع تصرفه فى كل أحواله كلام الله غير مخلوق .

وأما قوله (جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) يقول: تستنير به القلوب وتنشرح له . لا أنه نور مخلوق ، له ضوء قائم ، يرى بالأعين . مثل ضوء الشمس والقمر والكواكب : فافهمه ، ولا أراك تفهمه .

واحتج المعارض أيضا لتحقيق قوله (إنه مخلوق) بحديث النبى صلى الله عليه وسلم (يجىء القرآن شفيعا لصاحبه) .

فقال لأهل السنة : إن قلتم بهذا الحديث كان نقضا لما ادعيتم أن القرآن غير مخلوق . لأنه لا يتراءى شىء فى صورة إلا وذلك المترائى والمتكلم فى قياس مذهبه مخلوق . فقد فسرنا هذا لهذا المعجب بجهالته فى كتابنا هذا أن القرآن كلام ليس له صورة ، ولا جسم ، ولا يتحول صورة أبدا ، له لسان وفم ينطق به ويشفع . قد عقل ذلك جميع المسلمين . فلما كان المعقول ذلك عندهم علموا أن ذلك ثواب يصوره الله فى عين المؤمنين ، جزاء لهم عن القرآن الذى قرأوه . واتبعوا ما فيه ، ليبشر به المؤمنين . ونفس القرآن كلام غير مجسم فى كل أحواله ، إنما يحس به إذا قرىء . فإذا زالت عنه القراءة لم يوقف له على جسم ولا صورة ، إلا أن يرسم بكتاب . هذا معقول لا يجهله إلا كل جهول . قد علمتم ذلك إن شاء الله ولكنكم تغالطون . والعلماء بمغالطتكم عالمون ، ولضلالاتكم مبطلون .

حدثنا محبوب بن موسى الأنطاكى أنه سمع وكيعا يكفر الجهمية وكتب إلى على بن خشرم أن ابن المبارك كان لا يعد الجهمية فى عداد المسلمين .

وسمعت يحيى بن يحيى يقول (القرآن كلام الله ، من شك فيه أو زعم أنه مخلوق فهو كافر) .

فهؤلاء الذين أكفروهم فى آخر الزمان . وعلى بن أبى طالب وابن عباس فى أول الزمان وأنزلاهم منزلة من بدل دينه . فاستحق بتبديله القتل .

حدثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد وجرير بن حازم ، عن أيوب ، عن عكرمة أن على بن أبى طالب رضى الله عنه (أتى بقوم من الزنادقة فحرقهم . فبلغ ذلك ابن عباس فقال : أما أنا فلو كنت لقتلتهم . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه . وقيل : (لاتعذبوا بعذاب الله) .

فادعى المعارض أن من روينا عنهم من الفقهاء والعلماء المشهورين فى إكفار الجهمية وقتلهم عليه ، وقولهم القرآن غير مخلوق . أن هذه الروايات وما أشبهها ليس أثرا عنده ، لما أن أبا يوسف قال (الأثر ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة وما بعد هؤلاء ليس بأثر)

فيقال لهذا المعارض : فكيف جعلت أنت مارويت أثرا فى رد مذهبنا ، عن أبى حنيفة وأبى يوسف . وأبى أسامة وأبى معاوية ، والمريسى ، واللؤلؤى وابن الثلجى ؟ فإن لم يكن ماروينا من ذلك ، عن جعفر بن محمد ، وعمرو بن دينار ، وبقية بن الوليد ، وابن المبارك ، ووكيع ، وعيسى بن يونس ، ونظرائهم عندك بأثر . فأبعد من الأثر ما احتججت فى رده عن المريسى واللؤلؤى وابن الثلجى ونظرائهم ، فكيف أقمت أقاويل هولاء المتهمين لنفسك أثرا ، ولاتقيم أقوال هؤلاء المتميزين لنا أثرا ؟ مع أن أبا يوسف إن قال : ليست أقاويل التابعين بأثر فقد أخطأ . إنما يقال : ليس اختلاف التابعين سنة لازمة كسنة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فأما أن لايكون أثرا فانه أثر لاشك فيه . وأقاويلهم ألزم للناس من أقاويل أبى يوسف وأصحابه : لأن الله أثنى على التابعين فى كتابه . فقال (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم) فشهد لهم باتباع الصحابة رضى الله عنهم، واستيجاب الرضوان من الله باتباعهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . واجتمعت الكلمة من جميع المسلمين أن سموهم التابعين ، ولم يزالوا يؤثرون عنهم بالأسانيد كما يأثرون عن الصحابة . ويحتجون

بهم فى أمر دينهم ، ويرون آراءهم ألزم لهم من آراء من بعدهم . للاسم الذى استحقوا من الله ، ومن جماعة المسلمين الذين سموهم تابعى أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى لقد قال أبو سلمة بن عبد الرحمن للحسن البصرى (ولا تفت الناس برأيك) فقال : رأينا لهم خير من آرائهم لأنفسهم . فإن لم يكن عند أبى يوسف : ماروى عن التابعين أثرا ، فليس ما أثنى على زعيمه وإمامه ابى حنيفة، إذ يشهد عليه أن عامة فتياه بغير أثر ، لأن عظم ماأفتى وأخذ به أبو حنيفة . مما رواه عن حماد بن إبراهيم ، وكان من أتباع التابعين ، فقد شهد على أبى حنيفة أنه كان يفتى بغير أثر ، وعلى نفسه أنه تبعه فى فتياه من غير بصر ، فإن لم يكن ماروى عن التابعين عند أبى يوسف وعندكم أثرا ، فكيف سميت رأى إبراهيم : آثار أبى حنيفة ؟ وإنما إبراهيم من أتباع التابعين . كذبتم إذا فيما ادعيتم من ذلك لأبى حنيفة أنه أثر ، وليس كذلك عندكم .

فافهم أيها المعارض ثم تكلم ، ولا تنطق فيما لاتعلم ، فإن كنت لاتحسن فتعلم ، ولا ترسل من رأسك ما يأخذ منك بالكظم ، فينقض عليك وتلطم ، وتعد فى عداد من لايفهم .

الجزء الثالث

من كتاب نقض الدارمي على المريسي

باب في الحث على طلب الحديث والرد على من زعم أنه لم يكتب على عهد النبي صلعم وأصحابه الحديث والذب عن أصحاب النبي صلعم وأصحاب الحديث وأهل السنة وفضلهم على غيرهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر برحمتك يا كريم

أخبرنا الشيخ أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الأحنف قال : أخبرنا إسحق بن أبي إسحق القراب الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد بن أبي الفضل بن محمد بن الحسين المزكى قال أخبرنا أبو عبد الله بن إبراهيم الصرام رحمه الله قال : أخبرنا أبو سعيد الدارمي فيما أذن لي أن أرويه عنه قال :

ادعى هذا المعارض عن أبي يوسف قوله : إن الأثر ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم . ثم أنشأطاعنا على الآثار .

فروى عن أبي يوسف أنه قال : الآثار تصد الناس عن طلبها وتزهدهم فيها بتأويل ضال يرى من بين ظهريه أنه فيما يدعى من ذلك مصيب .

فكان مما تأول في ردها أن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (سيفشو الحديث عنى ، فما وافق منها القرآن فهو عنى ، وماخالفه فليس عنى) .

فيقال لهذا المعارض : لقد تأولت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على

خلاف ما أراد إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيفشو الحديث عنى ،أنه يتداوله الحفاظ من الناس والصادق والكاذب ، والمتقن والمغفل ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . قد تبين ما قال فى الروايات . وكذلك ينقدها أهل المعرفة بها ، فيستعملون فيها رواية الحفاظ المتقنين ويدفعون رواية الغفلاء الناسين ،ويزيفون منها ماروى الكذابون . وليس إلى كل أحد الاختيار منها . ولا كل الناس يقدر أن يعرضها على القرآن ، فيعرف ماوافقه منها مما خالفه ، إنما ذلك إلى الفقهاء العلماء الجهابذة النقاد لها العارفين بطرقها ومخارجها ، خلاف المريسى واللؤلؤى وابن الثلجى ونظرائهم المنسلخين منها ، ومن معرفتها . ومما يصدقها من كتاب الله . فقد أخذنا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نقبل منها إلا ماروى الفقهاء الحفاظ المتقنون . مثل معمر ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثورى ، وابن عيينة ، وزهير بن معاوية ، وزائدة ، وشريك ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، ووكيع ، ونظرائهم الذين اشتهروا بروايتها ومعرفتها والتفقه فيها ، بخلاف تفقه المريسى وأصحابه . فما تداول هؤلاء الأئمة ونظراؤهم على القبول قبلناه ، وماردوه رددناه ، ومالم يستعملوه تركناه . لأنهم كانوا أهل العلم والمعرفة بتأويل القرآن ومعانيه ، وأبصر بما وافقه منها مما خالفه من المريسى وأصحابه . فاعتمدنا على روايتهم ، وقبلنا ماقبلوا ، وزيفنا منها ماروى الجاهلون من أئمة هذا المعارض . مثل المريسى وابن الثلجى ونظرائهم . فأخذنا نحن بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثك الذى رويته عنه ، وتركته أنت . لأنك احتججت فى رد ماروى هؤلاء الأعلام المشهورون ، العالمون ما وافق منها كتاب الله مما خالفه ، بأقاويل هؤلاء الجهلة المغموزين ، والشاهد عليهم بما أقول : كتابك هذا الذى ألفته على نفسك لا على غيرك .

واحتججت أيضا فى رد آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رويت عن أبى يوسف أنها رأس الآثار وألزمها للناس بكذب ادعيته زعمت أنه صح عندك أنه لم يكتب الآثار وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فى زمن النبى صلى الله

عليه وسلم والخلفاء بعده إلى قتل عثمان رضى الله عنه . فكثرت الاحاديث، وكثر الطعن على من رواها .

فيقال لهذا المعارض : دعواك هذه كذب ، لايشوبه شىء من الصدق . فمن أين صح عندك أن الأحاديث لم تكن تكتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده إلى قتل عثمان ؟ ومن أنبأك بهذا ؟ فهلم أسنده وإلا فأنت من المسرفين على نفسك ، القائلين بما لا يعلمون ، فقد صح عندنا أنها كتبت فى عهد رسول الله والخلفاء بعده كتب على بن أبى طالب رضى الله عنه منها صحيفة ، وهو أحد الخلفاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرنها بسيفه ، فيها أمر الجراحات وأسنان الابل . وفيها (المدينة حرام مابين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وفيها (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) وفيها (لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد فى عهده) رواه الأعمش بن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن على بن أبى طالب .

فهذا اسناد جيد قد جئناك به فى خلاف دعواك ، فعمن رويت الحديث الذى ادعيت أنه صح عندك ؟ فأظهره حتى نعرفه كما عرفناك هذا .

حدثنا الحمانى حدثنا سفيان بن عيينة ، عن محمد بن سوقة ، عن منذر الثورى عن محمد بن الحنيفة قال (جاءت سعاة عثمان إلى على يشكونه ، فقال لى : خذ هذه الصحيفة ، فإن فيها سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذهب بها إلى عثمان . قال فذهبت بها إلى عثمان فقال : لاحاجة لنا فيها . وأتيت بها عليا وأخبرته فقال (ضعها مكانها) .

فهذا على بن أبى طالب ـ وهو أحد الخلفاء صح عندنا أنه كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث بها إلى عثمان قبل أن يقتل عثمان : فمن أين صح عندك أيها المعارض أنه لم يكتب الحديث فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء

بعده حتى قتل عثمان رضى الله عنه ؟ أسنده كما أسندناه لك وإلا فلم تدعى مالا تمقله ولا تفهمه ، فيسمع به منك سامع فى الجهال يحسبك أنك مصيب فى دعواك وأنت فيها مبطل . . وإنما قال عثمان (لاحاجة لنا فى الصحيفة) على معنى أننا نعرفها ونحسن ما فى الصحيفة .

ثم كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو ، فأكثر ، وأستاذنه فى الكتابة عنه تأذن له .

حدثناه بن المدينى حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن وهب بن منبه ، عن أخيه قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول (ماأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منى ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب وأنا كنت لا أكتب).

حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنى عبد الرحمن بن سليمان ، عن عقيل ، عن المغيرة بن الحكم قال سمعت أباهريرة يقول : لم يكن أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أحفظ للحديث منى ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو . فإنه كان يكتب ، واستأذن النبى صلى الله عليه وسلم أن يكتب فكان يكتب بيده ، ويعى بقلبه وكنت أنا أعى بقلبى) .

وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه كتاب الصدقات عن النبى صلى الله عليه وسلم .

حدثناه موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة قال (أخذت عن ثمامة بن عبد الله بن أنس كتابا زعم أن أبا بكر رضى الله عنه كتبه لأنس ، وعليه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه مصدقا ، وكتب له . بسم الله الرحمن الرحيم . هذا فريضة الصدقة ـ وساق أبو سلمة الحديث بطوله) .

حدثنا عبد الله بن صالح ، عن ليث بن سعد ، عن يونس ، عن ابن شهاب

فى الصدقات نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى عند آل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أقرأنيها سالم بن عبد الله فوعيتها على وجهها — وساقه أبو صالح بطوله .

حدثنا الحكم بن موسى حدثنا يحيى بن حمزة ، عن سليمان بن داود ، عن الزهرى ، عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : عن أبيه ، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات ، وبعث به مع عمرو بن حزم .

حدثنا نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن عبد الله بن أبى بكر ابن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب لعمرو ابن حزم فى خمس من الابل شاة . وساق نعيم الحديث بطوله .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بعده ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى رضى الله عنهم . قد صح أنه كتب الأحاديث والآثار فى عصرهم وزمانهم . قد أسندنا لك أيها المعارض إليهم . فمن أين صح عندك ما ادعيت : أنها لم تكتب فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ، حتى قتل عثمان فكثرت الأحاديث بعد ، وكثر الطعن على رواتها ، ومن طعن على الثقات من رواة الأحاديث عند مقتل عثمان .

وأما أهل الظنة والغفلة فيها فلم يزالوا مطعونا[1] عليهم . ليس منهم أبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، ومعاوية بن أبى سفيان ونظرائهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنهم المطعون عليهم فيها .

الذب عن أبى هريرة رضى الله عنه

حتى ادعيت ذلك كذبا على عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال (أكذب

(١) فى الأصل : مطعون .

المحدثين ابو هريرة) وهذا مكذوب على عمر رضى الله عنه . فإن تك صادقا فى دعواك فاكشف عن رأس من رواه فانك لاتكشف عن ثقة ، فكيف يستحل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يرمى رجلا منأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالكذب عن غير صحة ولا ثبت . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتسبوا أصحابى) و (احفظونى فى أصحابى) و (الله الله فى أصحابى) و (من سب أصحابى فعليه لعنة الله) فأى سب لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من تكذيبه فى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وإنه لمن أصدق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظهم عنه وأرواهم لنواسخ أحاديثه ، والأحدث فالأحدث من أمره : لأنه أسلم رضى الله عنه قبل وفاه النبى صلى الله عليه وسلم بنحو من ثلاث سنين ، بعدما أحكم لرسوله أكثر أمر الحدودوالفرائض والأحكام . وكيف يتهمه عمر بالكذب على رسول الله صلى عليه وسلم ، وهو يستعمله على الأعمال النفيسة ، ويوليه الولايات . ولو كان عند عمر رضى الله عنه كما ادعاه المعارض لم يكن بالذى يأتمنه على أمور المسلمين ، ويوليه أعمالهم مرة بعد مرة حتى دعاه آخر ذلك إلى العمل فأبى عليه .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، عن أبى هلال الراسبى ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة ، عن عمر .

ثم عرفه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بكثرة الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم وثبتوه فى ذلك . منهم طلحة بن عبيد الله ، وابن عمر ، وغيرهما : وروى عنه غير واحد من الصحابة آثارا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وابن عمر ، وأنس بن مالك رضى الله عنهم. ولو كان عندهم فى عداد الكاذبين - كما ادعيت عليه - لم يكونوا يستحبون الرواية عنه ثم قد روى عنه أعلام التابعين من أهل المدينة ومكة والبصرة ، والكوفة والشام واليمن ، عدد كثير لايحصون . منهم سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعطاء ، وطاووس

ومجاهد ، وعلقمة بن قيس ، وقيس بن أبي حازم ، والشعبي وإبراهيم ، وأبو إدريس الخولاني من أهل الشام ، ومن لا يحصون من هذه الكور ، قد رووا الكثير عن أبي هريرة ، واحتجوا به ، واستمعوا روايته : ولو عرفوا منه ماادعى المعارض ماحدثوا المحدثين عن أكذب المحدثين . فاتق الله أيها المعارض واستغفره مماادعيت على صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بخلاف مارميته به . ولو كان لك سلطان صارم يغضب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأوجع بطنك وظهرك ، وأثر في شعرك وبشرك حتى لا تعود لسب أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم ، ولا ترميهم بالكذب عن غير ثبت .

وحدثنا أبو الأصبغ عبد العزيز بن يحيى الموالى ، عن محمد بن سلمة عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن مالك بن أبي عامر ، عن طلحة ابن عبيد الله قال (والله ما أشك أن أبا هريرة سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم نسمع كنا نحن قوم لنا غناء وبيوتات . وكنا إنما نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار . وكان مسكينا لا أهل له ولا مال ، إنما يده مع رسول الله صلى عليه وسلم ، يأكل معه حيث كان فوالله مانشك أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم نسمع ، ولا نجد أحدا فيه خير يقول على رسول الله صلى عليه وسلم مالم يقل) .

حدثنا أحمد بن يونس ، عن عاصم بن محمد العمري عن أبيه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا سمع حديث أبي هريرة قال (والله إنا لنعرف مايقول أبو هريرة ولكنا نجبن ويجترىء) .

حدثنا مسدد ، عن هشيم ، عن يعلى بن عطاء ، عن الوليد بن عبد الرحمن ، عن ابن عمر أنه مر بأبي هريرة رضي الله عنه وهو يحدث فقال (لم يكن يشغلني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس الودي ، ولا صفق بالأسواق . إنما كنت أطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلة يطعمنيها أو كلمة يعلمنيها) فقال ابن

عمر (صدقت يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه) .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، عن إسماعيل بن جعفر المزكى ، عن عمرو بن أبى عمرو ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال : قلت يارسول الله؟ من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ظننت ياأبا هريرة أن لايسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) .

أفلا يراقب امرؤ ربه . فيكيف لسانه ولا يقذف رجلا من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيرميه بالكذب من غير ثبت ولا صحة ؟ وكيف يصح عند هذا المعارض كذبه . وقد ثبته طلحة بن عبيد الله ، وعبد الله بن عمر ، لو عض هذا الرجل على حجر ، أو على جمرة ختى يحرق لسانه ، كان خيرا له مما تأول على صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الذب عن معاوية بن أبى سفيان

وادعى المعارض أيضا أنه سمع أبا الصلت يذكر أنه كان لمعاوية بن أبى سفيان بيت يسمى بيت الحكمة . فكلما وجد حديثا ألقاه فيه ثم رويت بعد .

فهذه الحكاية لانعرفها ولا نجدها فى الروايات . فلاندرى عمن رواها أبو الصلت فانه لا يأتى به عن ثقة . فقد كان معاوية معروفا بقلة الرواية عن رسول الله صلى عليه وسلم . ولو شاء لأكثر إلا أنه كان يتقى ذلك ، ويتقدم إلى الناس ينهاهم عن الإكثار على رسول الله صلى الله علبه وسلم حتى إن كان ليقول (اتقوا الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما كان يذكر منها فى زمن عمر ، فإن عمر كان يخوف الناس فى الله تعالى) .

حدثناه عن أبي صالح بن معاوية بن صالح وساقه باسناده .

وهذا طعن كثير من المعارض أنه كان يجمع أحاديث الناس عن غير ثبت فيجعلها عن رسول الله صلعم . ولو استحل معاوية هذا المذهب لافتعلها من قبل نفسه ونحلها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان يقبل منه لما عرف بصحبته رسول الله صلعم . ولم يكن ينحله قول غيره من عوام الناس .

ويدلك قلة رواية معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ وكان كاتبه ـ على تكذيب مارويت عن أبي الصلت . فإن كنت صادقا فا كشف عن إسناده . فانك لاتسنده إلى ثقة .

الذب عن عبد الله بن عمرو بن العاص

وكذلك ادعيت على عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان من أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رواية عنه ، معروفا بذلك . فزعمت أنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب . وكان يرويها للناس عن النبي صلى الله عليه وسلم . وكان يقال له : لاتحدثنا عن الزاملتين .

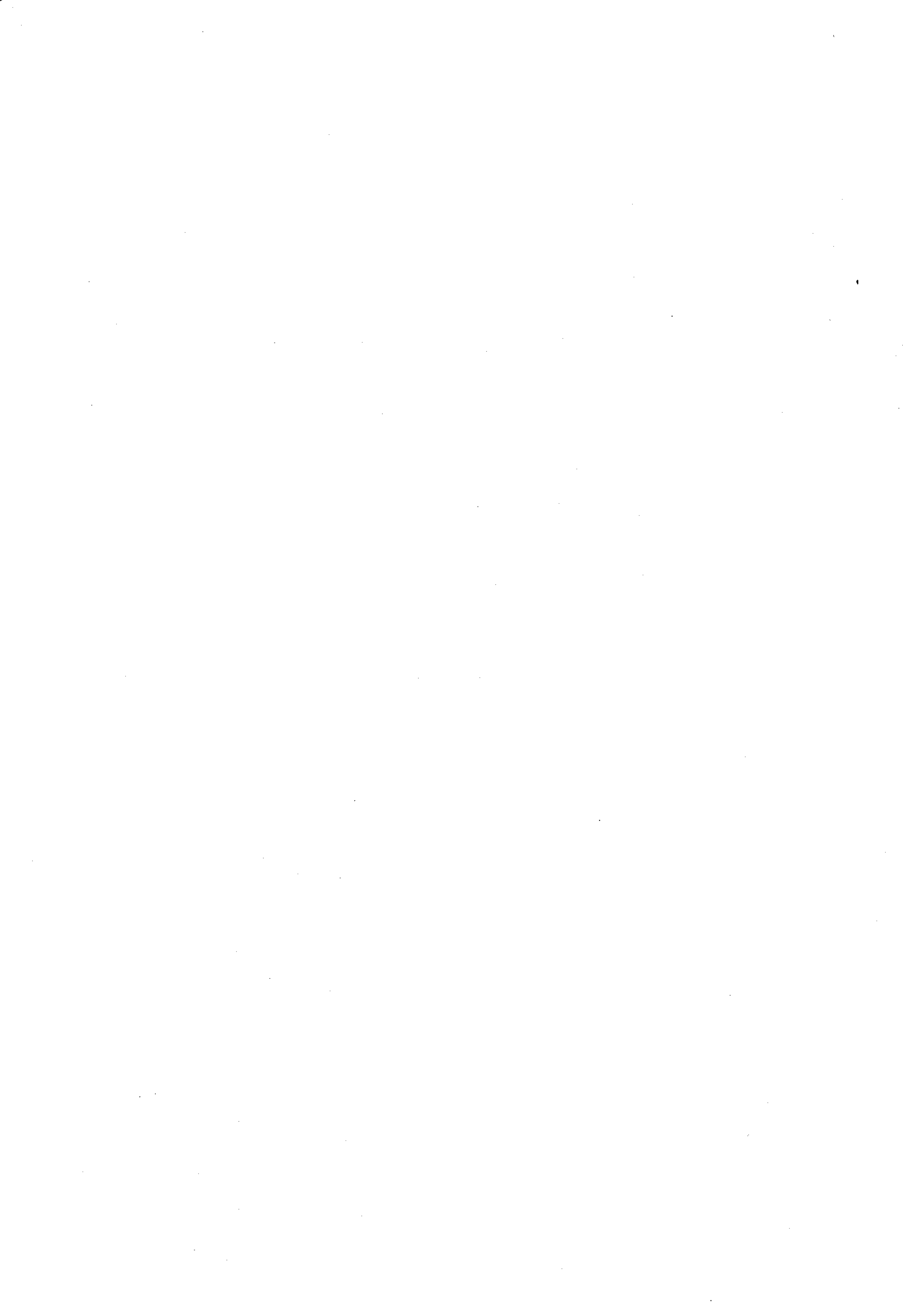
ويحك أيها المعارض : إن كان عبد الله بن عمرو أصاب زاملتين من حديث أهل الكتاب يوم اليرموك . فقد كان مع ذلك أمينا عند الأمة على حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن لايجعل ما وجد في الزاملتين عن رسول صلى الله عليه وسلم ولكن كان يحكى عن الزاملتين ماوجد فيهما . وعن النبي صلى الله عليه وسلم ماسمع منه ، لايحيل ذلك على هذا ، ولا هذا على ذاك . كما تأولت عليه بجهلك . والله سائلك عنه .

فاقصر أيها الرجل عن طعنك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الروايات فانهم لو كانوا عند الأمة في موضع الجرح كما ادعيت ـ وليسوا كذلك ـ ما كانت

لك حجة على ألف سواهم من المهاجرين والأنصار ممن لا تجد سبيلا إلى الطعن عليهم ، وقد رووا من ذلك مايغيظك : وقد اجتمعت الكلمة من جميع الفقهاء أن شهادات العدول إذا شهد معهم من ليس بعدل لاتسقط . ولا يجعل مثل السوء لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكلهم بحمد الله عدول ، يؤتمنون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمجروح من جرحهم ، ولا يزيف مائة ألف حديث مشهورة محفوظة مأثورة عن الثقات إذا وجد فيها مائة حديث منكرة . ولا يجرح ألف رجل من أهل الإتقان والحفظ فى الرواية أن وجد فيهم عشرون رجلا ينسبون إلى الغفلة والنسيان . وقلة الإتقان : فاربح العناء فيما ليس لك فيه شفاء . كما لايتبهرج مائة دينار إذا وجد فيها ديناران زائفان ، ولا يحكم على جماعة من المسلمين بالجرح إذا وجد فيهم مجروحان . ولكن يزيف الزائفة ويروج المنقدة .

فما تصنع بهذه العمايات والأغلوطات التى لا تجدى عليك شيئا . فإنه لايترك طالب العلم والآثار بخرافاتك هذه . ولو كان المذهب فيه ماتأولت لحرم طلب العلم على أهله : ولكان يدل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) أن تركه فريضة على كل مسلم ويدل قوله (تضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب) أنها تضعها سخطا بما يطلب . ويدل قوله (يستغفر لطالب العلم كل شىء حتى الحوت فى الماء) إنما تلعنه وتدعو عليه ، فينقلب فى دعواك معانى الحق إلى الباطل ، والمعروف إلى المنكر . وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعن بطالب العلم عمايات أصحاب الكلام وأهل المقاييس . ولكن عنى به ما يؤثر عنه .

أو ليس قد ادعيت أن الزنادقة قد وضعوا اثنى عشر ألف حديث دلسوها على المحدثين ؟ فدونك أيها الناقد البصير الفارس النحرير ، فأوجدنا منها اثنى عشر





ويحك من سبقك إلا هذا التأويل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى اتباع الروايات واختيار مايجب منها ؟ إنما يجب على القاضى أن يفحص عن الشهود ويحتاط . فمن عدل عنده منهم حكم بشهادته ، وإن كان كاذبا فى شهادته فى علم الله بعد ما لم يطلع القاضى منه على ذلك . وترد شهادة المجروح وإن كان صادقا فى شهادته فى علم الله بعد مالم يطلع القاضى على صدقه . وكذلك المذهب فى استعمال هذه الآثار وقبولها من رواتها . لا ماتأولت فيها من هذه السخرية بنفسك والضحك .

وادعى المعارض أن من الأحاديث التى تروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث منكرة مستشنعة جدا ، لايجوز إخراجها . فألف منها أحاديث بعضها موضوعة وبعضها مروية تروى وتوقف لايقدم على تفسيرها ، يوهم من حواليه من الأغمار أن آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ماروى منها مما يغيظ الجهمية فى الرؤية والنزول ، والصفات التى رواها العلماء المتقنون . ورووها حقا ، سبيلها سبيل هذه المنكرات التى لايجوز إخراجها ولا الاعتماد عليها . ثم أقبل عليها بعد ماأقر أنها منكرات مستشنعات يفسرها ، ويطلب لها مخارج تدعو إلى صواب التأويل فى دعواه .

ويحك أيها المعارض : وما يدعوك إلى تفسير أحاديث زعمت أنها مستشنعة لا أصل لها عندك . ولا يجوز التحدث بها . فلو دفعتها بعللها وشنعها عندك كان أولى بك من أن تستنكرها وتكذب بها . ثم تفسرها ثانية كالمثبت لها على وجوه ومعانى من المحال والضلال الذى لم يسبقك إلى مثله أحد من العالمين .

فادعيت أن من تلك المنكرات ماروى أبو أسامة ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر قال (خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر ، قلت : وقال بعضهم من شعر الذراعين والصدر) .

فيقال لهذا المعارض : إذا كان هذا الحديث عندك من المنكرات التى تترك من أجله كل الروايات فلم فسرته ، كأنك تثبته ؟ فقلت تأويله عندنا محتمل على ما يقال فى أسماء النجوم الذى يسمى منها الذراع والجبهة .

ويحك: أيها المعارض استنكرت الحديث وتفسيرك أنكر منه أخلق الله الملائكة من نور النجوم وشعورها التى تسمى الذراع والجبهة ، أم للنجوم شعور فيخلق منها الملائكة ؟ لقد أغربت بهذا التفسير على جميع المفسرين وأندرت وكدت تقلب العربية ظهرها لبطنها ان جازت عندك هذه المستحيلات : إن الله خلق الملائكة من شعور النجوم التى تسمى ذراعا .

ثم احتججت فى رد آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكراهية طلبها ، والاشتغال بجمعها ، بحكاية حكيتها عن سفيان الثورى أنه قال (ليس هذا الحديث من عدد الموت) ويقول شعبة (إن هـذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون) ويقول ابن المبـارك (اللهم اغفر لى رحلتى فى الحديث) .

فتوهمت أن قولهم هذا طعن فى الآثار ، وكراهية منهم لجمعها واستعمالها . وقد أخطأت الطريق وغلطت فى التأويل ، لأنه ليس تأويل هذه الحكايات أنهم لا يعدون هذه الآثار من أصول الدين ، وأنهم لم يروا طلبها أفضل الأعمال ، ولـكن خافوا أن قد خالط ذلك بعض الرياء والعجب أو الاستطالة به على من دونهم فيه ، أو أنهم إذا جمعوها وكتبوها لم يقوموا بالعمل بها . كالذى يجب عليهم ، ويصير حجة عليهم . فانما أزروا فيما حكيت بأنفسهم لا بالعلم والأحاديث . كما تفعله أنت وأصحابك . ولو كانت هذه الروايات عندهم من سيء الأعمال ـ كما ادعيت عليهم ـ ماصنفوها ونقلوها إلى الأنام ، ولا دعوهم إلى استعمالها والأخذ بها ، فيشركوهم فى إثم ماوقعوا فيه . ومن يظن ذلك بهم إلا جاهل مثلك ، بعد الذى رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (حدثوا عنى ولا حرج) وقال (نضر

الله عبدا سمع مقالتى فوعاها وبلغها غيره) وقوله (ليبلغ الشاهد منكم الغائب) وقوله (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وقوله (ماسلك رجل طريقا يبتغى فيها علما إلا سهل الله له بها طريقا إلى الجنة) وقوله (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب) وهى هذه الآثار ، وهى أصول الدين وفروعه بعد القرآن . فمن سمع شيئا من هذه الأحاديث التى خص النبى صلى الله عليه وسلم على طلبها وإبلاغها وأدائها إلى من لم يسمعها علم يقينا أن ما حكيت عن سفيان الثورى وشعبة وابن المبارك على خلاف ماتأولته .

ويحك إنما قال القوم هذا تخوفا على أنفسهم أن يكونوا قد أوتوا منه الكثير فلم يوفقوا لاتباعه كما يجب ، ولم يتخلقوا بأخلاق العلماء الصالحين قبلهم من السكينة والوقار والورع والعبادة ، ولم يتأدبوا بأحسن آدابهم .

فقد سمعت يحيى بن يحيى يقول : قال ابن المبارك (طلبنا العلم فأصبنا منه شيئا ، فطلبنا الأدب فإذا أهله قد ماتوا) وكما قال الشعبى (زين العلم حلم أهله) وكما قال ابن سيرين (ذهب العلم وبقى منه غبرات فى أوعية سوداء) وكان تخوفهم على أنفسهم بالحكايات التى حكيتها عنهم أنهم عسى أن لم يرزقوا هذا الأدب ومايحتاج إليه للعلم ، حتى يخلص لوجه الله ، فكان ذلك منهم إعظاما للعلم وإجلالا له ، لا استخفافا به ، وتعريضا لابطاله . كما فعلت أنت .

وسمعت الطيالسى أبا الوليد أنه سمع ابن عيينة يقول : طلبت هذا العلم يوم طلبته لغير الله فأعقبنى منه ماترون ،

قال أبو سعيد : يقول لم أعرف لنفسى يوم طلبته تلك النية الخالصة فأعقبنى منه أنى اشتغلت بتحديث الناس به لا بالعمل به والزهادة فى الدنيا والعبادة .

وقد روى عن الشعبى أنه قال : وددت انى لم أسأل عن شىء أى لما أن الذى سئلت عنه صار على حجة .

وقال الشعبي أيضا : إنا لسنا بفقهاء ولكنا رواة الحديث . وكما قال الحسن : هل رأيت فقيها قط ؟ إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، الراغب فى الآخرة ، لايدارى ولا يمارى ، ينشر حكم الله ، فإن قبلت منه حمد الله ، وإن ردت حمد الله .

فتخوف القوم أنهم لم يكونوا من أهله ، وقد كانوا أهله ؛ ومازادهم تخوفهم من هذا وما أشبهه إلا حبا وتعظيما فى قلوب المسلمين ، وللعلم توقيرا وإجلالا إذ خافوا أن لايكونوا من صالحى أوعيته .

وروى المبارك بن فضالة عن الحسن قال : مارأيت فيما مضى وفيما بقى مؤمنا ازداد إحسانا إلا ازداد شفقة ، ولا مضى منافق ولا بقى ازداد إساءة إلا ازداد بالله غرة .

حدثناه سعدويه عن المبارك بن فضالة عن الحسن .

واحتج أيضا المعارض لمذهبه الأول بحديث مستنكر تعجب الجهال منه ، ويوهمهم أن مما روى أهل السنة من الروايات الصحاح المشهورة ما ينقض بها على الجهمية فى الرؤية والنزول ، وسائر صفات الله : مستنكر مجهول مهجور ، مثل هذا الحديث ، فزعم أن حماد بن سلمة روى عن أبى المهزم عن أبى هريرة قال : يارسول الله ، مم ربنا ؟ فقال من ماء مرور لا من أرض ولا من سماء ، خلق خيلا فأجراها فعرقت فخلق نفسه من ذلك العرق .

فيقال لهذا المعارض : لو كان لك فهم وعقل لم تكن تذيع فى الناس مثل هذا الحديث الذى لا أصل له عند العلماء ، ولم يروه عن حماد إلا كل مقروف فى دينه ، فيظن بعض من يسمعه منك أن له أصلا ، فيضل به ويضل ، وهذا الحديث لايعرف له أصل فى كتاب حماد بن سلمة ، ولا ادرى من أين وقع إلى المعارض ؟ ومهما يستنكر هذا الحديث أنه محال المعنى بل هو كفر لاينقاد ولا ينقاس ، فكيف خلق الله الخيل التى عرقت قبل أن تكون نفسه فى دعواك ؟

ويحك أيها المعارض إنا نكفر من يقول كلام الله مخلوق . فكيف من قال نفسه مخلوقة ؟ لاجزاك الله خيرا عما تورد على قلوب الجهال ، مما لاحاجة إليه . فممن رويته عن حماد وممن سمعته ؟ فسمه لنا نعرفه. فإنا لانعرف إلاأن الله تعالى الأول قبل كل شيء . فكيف كان هذا العرق قبله ، حتى خلق نفسه منه ؟ وهذا الحديث لايحتاج إلى تفسيره فإن الشاهد منه يدل على أنه باطل .

ثم لم ترض بما قلت رويت بما تستشنعه ، حتى ادعيت له تفسيرا عن إمامك عن ابن الثلجى أنه قال : يحتمل تأويل هذا الحديث أن يكون الكفار سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله تعالى . وذلك أن كبراءهم وأحبارهم ورهبانهم كالأرباب . قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) .

فيقال لهذا الثلجى الجاهل : ويلك ، يخلق الله أولئك الأحبار والرهبان الذين اتخذوهم أربابا من عرق الخيل التى أجراها . وفى الحديث أنه خلق من ماء لامن أرض ولا من سماء . فهل شك أحد من ولد آدم أن الله خلق آدم من الأرض ، وذريته من نسله ؟

أو لم يعلم أيها الثلجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن خلق الأحبار والرهبان الذين اتخذوهم أربابا من دون الله ؟ أو لم يدر النبى صلى الله عليه وسلم أنهم من ولد آدم ، حتى يقول : خلقهم الله من عرق الخيل ، ولم يخلقهم من أرض ولا سماء؟ لقد ضل الثلجى بهذا التفسير وضل به من اتبعه : ولو فسر هذا صبي لم يبلغ الحنث مازاد على هذا جهلا واستحالة . هو كفر أضافه هذا الثلجى إلى رسول الله صلى عليه وسلم .

ويلك نحن ندفع الحديث ونستنكره ، وأنت تستشنعه ثم تثبته وتفسره ، وتلتمس له المخارج ، كى تصوبه . ولئن كان هذا الحديث منكرا فتفسيرك له أنكر .

واحتج المعارض أيضا فى دفع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقليد رواتها من العلماء بحكاية حكاها عن بشر بن غياث المريسى ، كأنه يحكيها عن عامر الشعبى. فقال معجبا بسؤاله : سألت بشر بن غياث المريسى عن التقليد فى العلم ، فقال : حرام محرم للعلماء ، حتى يعرف هذا العالم أصله ومعرفته من الكتاب والسنة والإجماع . وإنما التقليد للجهال الذين لا يعلمون .

وافتخر المعارض بسؤال بشر عن هذا كأنه سأل عنه الحسن وابن سيرين ، ولا يعلم أنه انما سأل جهميا جاهلا بالكتاب والسنة، مخالفا للإجماع إن أخطأ فعليه خطأه وإن أصاب لم يلتفت لاصابته لأنه المأبون فى دين الله ، المتهم فى كتاب الله، الطاعن فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكيف يستفتى المريسى . وقد رويت عن أبى يوسف أنه هم بأخذه وتنكيله فى هذه الضلالات ، حتى فر منه إلى البصرة ، فإن يكن ماقاله بشر حقا فبؤسالك ولاصحابك الذين قلدتم دينكم أبا حنفية وأبا يوسف ومحمد بن الحسن فى أكثر مما تفتون مما لاتقعون من أكثره على كتاب ولا سنة .

غير أنا نقول : إن على العالم باختلاف العلماء أن يجتهد ويفحص عن أصل المسئلة، حتى يعقلها بجهده ما أطاق ، فإذا أعياه أن يعقلها من الكتاب والسنة فرأى من قبله من علماء السلف خير له من رأى نفسه ، كما قال ابن مسعود (ألا لا يقلدن رجل منكم دينه رجلا ، إن آمن آمن وإن كفر كفر ، فإن كنتم لا بد فاعلين فبالأموات : فإن الحى لا يؤمن عليه الفتنة) .

وقال ابن مسعود أيضا (من عرض له منكم قضاء فليقض بما فى كتاب الله، فإن لم يجد فى كتاب الله ففى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن لم يجد فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبما قضى به الصالحون قبله) .

فأباح ابن مسعود التقليد للأموات ، وقضاء الصالحين على التحرى والاحتياط

فمن هذا المريسى الضال الذى يحظره على الأمة ؟ ومن هو حتى يستحل بقوله شيء أو يحرم ؟

وقال شريح وابن سيرين : لن نضل ما تمسكنا بالأثر . وقال إبراهيم (ما الأمر إلا الأمر الأول ، لو بلغنا أنهم لم يغسلوا إلا الظفر ما جاوزناه كفى إزراء على قوم أن تخالف أعمالهم) .

فالاقتداء بالآثار تقليد . فإن كان لا يجوز فى دعوى المريسى أن يقتدى الرجل بمن قبله من الفقهاء . فما موضع الاتباع الذى قال الله (والذين اتبعوهم بإحسان) وما تصنع بآثار الصحابة والتابعين بعدهم ، بعد أن لا يسع الرجل استعمال شيء منها إلا ما استنبطه بعقله فى خلاف الأثر . إذا بطلت الآثار ، وذهبت الأخبار ، وحرم طلب العلم على أهله ، ولزم الناس المعقول ، من كفر المريسى وأصحابه ، والمستحيلات من تفاسيرهم . فقد عرضنا كلامهم على الكتاب والسنة . فأخطأوا فى أكثرها الكتاب ، ولم يصيبوا السنة .

فقد حدثنا عبد الله بن صالح المصرى عن الهقل بن زياد عن الأوزاعى قال (وما رأى امرىء فى أمر بلغه فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اتباعه ، ولو لم يكن فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أصحابه من بعده كانوا أولى فيه بالحق منا . لأن الله اثنى على من بعدهم باتباعهم إياهم . فقال (والذين اتبعوهم بإحسان) وقلتم أنتم : لا بل نعرضها على رأينا فى الكتاب . فما وافقه منها صدقناه وما خالفه تركناه . وتلك غاية كل محدث فى الإسلام : رد ما خالف رأيه من السنة .

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن للحسن البصرى (لا تفت الناس برأيك) فقال الحسن (رأينا لهم خير من رأيهم لأنفسهم) .

وكيف تسأل أيها المعارض بشرا عن التقليد . وهو لا يقلد دينه قائل القرآن

ومنزله ، ولا الرسول الذى جاء به حتى عارضها فى صفات الله وكلامه ؟ بخلاف ماعنيا وفسر عليها برأيه بخلاف ما أراد .

وأعجب من ذلك قولك : سألت بشرا المريسى عن قول الله (إنما قولنا لشىء إذا اردناه أن نقول له كن فيكون) فقال بشر :كونه كما شاء بغير (كن). أو ما وجدت أيها المعارض فيمن رأيت من المشايخ شيخا أرشد من بشر وأعلم بتأويل هذه الآية من بشر الذى كفر برب قال قولا لشىء قط كن فكان . وهذا المشهور من مذهبه المعروف فى كل مصر : إن الله لم يتكلم بكلمة .ولايتكلم بها قط ، فسؤالك بشرا عن هذه الآية من بين المشايخ دليل منك على الظن والريبة القديمة وأنك لم تسأله عن ذلك إلا عن ضمير متقدم . أفلا سألت عنه من أدركت من المشايخ مثل أبى عبيد ، وأبى نعيم ، ونظرائهم من أهل الدين والفضل والمعرفة بالسنة ثم ادعيت أن بشرا قال : معناه أن يكونه حتى يكون . أى من غير قول يقول له (كن) ولكن يكونه على ماأراد .

ثم فسرت قول بشر هذا ، فزعمت أنه عنى بذلك أن الأشياء ليست مخلوقة من (كن) ولكن الله كونها على ما أراد من غير كيفية . وللكلام وجوه بزعمك .

فيقال لهذا المعارض : قد افتريتما على الله جميعا فيما تأولتما من ذلك وجحدتما قول الله (إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) إذ ادعيتما أن الأشياء لاتكون بقوله (كن) ولكن يكونها بارادته من غير قول منه (كن) وهذا هو الجحود بما أنزل الله . لأن الله جمع فيه القول والارادة . فقال (إذا أردناه) فسبقت الارادة قول (كن) ثم قال (كن) فكان بقوله وإرادته جميعا : فكيفية هذا كما قال أصدق الصادقين (أنه إذا قال لشىء كن كان) لا ماتأوله أكذب الكذابين . وليست هذه المسألة مما يحتاج الناس فيها إلى تأويل ، ولا هى من

العويص الذى يجهلها [١] العوام فكيف الخاص من العلماء ؟ وليس هذا مما يشكل على رجل رزق شيئا من العقل والمعرفة حتى يسأل عنه مثل المريسى الذى لا يعرف ربه فكيف يعرف قوله ؟

وإنما امتنع المريسى وأصحابه من أن يقروا بهذا : أنهم قالوا متى أقررنا أن الله قال لشىء كن كلاما منه لزامنا أن نقر بالقرآن والتوراة والانجيل أنه نفس كلامه . فامتنعوا من أجل ذلك . لأن الله فى دعواهم لم يتكلم بشىء ولا يتكلم ، والدليل على هذا المعارض بسؤال بشر عن هذه الآية قديما فى شبابه وقد عرف مذهب بشر أنه قد اصطلم هذا الرأى فى أول دهره ، وليس برأى استحدثه حديثا .

وروى أبو ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (قال الله : إن رحمتى كلام ، وعذابى كلام ، وغضبى كلام ، إنما قولى لشىء إذا أرته أن أقول له : كن فيكون) .

وادعى المعارض أيضا مثله فى قول الله لعيسى بن مريم (روح الله وكلمته) فقال : يقول أهل الجراه فى معنى (كلمته) أى بكلمته ، وإن سئلوا عن المخرج منه لم يقدروا عليه ، وتأولوا على الله برأيهم .

فيقال لهذا المعارض : أو يحتاج فى هذا إلى تفسير ومخرج ؟ قد عقل تفسيره عامة من آمن بالله : أنه اذا أراد شيئا أن يقول له (كن فيكون) وشىء لا يقول له كن لا يكون ، فإذا قال (كن) كان ، فهذا المخرج من أنه كان بإرادته وبكلمته، لا أنه نفس الكلمة التى خرجت منه ، ولكن بالكلمة كان ، فالكلمة من الله (كن) غير مخلوقة ، والكائن بها مخلوق .

وقول الله فى عيسى (روح الله وكلمته) فبين الكلمة والروح فرق فى المعنى ، لأن الروح الذى نفخ فيه روح مخلوق امتزج بخلقه ، والكلمة من الله غير مخلوقة

(١) كذا فى الأصل .

لم تمتزج بعيسى ولكن كان بها ، وإن كره لأنها من الله أمر ، فعلى هذا التأويل قلنا، لا على ماادعيت علينا من الكذب والأباطيل .

ثم عاد المعارض إلى انكار ماعنى الله بقوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) فادعى أن المجيء والانتقال من مكان إلى مكان صفة المخلوق ، والله يأتى فى ظلل من الغمام على اضمار (أمره) كما قال (وأسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها) يريد أهل القرية ، وأهل العير ، باضمار (أهل) فكذلك قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) باضمار أمره ، وكذلك (وجاء ربك والملك صفا صفا) يريد أن الملائكة وهى الصفوف دونه جاءون بأمره ، ففسروها : جاء الملائكة صفا صفا وربك فيهم مدبر محكم ، كما قال فى سورة النحل (إلا أن تأتيهم الملائكة) وقال فى سورة الأنعام (أو يأتى أمر ربك) فبين الأمر هنا وأضمره فى سورة الأنعام .

فيقال لهذا المعارض المفترى على الله : قد فسرت هذه الآية على خلاف ماعنى الله وفسرها رسوله على خلاف مافسرها أصحابه ، قد روينا تفسيرها عنهم فى صدر هذا الكتاب بأسانيدها المعروفة المشهورة ، على خلاف مافسرت وادعيت عن هؤلاء المفسرين ، فمن مفسروك هؤلاء الذين تحكى عنهم أنهم قالوا فيها كذا ، وقال آخرون فيها كذا ؟

فمن هؤلاء الأولون والآخرون ؟ فاكشف عن رءوسهم وسمهم بأسمائهم ، فإنك لاتكشف إلا عن زنديق أو جهمى ، لايؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، ولايحكم لك بتفسير هؤلاء المنعنين على تفسير هؤلاء المكشوفين الذين سميناهم لك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين، وهم أصحاب التفسير معروفون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والتابعين عند الأمة ، مثل ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وأبى بن كعب ، ونظرائهم ، ومن التابعين مثل سعيد بن جبير ، ومجاهد وأبى صالح الحنفى والسدى وقتادة وغيرهم .

فمن أيهم تحكى هذه التفاسير التى ترد بها على رب العالمين ؟ فإنا لما وجدناهم مخالفين لما ادعيت فى كتابه أتيناك بها عنهم فى صدر هذا الكتاب، منصوصة مفسرة فممن تروى هذه الضلالات وإلى من تسندها ؟ فصرح بها كما صرحت ببشر المريسى وابن الثلجى .

وما نراك صرحت ببشر والثلجى ، وكنيت عن هؤلاء المفسرين ألا وأنهم أسوأ منزلة عند أهل الإسلام وأشد ظنة فى الدين منها . لولا ذلك لكشفت عنهم كما كشفت عن بشر وقد فسرنا لك أمر إتيان الله ومجيئه والملك صفا صفا ،فى صدر هذا الكتاب فلا نعيده ههنا فيطول به الكتاب .

وأما ما ادعيت من انتقال الله من مكان إلى مكان أن ذلك صفة المخلوقين ، فإنا لا نكيف مجيئه وإتيانه أكثر مما وصف الناطق من كتابه ، ثم ما وصف رسوله صلعم وقد روى عن ابن عباس فى تفسيرها : أن السماء تشقق لمجيئه يوم القيامة ، وتنزل ملائكة السموات ، فيقول الناس أفيكم ربنا ؟ فيقولون لا ، وهو آت حتى يأتى الله فى أهل السماء السابعة وهم أكثر ممن دونهم وقد ذكرنا هذا الحديث بإسناده فى صدر هذا الكتاب ، وهو مكذب لدعواك أنه إتيان الملائكة بأمره ، دون مجيئه ، ولكنه منهم مدبر بزعمك ويلك ، لو كانت الملائكة هى التى تأتى وتجىء بزعمك دونه ، ما قالت الملائكة « لم يأت ربنا وهو آت » والملائكة آتية نازلة . حين يقولون ذلك .

أرأيتم دعواكم أن الله فى كل مكان من الأرض والسماء ، أو لم يكن قبل السماء والأرض على العرش فوق الماء ؟ فكيف صار بعد فى السماء والأرض فى دعواكم ؟ وفى دعوانا استوى إلى السماء دون الأرض . فكما قدر على ذلك فهو القادر على أن يجىء ويأتى متى تشاء .

أرأيت إن فسرت قوله (يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) فزعمت أن الله أضمر فى ذلك « أمره » ،كما أضمر فى القرية والعير أهلها، أو ليس قد ادعيت أيها المعارض فى

صدر كتابك أنه لا يوصف بالضمير ، فإن الضمير منفى عن الله ، ومن وصف الله بشيء هو عنه منفى فهو الكافر عندك . فكيف نفيت عنه هذا الضمير هناك وأثبته له ههنا ؟ أو لم تخش على نفسك مما تخوفت على غيرك من الكفر ؟ ولكنك تدعى الشيء فتنساه حتى تدعى بعد خلافه ، فيأخذ بحلقك ، غير أنى أظنك تكلمت بما تكلمت به بالخراف ، وأنت آمن من الجواب .

وادعيت أيضا أن الزنادقة قد وضعوا اثنى عشر ألفا من الحديث ، روجوها على رواة الحديث ، وأهل الغفلة منهم .

فيقال لك أيها المعارض : ما أقل بصرك بأهل الحديث وجهابذته ، لو قد وضعت الزنادقة اثنى عشر ألف حديث ما راج لهم على أهل البصر بالحديث منها حديث واحد ، ولا تقديم كلمة ، ولا تأخيرها . ولا تبديل إسناد مكان إسناد . ولو قد صحفوا عليهم فى حديث واحد لا ستبان ذلك عندهم . وردوه فى نحورهم.

ويلك هؤلاء ينتقدون على العلماء المشهورين بتقديم رجل من تأخيره ، وتقديم كلمة من تأخيرها . ويحصون عليهم أغاليطهم ومدلساتهم . أفيجوز الزنادقة عليهم تدليس ؟ إذ هم فى الغفلة مثل زعمائك هؤلاء ضرب المريسى ونظرائهم ، إذ هم دلسوا عليه عن ابن عباس « إن الله لا يدرك بشيء من الحواس ؟ فإن كان شيء من وضع الزنادقة فهو هذا . فإن فيه تعطيل ذى الجلال والإكرام . لأن شيئا لا يدرك بشيء من الحواس فهو لا شيء . وهذا مذهب الزنادقة : فقد روجوه . وهذا تكذيب لكتاب الله . قال الله (وكلم الله موسى تكليما) فأخبر أن موسى أدرك منه الكلام وهو من أعظم الحواس وأخبر أن أولياءه يدركونه بالحواس بالنظر إليه . وهو قوله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) والنظر أحد الحواس وقال (لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم) وقال رسول الله صلعم للمؤمنين « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة » رواه عدى بن حاتم عنه ، فهل من حواس أبين من الكلام والنظر ؟ فلذلك قلنا : إن هذا من حواليك من الجهال.

وما إخالك إلا وستعلم أنه لا يجوز للزنادقة على أهل العلم بالحديث تدليس ، غير أنك تريد أن تهجن العلم وأهله ، وتزرى بهم من أعين من حواليك من السفهاء ، بمثل هذه الحكايات كيما يرتاب فيها جاهل فيراك صادقا فى دعواك . فدونك أيها المعارض فما وجدنا عشرة أحاديث دلسوها على أهل العلم . كما وجدنا مما دلسوا على إمامك المريسى . أو جرب أنت فدلس عليهم منها عشرة ؛ حتى تراهم كيف يردونها فى نحرك .

وكيف دلس الزنادقة على أهل الحديث اثنى عشر ألفا ، ولم يبلغ ما روى عن رسول الله صلعم وأصحابه اثنى ألف حديث ، بغير تكرار إن شاء الله ؟ إذا رواياتهم كلها من وضع الزنادقة فى دعواك .

ورويت أيها المعارض عن جرير بن عثمان عن شبيب أبى روح عن أبى هريرة النبى صلعم قال « الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن» فقلت كالمنكر لهذا . تعالى الله عما نحله المبطلون : بأن ذلك نفس يخرج من جوف.

فمن سمعت أيها المعارض أن هذا نفس يخرج من جوف الله تعالى ؟ وهذا حديث معروف معقول المعنى جهلت معناه ، فصرفته إلى غيره مما لم نر أحـــدا يقوله ، أو يذهب إليه . إنما فسره العلماء على الروح الذى يأتى بها الريح من نحو اليمن ، لأن مهب الريح والروح من هناك عندهم . فأما أن يقول أحد هو نفس يخرج من جوف الرحمن ، فما سمعنا أحدا يقوله قبلك ، وأدنى ماعليك فيه الكذب أن ترمى به قوما مشنعا عليهم ، ثم لا تقدر أن تثبته عليهم . وهذا كقول النبى صلعم « الإيمان يمان والحكمة يمانية » أى أنه جاء من قبل مكة .

وادعى المعارض أيضا أن المقرى حدث عن حرملة بن عمران عن أبى يونس عن أبى هريرة عن النبى صلعم « أنه قرأ (سميعا بصيرا) فوضع إبهامه على أذنه والتى يليها على عينيه » وقد عرفنا هذا من رواية المقرى وغيره ، كما روى المعارض

غير أنه ادعى أن بعض كتبة الحديث ثبتوا له بصرا بعين كعين وسمعا بسمع جارحة مركبة .

فيقال لهذا المعارض : أما دعواك عليهم إنهم ثبتوا له سمعا وبصرا فقد صدقت .

أما دعواك عليهم إنه كعين وكسمع فإنه كذب . ادعيته عليهم ، لأنه ليس كمثله شيء ، ولا كصفاته صفة .

وأما دعواك إنهم يقولون جارحة مركبة . فهذا كفر لا يقوله أحد من المضلين. ولكنا نثبت له السمع والبصر والعين بلا تكييف ، كما أثبته لنفسه فيما أنزل من كتابه، وأثبته له الرسول . وهذا الذى تكرره مرة بعد مرة جارحة وعضو وما أشبهه ، حشو وخرافات ، وتشنيع لا يقوله أحد من العالمين : وقد روينا روايات السمع والبصر والعين فى صدر هذا الكتاب بأسانيدها وألفاظها عن رسول الله صلعم . فنقول كما قال ، ونعنى بها كما عنى ، والتكييف عنا مرفوع ، وذكر الجوارح والأعضاء تكلف منك ، وتشنيع .

وادعى المعارض أن عبد الرحمن بن مهدى روى عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرطأة عن جبير بن نفير قال : قال رسول الله صلعم « إنكم لن تتقربوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه » يعنى القرآن .

فادعى المعارض أن الثلجى قال فى هذا من كتاب لم أسمعه من الثلجى . قال : ذهبت المشبهة فى هذا إلى ما يعقلون من الكلام من الجوف فناقضوا إذ صححوا أنه الصمد . والصمد الذى لا جوف له . فاحتمل أنه خرج منه أى أتى من عنده من غير خروج منه ، كما يقال : خرج لنا من فلان كذا وكذا من الخير، وخرج العطاء من قبله . لا أنه خرج من جوفه .

فيقال لهذا المعارض ولإمامه الثلجى : قد فهمنا مرادك إنما تريد نفى الكلام

عن الله ، مشنعا بذكر الجوف . فأما خروجه من الله فلا يشك فيه إلا من أنكر كلامه . لأن الكلام يخرج من المتكلم لامحالة . واما أن نصفه بالجوف كما ادعيت علينا زوراً فإنا نجله عن ذلك ، وهو المتعالى عنه . لأنه الأحد الصمد ، كما قال : ومن زعم أنه لم يخرج منه إلا كخروج عطاء الرجل من قبله ، فقد أقر بأنه كلام غيره مخلوق . لا يجوز أن يضاف إليه صفة . ولو جاز ذلك لجاز أن كل ماتكلم به الناس من الغناء والنوح والشعر كله كلام الله . وهذا محال يدعو إلى الضلال .

وفى هذا القياس الذى ذهبتم إليه يجوز أن يقال . قول اليهود عزير بن الله ، والنصارى المسيح بن الله ثالث ثلاثة ، قبل أن يخبر الله عنهم كان كلام الله فإن كان القرآن عندكم كلام الله فمنه خرج بلا شك ، والجوف منفى عنه وإن لم يخرج منه فليس بكلامه . ولكن كلام غيره فى دعواكم .

فقل لهذا الثلجى يرد هذا التفسير على شيطانه الذى ألقاه على لسانه ، ومايصنع فى هذا يقول الثلجى مع مايرويه سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال (أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق ، وماسواه مخلوق ، والقرآن كلام الله ، منه خرج وإليه يعود) .

حدثنا إسحق بن إبراهيم الحنظلى عن سفيان بن عيينة .

وأما أن يقاس الكلام من المتكلم بالخير الذى يأتى من قبله ، والعطاء الذى يخرج من عنده : فإنه لايقيسه به إلا جاهل مثل ابن الثلجى . لأن الخلق قدعلموا أن الكلام يخرج من المتكلم بلا شك ، وأن إعطاء العطاء ، وبذل البذل من المال . لايخرج من نفس المعطى والباذل ، ولكن من شىء موضوع عنده بعينه والكلام غير بائن من المتكلم . والمال والعطاء بائن منه . لأن المتكلم متى شاء عاد فى مثل كلامه الذى تكلم به قبل ، من غير أن يرد الكلام الخارج منه إلى نفسه ثانية . ولعله لايقدر على رد المال والعطاء الذى خرج منه ، ولا أن يعود فيه بعينه . فمن

قاس هذا بذاك فقد ترك القياس الذى يعرفه أهل القياس والمعقول الذى يعرفه أهل العقل .

وروى المعارض أيضا عن ابن عباس « الركن يمين الله فى الأرض يصافح به خلقه » فروى عن هذا الثلجى عن غير سماع منه أنه قال : يمين الله نعمته وبركته وكرامته : لا يمين الايدى .

فيقال لهذا الثلجى الذى يريد أن ينفى عن الله بهذه الضلالات يديه اللتين خلق بهما آدم ، ويلك أيها الثلجى . إن تفسيره على خلاف ماذهبت إليه ، وقد علمت يقينا أن الحجر الأسود ليس بيد الله نفسه ، وأن يمين الله معه على العرش غير بائن منه ، ولكن تأويله عند أهل العلم : أن الذى يصافح الحجر الأسود ويستلمه كأنما يصافح الله ، كقوله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) فثبتت له اليد التى هى اليد عند ذكر المبايعة ، إذ سمى اليد مع اليد ، واليد معه على العرش . وكقول النبى صلى الله عليه وسلم (إن الصدقة تقع فى يد الرحمن قبل يد السائل) فثبت بهذا لله اليد التى هى اليد ، وإن لم يضعها المتصدق فى نفس يد الله : وكذلك تأويل الحجر الاسود إنما هو إكرام للحجر الأسود وتعظيم له وتثبيت ليد الرحمن ويمينه لا النعمة كما ادعى ابن الثلجى الجاهل فى تأويله ، وكما يقدر أن يكون مع كل صاحب نجوى وفوق عرشه كذلك يقدر أن تكون يده فوق أيديهم من فوق عرشه .

وكذلك ادعى الجاهل ابن الثلجى أن الله خلق آدم بيده قال : بنعمته التى أنعم بها عليه ، فخصه بما خص من كراماته .

فيقال لهذا الثلجى البقباق النفاج . لو كنت ممن يعقل شيئا من وجوه الكلام لعلمت أن هذا تأويل محال من كلام ليس له نظام . ويلك وأى شىء من خلق الله من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو بهيمة لم ينعم الله عليه فى خلقه ، إذ خلقه حتى خص بنعمته آدم ، ومن عليه بذلك من بين هؤلاء الخلائق ، وأى منقبة لآدم فيها إذ كل هؤلاء خلقوا بنعمته ، كما خلق آدم ؟

وأعجب من هذا قول الثلجى الجاهل فيما ادعى : تأويل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين) فادعى الثلجى أن النبى صلى الله عليه وسلم تأول كلتا يديه يمين : أنه خرج من تأويل الغلوليين أنها يمين الأيدى . وخرج من معنى اليدين إلى النعم. يعنى بالغلوليين أهل السنة ، يعنى أنه لا يكون لأحد يمينان ، فلا يوصف أحد بيمينين ، ولكن يمين وشمال بزعمه .

قال أبو سعيد : ويلك أيها المعارض إنما عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقد أطلق على التى فى مقابلة اليمين الشمال . ولكن تأويله : وكلتا يديه يمين ، أى منزه عن النقص والضعف ، كما فى إيدينا الشمال من النقض ، وعدم البطش . فقال (كلتا يدى الرحمن يمين) إجلالا لله وتعظيما أن يوصف بالشمال ، وقد وصفت يداه بالشمال واليسار ، وكذلك لو لم يجر إطلاق الشمال واليسار لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولو لم يجز أن يقال : كلتا يدى الرحمن يمين ، لم يقله رسو الله صلى الله عليه وسلم . وهذا قد جوزه الناس فى الخلق ، فكيف لايجوز ابن الثلجى فى يدى الله أنهما جميعا يمينان ، وقد سمى من الناس ذا الشمالين ؟ فجاز نفى دعوى ابن الثلجى أيضا ، وخرج ذو الشمالين من معنى أصحاب الأيدى .

ثم ادعى الجاهل أيضا : أن هذا من النعم والافضال كقول الشاعر .

سأبكيك للدنيا وللعين إننى رأيت يد المعروف بعدك شلت

نفس المعروف ليس له يد . وإنما المعالى له يد حقيقة . فهى التى تشل .

ويلك أيها الثلجى ، أتعلم بوجوه العربية ولغات العرب وأشعارهم من هو أعلم بها منك ؟ هذا ههنا فى المعروف جائز على المجاز ، لايستحيل . وفى يد الله اللتين يقول (خلقت بهما آم) يستحيل أن تصرفا إلى غير اليد ، لأن المعروف ليس له يدان ، يقبض بهما ويبسط ، ويخلق ويبطش . فيقال : يد المعروف مثلا . ولا يقال : فعل المعروف بيده كذا ، وخلق بيده كذا وكتب بيده كذا ، كما يقال : خلق الله آدم

بيده ، وكتب التوراة بيده ، ذاك فى سياق القول بين معقول . وهـذا فى سياق القول بين معقول . من صرف منها شيئا إلى غيره معناه المعقول جهل ولم يعقل .

أو لم يـكفك أيها الثلجى كثرة ما نسبت وإمامك المريسى إلى الله تعالى فى نفى اليدين عنه بهذه الأغلوطات ؟ وما حسدتما أباكما آدم فى خلقه بيد الرحمن فى صدر كتابك ، حتى عدت لأقبح منها فى آخر الـكتاب .

فادعيت أن يدى الله اللتين خلق بهما آدم قدرته ونعمته . فامتن على آدم بما ركب فيه .

ويحك ، وهل بقى أحد من خلق الله لم يخلقه بقدرته ، حتى يمتن عـلى آدم بهذه النعمة من بين الخلائق ؟ هذا محال لايستقيم فى تأويل . بل هـو أبطل الأباطيل .

وأشد منه استحالة ماادعيت فى حديث سلمان الفارسى (إن الله خمر طينة آدم ثم خلطها بيده . فخرج كل طيب بيمينه ، وكل خبيث بشماله ، ثم مسح إحدى يديه بالأخرى) فادعيت أيها المعارض له تفسيرا من قبلك : أنه لما امتن الله على آدم بنعمته ، كانت تلك النعمة مخالطة . وقال بيديه : بنعمته وقدرته ، هكذا .

فيقال لهذا المعارض : إذا خلط قدرته بنعمته فسماهما يديه فى دعواك . فما بال هذه المنة وضعت على آدم من بين الخلق ، وكل الخلق فى نعمته وقدرته بمنزلة واحده ؟ إذ كل خلق هم فى دعواك بنعمته وقدرته لابيديه . وكيف يجوز أن يخلط القدرة بالنعمة ، والقدرة غير مخلوقة ، والنعمة كلها مخلوقة ؟ هذا كلام لايخرج من جوف عاقل ، ومايوفق لمثله إلا كل جاهل .

ثم رويت عن الحسن البصرى أنه قال فى قول الله (يد الله فوق أيديهم) قال (نعم الله) فعمن رويت هذا عن الحسن ؟ فاكشف عن رأسه ، فإنك لاتكشف عن ثقة .

وقد أكثرنا النقض عليك وعلى إمامك المريسى وابن الثلجى فى تفسير اليد فى صدر كتابنا هذا ، غير أنك أعدته فى آخر الكتاب فأعدنا هنا .

النقض على ما ادعاه المعارض فى الوجه

ثم لما فرغت من إنكار اليدين ونفيتها عن الله ، أقبلت قبل وجه الله ذى الجلال والإكرام لتنفيه عنه بمثل هذه العمايات ، كما نفيت عنه اليدين ، فزعمت أن وكيعا روى عن الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة (أن العبد إذا قام يصلى أقبل الله عليه بوجهه الكريم . فلا يصرفه عنه حتى يكون هو الذى ينصرف أو يحدث نفسه حديث سوء .

ثم قلت أيها المعارض : إن هذا يحتمل أن الله يقبل عليه بنعمته وإحسانه وإفضاله ، وما أوجب للمصلى من الثواب كما قال (فثم وجه الله) و (كل شىء هالك إلا وجهه) وكقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) أى يبقى الله وحده . فإن قال قائل : ولله وجه ؟ قل له : إن كنت تريد (كل شىء هالك إلا وجهه) و (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) و (أينما تولوا فثم وجه الله) فقوله الحق ، وإن أردت عضوا كما ترى من الوجوه فهو الخالق لهذه الوجوه ، فقد يحتمل أن يقال : هذا وجه الشىء ، ووجه الأمر . وتقول : هذا وجه الثوب ووجه الحائط . فقوله (وجه ربك) ما توجه إلى ربك من الأعمال الصالحة . وقوله (أينما تولوا فثم وجه الله) يقول ثم قبلة الناس يتوجهون إليها . وقوله (ثم وجه الله) ثم قبلة الله .

فيقال لهذا المعارض : لم تدع غاية فى إنكار وجه الله ذى الجلال والإكرام ، والجحود به وبآياته التى تنطق بالوجه . قد ادعيت أن وجه الله الذى وصفه : (ذو الجلال والاكرام) مخلوق . لأنك ادعيت أنها أعمال مخلوقة . يتوجه بها إليه : ونعم وإحسان : والأعمال كلها مخلوقة لاشك فيها . فوجه ربك ذى الجلال والاكرام فى دعواك مخلوق . وزعمت أيضا أنها قبلة الله . والقبلة أيضا مخلوقة . فادعيت

أن كل ماذكره الله فى كتابه من ذكر وجهه ، وجه مخلوق . ليس لله منها وجه صفة . ولا هو ذو وجه فى دعواك . وكتاب الله المكذب لك فى دعواك ، وهو ماتلوت أيها المعارض من هذه الآيات التى كلها ناقضة لمذهبك . وآخذة بحلقك ، أو تأثر تفسير هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأثر مأثور منصوص مشهور . ولن تفعله أبدا . لما قد روى عنه خلافه وهو قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال (النظر إلى وجه الله) أفيجوز أن يتأول هذا : أنه قال : الزيادة النظر إلى الكعبة ، أو إلى أعمال المخلوقين وكان يدعو (اللهم إنى أسألك لذة النظر إلى وجهك) فيجوز فى تأويلك أن يقول: اللهم أنى أسألك لذة النظر إلى الأعمال الصالحة من أعمال خلقك ، أم إلى القبلة ؟

ويلكم ، ماسبقكم إلى هذه الفرية على الله إنس ولا جان ، ولا فرعون من الفراعنة ، ولا شيطان .

وأعظم من ذلك : دعواك أن وجه الله كوجه الثوب والحائط الميت ، الذى لا يوقف منها على وجه ولا ظهر ، ماتركتم من الكفر بوجه الله غاية ، ولو قد تكلم بهذا رجل بالمغرب لوجب على أهل المشرق أن يغزوه ، حتى يقتلوه غضبا وإجلالا لوجه الله ذى الجلال والاكرام .

أرأيتك أيها الجاهل ، إن كان وجه الله عندك قبلة ، والأعمال التى ابتغى بها وجهه ، وكوجه الثوب والحائط . أفيجوز أن يقال للقبلة وأعمال العباد : ذو الجلال والاكرام ؟ فقد علم المؤمنون من خلق الله أنه لايقدس وجه بذى الجلال والإكرام غير وجه الله تعالى .

وأما تكريرك وتهويلك علينا بالأعضاء والجوارح . فهذا مالا يقوله مسلم . غير أنا نقول كما قال الله (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) أنه عنى به الوجه الذى هو الوجه عند المؤمنين ، لا الأعمال الصالحة ، ولا القبلة ،

ولا ماحكيته من الخرافات كاللاعب بوجه الله . وكذلك قوله (كل شىء هالك إلا وجهه) يقول كل وجه هالك إلا وجه نفسه تعالى ، الذى هو أحسن الوجوه ، وأجمل الوجوه ، وأنور الوجوه، الموصوف بذى الجلال والاكرام ، الذى لا يستحق هذه الصفة غير وجهه . وأن الوجه منه غير اليدين ، واليدين منه غير الوجه ، على رغم الزنادقة والجهمية .

وسنذكر فى ذكر الوجه آيات وآثارا مسندة . ليعرضها أهل المعرفة على تفسيرك هذا ، هل يحتمل شىء منها شيئا منه ؟ فإن كنت لا تؤمن بها فخير منك وأطيب من عباد الله المؤمنين من قد آمن بها .

قال الله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) و (كل شىء هالك إلا وجهه) وقوله (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) و (أينما تولوا فثم وجه الله) (إنما نطعمكم لوجه الله) فالخيبة لمن كفر بهذه الآيات كلها أنها ليست بوجه الله نفسه ، وأنها وجوه مخلوقة .

ومما يوافقه من صحاح أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحدثناه عثمان ابن أبى شيبة حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة ، عن أبى موسى الأشعرى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال : إن الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه. يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ،حجابه النور، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه بصره) .

أفيستقيم أيها المعارض أن يتأول هذا أنه أحرقت سبحات وجهه الأعمال الصالحه ووجه القبلة ، كل شىء أدركه بصره . مايشك مسلم فى بطوله واستحالته، أم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى حدثناه سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله قال (لما نزلت) قل هو القادر

على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك .

أفيجوز أيها المعارض أن يتأول هذا : أعوذ بثوابك الأعمال التى يبتغى بها وجهك وبوجه القبلة ؟ فإنه لايجوز أن يستعاذ بوجه شىء غير وجه الله، وبكلماته، لايستعاذ بوجه مخلوق .

ومن ذلك ماحدثناه سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ،عن عطاء بن السائب عن أبيه ، عن عمار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان يدعوا اللهم إنى أسألك لذة النظر إلى وجهك) .

أفيجوز لك أن تقول فى هذا : لذة النظر إلى قبلتك وإلى الأعمال التى ابتغى بها وجهك ؟

ومن ذلك ماحدثنا يحيى الحمانى وابن أبى شيبة أبو بكر، عن شريك، عن إسحاق عن سعيد بن نمران ، عن أبى بكر الصديق فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الزيادة النظر إلى وجهه سبحانه وتعالى .

أفيجوز أن يتأول هذا : أنه النظر إلى وجه الأعمال التى ابتغى بها وجه الله أو جه القبلة ؟

وكذلك قال صلى الله عليه وسلم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال (النظر إلى وجه الله تعالى) .

حدثنا موسى بن إسماعيل وغيره ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانى ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب ، عن النبى صلعم .

وحدثنا أحمد بن يونس ، عن أبى شهاب الحناط ، عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر ، عن ابن عمر رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم (أن أهل الجنه إذا بلغ

النعيم منهم كل مبلغ ، وظنوا أن لا نعيم أفضل منه ، تجلى لهم الرب ، فنظروا إلى وجه الرحمن فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن »

أفيجوز أن تتأول هذا أنه يتجلى لأهل الجنة فنظروا إلى وجه القبلة وإلى الأعمال الصالحة . كأن النظر إلى وجه القبلة فى دعواك آثر عندهم مما هم فيه من نعيم الجنة .

ومن ذلك : ماحدثناعبد الله بن رجاء البصرى ، عن المسعودى ، عن عبدالله بن المخارق ، عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود : إن العبد إذا قال ، الحمد لله ، ولا إله إلا الله ، وسبحان الله والله أكبر وتبارك الله ، حط عليهن ملك . فضمهن تحت جناحه فصعد بهن ، لا يمر على قوم من الملائكة إلا استغفروا لقائله ؛ حتى يحيى بهن وجه الرحمن . وقرأ « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » أفيجوز لك أن تتأول أن هذا الملك يصعد بهن حتى يحيى بهن وجه القبلة فى السماء والقبلة فى الأرض؟ قد علمت أيها المعارض وعلم كل ذى فهم وعلم أن هذه تفاسير مقلوبة ، ومغاليط لا يستقيم شيء منها فى القياس . فكيف فى الأثر ؟ ولا يهدى شيء منها إلى هدى ، ولا يرشد إلى تقى .

ومن ذلك : ماحدثناعبدالله بن أبى شيبة ، عن وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحق عن عامر بن سعد ، عن مسلم بن بدير عن حذيفة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : « الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله . »

وعن أبى معاوية جو يبر عن الضحاك ، وعن جرير عن ليث عن عبد الرحمن ابن سابط . وحدثناه الحمانى عن وكيع عن أبى بكر الهذلى عن أبى تميمة الهجيمى عن أبى موسى الأشعرى قال أبو سعيد : كلهم قالوا : « الزيادة والنظر إلى وجه الله » ولم يقل أحد منهم : إلى وجه القبلة ، ووجوه الأعمال الصالحة ، كما ادعيت .

وعلى تصديق هذه الآثار والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والعلم . ولو لم يكن إلا ما رويت أيها المعارض عن وكيع عن الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة ، أن العبد إذا قام يصلى أقبل الله عليه بوجهه ، فادعيت أنه يقبل عليه بنعمته وثوابه ، وأنه قد يقال : وجه الله فى المجاز ، كما يقال : وجه الحائط ، ووجه الثوب .

ويلك. فهذا مع ما فيه من الكفر محال فى الكلام . فإنه لايقال لشىء ليس من ذوى الوجوه : أقبل بوجهه على إنسان أو غيره إلا والمقبل بوجهه من ذوى الوجوه وقد يجوز أن يقال : للثوب وجه ، وللحائط . ولا يجوز أن يقال : أقبل الثوب بوجهه على شىء أو على المشترى ؛ وأقبل الحائط بوجهه على فلان . لا يقال أقبل بوجهه على شىء إلا من له القدرة على الإقبال . وكل قادر على الإقبال ذو وجه. هذا معقول مفهوم فى كلام العرب . فإن جهلته فسم شيئا من الأشياء ليس من ذوى الأوجه يجوز لك أن تقول ، أقبل بوجهه على فلان . فإنك لاتأتى به . فافهم . وما أراك ولا إمامك تفهمان هذا وما أشبهه ولولا كثرة من يستنكر الحق ويستحسن الباطل ويستحسن الباطل ما اشتغلنا كل هذا الاشتغال بتثبيت وجه الله ذى الجلال والإكرام . ولو لم يكن فيه إلا اجتماع الكلمة من العالمين ، أعوذ بوجه الله العظيم. وأعوذ بوجهك يارب ، وجاهدت ابتغاء وجه الله . وأعتقت لوجه الله . لكان كافيا مما ذكرنا . إذ عقلته النساء والصبيان ، والبر والفاجر ، والعربى والعجمى ، غير هذه العصابة الزائغة الملحدة فى أسماء الله ، المعطلة لوجه الله ولجميع صفاته عز وجل وجهه، وتقدست أسماؤه . لقد سببتم الله بأقبح مما سبته (قالت اليهود يد الله مغلولة) وقلتم أنتم : يد الله مخلوقة كلها . لما ادعيتم أنها نعمته، ورزقه ، لأن النعمة والأرزاق مخلوقة كلها . ثم زدتم عليها فادعيتم أن وجه الله مخلوق . إذ ادعيتم أن وجهه وجه القبلة ووجوه الأعمال الصالحة ، وكوجه الثوب والحائط . وهذه كلها مخلوقة . فادعيتم أن علمه وكلامه وأسماءه محدثة مخلوقة . فما بقى لكم إلا أن تقولوا . هو بكماله مخلوق . فلذلك قلنا إنكم سببتم الله بأقبح مما سبته اليهود .

وروى المعارض عن شاذان عن حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلعم قال: (دخلت على ربى فى جنة عدن شاب جعد فى ثوبين أخضرين) وليس هذا من الأحاديث التى يجب على العلماء نشرها فى أيدى الصبيان، فإن كان منكرا عند المعارض، فكيف يستنكره مرة ثم يثبته أخرى، فيفسره تفسيرا أنكر من الحديث؟ والله أعلم بهذا الحديث وبعلته. غير أنى أستنكره جدا لأنه يعارضه حديث أبى ذر أنه قال لرسول الله صلعم: (هل رأيت ربك؟ فقال نور أنى أراه؟) ويعارضه قول عائشة رضى الله عنها: (من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية وتلت: (لا تدركه الأبصار) فهذا هو الوجه عندنا فيه. والتأويل والله أعلم. لا ما ادعيت أيها المعارض أن تفسيره: إنى دخلت على ربى فى جنة عدن. كقول الناس: أتيناك ربنا شعثا غبرا من كل فج عميق، لتغفر لنا ذنوبنا، وهذا تفسير محال لا يشبهه ما شبهت لأن فى روايتك أنه قال: (رأيته شابا جعدا فى ثوبين أخضرين) ويقول أولئك. أتيناك شعثا غبرا أى قصدنا إليك نرجو عفوك ومغفرتك. ولم يقولوا أتيناك فرأيناك شابا جعدا فى ثوبين أخضرين لتغفر لنا. هؤلاء قصدوا قصد الثواب والمغفرة، ولم يصفوا الذى قصدوا إليه بها[1] والرجوع عنه.

وروى المعارض أيضا عن عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح عن أبى يحي عن أبى يزيد عن سلام عن ثوبان أن النبي صلعم قال « أتانى ربى فى أحسن صورة فقال: يامحمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: يارب لا علم لى. فوضع يده بين كتفى، حتى وجدت برد أنامله فى صدرى. فتجلى لى ما بين السماء والأرض »

---

(١) فى الأصل: بما

فادعى المعارض أن هذا يحتمل أن يقال : أتانى ربى من خلقه بأحسن صورة فانتق تلك الصورة ، وهى غير الله . والله فيها مدبر . فوضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله فى صدرى ، يعنى تلك الصورة التى هى من خلقه . والأنامل لتلك الصورة منسوبة إلى الله على معنى أن الخلق كله لله .

فيقال لهذا المعارض : كم تدحض فى قولك وترتطم فيما ليس لك به علم . أرأيتك إذا ادعيت أن هذه كانت صورة من خلق الله سوى الله أتته ، فقالت له : هل تدرى يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ، أفتتأول على رسول الله صلعم أنه أجاب صورة غير الله فقال لها « يارب لا أدرى » فدعاها ربا ، دون الله ، أم أتته صورة مخلوقة فقال النبى صلعم «أتانى ربى» إن هذا كفر عظيم ادعيته على رسول الله صلعم . وأية صورة تضع أناملها وكفها فى كتف النبى صلعم فيتجلى له بذلك ما بين السماء والأرض غير الله ؟ ففى دعواك التى ادعيت على رسول صلعم أنه أقر بالربوبية لصورة مخلوقة غير الله لأن فى روايتك : أن الصورة قالت له « هل تدرى يا محمد » يقال لها « لا يارب » وهل يمكن أن تكون صورة مخلوقة تضع أناملها فى كتف نبى مثل محمد ، فيتجلى له فى ذلك ما بين السماء والأرض أمور لم يكن يعرفها من قبل أن تضع تلك الصورة كفها بين كتفيه ؟ ويحك لا يمكن هذا لجبريل ولا ميكائيل ولا إسرافيل . ولا يمكن هذا غير الله ، فلم تجلب على نفسك من الجهل والخطأ ، وتتقلد من تفاسير الأحاديث الضعيفة ما لم يرزقك الله معرفتها ، ولا تأمن من أن يجرك الله بذلك إلى كفر بالذى تأولت على رسول الله صلعم أن صورة مخلوقة كلمته فأجابها محمد « يارب » أم لله صورة لم يعرفها . فقال : « أتانى ربى » لما أن الله فى تلك الصورة مدبر ؟ ففى دعواك يجوز لك ، كلما رأيت كلبا أو حمارا أو خنزيرا قلت : هذا ربى . لما أن الله مدبر فى صورهم فى دعواك . وجاز لفرعون فى دعواك

أن يقول :(أنا ربكم الأعلى) لما أن الله مدبر فى صورته بزعمك ، هذا أبطل باطل لا ينجع إلا فى أجهل جاهل .

ويلك إن تأويل هذا الحديث على غير ما ذهبت إليه لما أن رسول الله صلعم قال فى حديث أبى ذر إنه لم ير ربه . وقال رسول الله صلعم « لن تروا ربكم حتى تموتوا » وقالت عائشة رضى الله عنها « من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله على الله الفرية » وأجمع المسلمون على ذلك، مع قول الله (لا تدركه الأبصار) يعنون أبصار أهل الدنيا . وإنما هذه الرؤية كانت فى المنام . وفى المنام يمكن رؤية الله على كل حال وفى كل صورة .

كذلك روى معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلعم أنه قال « صليت ما شاء الله من الليل . ثم وضعت جنبى . فأتانى ربى فى أحسن صورة » فحين وجد هذا لمعاذ بن جبل كذلك صرفت الروايات التى فيها إلى ما قال معاذ . فهذا تأويل هذا الحديث عند أهل العلم . لا ما ذهبت إليه من الجنون والخرافات . فزعمت أن الله بعث إلى النبى صلعم صورة فى اليقظة كلمته فقال لها النبى صلعم : يارب . غير أنى أظنك لو دريت أنه يخرجك تأويلك إلى مثل هذه الضلالات لامسكت عن كثير منها . غير أنك تكلمت على حد الجواز أمنامن الجواب ، غارا أن ينتقد عليك . ا

وقد روى المعارض أيضا عن الأعمش عن أبى وائل قال « بينما عبد الله يمجد ربه إذ قال معضل : نعم المرئى ربنا . فقال عبد الله إنى أجله عن ذلك ولكن ليس كمثله شىء » .

فادعى المعارض فى تفسيره تخليطا من الكلام ، غير أنه قال الشخص فى قوله شىء . ولا يجوز أن يوصف الله إلا بما وصف به نفسه . فأظن به أنه يعنى به أن الشىء لا يخلو من أن يكون شخصا . والله لا يوصف بأنه شىء .

فإن كان هذا المعارض ذهب إلى هذا التأويل فهذا محض الزندقة لأن الله أعظم الأشياء . وأكبر الأشياء ، وخالق الأشياء (ليس كمثله شىء) نور السموات الأرض

من نور وجهه ، كما قال ابن مسعود . حدثنا موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن أبي عبد السلام عن أيوب بن عبد الله الفهرى عن ابن مسعود رضى الله عنه «وإنه ليس من نور مخلوق إلا وله منزل ومنظر فكيف النور الأعظم خالق الأنوار ؟».

وذكر المعارض أيضا عن ابن عيينة عن حميد الأعرج عن مجاهد قال « يقول داود يوم القيامة : أدنني . فيقال له : أدنه . فيدنو حتى يمس ركبته » فادعى المعارض أن تأويله : يدنيه إلى خلق من خلقه ، ذي ركبة حتى ، يمس ركبة داود ركبته ذلك . قال : ويحتمل أن يتقرب إليه بالعمل الصالح .

فلو كان لهذا المعارض من يقطع لسانه كان قد نصحه . ويلك ، عن أى زنديق تروى هذه التفاسير ولا تسميه ؟ وأى درك لداود إذا استغفر الله لذنبه ، ولجأ إليه واستعاذ به فى أن يدنيه إلى خلق سواه ، فيمس ركبته . وما يجزىء عن داود ركبة ذلك المخلوق إذا مس داود النبي ركبته غفر ذنبه ، وأمن روعته ، إن ذلك خلق كريم على ربه أكرم من داود ومن جميع الأنبياء فى دعواك ، إذ جعله مفزعاً للأنبياء ، ومعولا عليه فى ذنوبهم . يحكم على الله فى مغفرته ، فيغفر لمن يشاء ويرحم من يشاء يوم القيامة دون الله ؟ ولا بد لمثل هذا الخلق أن يكون سبق له من الله اسم فى الملائكة ، أو فى النبيين . فما اسمه أيها الجاهل ؟ لو تكلم بهذا الشيطان ، أو مدمن خمر سكران ، ما زاد عليك جهلا . فكيف إنسان ؟

وأعجب من ذلك قولك : إنه يتقرب إليه يومئذ بالعمل الصالح لا بالدنو منه . أولم تعلم أيها المعارض أن يوم القيامه ليس بيوم عمل . إنما هو يوم جزاء للأعمال التى يتقرب بها إلى الله فى الدنيا ؟ فكيف رفع الله العمل يومئذ عن جميع المسلمين وأوجبه على داود ؟ قلت : وكذلك ما روى المسعودى عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة عن عبدالله « أن الرب يبدو لأهل الجنة فى كل جمعة على كثيب من كافور . فيكونون منه فى القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة فى الدنيا » فادعيت أن تفسير قوله هذا من القرب : أنه يبدو لهم بظهور الدلالات ، وبذل الكرامات

لأوليائه ، فيظهر بما فعل دلالته وعلاماته لا هو نفسه فيقال لك : أيها المعارض ، بئسما أثبت على أولياء الله أنهم لم يعرفوا الله بدلالاته وعلاماته وبرسالات نبيه وما أنزل فى كتبه فى الدنيا قبل مقامهم حتى يعرفوه بها فى الآخرة إذ ماتوا كفارا فى دعواك ، جهالا بالله وبدلالاته ، فإن كانوا كذلك فى دعواك لم يكونوا إذا أولياء الله ، اذ لم يموتوا على حقيقة معرفة الله ، ولا استحقوا الكرامات من الله ولم يكونوا أهلا فى دعواك أن يبدو لهم فى كثيب من كافور بل يحتجب عنهم ، إذ لم يعرفوه بدلالاته وعلاماته ورسالات نبيه ، إلا يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، إذ كل كافر ومنافق يعرفه يومئذ بدلالاته وعلاماته . فما فضل المؤمن عندك فى هذا على الكافر ؟

ثم فسرت قول عبد الله : « إنهم يكونون فى القرب منه على قدر تسارعهم إلى الجمعة » أن ذلك يقرب إليه العمل الصالح كما قال الله « من تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا » .

ويلك أيها الحيران ، إنما قال الله « من تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا » فى الدنيا بالأعمال الصالحة لا فى الآخرة يوم ترفع الاعمال عن العباد .

لقد تقلدت أيها المعارض من تفاسير هذه الاحاديث أشياء لم يسبقك إليها فصيح ولا عجمى . ولو قد عشت لقلبت العربية على أهلها إن شاء الله .

ثم قلت : وهذا كقول ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى النجوى : « إنه يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه ، فيقول : سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم » قلت فتفسيره « كنفه » نعمته وستره وعافيته .فتأويل هذا أنه على الستر مع القرب والدنو والمناجاة التى قالها النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنت بجميعها منكر وعلى من آمن بها مغتاظ .

الحجب التي احتجب الله بها عن خلقه

ثم طعن المعارض فى الحجب التى احتجب الله بها عن خلقه . فقال : روى وكيع ، عن سفيان ، عن عبيد المكتب ، عن مجاهد ، عن عمر (احتجب الله عن خلقه بأربع : بنار ، وظلمة ، ونور) ففسره المعارض تفسيرا يضحك منه فقال : يحتمل أن تكون تلك الحجب آيات يعرفونها ، ودلائل على معرفته أنه الواحد المعروف . إذ عرفهم بدلالاته . فهى آيات لو قد ظهرت للخلق لكانت معرفتهم كالعيان بها .

فيقال لهذا المعارض : عمن رويت هذا التفسير ؟ ومن أى شيطان تلقيته؟ ومن ادعى قبلك أن حجب الله آياته التى احتجب بها ؟ فما معنى قول الله(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) ؟ أمعناه عندك: من وراء الدلالات والعلامات ؟ أم قوله (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أهو عندك أن لا يروا يومئذ أنه الواحد المعروف بالوحدانية ، وأنه ليس أحد يوم القيامة فى دعواك عنه محجوب لما أن كلا يرى يومئذ دلالاته وعلاماته وآياته . وكل يعرف يومئذ أنه الواحد الأحد . فما موضع الحجاب يومئذ ؟ وكيف صارت تلك الدلالات من نار ، ونور ، وظلمة ؟ ومايصنع بذكر النار والنور والظلمة هاهنافى الدلالات والعلامات ؟

قلت : وكذلك حديث أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم (أن الله لاينام ولاينبغى له أن ينام : حجابه النار . لوكشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه بصره) ثم قلت : فتأويل الحجاب فى هذا الحديث مثله فى الحديث الأول : هى الدلالات التى ذكرها ، وعلى أن الدلالات كشف عن الشىء لاحجاب ولا غطاء .

ثم قلت . فتأويل قوله (لوكشفها لأحرقت سبحات وجهه) لوكشف تلك النار لأحرقت سبحات وجهه ذلك العلم الدال عليه .

قلت : ويحتمل قوله (سبحات وجهه) ذلك العلم . وذلك العلم وجه يتوجه برؤيته إلى معرفة الله . كقوله (فثم وجه الله) قلت قبلة الله .

فيقال لهذا المعارض : نراك أكثرت لجاجتك فى رد هذا الحديث ، إنكارا منك لوجه الله ، إذ تجعل ماأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان عربى مبين معقول فى سياق اللفظ أنه وجه الله نفسه ، فجعلته أنت وجه العلم ، ووجه القبلة ، والا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حجاب الله النار ، لوكشفها عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه بصره : فإن لم تتحول العربية عن معقولها إنه لوجه الله حقا كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كانت سبحات وجوه الأعلام لقال النبي صلى الله عليه وسلم . ولو كانت سبحات وجوه الاعلام لقال النبى صلى الله عليه وسلم حجابه النار لوكشفها لأحرقت النار سبحات وجوه الخلق . والخلق كلها . وما بال تلك النار تحرق من العلم سبحاته ، وتترك سائره ؟ وإنما تفسير السبحات الجلال والنور فأى نور لوجوه الخلق حتى تحرقها النار منهم؟ وما للنار تحرق منهم سبحاتهم بعد أن يكشفها الله عن وجهه . ولا تحرقها قبل الكشف ؟ فلو قد أرسل الله منها حجابا واحدا لاحترقت الدنيا كلها . فكيف سبحات وجوه الخلق ؟ ويحلك إن تأويل هذا بين ، لايحتاج إلى تفسير، إنما تقول احتجب الله بهذه النار عن خلقه بقدرته وسلطانه ، لو كشفها لأحرق نور وجه الرب وجلاله كل ما أدركه بصره وبصره مدرك كل شىء ،غير أنه يصيب ما يشاء ، ويصرفه عما يشاء .

كما أنه حين تجلى للجبل تجلى لذلك الجبل خاصة من بين الجبال . ولو قد تجلى لجميع جبال الأرض لصارت كلها دكا . كما صار جبل موسى . ولو قد تجلى لموسى كما تجلى للجبل لجعله دكا . وإنما خر موسى صعقا مما هاله من الجبل ، مما رأى من صوته حين دك فصار فى الارض .

وحدثنا موسى بن إسماعيل ، عن وهب ، عن خالد الحذاء ، عن أبى قلابة ، عن

النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم فى كسوف الشمس والقمر فقال (إنهما لاينكسفان لموت أحد ولا لحياته. ولكن الله إذا تجلى لشىء من خلقه خشع له).

وإنما كانت تحرق سبحات وجهه لوكشفها كل شىء فى الدنيا، لأن الله كتب الفناء عليها، وركب ماركب من جوارح الخلق للفناء. فلا يحتمل نور البقاء. فتحترق به أو تدك، كما دك الجبل. فإذا كان يوم القيامة ركبت الأبصاروالجوارح للبقاء، فاحتملت النظر إلى وجهه، وإلى سبحاته ونور وجهه من غير أن يحرق أحدا. كما لو أن أجسم رجل وأعظمه وكله لو ألقى فى الدنيا فى تنور مسجور لصار رمادا فى ساعة فهو يحترق فى نار جهنم ألف عام وأكثر ونارها أشد حرا من نار الدنيا سبعين ضعفا، لايصير فيها رمادا، ولا يموت (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) لأن أجسامهم وأبصارهم وأسماعهم تركبت يومئذ للبقاء. فاحتملت من عذاب جهنم مالم تكن تحتمل جزءا من ألف جزء من عذاب الدنيا. وكذلك أولياء الله تعالى تحتمل أبصارهم النظر إلى وجه الله. ولو قد أدركهم شىء من سبحات وجهه فى الدنيا لاحترقوا. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تحتملها أبصارهم. فهذا تأويل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تدل عليه ألفاظه، لا ماتأولت له من التفسير المقلوب، الذى لاينقاس للفظ الحديث، إلا أن ينقلب لفظه كما قلبت تفسيره. فاربح العناء، إن ظاهر ألفاظه تشهد عليك بالتكذيب بالتوحيد.

وسنذكر بعض ماذكر فى القرآن وفى الروايات من أمر الحجب ليعرضها كل عاقل على قلبه: هل ينقاس كل منها على ما تأولت؟

أول ذلك مارويته أيها المعارض عن أبى موسى. عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبى عبيدة، عن أبى موسى قال (قال فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع

فقال : إن الله لاينام ، ولا ينبغى له أن ينام . يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل ، قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل . حجابه النار لوكشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه بصره).

وحدثنا على بن المدينى حدثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشر الأنصارى قال سمعت طلحة بن خراش يقول سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله لايكلم أحدا إلا من وراء حجاب) .

وحدثنا عمرو بن عون أخبرنا هشيم ، عن داود ، عن الشعبى ، عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت :(من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية) لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) و (ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) .

أفيجوز أن يتأول هذا أن الله لم يكلم بشرا إلا من وراء الآيات والعلامات ؟

وحدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان ، عن عبد المكتب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضى الله عنه قال :(احتجب الله من خلقه بأربع : بنار وظلمة ونور وظلمة) أفيجوز أن يتأول على الله فى هذا الحديث بأربع علامات ، وأربع دلائل ونار وظلمة ونور وظلمة ؟

وحدثنا موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن أبى عمران الجونى ، عن زرارة ابن أوفى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم جبرائيل . هل رأيت ربك ؟ فانتفض جبريل وقال يا محمد إن بينى وبينه سبعين حجابا من نور لو دنوت من من أدناها حجابا لاحترقت أفيجوز أن يتأول على جبريل أن يقول : بينى وبين الله تعالى سبعين علامة ودلالة من نور ، لودنوت من أدناها لاحترقت؟ أم يجوز

أن يتأول على جبريل أنه لايستدل على معرفة الواحد الأحد لما رأى وشاهد من آياته وعلاماته إلا بهذه الأربعة الحجب التى ادعيت أنها دلائل على معرفة الواحد المعروف ؟ أو لم يكتف جبريل بما رأى وعاين من الدلالات والعلامات على معرفة الله ، وهو السفير بينه وبين رسله ، حتى استدل عليه بالحجب التى ادعيت أنها آياته وعلاماته ؟ لورزقت أيها المعارض شيئا من العقل علمت أن ماتدعى زورا وباطلا (١) . ولكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن مماأدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ماشئت) .

حدثنا عبد الله بن صالح حدثنى يحيى بن أيوب عن المثنى عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (احتجب ربنا عز وجل عن خلقه بأربع : بنار ، وظلمة ، ثم بنور وظلمة ، من فوق السموات السبع ،والبحر الأعلى فوق ذلك كله تحت العرش) .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، عن حبابة بنت عجلان الخزاعية عن أم حفص ، عن صفية ابنة جرير عن أم حكيم بنت وداع الخزاعية رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (دعاء الوالدة يفضى إلى الحجاب) .

ويحك أيها المعارض قد علم كل ذى عقل وعلم أن ألفاظ هذه الروايات كلها مخالفة لما ادعيت من هذه التفاسير المقلوبة ، وأن لله أكثر من ألف آية وعلامة فكيف لم يحتجب منها إلا باربع جعلها دلالة وعلامة على معرفته ؟ وسائرها لا يدل فى دعواك .

باب إثبات الضحك

ثم أنشأ المعارض أيضا منكرا أن الله تعالى يضحك إلى شىء ضحكا هو الضحك طاعنا على الروايات التى نقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسرها أقبح التفاسير ، ويتأولها أقبح التأويل .

---

(١) كذا فى الأصل وصوابه زور وباطل .

فذكر منها حديث أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (يتجلى ربنا ضاحكا يوم القيامة)

وأيضا حديث أبى رزين العقيلى أنه قال (يارسول ، أيضحك الرب ، فقال : نعم . فقال لن نعدم من رب يضحك خيرا) .

وحديث جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ضحك الرب .

فادعى المعارض فى تفسيره أن ضحك الرب رضاه ورحمته ، وصفحه عن الذنوب ألا ترى أنك تقول : رأيت زرعا يضحك .

فيقال لهذا المعارض : قد كذبت بما رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، إذ شبهت ضحكه بضحك الزرع ، لأن ضحك الزرع ليس بضحك ، إنما هو خضرته ونضارته ، فجعلته مثلا للضحك . فعمن رويت هذا التفسير من العلماء إن ضحك الرب رضاه ورحمته ؟ فسمه وإلا فأنت المحرف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأويل ضلال ، إذ شبهت ضحك الله الحى القيوم الفعال لما يشاء ، ذى الوجه الكريم ، والسمع السميع ، والبصر البصير ، بضحك الزرع الميت الذى لا ضحك له ، ولا قدرة له ، ولا يقدر على الضحك وإنما ضحكه يمثل ، وضحك الله ليس يمثل .

ويحك أيها المعارض إن ضحك الزرع نضارته وزهرته وخضرته . فهو أبدا مادام أخضر ضاحكا (١) لكل أحد للولى وللعدو ، لمن يسقيه ، ولمن يحصده لا يقصد بضحكه إلى شىء . والله يقصد بضحكه إلى أوليائه عندما يعجبه من فعالهم ، ويصرفه عن أعدائه فيما يسخطه من أفعالهم .

فالدليل من فعل الله أنه يضحك إلى قوم ويصرفه عن قوم ، وأن ضحك الزرع مثل على المجاز ، وضحك الله أصل وحقيقة للضحك . يضحك كما يشاء ، والزرع أبدا نضارته وخضرته التى سميته (٢) ضحكا أبدا قائم حتى يستحصد .

---

(١) كذا فى الأصل وصوابه . ضاحك .
(٢) كذا فى الأصل .

وأما قولك : إن ضحكه رضاه رحمته . فقد صدقت فى بعض . لأنه لا يضحك لأحد إلا عن رضى . فيجتمع منه الضحك والرضا . ولا يصرفه إلا عن عدو . وأنت تنفى الضحك عن الله ، وتثبت له الرضا وحده . ولئن جزعت من حديث أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الضحك حتى تنفيه عن الله بمعنى ضحك الزرع ، مالك من راحة فيما يروى عنه ابن مسعود رضى الله عنه عما يكذب دعواك ، ويستحيل به تفسيرك .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (آخر رجل يدخل الجنة رجل يمشى ء يكبو على الصراط مرة وتسفعه النار مرة . فإذا جاوزها التفت إليها . فقال : تبارك الذى أنجانى منك . فترفع له الجنة فيقول : يارب ، ادنى منها ، حتى إنه ليقول : ياابن آدم ، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ فيقول : يارب أتستهزىء بى ، وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود ، ثم قال: ألا تسألنى مم ضحكت ؟ هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : ألا تسألونى مم أضحك ؟ فقالوا مم تضحك ؟ فقال : من ضحك رب العالمين منه حين يقول : أتستهزىء بى . فيقول الله تعالى : إنى لا استهزىء بك ، ولكنى على ما أشاء قادر . فيدخله الجنة) .

أولا تسمع أيها المعارض من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ضحك رب العالمين منه) إنه لا يشبه ضحك الزرع . لأنه لا يقال للزرع . يضحك ، ولا يقال: ضحك من أحد ولا من أجل أحد . وإنا لم نجهل هذا فى العربية ، ولكنه على خلاف ماذهبت إليه ، فقد سمعنا قول الأعشى وفهمنا معناه وهو من معنى ضحك الرب بعد إذ يقول :

ماروضة من رياض الحزن معشبة   خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق   مؤزر بعميم النبت مكتمل

فالزرع مادام أخضر فهو ضاحك للشمس أبدا ، لايخص بضحكه أحد ، ولا يصرفه عن أحد . والله يضحك إلى قوم ويصرفه عن آخرين .

وحدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو يعلى أخبرنا يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن أبي زيد العقيلي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ، قال أبو زيد : أيضحك الرب يارسول الله ؟ قال نعم . قال : لن نعدم من رب يضحك خيرا)فهذا حديثك أيها المعارض الذى رويته وثبته وفسرته ، وأقررت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قاله ، ففى نفس حديثك هذا ماينقض دعواك وهو قول أبى رزين للنبي صلى الله عليه وسلم (أيضحك الرب) ولو كان تفسير الضحك الرضى والرحمة والصفح عن الذنوب فقط . كان أبو رزين فى دعواك إذن جاهلا أن لايعلم أنه ربه يرحم ويرضى ويغفر الذنوب ، حتى يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيرحم ربنا ويغفر ويصفح عن الذنوب ؟ بل هو كافر فى دعواك ، إذ لم يعرف الله بالرضى والرحمة والمغفرة . وقد قرأ القرآن وسمع ماذكر الله فيه من رحمته ومغفرته وصفحه عن الذنوب ، ما كان له فيه مندوحة عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم : أيغفر ربنا ويرحم ؟ إنما سأله عما لايعلم لا عن علم ماعلم وآمن به قبل . وقرأ القرآن ،فوجد فيه ذكره . ولم يجد فيه ذكر الضحك . فلما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه يضحك قال (لن نعدم من رب يضحك خيرا) ولو كان على تأويلك لاستحال أن يقول أبو رزين للنبي صلى الله عليه وسلم . لن نعدم من رب يرحم ويرضى ويغفر خيرا لما أنه قد آمن وقرأ قبل فى كتابه (إنه غفور رحيم) فاعقله . وما أراك تعقله .

ثم لم تأنف من هذا التأويل حتى ادعيت على قوم من أهل السنة أنهم يفسرون ضحك الله على مايعقلون من أنفسهم . وهذا كذب تدعيه عليهم .لأنا لم نسمع أحدا منهم يشبه شيئا من أفعال الله بشيء من أفعال المخلوقين . ولكنا نقول . هو نفس الضحك ، يضحك كما يشاء وكما يليق به وتفسيرك هذا منبوذ فى حشك ثم فسرت

تفسيرا أوحش من هذا أيضا فقلت : يحتمل أن يكون ضحكه أن يبدو له خلق من خلق الله ضاحكا يأتيهم مبشرا ومعينا ، ودليلا إلى الجنة .

ويحك أيها المعارض : ألا تسمع مافى حديثك الذى رويته وثبته عن أبى رزين قال (قلت : يارسول الله أيضحك ربنا ؟ قال : نعم) ولم يقل أيخلق الله خلقا يضحك . ثم قال (لن نعدم من رب يضحك خيرا) ولم يقل لانعدم من رب يخلق الضاحك . فهذا فى نفس حديثك لو قد عقلته ، وأنى لك العقل مع هذا التخليط ؟

وادعيت أيضا تفسيرا للضحك أبعد من هذا من الحق والمعقول فزعمت أن الله يضحك من رجل ، أو من شيء تفسره أنه يضحكه ويسره . وذلك ضحك الله على السنة ، يعنى أن الخلق وضحكهم وكلامهم لله .

فيقال لك أيها المعارض : إذا تحولت العربية إلى لغتك ولغة أصحابك جاز فيها أنكر من هذا التأويل ، وأفحش من هذا التفسير . وهذا أيضا بين فى النفس حديثك الذى رويته عن أبى رزين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال له (أيضحك ربنا يارسول الله) ولم يقل يضحك ربنا . ولو قال كذلك لكان جهلا . إذ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضحك الرب الخلق ، وقد قرأ فى كتاب الله (وإنه هو أضحك وأبكى) ومحال أن يسأل أحد : أيضحك الله الخلق ، لما قد علم كل الخلق أن الله هو أضحك وأبكى . فلو اشتغلت أيها المعارض فيما تنقلت فيه من مسائل أبى يوسف ومحمد بن الحسن ونظرائهم كان أعذر لك من أن تتعرض لمثل هذه الأحاديث الصعاب والمعانى التى كان يستعفى من تفسيرها العلماء أصحاب العربية البصراء فتفسرها بجهل وضلال .

وسنذكر لك أيضا بعض ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ضحك الرب ماينقض دعواك ، حتى تضمه إلى حديث أبى رزين وأبى موسى ، فتعلم أن الله لم يوفقك فيها لصواب من التأويل .

حدثنا يحيى الحمانى وأبو بكر بن أبى شيبة ، عن هشيم ، عن مجالد ؛ عن أبى الوداك ، عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ثلاثة يضحك الله تعالى إليهم يوم القيامة : رجل قام من الليل . والقوم إذا صفوا للقتال والقوم إذا صفوا للصلاة) أفلا ترى أيها المعارض أن هذا الضحك لا يشبه ضحك الزرع الذى تأولته . لأن ضحك الزرع لا يخص به أحدا ولا يصرفه عن أحد . والله تعالى يضحك إلى قوم ويصرفه عن قوم .

حدثنا هشام بن عمار الدهنى ، عن إسماعيل بن عياش حدثنى بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن كثير بن مرة ، عن نعيم بن همار قال (جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أى الشهداء أفضل ؟ قال الذين يلقون فى الصف ولا يلفتون وجوهم حتى يقتلوا ، أولئك الذين يتلبطون فى الغرف العلى من الجنة يضحك إليهم ربك وإذا ضحك ربك إلى عبد فى موطن فلا حساب عليه) .

وحدثنا عبد الله بن صالح عن أبى شريح المعافرى . عن عبيد الله بن المغيرة عن أبى فراس عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال (يضحك الله إلى صاحب البحر ثلاث مرات : حين يركبه ويخلى من أهله ، وحين يميد متشطحا ، وحين يرى البر ليسرو له) .

حدثنا أحمد بن يونس أخبرنا إسرائيل عن أبى اسحق ، عن أبى الأحوص وأبى الكنود ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال (إن الله يضحك إلى اثنين رجل قام من جوف الليل فتوضأ وصلى ، ورجل كان مع قوم فلقوا العدو فانهزموا وحمل عليهم فالله يضحك إليه) .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان الله يضحك من رجلين قتل أحدهما صاحبه وكلاهما داخل الجنة مشرك قتل مسلما : ثم يسلم فيتشهد بعد » .

حدثنا محبوب بن موسى عن أبى إسحق الفزارى ، عن سفيان بن حسين ،عن

الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وحدثناه القعنبى ، عن مالك بن أنس ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن بكار البغدادى حدثنا إسماعيل بن زكريا أبو زياد ، عن محمد ابن إسماعيل السلمى ، عن عبد الله بن أبى الهذيل أنه سمع ابن مسعود يقول « إن الله يضحك ممن ذكره فى الأسواق » .

حدثنا محمد بن عبيد الله بن نمير حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا إسماعيل بن زكريا أبو زياد ، عن محمد بن إسماعيل ، عن عبد الله بن أبى الهذيل أنه سمع ابن مسعود يقول (إن الله تعالى يضحك) .

حدثنا اسحق بن راشد عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت « لما توفى سعد ابن معاذ صاحت أمه ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا يرقأ دمعك ، ويذهب حزنك ؟ فإن ابنك أول من يضحك الله إليه) .

ولو لم كان تأويل ضحكه ماشبهت به أيها المعارض من ضحك الزرع ما كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم « أول من ضحك الله إليه » لأن خضرة الزرع ونضارته بادية لأول ناظر إليها وآخره ، ولا يقصد بضحكه إلى تقى ، ولا يصرفه عن شقى ، فكم تدحض فى بولك ، وتعثر فى قولك ، وتغر من حولك ؟

أو لم تقل فى صدر كتابك هذا : أن الله لايقاس بالناس ، ولا يحل للرجل أن يتوهم فى صفاته مايعقله من نفسه ؟ وأنت تقيسه فى ضحكه بالزرع . فكيف بالناس وتتوهم فيه مايتوهم بالزرع .

وادعيت أيضا فى صدر كتابك هذا أنه لايجوز فى صفات الله اجتهاد الرأى ، وأنت تجتهد فيه أقبح الرأى ، حتى من قباحة اجتهادك تتخطى به الحق إلى الباطل،

والصواب إلى الخطأ ، أو لم تذكر فى كتابك : أنه لا يحتمل فى التوحيد إلا الصواب فقط ، فكيف تخوض فيه بما لا تدرى ، أمصيب أنت أم مخطىء ؟ لأن أكثر ما نراك تفسر التوحيد بالظن ، والظن يخطىء ويصيب . وهو قولك : لا يحتمل فى تفسيره كذا ، ويحتمل كذا تفسيرا آخر ، ويحتمل فى صفاته كذا ، ويحتمل خلاف ذلك كذا ، ويحتمل فى كلامه كذ وكذا ، والاحتمال ظن عند الناس غير يقين ، ورأى غير مبين ، حتى تدعى لله فى صفة من صفاته ألوانا كثيرة أنها تحتملها لا تقف على الصواب من ذلك فتختاره ، فكيف تندب الناس إلى صواب التوحيد، وأنت دائب تحمل صفاته وتقيسها بما ليس عندك يقين ؟ ولكنا نظنك تقول الشىء فتنساه ، حتى يدخل عليك فيه ما يأخذ بحلقك ويكظمك . والعجب من رجل يدعى على قوم زورا وكذبا أنهم يشبهون الله بآدم فى صورته ، فيدعى بذلك عليهم كفرا ، وهو يشبهه فى يده بأقطع من ذرية آدم وفى بصره بأعمى ، وفى سمعه بأصم ، وفى وجهه بوجه القبلة ووجوه الأعمال الصالحة وفى كلامه بأبكم ، حتى تتوهم فى كلامه أنه مثل كلام الجبال والشجر ، وفى ضحكه بالزرع الأخضر . فكيف تجيز لنفسك أيها المعارض من ذلك ما تجحده على غيرك ؟ لقد احتظرت واسعا ، أو كلما احتججت لمذهبك من باطل احتمل ، وما احتج غيرك فيه من حق باطل ؟ رويدك بالقضاء فلا تعجل ، فتزل قدمك ، وتستجهل وتفتضح بها عند من عقل . ولئن لم يكن للجهمية من الحجج إلا ما حكيت عنهم من هذه العمايات المستشنعة ، والتفاسير المقلوبة ما أسديت إليهم بذكرها نصيحة وقد زدتهم بها فضيحة . أو تضيف إليهم هذه التشانيع القبيحة ، فكشفت عنهم الغطاء فيما كان بينهم هينمة فى خفاء .

وروى المعارض أيضا عن الشعبى : أن الله قد ملأ العرش ، حتى إن له أطيطا كأطيط الرحل . ثم فسر قول الشعبى : أنه قد ملأه آلاء ونعما ، حتى إن له أطيطا لا على تحميل جسم . فقد حمل الله السموات والأرض والجبال الامانة فأبين أن يحملنها والأمانة ليست بجسم . فكذلك يحتمل ما وصف على العرش .

فيقال لهذا المعارض : لجلجت بها ولبست حتى صرحت بأن الله ليس على العرش ، إنما عليه آلاؤه ونعماؤه ،فلم يبق من إنكار العرش غاية بعد هذا التفسير ويلك فإن لم يكن على العرش بزعمك إلا آلاؤه ونعماؤه فما بال العرش يئط من الآلاء والنعماء ؟ لكأنها عندك أعكام الحجارة والصخور والحديد فيئط منها العرش مع أنك قد جحدت فى تأويلك هذا أن يكون على العرش شىء من الله ، ولا من الآلاء والنعماء . إذ شبهتها بما حمل الله السموات والأرض والجبال من الأمانة فأبين أن يحملنها . فقد أقررت بأنه ليس على العرش شىء . لأن السموات والأرض والجبال إذ أبين أن يحملن الأمانة لم يحملهن الله شيئا ، بل تركهن خلوا من تلك الأمانة وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا ،

ففى دعواك ليس على العرش شىء من تلك الآلاء والنعماء التى ادعيت ، كما ليس على السموات والأرض والجبال من تلك الأمانة شىء ، فكما أن السموات والأرض والجبال خلو من الأمانة كذلك العرش عندك خلو من كل شىء عليه .

فانظر أيها الجاهل إلى ما توردك هذه التفاسير من المهالك . وما تجر إليك من الجهل والضلال فتشهد عليك بأقبح المحال . ولم تتأول فى العرش فى صدر كتابك تأويلا أفحش ، ولا أبعد من الحق من هذا .

وادعيت أيضا أن قتادة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لما قضى الله خلقه استلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى) ثم قال : لا ينبغى لأحد أن يعقله ثم فسره المعارض بأسمج التفسير وأبعده من الحق وهو مقر أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قاله له .

فزعم أنه قيل فى تفسير هذا الحديث (إن الله تعالى لما خلق الخلق استلقى) فتفسيره : أنه ألقاهم وبثهم ، وجعل بعضهم فوق بعض . وذلك قوله (وضع احدى رجليه على الأخرى) فيحتمل أنه أراد بالرجل الجماعة الكثيرة ، كقول الناس رجل جراد . فنسب تلك الرجل إلى الله كما نسب روح عيسى إلى الله

بالاضافة فألقى رجلا على رجل ، أى جماعة على جماعة فى دعواه .

فيقال لهذا المعارض : من يتوجه لنقض هذا الكلام من شدة استحالته وخروجه من جميع المعقول عند العرب والعجم ، حتى كأنه ليس من كلام الإنس، ومع كل كلمة منها شاهد من نفسها ينطق لها حتى لا يحتاج لها إلى نقيضه . ويلك من أحدثت هذا التفسير ؟ ومن علمك ؟ وعمن رويت هذا ؟ فسمه حتى يرتفع عنك عاره ويلزم من قاله ، فاغرب بها من ضحكة ، واعظم بها من سخرية .

ويحك أخلق الله خلقه فسماهم رجلا له ، ثم ألقى رجلا على رجل بعضهم على بعض . أحطبا كانوا فأخذهم فألقى بعضهم على بعض فى الشمس ؟ وفى أى لغات العرب وجدت اشتاق فى معنى ألقى ؟ فإنك لم تجده فى شىء من لغاتهم .

وأعجب من ذلك كله احتجاجك بجهلك المقلوب على تفسيرك هذا بقول الشاعر :

فمر بنا رجل من الناس وانزوى اليهم من الرجل اليمانين أرجل

ويلك ، إنما قال الشاعر : رجل من الناس ، ورجل من اليمانين . ولم يقل رجل من الله ، كما ادعيت أنت أن الخلق رجل من الله ألقى بعضهم على بعض ثم انتحلت أنت فيه قول الشاعر بما بهته به . لو تكلم بهذا مجنون . فأبئس بؤسا لفرية مثلك فقيهها والمنظور اليه .

وادعى المعارض أيضا زورا على قوم أنهم يقولون فى تفسير قول الله (ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله) قال : يعنون بذلك الجنب الذى هو العضو . وليس على ما يتوهمونه .

فيقال لهذا المعارض : ماأرخص الكذب عندك ، وأخفه على لسانك : فإن كنت صادقا فى دعواك فأشر بها إلى أحد من بنى آدم قاله ، والا فلم تشنع بالكذب على قوم هم أعلم بهذا التفسير منك ، وأبصر بتأويل كتاب الله منك ، ومن إمامك؟

إنما تفسيرها عندهم : تحسر الكفار على مافرطوا فى الإيمان والفضائل التى تدعو إلى ذات الله تعالى. واختاروا عليها الكفر والسخرية بأولياء الله . فسماهم الساخرين فهذا تفسير الجنب عندهم . فمن أنبأك أنهم قالوا : جنب من الجنوب. فانه يجهل هذا المعنى كثير من عوام المسلمين ، فضلا عن علمائهم . وقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه (الكذب مجانب الايمان) وقال ابن مسعود (لا يجوز من الكذب جد ولا هزل) وقال الشعبى (من كان كذابا فهو منافق) فأحذر أن تكون منهم .

وروى المعارض أيضا عن إسرائيل ، عن ثوير بن فاختة ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن أدنى أهل الجنة منزلة ، من ينظر إلى نعيمه وجناته مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية . ثم تلا (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) .

قال المعارض : فيحتمل أن يكون النظر إلى وجهه نظرا إلى ما أعد الله لهم من النظر إلى جنة هى أعلى الجنات .

فيقال لهذا المعارض : قد جئت بتفسير طم على جميع تفاسيرك ضحكة وجهالة. ولو قد رزقك الله شيئا من معرفة العربية لعلمت أن هذا الكلام الذى رويته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا السياق وهذه الألفاظ الواضحة لا يحتمل تفسيرا غير ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلا تصديق ذلك من كتاب الله تعالى . وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلى وجه الله) ولم يقل إلى وجوه ما أعد الله لهم من الكرامات . ومن سمى من العرب والعجم ما أعد الله لأهل الجنة وجها لله قبلك ؟ وفى أى سورة من القرآن وجدت أن وجه الله أعلى جنته ؟ مالقى وجه الله ذو الجلال والاكرام من تفاسيرك هذه . مرة تجعله ما أعد الله لأهل الجنة . مرة تجعله أعلى الجنة . ومرة تجعله وجه القبلة ، ومرة تشبهه بوجه الثوب ووجه الحائط . والله سائلك عما تتلاعب بوجه ذى الجلال والإكرام .فإن كان كما ادعيت

أن أكرمهم على الله من ينظر إلى وجه ماأعدلهم من الـكرامة التي يتوقعونها من الله أفليس قدقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثك أيضا (إن أدناهم منزلة ينظرون إلى ما أعد الله لهم من جناته ونعيمه وكراماته مسيرة ألف سنة . وإن الأدنين منهم يتوقعون من كرامات الله مايتوقع أكرمهم ، وينظرون إلى أعلى الجنة كما ينظر أكرمهم . فما موضع تمييز رسول الله صلى الله عليه وسلم الأدنى بالنظر إلى ملـكه ونعيمه ، والأعلى بالنظر إلى وجهه بكرة وعشية ، إذ كلهم عن النظر إلى ما أعد الله لهم فيها غير محجوبين ، ولا عن التوقع ممنوعين ؟ حتى تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأكرمين منهم مايتلو فى الأدنيين منهم تثبيتا لوجه ذى الجلال والاكرام ، وتكذيبا لدعواك . فقال (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ولم يقرأ : إلى كراماتها ناظره ؟ فسبحان الله ماأوحشها من تأويل : وأقبحها من تفسير وأشدها استحالة فى جميع لغات العالمين . فسبحان من لم يرزقك من الفهم إلا ماترى . لو تكلم بهذا الكلام صبيان الـكتاب لاستضحك الناس منهم فـكيف رجل يعد نفسه فى عداد علماء أهل بلاده ؟

وروى المعارض أيضا : أن الحجاج بن محمد روى عن ابن جريج ، عن الضحاك . عن ابن عباس أن محمدا (رأى ربه مرتين فى صورة شاب أمرد) .

وروى حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم (رأى ربه جعدا أمرد عليه حلة خضراء) .

فادعى المعارض أن أهل العلم فسروا هذا أن هذه صفة جبريل فعرف ربه برؤية جبريل علما بقلبه بادرا كه جبريل عيانا . فهذا تفسيره : أنه رأى من خلقه وهو الصورة التي شاهد ببصره ، وكانت صورة جبريل .

فقلنا لهذا المعارض المناقض : أليس قد زعمت فى صدر كتابك أن هذا الحديث من وضع الزنادقة . ثم تدعى هاهنا أن أهل العلم فسروه أنه صورة جبريل . وأى صاحب علم يفسر أحاديث الزنادقة ، أو يوهم الناس أنها عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ؟ إلا أن يكون زعماؤك هؤلاء المعطلون ؟ وكيف تثبت الشهادة على حديث الزنادقة أن هذا تفسيره ؟ أو ليس قد أنبأناك فى صدر كتابك هذا أن هذا وما أشبهه من الروايات يعارضه حديث أبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (هل رأيت ربك ؟ قال : نور ، أنى أراه) وبقول عائشة رضى الله عنها (من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية) لأن الله قال (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) غير أنك فسرته تفسيرا شهدت فيه بالكفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ ادعيت أنه رأى جبريل فى صورة فظن أنه ربه . وأنه قال لصورة مخلوقة شاهدها ببصره أنه ربه . فتفكر أيها المعارض فيما يجلب عليك تأويلك هذا من الفضائح ، حين تدعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف جبريل من الله تعالى ، حتى يرى صورة جبريل فى صورة شاب جعد ، فيدعى أنه ربه بزعمك . لو ولدتك أمك أبكم كان خيرا لك من أن تتعرض لهذا وما أشبهه . أرأيت قولك : إن أهل العلم قالوا : إن هذا صورة جبريل . فمن أى أهل العلم سمعت هذا التفسير ؟ فأسنده إليه . فانك لاتسنده إلا إلى من هو أجهل منك .

وقد علمنا أنك إنما تغالط الجهال بمثل هذه الروايات لتدفع بها قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنكم ترون ربكم يوم القيامة ، كما ترون الشمس والقمر ليلة البدر) فتوهم الناس أن هذه الأحاديث التى تستنكرها وتلتمس لها هذه العمايات كالتى تروون فى الرؤية والنزول وما أشبهه . وأنه لايدفع تلك بمثل هذا التفسير المقلوب ، لما أنها قد ثبتت عن النبى صلى الله عليه وسلم بأسانيد كالصخور . فلا يدفع إلا بأثر مثله مأثور . فاربح العناء فقد علمنا حول ماذا تدور ولن تغر بمثلها إلا كل مغرور .

واحتج المعارض أيضا فى إنكار الرؤية بحديث رواه (أن خالد بن الوليد رضى الله عنه ضرب العزى بالسيف فقال لها كفرانك ، لاسبحانك إنى رأيت الله قد أهانك) .

قال المعارض : فهذه رؤية علم لا رؤية بصر : قال يعنى المؤمنين لايرون . ربهم يوم القيامة إلا كنحو ما رأى خالد بن الوليد فى دنياه .

قال المعارض : وفسر قوم أن الرؤية للشىء أن يكون على العلم . كما قال تعالى (ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل) ولم يره إلا بالمعرفة . وكل شىء تدركه بالرؤية قله وكثره . فالله المتعالى عن ذلك إنما يرى بدلائله ، وآثار صنعه . فهى شواهده لا الذى يعرف بملاقاة ولا بمشاهدة حاسة . فإذا كان يوم القيامة ذهبت الشكوك . وعرفوه عيانا ، لا بادراك بصر . ثم قال : فإن كان بالروايات فهاهنا روايات أيضا معارضة . وإن كان مايحتمل التأويل فهاهنا مايحتمل أيضا .

فيقال لهذا المعارض : أما الروايات فما نراك تحتج فى جميع ماتدعى إلا بكل أعرج مكسور ، بالتجهم مشهور . وفى أهل السنة مغمور .

وأما المعقول الذى تدعيه من كلامك فقد أنبأناك أنه عند العرب مجهول ،وعند العلماء غير مقبول : لايخفى تناقضة إلا على كل جهول . وأما مااحتججت به من قول خالد بن الوليد فمعقول بأن الله لما قال (لاتدركه الأبصار) وروى أبو ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (نور ، أنى أراه ؟) وقال النبى صلى عليه وسلم (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) آمنا بما قال الله ورسوله . وعلمنا أنه لايرى فى الدنيا ، فلما قال (ألم تر كيف فعل ربكم بأصحاب الفيل) علمنا أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يدركه ولم يره لما أنه ولد عام الفيل . فاستيقنا علما يقينا أن هذه رؤية علم ، لارؤية بصر ، وكذلك قوله (ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا) فاستيقنا بقوله : إنه لم ير ربه أن هذا ليس برؤية الله عيانا . وأنه رؤية الفعل ومد الظل الذى يراه بكرة وعشيا . وكذلك قول خالد بن الوليد : إنى رأيت الله قد أهانك .لاجتماع الكلمه من الله ومن رسوله ومن جميع المؤمنين أن أبصار أهل الدنيا لاتدركه فى الدنيا . فحين حد الله لرؤيته حدا فى الآخرة بقوله (إلى ربها ناظرة) علمنا أنها رؤية عيان . وكذلك قال النبى صلى الله عليه

وسلم حين سأله أبو ذر هل رأيت ربك ؟ (نور أنى أراه) فلما سأل أصحابه (أنراه فى الآخرة ! قال : نعم كرؤية الشمس ، والقمر ليلة البدر) .

وأما تفسيرك أن رؤية القيامة رؤية آياته ودلائله لا إدراك بصر . فإذا رأوا آياته ذهبت الشكوك عنهم . فهذا أفحش كلمة ادعيتها على المؤمنين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنهم ماتوا شكاكا لم يعرفوا ربهم حتى يروا آياته يوم القيامة . فبها تذهب الشكوك عنهم يومئذ .

ويحك . أما علمت أنه لن يموت أحد وفى قلبه أدنى شك من خالقه إلا مات كافراً؟ وكيف يعترى المؤمنين الشكوك والكفار يومئذ بربوبيته موقنون لا يعتريهم شكوك ؟ فان كانت الشكوك يومئذ تنزاح عن المؤمنين بما تصف من الدلالات والعلامات ، من غير إدراك بصر ، فكذلك الكفار كلهم قد رأوا يومئذ آياته وعلاماته ، من غير إدراك بصر فانزاحت عنهم الشكوك . فصاروا كالمؤمنين فى دعواك . فما فضل بشرى الله ورسوله للمؤمنين على الكفار الذين قال الله عنهم فى كتابه (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون !) .

ويحك ، للغناء والعزف أحسن مما تدعى على الله ورسوله ، وما تقذف به المؤمنين إذ الشكوك فى وحدانية الله تعالى لا تذهب عنهم إلا فى الآخرة ، يوم يرون آياته وعلاماته .

فأما ما احتججت به من قول خالد بن الوليد حين قال (رأيت الله قد أهانك) فمثل هذا جائز فيما أنت منه على يقين أنه لم ير ، ولم يدرك ، ولم يمكن إدراكه . فأما فيما يرجى إدراكه ببصر فلا يجوز فيه هذا المحال إلا بحجة واضحة من كتاب مسطور ، أو أثر مأثور ، أو إجماع مشهور . وقول خالد عندنا معناه كمعنى قول أبى بكر لعمر رضى الله عنهما يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم (إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يمت) فقال أبو بكر ألم تسمع قول الله تعالى (إنك ميت وهم ميتون) (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ؟) إنما عنى أبو بكر

رضى الله عنه: ألم تسمع الله تعالى يقول فى كتابه ، لما أن العلم من جميع العلماء قد أحاط بأنه لم يسمع كلام الله بشر من بنى آدم غير موسى . فحين أحاط العلم بذلك علمنا أن أبا بكر رضى الله عنه عنى قوله : لا السماع من الله . وهكذا قصة خالد ابن الوليد ، وقوله (ألم تر إلى ربك) لاحاطة العلم بأن ذلك لم يكن . فلا يدفع ما أحاط العلم أنه لم يكن ما أحاط العلم بأنه كائن .

ومثله قول الكميت :

وجدت الله إذ سمى نزارا　　　وأسكنهم بمكة قاطنينا

لنا جعل المكارم خالصات　　　فللناس القفاء ولنا الجبينا

فحين عرفنا أن أحدا من خلق الله لم يجده عيانا فى الدنيا علمنا أن قول الكميت (وجدت الله) يريد به المكارم التى أعطاهم الله .

وادعى المعارض أيضا : أن قوما زعموا أن لله عينا ، يريدون كجارح العين من الانسان وأرادوا التركيب . واحتجوا بقوله تعالى (ولتصنع على عينى) (واصنع الفلك بأعيننا) (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) .

قال المعارض : والمعقول بين أن هذا يريد عين القوم ، يعنى رئيسهم وكبيرهم ولا يريد جارحا . ولكن يريد الذى يجوز فى الكلام ، وقال ابن عباس فى قوله (فانك بأعيننا) يقول (فى كلاءتنا وحفظنا) ألا ترى إلى قول القائل : عين الله عليك . يقول : أنت فى حفظ الله وكلاءته .

فيقال لهذا المعارض : أما ما ادعيت أن قوما يزعمون أن لله عينا . فإنا نقوله لأن الله تعالى قاله ورسوله قاله . وأما جارح كجارح العين من الانسان على التركيب فهذا كذب ادعيته علينا عمدا ، لما أنك تعلم أن أحدا لايقوله . غير أنك لا تألو ما شنعت . ليكون أنجع لضلالك فى قلوب الجهال : والكذب لايصلح منه

جد ولا هزل . فمن أى الناس سمعت أنه قال : جارح مركب ؟ فأشر إليه . فإن قائله كافر : فكم تقرر قولك : جسم مركب ، وأعضاء وجوارح ، وأجزاء . كأنك تهود بهذا التشنيع علينا أن نكف عن وصف الله بما وصف به نفسه فى كتابه ، وما وصفه الرسول . ونحن وإن لم نصف الله بجسم كأجسام المخلوقين ، ولا بعضو ولا بجارحة لكنا نصفه بما يغيظك من هذه الصفات التى أنت ودعاتك لها منكرون فنقول إنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ذو الوجه الكريم ، والسمع السميع ، والبصر البصير ، نور السموات والأرض . وكما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعائه حين يقول (اللهم أنت نور السموات والأرض) وكما قال أيضا (نور ، أنى أراه ؟) وكما قال ابن مسعود (نور السموات والأرض من نور وجهه) والنور لايخلو من أن يكون له إضاءة واستنارة ومنظر ورواء ، وأنه يدرك يومئذ بحاسة النظر . إذا كشف عنه الحجاب كما يدرك الشمس والقمر فى الدنيا .

وإنما احتجب الله تعالى عن أعين الناظرين فى الدنيا رحمة لهم ، لأنه لو تجلى فى هذه الدنيا لهذه الأعين المخلوقة الفانية لصارت كجبل موسى دكا ، وما احتملت النظر إلى الله تعالى . لأنها أبصار خلقت للفناء لاتحتمل نور البقاء . فإذا كان يوم القيامة ركبت الأبصار للبقاء فاحتملت النظر إلى نور البقاء .

وأما تفسيرك عن ابن عباس فمعناه الذى ادعينا ، لا ما ادعيت أنت يقول بحفظنا وكلاءتنا بأعيننا . لأنه لايجوز فى كلام العرب أن يوصف أحد بالكلاءة إلا وذلك من ذوى الأعين . فإن جهلت فسم لنا شيئا من غير ذوى الأعين يوصف بالكلاءة وإنما أصل الكلاءة من أجل النظر . وقد يكون الرجل كالئا من غير نظر . ولكنه لايخلو أن يكون من ذوى الأعين وكذلك قولك : عين الله عليك فافهم . وقد فسرنا لك بعض هذا الكلام فى صدر كتابنا ، غير أنك أعدته لحاجة منك ، واغتياظا على من يؤمن برؤيه الله يوم القيامة ، كاغتياظك ، وإفراطك على من يزعم أن كلام الله غير مخلوق . فألزم بجهله من لايقول ذلك الكفر . وهو

الكافر عيانا فيما يتكلف مالم يؤمر به . ولم يتكلف فيه السلف ، فجاء بالظلم الجرى فهو بجهله آمن على نفسه ، ولا يرضى حتى ينسب المؤمن التقى الكاف عن الخوض فيه إلى الكفر ، ثم وصف أن الكلام الناطق لايسمى محدثا متى ما قاله،ولا يتركون من عرف وجه الكلام من الكتاب والسنة .

فيقال لهذا المعارض: لا كل هذا الاختلاط غير أن الدليل عليك ، لأنك لاتبدى كل هذا إلا عن خرفة ، فأين لك أنهم لايرون الكلام من الناطق محدثا فقد فهمنا مرادك من هذا ، يعنى أنهم لايرونه مخلوقا محدثا لله ، فقد صدقت فى دعواك عليهم : لايرونه محدثا لله كما ادعيت ، ومن رآه محدثا لله عدوه كافرا ،لأن مذهبه فى ذلك أنه كان ولا كلام له .

وأما قولك . لم يتكلم فيه السلف ، فقد أنبأناك فى صدر كتابنا هذا من تكلم فيه من السلف الذين كانوا أعلم بالله وبكتابه من سلفك الذين احتججت بهم ، مثل المريسى وابن الثلجى ونظرائهم ، وأما ماتصف عن نفسك من الكف عن الخوض فيه فقلما رأينا أصفق عينا منك ولا أقل حياء ، أو ليس كل ماضمنت هذا الكتاب من هذه العمايات خوض(١) كله ؟ فانا مارأينا خائضا فيه أقبح منك خوضا، وأوحش منك تأويلا ، وأقل منك إصابة ، فمثلك فى وعظك كالذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم .

وأما قولك : لايتركون من عرف وجوه الكلام ماضمنت هذا الكتاب عن عن نفسك وعن إمامك المريسى وابن الثلجى ، فقد انقلبت لغات العرب ، فصار المنكر منها معروفا والمعروف منكرا . والعربى عجميا ، والعجمى عربيا . لأن تفاسيركم هذه كلها مخالفة للغاتهم .

وأما الكتاب والسنة فبعيدان من أئمتك هؤلاء الذين تنسبهم إلى معرفة وجوه الكلام بالكتاب والسنة ، لما أنهم لم يتركوا لأهل السنة حجة من كتاب الله على الجهمية والزنادقة إلا نقضوها بخرافات وعمايات ، ولا تركوا للنبى صلى الله عليه

(١) كذا فى الأصل وصوابه : خوضا

وسلم حديثا صحيحا ناقضا لمذاهبهم إلا ردوه بتلك العمايات لقد تركوا معرفة كتاب الله والسنة شرقا ومغربا . فمثل انتحالك لهؤلاء بحسن الكلام مما يوافق الكتاب والسنة كما قال رسول الله صلعم « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور » لأنهم لم يؤتوا فيها من البصر إلا خلاف مامضى عليه أسلاف المسلمين . من أهل البصر . فإن جحدته فهاهنا روايتهم وتفاسيرهم إذا نظر فيها الناظر استيقن بضلال تفسيركم ، واستدل على قلة علمكم بالمستحالات منها . فما ندرى : أى زعمائك هؤلاء الذين يبصرون وجوه الكلام ؟ فإن كان هؤلاء الذين حكيت عنهم هذه العمايات ، فقد أنبأناك بتناقضها واستحالتها بما يجلب عليهم من أنواع الكفر الذى لا مخرج لهم منها . فمن هؤلاء الذين حكيت عنهم وجوه الكلام من زعمائك؟ أهو المريسى المشهور بالتجهم ؟ فقد أنبأناك عورة كلامه وكذلك ابن الثلجى ، وكذلك ضرار ، ذاك الزنديق الذى ينتحل بعض كلامه . ويكنى عنه . فإن كان أهل البصر هؤلاء ، وأحسن الكلام عندك ما حكيت عن هؤلاء ، فإلى الله نبرأ مما حكيت عنهم . للغناء والنوح ونبيح الكلام أحسن مما حكيت عنهم من هذه الحكايات التى لا تنقاس فى كتاب ولا سنة ولا اجماع « أحسدتهم أيضاً أيها المعارض فيما أصابوا بهذه العمايات من وجوه الحق أم فيما نالوا من المراتب السنية عند أهل الاسلام والثناء الحسن على ألسن المؤمنين ، حتى انتحلت مذاهبهم واحتججت بكلامهم حتى تنال بهم وبذكرهم من شرف الدنيا ما نالوا ؟ إذ يدعى أحدهم زنديق. والآخر جهمى ، والآخر ترس الجهمية ، يعنون ابن الثلجى : وهنيئا لك ميراثهم غير محسود ولا مغبوط . فبأى متكلم منهم تستطيل ؟ بالذى زعم أن كلام الله تعالى محدث مخلوق ؟ أم بالذى قال : أسماء الله محدثة مستعارة مخلوقة ؟ أم بالذى زعم أن النبى صلعم رأى جبريل فى صورته فقال له يارب ؟ وما أشبهها من فضائح ما حكيت عنهم فى كتابك هذا كثير . أهؤلاء عندك أهل البصر فى الكلام ، وأهل المعرفة بالتمييز ؟ فقد أخبرناك أن النوح ونباح الكلاب أحسن من كلامهم وتفاسيرهم .

ثم زعم المعارض : أنه فرغ من الحديث عن الأحاديث المشتبهة وابتدأ فى التوحيد المعقول ثم حكى فى تفسير التوحيد كلاما ليس من كلام أهل الفقه والعلم

ولم نجد شيئاً منها فى الروايات .

فقال : يسأل الرجل : هل عرفت الخلق بالله ، أو عرفت الله بالخلق ؟ فيقال له : معبودك هذا ماهو ؟ ومن أى شىء هو؟ وما صفته ؟ ومامثاله ؟ ثم فسرهما بتفاسير لايؤثر شىء منها عن أحد موسوم بالعلم ممن مضى وممن غبر . فلم أجد لبعضها نقيضة أسلم من الامساك عن جهل الجاهلين . وكثيراً منها قد فسرت فى صدر كتابنا هذا فإن لم يوحد الله تعالى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا من قام بهذه الخرافات وجواباتها مامن أمة محمدصلى الله عليه وسلم عنههذا المعارض موحد . وقد فسرنا للمعارض من تفسير التوحيد ما كان فيه مندوحة من هذه التخاليط : أنه قول لا إله إلا الله وحده لاشريك له . هذا تفسيره المعقول . وهى كلمة التقوى ، والعروة الوثقى من جاء بها مخلصا فقد وحد الله تعالى . ومن لم يجىء بها مخلصا لم يوحد الله تعالى . وهى الكلمة التى طلبها محمد صلى الله عليهوسلم من عمه [أبى طالب . ليحاجج له بها عند الله] وهى الدليل على إسلام الرجل وإيمانه وتوحيده .

ويحك أيها المعارض ، أو لم تزعم أنه لايجوز فى التوحيد إلا الصواب ؟ أفتأمن من الجواب فى هذه العمايات أن تجرك إلى الخطأ فى التوحيد ، والخطأ فيه كفر ؟ فأين أنت عن نفسك لما ندبت إليه غيرك من الخوض فيه وما أشبهه ؟

ثم عاد المعارض إلى أسماء الله ثانية فادعى أنها محدثة كلها ، لأن الأسماء هى ألفاظ ، ولا يكون لفظ إلا من لافظ . إلا أن منمعانيها ماهى قديمة ومنها حديثة .

وقد فسرنا للمعارض أسماء الله فى صدر كتابنا هذا ، واحتججنا عليه بماتقوم به الحجة من الكتاب والسنة . فلم يجب إعادتها هاهنا ليطول بها الكتاب ، غير أن قوله (هى لفظ اللافظ ، يعنى أنه من ابتداع المخلوقين بألفاظهم . لأن الله تعالى لا يلفظ بشىء فى دعواه ، ولكن وصفه بها المخلوقون . فكلما حدث لله فعل ،

فى دعواه ، أعاره العباد اسم ذلك الفعل . يعنى أنه لما خلق سموه خالقا . وحين رزق سموه رازقا . وحين خلق الخلق فملكهم سموه مالكا . وحين فعل الشئ سموه فعالا .

وكذلك قالوا منها حديثة ومنها قديمة . فأما قبل الخلق فبزعمهم لم يكن لله أسماء . وكان كالشئ المجهول الذى لايعرف ولا يدرى ماهو ، حتى حدث الخلق فأحدثوا له أسماء . ولم يعرف الله فى دعواهم لنفسه اسماء حتى خلق الخلق فأعاروه هذه الأسماء من غير أن يتكلم الله منها بشئ . فيقول (أنا الله رب العالمين) و (أنا الله الرحمن الرحيم) و (أنا الله التواب الرحيم) فنفوا كل ذلك عن الله مع نفى الكلام عنه ، حتى ادعى جهم أن رأس محنته نفى الكلام عن الله : فقال: متى نفينا عنه الكلام ، فقد نفينا عنه جميع الصفات ، من النفس واليدين ،والوجه، والسمع ، والبصر ، لأن الكلام لايثبت إلا لذى نفس ووجه ويد وسمع وبصر . ولا يثبت كلام لمتكلم إلا من قد اجتمعت فيه هذه الصفات . وكذب جهم وأتباعه فيما نفوا عنه تعالى من الكلام . وصدقوا فيما ادعوا أنه لايثبت الكلام إلا لمن قد اجتمعت فيه هذه الصفات . وقد اجتمعت فى الله تعالى ، على رغم أعداء الله تعالى . وإن جزعوا منه ، بلا تكييف ولا تمثيل ، وهو الذى أخبر عن نفسه بأسمائه فى محكم كتابه المنزل على نبيه المرسل . ووصف بها نفسه ،وقوله وصفته غير مخلوق ، على رغم الجهمية ، غير أن الوصف لله على لونين . أما ماوصف به نفسه فالوصف والواصف غير مخلوق . وأما ماوصف به خلقه من السموات والأرض والجبال والشجر ، والجن والإنس ، والأنعام وسائر الخلائق ، فالوصف منه غير مخلوق والموصوفات مخلوقة كلها .

وادعى المعارض أيضا : أن الله لايوصف بالضمير ، والضمير منفى عن الله وليس هذا من كلام المعارض ، وهى كلمة خبيثة قديمة من كلام جهم ، عارض بها جهم قول الله تعالى (تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك) يدفع بذلك أن

يكون الله سبق له علم فى نفسه بشىء من الخلق وأعمالهم ، قبل أن يخلقهم ، فتلطف بذكر الضمير ليكون أستر له عند الجهال .

فرد على جهم بعض العلماء قوله هذا وقالوا : كفرت بها ياعدو الله من ثلاثة أوجه ، وجه : إنك نفيت عن الله العلم السابق فى نفسه قبل حدوث الخلق وأعمالهم والوجه الثانى : إنك استجهلت المسيح ابن مريم ، أنه وصف ربه بما لا يوصف بأن له خفايا علم فى نفسه . إذ يقول له (ولا أعلم ما فى نفسك) الوجه الثالث : إنك طعنت به على محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء به مصدقا لعيسى . فأفحم جهما .

وقول جهم لا يوصف الله بالضمير يقول: لم يعلم الله فى نفسه شيئا من الخلق قبل حدوثهم وحدوث أعمالهم . وهذا أصل كبير فى تعطيل النفس والعلم السابق ، والناقض عليه بذلك قول الله تعالى : (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) فذكر المسيح أن لله علما سابقا فى نفسه ، يعلمه الله ولا يعلمه هو . وقال الله تعالى (واصطنعتك لنفسى) و (كتب على نفسه الرحمة) (ويحذركم الله نفسه) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه : إن رحمتى تغلب غضبى) .

حدثناه أحمد بن يونس ، عن سفيان الثورى ، عن الأعمش عن زكوان ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلعم .

وحدثناه عثمان ابن أبى شيبة حدثنا جرير عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلعم « قال الله أنا عند ظن عبدى بى ، إذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم » .

فقد أخبر رسول الله صلعم أن الله يخفى ذكر العبد فى نفسه ، إذا أخفى العبد ذكره ، ويعلن ذكره إذا أعلن ذكره ، ففرق بين علم الظاهر والباطن ، والجهر والخفاء . فإذا اجتمع قول الله وقول الرسولين عيسى ومحمد صلى الله عليهما

وسلم . فمن يكترث لقول جهم والمريسى وأصحابهما ؟ فنفس الله هو الله ، والنفس تجمع الصفات كلها ، فاذا نفيت النفس نفيت الصفات . وإذا نفيت الصفات كان لاشيء .

وحدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان ، عن زيد بن جبير قال : سمعت أبا البخترى قال : (لايقولن أحدكم اللهم أدخلنى مستقر رحمتك ، فإن مستقر رحمته نفسيه) .

فقد أخبرنا أبو البخترى أن رحمة الله فى نفسه . وكذلك قال الله تعالى (أن الساعة آتية أكاد أخفيها) .

فحدثنا ابن نمير حدثنا محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح الحنفى (أكاد أخفيها) قال (من نفسى) .

فأى مسلم سمع بما أخبر الله عن نفسه فى كتابه ، وما أخبر عنه الرسول ، ثم يلتفت إلى أقاويلهم إلا كل شقى غوى ؟ ولو قد أظهر المعارض هذا وما أشبهه فى بلد سوى بلده لظننا أنه كان ينفى عنها ، ولجانبه أهلها أهل الدين والورع .

ويحك أن الناس لم يرضوا من أبى حنيفة إذ أفتى بخلاف روايات رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى (البيعان بالخيار مالم يتفرقا) وفى الوضوء من لحوم الابل . وفى أشعار البدن ، وفى اسهام الفارس والراجل وفى لبس المحرم الخفين إذا لم يجد نعلين . وما أشبهها من الأحاديث ، حتى نسبوا أبا حنيفة فيها إلى رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وناقضوه فيها ، ووضعوا عليها فيها الكتب ، فكيف بمن ناصب الله فى صفاته التى ينطق بنصها كتابه ، فينقضها على الله صفة بعد صفة ، وشيئا بعد شيء . بعمايات من الحجج ، وخرافات من الكلام خلاف ماعنى الله ، ولم تأت بشيء منها الروايات . ولم يوجد شيء منها عن العلماء والثقات ، بل كلها ضحك وخرافات ، فإن كان أبو حنيفة إستحق بما أفتى من خلاف تلك

الروايات إلى رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استحققتم أنتم أن تنسبوا إلى رد ما أنزل الله ، بل أنتم أولى بالرد من أبي حنيفة . لأن أبا حنيفة قدوا فقه على بعض فتياه بعض الفقهاء، ولم يتابعكم على مذاهبكم إلا السفهاء وأهل البدع والأهواء، ومن لا يعرف له إنها في السماء فشتان ما بينكم وبين أبي حنيفة فيما أفق . لأنه ليس من كفر كمن أخطأ ، ولا هما في الاثم والعار سواء .

ونحن قد عرفنا بحمد الله من لغات العرب هذه المجازات التي اتخذتموها دلسة وأغلوطة على الجهال ، تنفون بها عن الله تعالى حقائق الصفات بعلل المجازات ، غير أنا نقول : لا يحكم للأغرب من كلام العرب على الأغلب ، ولكن نصرف معانيها إلى الأغلب حتى يأتوا ببرهان أنه عنى بها الأغرب وهذا هو المذهب الذي إلى الإنصاف والعدل أقرب ، لا أن نعترض صفات الله المعروفة المقبولة عند أهل البصر فنصرف معانيها بعلة المجازات إلى ما هو أنكر ، وترد على الله تعالى بداحض الحجج وبالتي هي أعوج ، وكذلك ظاهر القرآن وجميع ألفاظ الروايات تصرف معانيها إلى العموم . حتى يأتي متأول ببرهان بين : أنه أريد بها الخوض[1]. لأن الله قال بلسان عربي مبين ، فاثبته عند العلماء ، أعمه وأشده استفاضة عند العرب ، فمن أدخل منها الخاص على العام كان من الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فهو يريد أن يتبع فيها غير سبيل المؤمنين .

فمراد جهم من قوله (لا يوصف الله بضمير) يقول : لا يوصف الله بسابق علمه في نفسه . والله مكذبه بذلك ثم رسوله . إذ يقول (سبق علم الله في خلقه ، فهم صائرون إلى ذلك) .

حدثناه نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا الأوزاعي عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن الديلمي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (جف القلم على علم الله) .

وحدثنا نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك أخبرنا رباح بن يزيد ، عن عمر بن

---

(١) كذا في الأصل وصوابه : الخصوص

حبيب ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن سعيد ، عن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن أول شىء خلقه الله القلم . فأمره فكتب كل شىء يكون) فهل جرى القلم إلا بسابق علم الله فى نفسه قبل حدوث خلقه وأعمالهم ؟ والله مادرى القلم بماذا يجرى حتى أجراه الله بعلمه ، وعلمه مايكتب مما يكون قبل أن يكون .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كتب الله مقادير أهل السموات والأرض قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة » .

فهل كتب ذلك إلا بما علم ؟ فما وضع كتابه هذا إن لم يكن علمه فى دعواهم ؟

حدثنا عبد الله بن صالح المصرى حدثنى الليث ، عن أبى هانىء حميد بن هانىء عن أبى عبد الرحمن الحبلى ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كتب الله مقادير كل شىء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » .

والأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الايمان بسابق علم الله كثيرة يطول الكتاب إن ذكرناها ؛ وفيما ذكرنا من ذلك مايبطل دعوى جهم فى أغلوطاته التى توهم بها على الله فى الضمير .

ثم عارض المعارض أيضا أشياء من صفات الله التى هى مذكورة فى كتاب الله وينزع بتلك الآيات التى ذكرت فيها ليغالط الناس فى تفسيرها . فذكر منها الحب والبغض والغضب ، والرضى ، والفرح ، والكره ، والسخط ، والارادة والمشيئة ليدخل عليها من الاغلوطات ما أدخل على غيرها مما حكيناه عنه ، غير أنه قد أمسك عن الكلام فيما بعد ماخالطها بتلك . فحين أمسك المعارض عن الكلام فيها أمسكنا عن جوابه . وروينا ما روى فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما

لايحتمل أغلوطاته فالى الله نشكو قوما هذا رأيهم فى خالقنا ، ومذهبهم فى الهنا . مع أنه عزوجهه وجل ذكره قد حققها فى محكم كتابه ، قبل أن ينفيها عنه المبطلون ، وكذبهم فى دعواهم ، قبل أن يدعوا وعابهم قبل أن يحكوه ، ثم رسوله المجتبى وصفيه المصطفى . فاستغنينا فيه بما ذكر الله فى كتابه منها وسطر ، وسن رسوله وأخبر ، وورد(١) من ذكرها وكرر ، فمن يكترث لضلالاتهم بعد قول الله (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) [٢٢٢/البقرة] (أن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) [٤/الصف] (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) [٥٤/المائدة] فجمع بين الحبين : حب الخالق ، وحب الخلق ، متقاربين . ثم فرق بين مايحب وبين مالا يحب ، ليعلم خلقه أنها متضادين(٢) غير متفقين . فقال (لايحب الله الجهر بالسوء من القول) [١٤٨/النساء] و (أنه لايحب المسرفين) [١٤١/الأنعام] وقال (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم) [٨٠/محمد] ثم فرق بين سخطه وإسخاط العباد إياه ، فقال (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) [٢٨/محمد] وقال (وغضب الله عليهم ولعنهم) [٦/ الفتح] ثم ذكر إغضاب الخلق إياه فقال (فلما آسفونا انتقمنا منهم) [٥٥/الزخرف] يقول : أغضبونا فذكر أنه يغضب ويغضب . وقال (رضى الله عنهم ورضوا عنه) (ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم) [٤٦/التوبة] فهذا الناطق من كتاب الله يستغنى فيه بظاهر التنزيل عن التفسير ، ويعرفه العامة والخاصة غير هؤلاء الملحدين فى آيات الله الذين غالطوا فيها الضعفاء . فقالوا : نقر بها كلها لأنها مذكورة فى القرآن لايمكن دفعها . غير أنا نقول : ويرضى ويسخط ويغضب ويكره فى نفسه . ولا هذه الصفات من ذاته على اختلاف معانيها ولكن تفسير حبه ورضاه بزعمهم مايقعون فيه من البلايا والهلكة والضيق والشدة فإنما آية عضبه ورضاه وسخطه عندهم : مايتقلب فيه الناس من هذه الحلات وما أشبهها : لأن الله يحب ويبغض ويرضى ويسخط حالا بعد حال فى نفسه .

فيقال لهؤلاء الملحدين فى آيات الله . المكذبين بصفات الله مارأينا دعوى

---

(١) كذا فى الأصل وصوابه : ردد
(٢) كذا فى الأصل وصوابه : متضادان

أبطل ولا أبعد من صحيح لغات العرب والعجم من دعواكم هذه . ففى دعواكم : إذا كان أولياء الله المؤمنون من رسله وأنبيائه وسائر أوليائه فى ضيق وشدة وعوز من المآكل والمشارب ، وفى خوف وبلاء كانوا فى دعواكم فى سخط من الله وغضب وعقاب : وإذا كان الكافر فى خصب ودعة وأمن عافية ،واتسعت عليه دنياه من مآكل الحرام وشرب الخمور . كان فى رضى من الله وفى محبة . ما رأينا تأويلا أبعد عن الحق من تأويلكم هذا .

وبلغنا أن بعض أصحاب المريسى قال له : كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التى يحتجون بها علينا فى رد مذاهبنا ، مما لا يمكن التكذيب بها ؟ مثل : سفيان عن منصور ، عن الزهرى ، والزهرى عن سالم ، وأيوب بن عوف،عن ابن سيرين ، وعمرو بن دينار ، عن جابر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم وماأشبهها ؟

قال : فقال المريسى : لاتردوه تفتضحوا ، ولكن غالطوهم بالتأويل : فتكونوا قد رددتموها بلطف . إذ لم يمكنكم ردها بعنف . كما فعل هذا المعارض سواء .

وسننقض بعض ماروى فى هذه الأبواب من الحب والبغض والسخط والكراهية وما أشبهه .

حدثنا محمد بن كثير العبدى أخبرنا همام ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن عبادة بن الصامت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهيتين معا من الخلق والمخلوق .

وحدثنا مسدد حدثنا يحيى - وهو القطان - عن زكريا بن أبى زائدة حدثنى عامر الشعبى حدثنى شريح بن هانىء قال حدثتنى عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . والموت قبل لقاء الله) .

وحدثنا عمرو بن عون الواسطى أخبرنا خالد — وهو ابن عبد الله — عن سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أحب الله عبدا دعا جبريل ، فقال : إنى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه الملائكة أهل السماء . قال ثم يوضع له القبول فى الأرض . وإذا أبغض الله عبدا دعا جبريل فقال : إنى أبغض فلانا فأبغضوه . فيبغضه أهل السماء ، ويوضع له البغضاء فى الأرض) .

وحدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان قال (ماأحب الله عبدا فأبغضه ، وما أبغض عبدا فأحبه . وإن الرجل ليعبد الأوثان وهو عبد الله) .

حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن ابن جريج قال : سمعت ابن أبى مليكة يحدث عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أبغض الرجال الألد الخصم) .

حدثنا زكريا بن نافع الرملى عن نافع بن عمر الجمحى ، عن بشر بن عاصم الثقفى ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يبغض البليغ يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بألسنتها) .

وحدثنا على بن المدينى حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى ، عن قتادة ، عن عبد ابن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتقولوا للمنافق سيدنا . فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم) .

حدثنا محمد بن كثير أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال (يارسول الله ، أى الهجرة أفضل ؟ قال : أن تهجر ماكره ربك) .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلعم (عجب ربنا من رجلين : رجل قام عن وطائه وغطائه من بين حيه وأهله إلى صلاته ، ورجل غزا فى سبيل الله فانهزم . فعلم ماعليه فى الفرار وماله فى الرجوع . فرجع حتى أهريق دمه) .

حدثنا مسدد حدثنا يحي ، عن سفيان حدثنى أبو اسحاق ، عن على بن ربيعة أنه كان رديف على ، فقال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال (يعجب الرب — أو ربنا — إذا قال العبد : سبحانك لا إله إلا أنت . إنى قد ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لايغفر الذنوب إلا أنت) .

حدثنا سلام بن سليمان المدائنى حدثنا شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (عجب ربنا من قوم جىء بهم فى السلاسل حتى يدخلهم الجنة) .

وحدثنا الطيالسى أبو الوليد حدثنا عبيد الله بن أياد بن لقيط حدثنى إياد عن البراء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كيف يفرح رجل انفلتت منه راحلته تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعام ولا شراب ، وعليها طعامه وشرابه ،فطلبها حتى شق عليه فمرت بجذل شجرة ، فتعلق زمامها به ، فوجدها متعلقة به ؟ قال : قلنا شديد الفرح يارسول الله . قال والله ، لله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا الرجل براحلته) .

وحدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلعم قال (لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يسقط على بعيره قد أضله فى أرض فلاة) .

حدثنا يحيى الحمانى حدثنا شريك،عن سماك،عن النعمان بن بشير قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (للرب تبارك وتعالى أفرح بتوبة أحدكم من رجل كان فى فلاة من الأرض معه راحلته عليها زاده وماله ، فتوسد راحلته فغلبته عينه فنام ، ثم قام فالراحلة قد ذهبت ، فصعد شرفا فنظر فلم ير شيئا ، ثم هبط فلم ير شيئا : قال لأعودن إلى المكان الذى نمت فيه حتى أموت فيه . قال : فعاد فغلبته عينه فنام ، فاستيقظ والراحلة قائمة على رأسه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم (لله أفرح بتوبة أحدكم من صاحب الراحلة بها حين وجدها) .

وحدثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث بن سعد المصرى ، عن أبى عبيدة ، عن سعيد بن أبى يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لايتوضأ أحد فيحسن وضوءه ويسبغه ثم يأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا تبشبش الله كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته .

وحدثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث بن سعد قال حدثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن نوحا النبى صلى الله عليه وسلم قال لابنه : اثنان أوصيك بها فانى رأيت الله يستبشر بهما وصالح خلقه، ورأيتها يكثران الولوج على الله : سبحان الله وبحمده ، وقول : لا إله إلا الله ، وأما اللتان أنهاك عنها فانى رأيت الله يكرههما وصالح خلقه : الكبر والشرك . فقلت يارسول الله : أمن الكبر أن ألبس الحلة الحسنة ؟ قال : لا إن الله جميل يحب الجمال) .

وفى هذه الأبواب روايات كثيرة أكثر مما ذكرنا : لم نأت بها مخافة التطويل وفيما ذكرنا منها دلالة ظاهرة على مادلس هذا المعارض عن زعمائه الذين كنى عنهم من الكلام المموه المغطى ، وهو يرى أنه يستخفى حتى لايفطن لمعناه ولا يدرى ، ونحن نكتفى منه باليسير الأدنى ! حتى تقع الفرحة الكبرى ، فلم يزل هذا المعارض يلجلج بأمر القرآن فى صدره حتى كشف عن رأسه الغطاء ، وطرح

جلباب الحياء ، فصرح وأفصح بأنه مخلوق ، وأن من قال : غير مخلوق فهو كافر فى دعواه ، فلم يترك لمتأول عليه موضع تأويل . ولا لمستنبط عليه موضع استنباط لأنه إن كان الذى يزعم أنه غير مخلوق عنده كافر ، فالذى يزعم أنه مخلوق مؤمن موقن راشد ، تابع للحق . فحين كشف للناس عن إرادته ، وشهد عليه بها عبارته سقط فى يده وكسر فى درعه ، فادعى أنه قصد بالاكفار إلى من يتوهم أن كلام الله ذلك بفم ولسان .

وهم دون من سواهم يسألون عن الكلام ، فإن ادعوا فما ولسانا فهو كفر لاشك فيه . وإن أمسكوا عن الجواب فيه كانوا بإمساكهم أن يدعوا فما ولسانا جهل لايعذرون به .

فيقال لهذا المعارض المحتج بالمحال من الضلال : قد تقلبت منك الكلمة بلا تفسير ولا بحضرة من يدعى عليه فما ولسانا أو تعذر أن تشير إلى أحد من خلق الله أن يتوهم بذلك ، فتعلقك بهذا التفسير اليوم مواربة واعتذار منك إلى الجهال ، كيلا يفطنوا لمرادك منها . ولئن كان أهل الجهل فى غلط من مرادك إنا منه لعلى يقين . ولئن جاز لك هذا التأويل إذاً يجوز لكل زنديق وجهمى أن يقول : من زعم أن القرآن كلام الله فهو كافر . فإذا وبخ ووقف على دعواه قال إنما قصدت بالكفر قصد من يدعى به فما ولسانا . وهولا يقدر أن يشير إلى أحد من ولد آدم أنه قاله . فلم يبل المعارض عند الناس اعتذاره عذرا ، بل حقق بما فسر وأكد من ذلك أنه كلام المخلوق دون الخالق : لأنه قال : يسئل من قال كلام الله غير مخلوق فإن ادعوا فما ولسانا لقد كفروا . فإن أمسكوا عن الجواب فقد جهلوا . ولم يعذروا . لما أن الكلام كله فى دعواه لايحتمل معنى إلا بفم ولسان . وخروج من جوف . من لم يفقه ذلك فهو عند المعارض جاهل . فإن كان كما ادعى قد حقق أنه كلام البشر لم يخرج بزعمه إلا من الأجواف والألسن والأفواه المخلوقة تعالى الله عن هذا الوصف وتكبر لأنه كلام الملك الاكبر نزل به الروح الأمين عل خير

البشر صلوات الله عليها عدد من مضى وغبر . وعدد التراب والرمل . وأوراق الشجر .

ثم قفى المعارض بكتاب آخر كالمعتذر لما سلف منه ، مصدقا لبعض ماسبق من ضلالاته ، مكذبا لبعض يريد أن يبلى عنه الرعاع لنفسه فى زلاته وسقطاته عذرا ، بل أقام على نفسه حجة بعد حجة . وكانت حجته بها فى كتابه أعظم من جرمه . وهكذا الباطل مازداد له المرء احتجاجا إلا ازداد اعوجاجا . ولما خفى من ضمائره إخراجا .

فادعى أن من قال : القرآن مخلوق فهو مبتدع . ومن قال غير مخلوق ، وهو ـ يعنى أنه الله ـ فهو كافر ، ومن قال : هو غير الله فهو مصيب . ثم إن قال بعد إصابته إنه غير مخلوق فهو جاهل فى قوله أنه غير مخلوق وإن قال : إنه خرج من جسم فهو كافر . قال : والكلام غير المتكلم . والقول غير القائل . والقرآن والمقروء والقارىء كل واحد منها له معنى . فيقال لهذا المعارض : ماأثبت بكلامك هذا الأخير عذرا ، ولا أحدثت من ضلالاتك به توبة ، بل حققت وأكدت أنه مخلوق بتمويه وتدليس ، وتخليط منك وتلبيس . وإن كنت قد موهت على من لايعقل بعض التمويه ، فسنرده من ذلك إن شاء الله إلى تبينه .

أما قولك : الكلام غير المتكلم ، والقول غير القائل . فانه لايشك عربى ولا عجمى أن القول والكلام من المتكلم والقائل يخرج من ذاتهم سواء .

وأما قولك : إن من زعم أن القرآن غير الله فقد أصاب . فهذا منك تأكيد وتحقيق أنه مخلوق . لأن كل شىء غير الله فى دعواك ودعوانا مخلوق . ثم أكدت أيضا فقلت : من قال غير مخلوق فقد جهل . وقلت مرة : فقد كفر . فأى توكيد أوكد فى المخلوق من هذا ؟ ثم راوغت ، فقلت فى بعض كلامك : من قال : إنه فهو مبتدع ، تمويها منك وتدليسا على الجهال الذين لايعلمون . لأنه إن كان من

قال غير مخلوق عندك جاهلا كافراً. كان من قال مخلوق عندك عالما مؤمنا . فقولك مبتدع لاينقاس لك فى مذهبك ، غير أنك تريد أن ترضى به من حولك من الأغمار .

راما قولك : من زعم أنه خرج من جسم فهو كافر . فليس يقال كذلك ، ولا أراك سمعت أحدا يتفوه به كما ادعيت ، غير أنا لا نشك أنه خرج من الله تبارك وتعالى دون سواه . وذكر الجسم والفم واللسان خرافات وفضول مرفوعة عنا . لم نكلفه فى ديننا . ولا يشك أحد أن الكلام يخرج من المتكلم .

وأما قولك : إنه جزء منه . فهذا أيضا من تلك الفضول . وما رأينا أحدا يصفه بالأجزاء ، والأعضاء ، جل عن هذا الوصف وتعالى ، والكلام صفة المتكلم لايشبه الصفات : من الوجه ، واليد ، والسمع ، والبصر . ولا يشبه الكلام من الخالق والمخلوق سائر الصفات .

وقد فسرنا ذلك فى صدر هذا الكتاب تفسيرا فيه شفاء إن شاء الله تعالى .

وأما قولك : إن قالوا : القرآن هو الله . فهو كفر . فإنا لا نقول : هو الله ، كما ادعيت ، فيستحيل . ولا نقول . هو غير الله فيلزمنا ان نقول : كل شىء غير الله مخلوق . كما لزمك . ولكنه كلام الله وصفة من صفاته . خرج منه كما يشاء أن يخرج . والله بكلامه وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته غير مخلوق . وهو بكماله على عرشه .

وأما قولك : فى القراءة والقارىء والمقروء : وإن لكل شىء منه معنى على حدة فهذا أمر مذاهب اللفظية . لاندرى من أين وقعت عليه ، وكيف تقلدته ؟ فمرة أنت جهمى ، ومرة واقفى ، ومرة لفظى ولولا أن يطول الكتاب

لبينا لك وجوه القارىء والقراءة والمقروء ، غير أنى طولت وأكثرت . ومع ذلك اختصرت وتخطيت خرافات ، لم يستقم لكثير منها جواب . غير أنا ما فسرنا منه يدل على مالم يفسر ، والله الموفق للصواب ما نأتى وما نذر .

قال أبو سعيد رحمه الله : واعلموا أنى لم أركتابا قط أجمع لحجج الجهمية من هذا الكتاب الذى نسب إلى هذا المعارض . ولا أنقض لعرى الاسلام منه . ولو وسعنى لافتديت من الجواب فيه بمحال. ولكن خفت أنه لايسع أحدا عنده شىء من البيان يكون ببلدة ينشر فيها هذا الكلام . ثم لاينقض على ناشره ذباعن الله ومحاماة عن أهل الغفلة من ضعفاء الرجال والنساء والصبيان . أن يضلوا به ، أو يفتتنوا أو يشكوا فى الله وصفاته . ولم نألكم فيه والاسلام نصحاإن قبلتم ، ومن لم يقبله فلينصح نفسه وأهله وولده وإخوانه من أهل الاسلام ، ليعرض على من بقى من علماء الحجاز والعراق ، ومن عبر من علماء خراسان حتى يستقر عنده نصحنا ، وخيانة هذا المعارض للاسلام وأهله . فانه أحدث أشنع المحدثات وجاء بأنكر المنكرات . ولا آمن على من أحدث هذا بين ظهريهم فأغضوا له عنه ولم ينكروه عليه بجد : إن يصيبهم الله بعقاب من عنده ، أو مسخ ، أو خسف . فإن الخطب فيه أعظم مما يذهب إليه العوام . لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (سيكون فى أمتى مسخ ، وذلك فى قدرية وزنديقية) .

حدثنا يحيى الحمانى حدثنا ابن المبارك ، عن حيوة بن شريح قال حدثنى ابن صخر حميد بن زيادأن نافعا أخبره عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (سيكون فى أمتى مسخ ، وذلك فى قدرية وزنديقية) والتجهم عندنا باب كبير من الزندقة يستتاب أهله . فان تابوا وإلا قتلوا ، وقد روينا باب قتلهم فى صدر هذا الكتاب ، حتى لقد رأى عمر بن عبد العزيز استتابة القدرية ،فكيف الجهميه والزنادقة ؟

حدثنا القعنبي ، عن مالك بن أنس ، عن عمه أبي سهل قال (كنت أسايرعمر ابن عبد العزيز فقال لي : ما ترى في هؤلاء القدرية ؟ فقلت : أرى أن تستتيبهم . فإن تابوا وإلا عرضتهم على السيف . فقال عمر (ذاك رأيي) قال القعنبي قال مالك (ذلك رأيي) وحدثنا محمد بن عثمان التنوخي . عن سعيد ، بن بشير ، عن قتادة عن سعيد بن جبير (أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما نسبة ربك ؟فأنزل الله (قل هو الله أحد) كلها .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو هلال الراسبي أن عبد الله بن رواحة قال للحسن (هل تصف ربك ؟ قال نعم ، بغير مثال) حدثنا سلام بن سليمان المديني حدثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس قال (ليس لله مثل) .

ونحن نقول كما قال ابن عباس : ليس لله مثل ولا شبه ، ولا كمثله شيء . ولا كصفاته صفة . فقولنا : ليس كمثله شيء أنه أعظم الأشياء وخالق الأشياء ،وأحسن الأشياء نور السموات والأرض .

وقول الجهمية ؛ ليس كمثله شيء ، يعنون أنه لاشيء . لأنهم لا يثبتون في الأصل شيئا . فكيف المثل ؟ وكذلك صفاته ليست عندهم بشيء ، والدلالة على دعواهم هذه الخرافات والمستحالات التي يحتجون بها في إبطالها ، واتخذوا (ليس كمثله شيء) دلسة على الجهال ليروجوا عليهم بها الضلال . كلمة حق يبتغى بها باطل ، ولئن كانوا (١) السفهاء في غلط من مذاهبهم ، إن الفقهاء منهم لعلى يقين .

آخر كتاب النقض على بشر المريسي ، عليه أدوم لعنة ، وأقبح خزي إلى يوم التناد ، وعلى من اتبعه وصدقه في بدعته ، كلها أو بعضها ، وروى عن اسمه فيها . والحمد لله وحده ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) كذا في الأصل

طبعت عن نسخة منقولة بخط الأخ السلفى الشيخ محمود شويل خادم العلم بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فى صبيحة الأربعاء ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٠ وهو نقلها عن نسخة مكتوبة بخط أيوب بن صخر العامرى . فرغ من كتابتها فى ١٣ ذى القعدة سنة ٧١١ محفوظة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة .

ملحق من

التفسير

المسمى : محاسن التأويل

لمحمد جمال الدين القاسمى (١)

عند قوله تعالى فى سورة الأعراف الآية ٥٤ : (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) .

وقوله تعالى : (ثم استوى على العرش) اعلم أن الاستواء ورد على معان اشتراك لفظه فيها ، فجاء بمعنى الاستقرار ومنه : استوت على الجودى — وبمعنى القصد ومنه : ثم استوى إلى السماء ، وكل من فرغ من أمر وقصد لغيره فقد استوى له وإليه . قال الفراء : تقول العرب : استوى إلى يخاصمنى أى أقبل على - ويأتى بمعنى الاستيلاء قال الشاعر (قد استوى بشر على العراق) — وقال آخر :

فلما علونا واستوينا عليهم ٭ تركناهم صرعى لنسر وكاسر

ويأتى بمعنى العلو ومنه آية : (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك) ومنه هذه الآية .

قال البخارى فى آخر صحيحه فى كتاب الرد على الجهمية فى باب قوله تعالى : « وكان عرشه على الماء » قال مجاهد : استوى علا على العرش . انتهى .

---

(١) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ/١٩٦٠ ، جـ ٧ ص ٢٧٠٢ وقد اخترنا إلحاق هذه القطعة من تفسير القاسمى لأن مؤلفه من السلف المعاصرين ، الذين انتحوا نحو السلف المتقدمين فى تفسير آيات الصفات ، مما يدل على استمرار هذا المنهج السلفى إلى عصرنا هذا .

وفى كتاب « العلو » للحافظ الذهبى : قال إسحق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين يقول . « الرحمن على العرش استوى » أى ارتفع ونقل ابن جرير عن الربيع بن أنس أنه بمعنى ارتفع . وقال إنه فى كل مواضعه بمعنى علا وارتفع. وأقول : لاحاجة إلى الإكثار من ذلك ، فإن الاستواء غير مجهول وإن كان الكيف مجهولا .

روى الإمام أحمد بن حنبل فى كتابه « الرد على الجهمية » عن شريح بن النعمان عن عبد الله بن نافع قال : قال مالك بن أنس : الله فى السماء وعلمه فى كل مكان لايخلو منه شىء .

وروى البيهقى عن ابن وهب قال : كنت عند مالك فدخل رجل فقال : ياأبا عبد الله « الرحمن على العرش استوى » كيف استوى ؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : « الرحمن على العرش استوى » كما وصف نفسه ، ولا يقال : كيف . « وكيف » عنه مرفوع وأنت صاحب بدعة . وفى رواية قال: الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

قال الحافظ الذهبى فى كتاب « العلو » — بعدما ساق هذا مانصه : وهو قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لانعقلها بل نجهلها وأن استواءه معلوم كما أخبر فى كتابه وأنه كما يليق به لانتعمق ولا نتحذلق ولا نخوض فى لوازم ذلك نفيا ولا إثباتا بل نسكت ونقف كما وقف السلف ، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه ونعلم يقينا مع ذلك أن الله جل جلاله لامثل له فى صفاته ولا فى استوائه ولا فى نزوله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

ثم قال الذهبى : قال الإمام العلم أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى صاحب التصانيف الشهيرة فى كتابه « مختلف الحديث » : نحن نقول فى قول الله

تعالى : « مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » أنه معهم يعلم ماهم عليه ، كما تقول للرجل وجهته إلى بلد شاسع : احذر التقصير فإني معك ، يريد أنه لايخفى على تقصيرك وكيف يسوغ لأحد أن يقول : إن الله سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله « الرحمن على العرش استوى » ومع قوله : «إليه يصعد الكلم الطيب» كيف يصعد إليه شيء هو معه وكيف تعرج الملائكة والروح إليه وهي معه ؟ قال ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرتهم وماركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله عز وجل هو العلي وهو الأعلى وأن الأيدى ترفع بالدعاء إليه والأمم كلها عجميها وعربيها يقول : إن الله فى السماء ماتركت على فطرها . انتهى .

ثم قال الذهبي أيضا : عن يزيد بن هرون شيخ الاسلام أنه قيل له : من الجهمية ؟ قال : من زعم أن « الرحمن على العرش استوى » على خلاف مايقر فى قلوب العامة فهو جهمى .

قال الذهبي : والعامة مراده بهم جمهور الأمة وأهل العلم والذى وقر فى قلوبهم من الآية هو مادل عليه الخطاب مع يقينهم بأن المستوى « ليس كمثله شيء » هذا هو الذى وقر فى فطرهم السليمة وأذهانهم الصحيحة .

ولو كان له معنى وراء ذلك لتفوهوا به ولما أهملوه . ولو تأول أحد منهم الاستواء لتوفرت الهمم على نقله ولو نقل لاشتهر فإن كان فى بعض جهلة الأغبياء من يفهم من « الاستواء » مايوجب نقصا أو قياسا للشاهد على الغائب وللمخلوق على الخالق فهذا نادر . فمن نطق بذلك زجر وعلم ، وما أظن أن أحدا من العامة يقر فى نفسه ذلك - والله أعلم - انتهى .

قال الشيخ الإمام العارف قدوة العارفين الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه فى كتابه « تحفة المتقين وسبيل العارفين » فى باب المذاهب فى صفات الله عز وجل وفى ذكر اختلاف الناس فى الوقف عند قوله : « وما يعلم تأويله إلا الله» قال إسحق : فى العلم إلى أن قال : والله تعالى بذاته على العرش ، علمه محيط بكل

مكان والوقف عند أهل الحق على قوله : « إلا الله » . وقد روى ذلك عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا الوقف حسن لمن اعتقد أن الله بذاته على العرش : ويعلم مافى السموات والأرض . إلى أن قال : ووقف جماعة من منكرى استواء الرب عز وجل على قوله « الرحمن على العرش » وابتدأوا بقوله : استوى له مافى السموات وما فى الأرض ، يريدون بذلك نفى الاستواء الذى وصف به نفسه وهذا خطأ منهم لأن الله تعالى على العرش بذاته .

وقال فى كتابه « الغنية » : أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن تعرف وتتيقن أن الله واحد أحد إلى أن قال : لايخلو من علمه مكان ولا يجوز وصفه بأنه فى كل مكان ، بل يقال إنه فى السماء على العرش كما قال جل ثناؤه : « الرحمن على العرش استوى » وقوله : « ثم استوى على العرش الرحمن » وقال تعالى : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » والنبى صلى الله عليه وسلم حكم بإسلام الأمة لما قال لها : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء . وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : لما خلق الله الخلق كتب كتابا على نفسه وهو عنده فوق العرش إن رحمتى غلبت غضبى وفى لفظ آخر : لما قضى الله سبحانه الخلق كتب على نفسه فى كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتى سبقت غضبى . وينبغى إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرامية ولا على معنى العلو الرفعة كما قالت الأشعرية ولا على الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة لأن الشرع لم يرد بذلك ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ، ذلك ، بل المنقول عنهم حمله على الاطلاق . وقد روى عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله عز وجل : « الرحمن على العرش استوى » الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به واجب والجحود به كفر . وقد أسنده مسلم بن الحجاج عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صحيحه . وكذلك فى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه وقال أحمد بن حنبل رحمه الله قبل موته

بقريب : أخبار الصفات تمر كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل . وقال أيضا فى رواية بعضهم ـ لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام فى شيء من هذه الأماكن فى كتاب الله عز وجل أو حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه رضى الله عنهم أو عن التابعين .

فأما غير ذلك فان الكلام فيه غير محمود فلا يقال فى صفات الرب عز وجل : « كيف » ؟ و « لم » ؟ لا يقول ذلك إلا شكاك . وقال أحمد رضى الله عنه فى رواية عنه فى موضع آخر : نحن نؤمن بأن الله عز وجل على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف ويحدها حاد لما روى عن سعيد بن المسيب عن كعب الأحبار قال : قال الله تعالى فى التوراة « أنا الله فوق عبادى وعرشى فوق جميع خلقى وأنا على عرشى عليه أدبر عبادى ولا يخفى علىّ شيء من عبادى » . وكونه عز وجل على العرش مذكور فى كل كتاب أنزل على كل نبى أرسل بلا كيف ولأن الله تعالى فيما لم يزل موصوف بالعلو والقدرة والاستيلاء والغلبة على جميع خلقه من العرش وغيره فلا يحمل الاستواء على ذلك . فالاستواء من صفات الذات بعدما أخبرنا به ونص عليه وأكده فى سبع آيات من كتابه والسنة المأثورة به وهو صفة لازمة له ولا ئقة به كاليد والوجه والعين والسمع والبصر والحياة والقدرة وكونه خالقا ورازقا ومحييا ومميتا موصوف بها ولا تخرج من الكتاب والسنة نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيها ونكل الكيفية فى الصفات إلى علم الله عز وجل . كما قال سفيان بن عيينة رحمه الله : كما وصف الله تعالى نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته لا تفسير له غيرها ولم نتكلف غير ذلك فإنه غيب لا مجال للعقل فى إدراكه ونسأل الله تعالى العفو والعافية ونعوذ به من أن نقول فيه وفى صفاته مالم يخبرنا به هو أو رسوله عليه السلام . انتهى كلام الجيلانى قدس سره .

وروى أبو إسماعيل الأنصارى فى « ذم الكلام وأهله » عن أبى زرعة الرازى

أنه سئل عن تفسير « الرحمن على العرش استوى » فغضب وقال : تفسيره كما تقرأ هو على عرشه وعلمه فى كل مكان من قال غير هذا فعليه لعنة الله .

وأسند عن عبد الرحمن بن أبى حاتم قال : سألت أبى وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة فى أصول الدين وما أدركا عليه العلماء فى جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك ؟ فقالا : أدركنا العلماء فى جميع الأمصار حجازا وعراقا ومصرا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف أحاط بكل شىء علما .

تنبيهات

الأول بطلان تأويل (استوى) بـ(استولى) :

قال الامام عبد العزيز بن يحيى الكنانى صاحب الشافعى رحمه الله تعالى فى كتاب « الرد على الجهمية » : زعمت الجهمية أن معنى استوى (استولى) من قول العرب : استوى فلان على مصر يريدون استولى عليها . قال : فيقال له : هل يكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس بمستول عليه ؟ فإذا قال : لا ، قيل له : فمن زعم ذلك فهو كافر فيقال له : يلزمك أن تقول : إن العرش أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه وذلك لأنه أخبر أنه سبحانه خلق العرش قبل السموات والأرض ثم استولى عليه بعد خلقهن فيلزمك أن تقول : المدة التى كان العرش قبل خلق السموات والأرض ليس الله بمستول عليها فيها ثم ذكر كلاما طويلا فى تقرير العلو والاحتجاج عليه .

وقال ابن عرفة فى كتاب « الرد على الجهمية » : حدثنا داود بن على قال : كنا عند ابن الأعرابى فأتاه رجل فقال : مامعنى قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » قال : هو على عرشه كما أخبر ، فقال : ياأبا عبد الله ؟ إنما معناه استولى فقال : اسكت لايقال : استولى على الشىء حتى يكون له فيه مضاد فأيهما غلب قيل:

استولى والله تعالى لامضاء له وهو على عرشه كما أخبر ثم قال : الاستيلاء بعد المغالبة كما قال النابغة :

إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجداء إذا استولى على الأمد

وروى الخطيب البغدادى عن محمد بن أحمد بن النضر قال : كان ابن الأعرابى جاءنا وكان ليله أحسن ليل وذكر لنا أن ابن أبى دؤاد سأله : أتعرف فى اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : لا أعرفه ؟ وفى رواية : أرادنى ابن أبى دؤاد أن أطلب له فى بعض لغات العرب ومعانيها « الرحمن على العرش استوى » استوى بمعنى استولى فقلت له : والله مايكون هذا ولا وجدته . وابن الأعرابى أبو عبد الله كان لغوى زمانه كما قال الذهبى .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعرى فى كتابه الذى سماه « الإبانة فى أصول الديانة » وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنعه وعليه يعتمدون فى الذب عنه عند من يطعن عليه فقال :

« فصل فى إبانة قول أهل الحق والسنة . فإن قال قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون. قيل له : قولنا الذى نقول به التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وماروى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد ابن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولما خالف قوله مخالفون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق ودفع به الضلال وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين .

ثم قال فى « باب الاستواء على العرش » : إن قال قائل : ماتقولون فى الاستواء ؟ قيل له : نقول : إن الله مستو على عرشه كما قال : « الرحمن على العرش استوى » وقد قال الله : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وقال : « بل رفعه الله إليه » وقال : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه » وقال حكاية

عن فرعون : « وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا » كذب موسى فى قوله : إن الله فوق السموات . وقال : « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض؟» « فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات قال : أأمنتم من فى السماء لأنه على العرش الذى هو فوق السموات وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات وليس إذا قال : أأمنتم من فى السماء يعنى جميع السماء وإنما أراد العرش الذى هو أعلى السموات . ألا ترى أن الله ذكر السموات فقال : « وجعل القمر فيهن نورا » فلم يرد أن القمر يملؤهن وأنه فيهن جميعا . ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم ـ إذا دعوا نحو السماء لأن الله على العرش الذى هو فوق السموات فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لايحطونها إذا دعوا ـ إلى الأرض .

فصل : وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قوله « الرحمن على العرش استوى » أنه استولى وملك وقهر وأن الله عز وجل فى كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق . وذهبوا فى الاستواء إلى (القدرة) فلو كان هذا كما ذكروه كان لافرق بين العرش والأرض السابعة لأن الله قادر على كل شيء فالله قادر على الأرض وعلى الحشوش وعلى كل مافى العالم . فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى (الاستيلاء) وهو عزوجل مستول على الأشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها وإذا كان قادرا على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول إن الله مستو على الحشوش والأخلية ، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش (الاستيلاء) الذى هو عام فى الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها . وذكر دلالات من القرآن والحديث والاجماع والعقل ـ انتهى .

قلت : وكلام أبى الحسن الأشعرى الأخير مأخوذ من كتاب رد الإمام أحمد

على الجهمية حيث قال فى كتابه المذكور : « ومما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله سبحانه على العرش . فقلنا : لم أنكرتم ذلك ؟ إن الله سبحانه على العرش وقد قال سبحانه . « الرحمن على العرش استوى » وقال . « ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً » قالوا : هو تحت الأرضين السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفى السموات وفى الأرض وفى كل مكان لايخلو منه مكان ولا يكون فى مكان دون مكان ، وتلوا آيات من القرآن « وهو الله فى السموات وفى الأرض » فقلنا : قد عرف المسلمون أماكن كثيرة وليس فيها من عظمة الله شىء فقالوا : أى مكان ؟ فقلنا أحشاؤكم وأجاوف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب سبحانه شىء وقد أخبرنا أنه فى السماء فقال سبحانه : أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ... الآية » وقال : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وقال : « له من فى السموات والأرض ومن عنده » وقال : « إنى متوفيك ورافعك إلى » وقال : « بل رفعه الله إليه » وقال « يخافون ربهم من فوقهم » وقال وقال : « تعرج الملائكة والروح إليه » وقال : « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » ـ فهذا أخبر الله أنه فى السماء ووجدنا كل شىء أسفل مذموما قال الله تعالى : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » « وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين » وقلنا لهم : أليس تعلمون أن إبليس كان مكانه والشياطين مكانهم ؟ فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس ولكن إنما معنى قوله تبارك وتعالى : « وهو الله فى السموات وفى الأرض » يقول : هو إله من فى السموات وإله من فى الأرض وهو على العرش وقد أحاط بعلمه مادون العرش لايخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله فى مكان دون مكان وذلك قوله : « لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما .

قال : ومن الاعتبار فى ذلك : لو أن جلا كان فى يده قدح من قوارير صاف وفيه

شيء كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم فى القدح فالله سبحانه - وله المثل الأعلى - قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون فى شيء من خلقه ، وخصلة أخرى : لو أن رجلا بنى دارا بجميع مرافقها ثم أغلق بابها وخرج منها كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيتا فى داره وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار فى جوف الدار . فالله سبحانه وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق ، وقد علم كيف هو ، وما هو من غير أن يكون فى شيء مما خلق .

قال أحمد رضى الله عنه : ومما تأول الجهمية من قول الله سبحانه : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ... » إلى أن قال : « إن الله بكل شيء عليم » ، قالوا : إن الله عز وجل معنا وفينا . فقلنا : لم قطعتم الخبر من أوله ؟ إن الله يقول : « ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا رابعهم » يعنى أن الله بعلمه رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم بعلمه فيهم ، يفتتح الخبر بعلمه ويختمه بعلمه - انتهى .

ثم قال الامام أحمد فى آخر كتابه المذكور . وقلنا للجهمية : زعمتم أن الله فى كل مكان ، لا يخلو منه مكان . فقلنا لهم : أخبرونا عن قول الله جل ثناؤه : « فلما تجلى ربه للجبل جعله » لم تجلى إذا كان فيه بزعمكم ؟ ولو كان فيه - كما تزعمون - لم يكن يتجلى لشيء . لكن الله تعالى على العرش وتجلى لشيء لم يكن فيه ورأى الجبل شيئا لم يكن يراه قط قبل ذلك .

وقلنا للجهمية : الله نور ؟ فقالوا : نور كله فقلنا : قال الله عز وجل : « وأشرقت الأرض بنور ربها » فقد أخبر جل ثناؤه أن له نورا . قلنا . أخبرونا حين زعمتم أن الله فى كل مكان وهو نور فلم لا يضيء البيت المظلم من النور الذى هو فيه إذا زعمتم أن الله فى كل مكان ؟ وما بال السراج إذا أدخل البيت المظلم . قضيء ؟

فعند ذلك تبين كذبهم على الله . فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن القول الذى يخالف الكتاب والسنة وقال بقول العلماء وهو قول المهاجرين والأنصار وترك دين الشيطان ودين جهم وشيعته . انتهى . »

وقال الإمام الحافظ ابن عبد البر فى كتاب « التمهيد » فى شرح حديث « ينزل ربنا كل ليلة » الحديث مانصه : هذا الحديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لايختلف أهل الحديث فى صحته وفيه دليل على ان الله تعالى فى السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة . وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية فى قولهم : إن الله فى كل مكان وليس على العرش . والدليل على صحة ماقاله أهل الحق فى ذلك قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » ثم ساق عدة آيات فى ذلك ـ وقال: هذه الآيات كلها واضحات فى إبطال قول المعتزلة . وأما ادعاؤهم المجاز فى الاستواء وقولهم فى تأويل (استوى) : استولى فلا معنى له لأنه غير ظاهر فى اللغة ومعنى الاستيلاء فى اللغة المغالبة والله تعالى لايغالبه أحد وهو الواحد الصمد . ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لاسبيل إلى اتباع ماأنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك . وإنما يوجه كلام الله عز وجل على الأشهر والأظهر من وجوهه مالم يمنع من ذلك مايجب له التسليم . ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ماثبت شىء من العبادات . وجل الله أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين . والاستواء معلوم فى اللغه مفهوم وهو العلو والارتفاع على الشىء والاستقرار والتمكن فيه قال أبو عبيدة فى قوله : « الرحمن على العرش استوى » قال علا قال : وتقول العرب : استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت . وقال غيره : استوى أى استقر واحتج بقوله تعالى : « ولما بلغ أشده واستوى » انتهى شبابه واستقر فلم يكن فى شبابه مزيد .

قال ابن عبد البر : الاستواء : الاستقرار فى العلو وبهذا خاطبنا الله تعالى فى كتابه فقال : « لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه » وقال

تعالى : « واستوت على الجودى » وقال تعالى : فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك » وقال الشاعر :

فأوردتهم ماء بفيفاء حفرة وقد حلق النجم اليمانى فاستوى

وهذا لايجوز أن يتأول فيه أحد (استولى) لأن النجم لايستولى . وقد ذكر النضر بن شميل ـ وكان ثقة مأمونا جليلا فى علم الديانة واللغة قال : حدثنى الخليل وحسبك بالخليل ـ قال : أتيت أبا ربيعة الأعرابى ـ وكان من أعلم مارأيت ـ فإذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام وقال : (استووا) فبقينا متحيرين ولم ندر ماقال فقال لنا أعرابى إلى جانبه : إنه أمركم أن ترفعوا . فقال الخليل : هو من قول الله (ثم استوى إلى السماء وهى دخان) فصعدنا إليه . قال: وأما من نزع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود الواسطى عن ابراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله (الرحمن على العرش استوى) قال : استولى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان فالجواب: أن هذا حديث منكر على ابن عباس رضى الله عنهما ونقلته مجهولة وضعفاء . فأما عبد الله بن داود الوسطى وعبد الوهاب بن مجاهد ضعيفان. وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لايعرف . وهم لايقبلون أخبار الآحاد فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا وأنصفوا ؟ أما سمعوا الله سبحانه حيث يقول : (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا) فدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول : إلهى فى السماء وفرعون يظنه كاذبا . قال الشاعر :

فسبحان من لايقدر الخلق قدره ومن هو فوق العرش فرد موحد

مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهذا الشعر لأمية بن أبى الصلت . وفيه يقول فى وصف الملائكة :

وساجدهم لايرفع الدهر رأسه   يعظم ربا فوقه ويمجد

قال : فإن احتجوا بقوله تعالى : (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) وبقوله تعالى : (وهو الله فى السموات وفى الأرض) وبقوله تعالى : « مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) وزعموا أن اللهسبحانه فى كل مكان بنفسه وذاته ـ تبارك وتعالى جده ـ قيل : لاخلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس فى الأرض دون السماء بذاته فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه ، وذلك أنه فى السماء إله معبود من أهل السماء وفى الأرض إلهمعبود من أهل الأرض ، وكذا قال أهل العلم بالتفسير . وظاهرهذا التنزيل يشهد أنه على العرش فالاختلاف فى ذلك ساقط ، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر . وأما قوله فى الآية الأخرى : (وفى الأرض إله) فالاجماع والاتفاق قد بين أن المراد أنه معبود من أهل الأرض ، فتدبر هذا فإنه قاطع .

ومن الحجة أيضا فى أنهعز وجل على العرشفوقالسموات السبعأنالموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء ونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها إلى السماء يستغيثون اللهربهم تباركوتعالى وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته ، لأنه اضطرارى لم يخالفهمعليه أحد ، ولا أنكره عليهممسلم . وقد قالصلىالله عليه وسلم للأمة التى أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة . فاختبرها رسول الله صلى عليه وآله وسلم بأن قال لها : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء . ثم قال لها . من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : أعتقها فإنها مؤمنة . فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها برفع رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه .

قال : وأما احتجاجهم بقوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هورابعهم) فلا حجة لهم فى ظاهر هذه الآية ، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم

التأويل فى القرآن قالوا : تأويل هذه الآية : هو على العرش وعلمه فى كل مكان وماخالفهم فى ذلك أحد يحتج بقوله . وذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم فى قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) قال : هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا . قال : وبلغنى عن سفيان الثورى مثله . قال سنيد حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : الله فوق العرش وعلمه فى كل مكان لايخفى عليه شىء من أعمالكم . ثم ساق من طريق يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : مابين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى الاخرى خمسمائة عام وما بين السماء السابعة إلى الكرسى مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسى إلى الماء مسير خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش ويعلم أعمالكم . وذكر هذا الكلام أو قريبا منه فى كتاب (الاستذكار) .

وقال شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية رحمه الله تعالى فى (الرسالة المدنية) إذا وصف الله نفسه بصفة أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم أو وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم - فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلاله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر ومجاز يخالف الحقيقة لابد فيه من أربعة أشياء :

أحدها : أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازى لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاءوا باللسان العربى ولا يجوز أن يراد منه خلاف لسان العرب أو خلاف الألسنة كلها ، فلا بد أن يكون ذلك المعنى المجازى مما يراد به اللفظ وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أى لفظ بأى معنى ناسخ له وإن لم يكن له أصل فى اللغة .

الثانى : أن يكون دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه وإلا فاذا

كان يستعمل فى معنى بطريق الحقيقة وفى معنى بطريق المجاز لم يجز حمله على المجازى بغير دليل يوجب الصرف بأجماع العقلاء. ثم إن ادعى وجوب إن صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل قاطع عقلى أو سمعى يوجب الصرف . وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجح للحمل على المجاز .

الثالث : أنه لابد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض ، وإلا فإذا قام دليل قرآنى أو إيمانى يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها ثم إن كان هذا الدليل لم يلتفت إلى نقيضه وإن كان ظاهرا فلا بد من الترجيح .

الرابع : أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته وإنما أراد مجازه سواء عينه أم لم يعينه لاسيما فى الخطاب العلمى الذى أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم دون عمل الجوارح فإنه سبحانه جعل القرآن نورا وهدى وبيانا للناس وشفاء لما فى الصدور وأرسل الرسول ليبين للناس مانزل إليهم وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ثم هذا الرسول الأمى العربى بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علما وأفصحهم للأمة وأبينهم للسنة فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلا يمنع من حمله على ظاهره إما بأن يكون عقليا ظاهرا مثل قوله (وأوتيت من كل شىء) فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد (أوتيت من جنس مايؤتاه مثلها) . وكذلك قوله (خالق كل شىء) يعلم المستمع أن المراد أن الخالق لا يدخل فى هذا العموم . أو سمعيا ظاهرا مثل الدلالات فى الكتاب والسنة التى تصرف بعضها الظواهر . ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفى لايستنبطه إلا أفراد الناس سواء كان سمعيا أو عقليا لأنه إذا تكلم بالكلام الذى يفهم منه معنى وأعاده مرات كثيرة وخاطب به الخلق كلهم وفيهم الذكى والبليد والفقيه وغير الفقيه . وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب ويعقلوه ويتفكروا فيه ويعتقدوا موجبه ثم أوجب ألا يقصدوا بهذا الخطاب

شيئا من ظاهره لأن هناك دليلا خفيا يستنبطه أفراد الناس يدل على أنه لم يرد ظاهره كان تدليسا أو تلبيسا وكان نقيض البيان وضد الهدى وهو بالألغاز والأحاجى أشبه منه بالهدى والبيان فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفى على أن الظاهر غير مراد كيف إذا كان ذلك الخفى شبهة ليس لها حقيقة ؟ . انتهى .

(الثانى) : يتوهم كثير أن القول بالعلو والاستواء يلزم منها القول بالتجسيم وقد رمى بذلك كثير من المحدثين وممن رماهم بذلك الجلال الدوانى فى شرح العقائد العضدية حيث قال ـ عفا الله عنه : وأكثر المجسمة هم الظاهريون المتبعون لظاهر الكتاب والسنة وأكثرهم المحدثون . ولابن تيمية أبى العباس وأصحابه ميل عظيم إلى إثبات الجهة ومبالغة فى القدح فى نفيها . ورأيت فى بعض تصانيفه أنه لافرق عند بديهة العقل بين أن يقال : هو معدوم أو يقال : طلبته فى جميع الأمكنة فلم أجده ونسب النافين إلى التعطيل . هذا مع علو كعبه فى العلوم العقلية والنقلية كما يشهد به من تتبع تصانيفه .

ومحصل كلام بعضهم فى بعض المواضع أن الشرع ورد بتخصيصه تعالى بجهة الفوق ، كما خصص الكعبة بكونها بيت الله تعالى ولذلك يتوجه إليها فى الدعاء ولا يخفى أنه ليس فى هذا القدر غائلة أصلا لكن بعض أصحاب الحديث من المتأخرين لم يرض بهذا القول وأنكر كون الفوق قبلة الدعاء بل قال : قبلة الدعاء هو نفسه كما أن نفس الكعبة قبلة الصلاة . وقد صرح بكونه جهة الله تعالى حقيقة من غير تجوز . انتهى كلام الدوانى .

وتعقبه غير واحد .

منهم : الشيخ ابراهيم الكورانى فى حاشيته عليه المسماة (بمجلى المعانى) قال: إن ابن تيمية ليس قائلا بالتجسيم فقد صرح بأن الله تعالى ليس جسما فى رسالة تكلم فيها على حديث النزول . وقال فى رسالة أخرى . من قال إن الله تعالى مثل بدن

الانسان أو إن الله تعالى يماثل شيئا من المخلوقات فهو مفتر على الله سبحانه . بل هو على مذهب السلف قائل بأن الله تعالى فوق العرش حقيقة مع نفى اللوازم ونقل عليه إجماع السلف . صرح به فى الرسالة القدريه . انتهى .

ومنهم : ولى الله الدهلوى قدس سره قال فى كتابه (حجة الله البالغة) : واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث وسموهم مجسمة ومشبهة وقالوا : هم المتسترون بالبلفكة . وقد وضح على وضوحا بينا أن استطالتهم هذه ليست بشىء وأنهم مخطئون فى مقالتهم رواية ودراية وخاطئون فى طعنهم أئمة الهدى انتهى .

ومنهم : الشهاب الآلوسى المفسر فإنه كتب على كلام الدوانى ما نصه : حاشا لله تعالى أن يكون ـ يعنى ابن تيمية ـ من المجسمة بل هو أبرأ الناس منهم . نعم يقول بالفوقية وذلك مذهب السلف وهو بمعزل عن التجسيم . وجلال الدين وأضرابه أجهل الناس بالأحاديث وكلام السلف الصالح كما لا يخفى على العارف المنصف نقله عنه ابنه فى (محاكمة الأحمدين) .

وأقول : إن كل من رمى مثل هذا الإمام بالتجسيم فقد افترى وما درى إلا أن عذره أنه لم ينقب عن غرر كلامه فى فتاويه التى أوضح فيها الحق وأنار بها مذهب السلف قاطبة وهاك شذرة من درره قال رحمه الله فى بعض فتاويه :

والأصل فى هذا الباب أن كل ما أثبت فى كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وجب التصديق به مثل علو الرب واستوائه على عرشه ونحو ذلك . وأما الألفاظ المبتدعة فى النفى والإثبات مثل قول القائل : هو فى جهة أو ليس فى جهة وهو متحيز أو ليس بمتحيز ونحو ذلك من الألفاظ التى تنازع فيها الناس وليس مع أحدهم نص لا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة المسلمين ـ هؤلاء لم يقل أحد منهم أن الله تعالى فى جهة ولا قال هو متحيز ولا قال ليس بمتحيز بل ولا قال هو جسم أو

جوهر ولا قال ليس بجسم ولا جوهر فهذه الألفاظ ليست منصوصة فى الكتاب ولا السنة ولا الإجماع . والناطقون بها قد يريدون معنى صحيحا . فان يريدوا معنى صحيحا يوافق الكتاب والسنة كان ذلك مقبولا منهم . وإن أرادوا معنى فاسدا يخالف الكتاب والسنة كان ذلك المعنى مردوداً عليهم ، فإذا قال القائل : إن الله تعالى فى جهة قيل : ماتريد بذلك ؟ أتريد بذلك أنه سبحانه فى جهة موجودة تحصره وتحيط به مثل أن يكون فى جوف السموات أم تريد بالجهة أمرا عدميا وهو مافوق العالم شىء من المخلوقات . فإن أردت الجهة الوجودية وجعلت الله تعالى محصورا فى المخلوقات فهذا باطل . وإن أردت الجهة العدمية وأردت الله تعالى وحده فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق وليس فى ذلك أن شيئا من المخلوقات حصره ولا أحاط به ولا علا عليه بل هو العالى عليها المحيط بها وقد قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الآية وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله عزوجل يقبض الأرض يوم القيامة ويطوى السموات بيمينه ثم يهزهن فيقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : ماالسموات السبع والأرضون السبع ومافيهن ومابينهن فى يد الرحمن إلا كخردلة فى يد أحدكم . وفى حديث آخر أنه يرميها كما يرمى الصبيان الكرة . فمن يكون جميع المخلوقات بالنسبة إلى قبضته تعالى إلى هذا الحقر والصغار كيف تحيط به وتحصره ؟ ومن قال إن الله تعالى ليس فى جهة قيل له : ماتريد بذلك ؟ فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السموات رب يعبد ولا على العرش إله ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يعرج به إلى الله تعالى والأيدى لا ترفع إلى الله تعالى فى الدعاء ولا تتوجه القلوب إليه فهذا فرعونى معطل جاحد لرب العالمين . وإن كان يعتقد أنه مقر به فهو جاهل متناقض فى كلامه . ومن هنا دخل أهل الحلول والاتحاد وقالوا : إن الله تعالى بذاته فى كل مكان وإن وجود المخلوقات هو وجود الخالق . وإن قال مرادى بقولى (ليس فى جهة) أنه لا تحيط به المخلوقات قد أصاب فى هذا المعنى . وكذلك من قال إن الله تعالى متحيز أو قال ليس بمتحيز : إن أراد بقوله (متحيز) أن

المخلوقات تحوزه وتحيط به فقد أخطأ وأن أراد به منحاز عن المخلوقات بائن عنها عال عليها فقد أصاب . ومن قال : (ليس بمتحيز) إن أراد المخلوقات لاتحوزه فقد أصاب وإن أراد ليس ببائن عنها بل هو لاداخل فيها ولا خارج عنها فقد أخطأ والناس فى هذا الباب ثلاثة أصناف : أهل الحلول والاتحاد وأهل النفى والجحود وأهل الإيمان والتوحيد والسنة .

فأهل الحلول يقولون : إنه بذاته فى كل مكان . وقد يقولون بالاتحاد والوحدة فيقولون . وجود المخلوقات وجود الخالق .

وأما أهل النفى والجحود فيقولون . لاهو داخل العالم ولا خارج ولا مباين له ولا حال فيه ولا فوق العالم ولا فيه ولا ينزل منه شىء ولا يصعد إليه شىء ولا يتقرب إليه بشىء ولا يدنو إليه شىء ولا يتجلى لشىء ولا يراه أحد ونحو ذلك. وهذا قول متكلمة الجهمية المعطلة . كما أن الأول قول عباد الجهمية . فتكلمة الجهمية لايعبدون شيئا ، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شىء وكلامهم يرجع إلى التعطيل والجحود الذى هو قول فرعون . وقد علم أن الله تعالى كان قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلقها فإما أن يكون دخل فيها ـ وهذا حلول باطل ـ وإما أن يكون دخلا فيه ـ وهو أبطل وأبطل ـ وإما أن يكون الله سبحانه بائنا عنها لم يدخل فيها وهذا قول أهل الحق والتوحيد والسنة .

ولأهل الجحود والتعطيل فى هذا الباب شبهات يعارضون بها كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ومافطر الله تعالى عليه عباده ومادلت عليه الدلائل العقلية الصحيحة . فإن هذه الأدلة كلها متفقة على أن الله تعالى فوق مخلوقاته عال عليها قد فطر الله تعالى على ذلك العجائز والأعراب والصبيان فى الكتاب كما فطرهم على الإقرار بالخالق تعالى . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء

ثم قال أبو هريرة رضى الله عنه : اقرأوا إن شئتم (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وهذا معنى قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : عليك بدين الأعراب والصبيان فى الكتاب ، عليك بما فطرهم الله تعالى عليه فإن الله سبحانه فطر عباده على الحق والرسل بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بتحويل الفطرة وتغييرها . وأما أعداء الرسل كالجهمية الفرعونية ونحوهم فيريدون أن يغيروا فطرة الله تعالى ودينه عز وجل ويوردون على الناس شبهات بكلمات مشتبهات لا يفهم كثير من الناس مقصودهم بها ولا يحسن أن يجيبهم . وقد بسط الكلام عليهم فى غير هذا الموضع . وأصل ضلالهم تكلمهم بكلمات مجملة لا أصل لها فى كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله عليه الصلاة والسلام ولا قالها أحد من أئمة المسلمين كلفظ المتحيز والجسم والجهة ونحو ذلك . فمن كان عارفا بحال شبهاتهم بينها ومن لم يكن عارفا بذلك فليعرض عن كلامهم ولا يقبل إلا ما جاء به الكتاب والسنة كما قال تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) . ومن تكلم فى الله تعالى وأسمائه وصفاته بما يخالف الكتاب والسنة فهو من الخائضين فى آيات الله تعالى بالباطل . وكثير من هؤلاء ينسب إلى أئمة المسلمين مالم يقولوه ، وكثير منهم قرأوا كتبا من كتب الكلام فيها شبهات اضلتهم ولم يهتدوا لجوابهم فإنهم يجدون فى تلك الكتب أنه لو كان الله تعالى فوق الخلق للزم التجسيم والتحيز والجهة وهم لا يعرفون حقائق هذه الألفاظ ولا ما أراد بها أصحابها فإن ذكر لفظ (الجسم) فى أسماء الله تعالى وصفاته بدعة لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها ولم يقل أحد منهم إن الله تعالى جسم ولا إن الله تعالى ليس بجسم ولا إن الله تعالى جوهر ولا إن الله تعالى ليس بجوهر . ولفظ الجسم مجمل فمعناه فى اللغة هو البدن . ومن قال إن الله مثل بدن الإنسان فهو مفتر على الله ضال ومن قال إن الله تعالى ليس بجسم وأراد بذلك أنه لا يماثل شيئا من المخلوقات فالمعنى صحيح وإن كان اللفظ بدعة . وأما من قال إن الله تعالى ليس بجسم وأراد بذلك أنه لا يرى فى الآخرة وأنه لم يتكلم بالقرآن العربى بل القرآن العربى مخلوق أو هو تصنيف جبريل عليه السلام أو نحو ذلك فهو مفتر

على الله تعالى فيم نفاه عنه . وهذا أصل ضلال الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم على مذهبهم فإنهم يظهرون للناس التنزيه وحقيقة كلامهم التعطيل فيقولون : نحن لانجسم بل نقول الله ليس بجسم . ومرادهم بذلك نفى حقيقة أسمائه وصفاته .

إلى أن قال : فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال منزه عن كل نقص وعيب . ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله تعالى بما وصف نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فيثبتون ماأثبته لنفسه من الأسماء والصفات وينزهونه عما نزه عنه نفسه من مماثلة المخلوقات إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل قال عز شأنه : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فقوله (ليس كمثله شيء) رد على الممثلة وقوله تعالى . (وهو السميع البصير) رد على المعطلة انتهى ملخصا .

وقال رضى الله عنه (فى جواب على سؤال رفع إليه نصه : الاستواء هل هو حقيقة أو مجاز ؟) مانصه ملخصا : القول فى الاستواء والنزول كالقول فى سائر الصفات التى وصف بها نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات فالقول فى بعض هذه الصفات كالقول فى بعض . ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن نصف الله تعالى بماوصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فلا يجوز نفى صفات الله تعالى التى وصف بها نفسه ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين ومعلوم بالاضطرار من دين الاسلام أنه لايجوز إطلاق النفى على ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات ، بل هذا جحد للخالق وتمثيل له بالمعدومات .

وقد قال ابن عبد البر : أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها

فى القرآن والسنة والايمان بها . وحملها على الحقيقة لا على المجاز لأنهم لاينفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة .

وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج فينكرونها ولا يحملونها على الحقيقة ويزعمون أن من أقربها مشبه . وهم عند من أقر بها نافون للمعبود لامثبتون والحق فيما قال القائلون بما نطق به الـكتاب والسنة وهم أئمة الجماعة . هذا الذى حكاه ابن عبد البر .

ومن أنكر أن يكون شيء من هذه الصفات حقيقة فإنما أنكر لجهله لمسمى الحقيقة أو لـكفره وتعطيله لما يستحقه رب العالمين . وذلك أنه قد يظن أن إطلاق ذلك يقضى أن يـكون المخلوق مماثلا للخالق فيقال له : هذا باطل فإن الله موجود حقيقة والعبد موجود حقيقة وله تعالى ذات حقيقة وليس ذاته تعالى كذات المخلوقات وكذلك له علم وسمع وبصر حقيقة وللعبد سمع وبصر وعلم حقيقة وليس علمه وسمعه وبصره مثل علم العبد وسمعه وبصره ولله كلام حقيقة وليس كلام الخالق مثل كلام المخلوقين والله استوى على عرشه حقيقة وللعبد استواء على الفلك حقيقة وليس استواء الخالق كاستواء المخلوق فان الله لايفتقر إلى شيء ولا يحتاج إلى شيء بل هو الغنى عن كل شيء . والله تعالى يحمل العرش وحملته بقدرته ويمسك السموات والأرض أن تزولا فمن ظن أن معنى قول الائمة (الله مستو على عرشه حقيقة) يقتضى أن يكون استواؤه مثل استواء العبد على الفلك والأنعام لزمه أن يكون قولهم : إن الله له علم حقيقه وسمع وبصر حقيقة وكلام حقيقة يقضى أن يـكون علمه وسمعه وبصره وكلامة مثل علم المخلوقين وسمعهم وبصرهم وكلامهم . فمن ظن أن الحقيقة إنما تتناول صفة العبد المخلوقة دون صفة الخالق كان فى غاية الجهل ، فإن صفة الله أكمل وأتم وأحق بهذه الأسماء الحسنى فلا نسبة بين صفة العبد وصفة الرب كما لا نسبة بين ذاته وذاته فكيف يكون العبد مستحقا للأسماء الحسنى حقيقة والرب لا يستحق ذلك إلا مجازا ؟ ومعلوم أن كل كمال حصل للمخلوق فهو من الخالق سبحانه وتعالى فله المثل الأعلى . فكل كمال حصل للمخلوق فالخالق أحق به وكل نقص ينزه عنه

مخلوق فالحق أحق أن ينزه عنه ولهذا كان لله المثل الأعلى فإنه لا يقاس بخلقه ولا يمثل بهم ولا تضرب له الأمثال فلا يشترك هو والمخلوق بمثل ولا فى قياس . ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات الصفات لله تبارك وتعالى بل صفات الكمال لازمة لذاته يمتنع ثبوت ذاته بدون صفات الكمال اللازمة له بل يمتنع تحقق ذات من الذوات عرية عن جميع الصفات وهذا كله مبسوط فى غير هذا الموضع . فإذا قال : وجود الله وذات الله وعلم الله وسمع الله وبصر الله وكلام الله ورحمة الله وغضب الله واستواء الله ونزول الله ومحبة الله ونحو ذلك كانت هذه الأسماء كلها حقيقة لله تعالى من غير أن يدخل فيها شىء من المخلوقات ومن غير أن يماثله فيها شىء من المخلوقات وإذا قال : وجود العبد وذاته وماهيته وعلمه وقدرته وسمعه وبصره وكلامه واستواؤه ونزوله كان هذا حقيقة للعبد مختصة به من غير أن تماثل صفاته صفات الله تعالى بل أبلغ من ذلك أن الله أخبر أن فى الجنة من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمساكن ماذكره فى كتابه . كما ذكر أن فيها لبنا وعسلا وخمرا ولحما وحريرا وذهبا وفضة وحورا وقصورا وغير ذلك . وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء . فتلك الحقائق التى فى الجنة ليست مماثلة لهذه الحقائق التى فى الدنيا وإن كانت مشابهة لها من بعض الوجوه والاسم يتناولها حقيقة ومعلوم أن الخالق أبعد عن مشابهة المخلوق والمخلوق عن مشابهة الخالق . فكيف يجوز أن يظن أن فيما أثبته الله تعالى من أسمائه وصفاته مماثلا لمخلوقاته وأن يقال ليس ذلك بحقيقة ؟ وهل يكون أحق بهذه الأسماء الحسنى والصفات العليا من رب السموات والأرض مع أن مباينتها للمخلوقات أعظم من مباينة كل مخلوق لكل مخلوق ؟ والجاهل يضل بأن يقول . العرب إنما وضعوا لفظ الاستواء الانسان على السرير أو الفلك أو استواء السفينة على الجودى ولنحو ذلك من استواء بعض المخلوقات . فهو كما يقول القائل : إنما وضعوا لفظ السمع والبصر والكلام لما يكون محله حدقة وأجفانا وأصمخة وآذانا وشفتين ولسانا وإنما وضعوا لفظ العلم والرحمة والإرادة لما يكون محله مضغة لحم وفؤاد . وهذا كله جهل منه .

فإن العرب إنما وضعت للانسان ما أضافت إليه فإذا قالت سمع العبد وبصره وكلامه وعلمه وإرادته ورحمته مما يختص به يتناول ذلك خصائص العبد. وإذا قيل سمع الله وبصره وكلامه وعلمه وإرادته ورحمته كان هذا متناولا لما يختص به الرب لايدخل فى ذلك شىء من خصائص المخلوقين وكذلك إذا قيل استواء الرب فهذا الاستواء المضاف إلى الله كالعلم والسمع والبصر المضاف إلى الله لا يجوز أن يتناول ذلك شيئا من خصائص المخلوقين .

وهؤلاء الجهال يمثلون فى ابتداء فهمهم صفات الخالق بصفات المخلوق ثم ينفون ذلك ويبطلونه فلا يفهمون من ذلك إلا مايختص بالمخلوق وينفون مضمون ذلك فيكونون قد جحدوا ما يستحقه الرب من خصائصه وصفاته وألحدوا فى أسماء الله تعالى وآياته وخرجوا عن القياس العقلى ، والنص الشرعى فلا يبقى بأيديهم لامعقول صريح ولا منقول صريح . ثم لابد لهم من إثبات بعض مايثبته أهل الإثبات من الأسماء والصفات . فإذا أثبتوا البعض ونفوا البعض قيل لهم: ما الفرق بين ماأثبتموه وما نفيتموه ؟ ولم كان هذا حقيقة ولم يكن هذا حقيقة ؟ لم يكن لهم جواب أصلا وظهر بذلك جهلهم وضلالهم شرعا وعقلا . ونظائر هذا كثيرة فمن ظن أن أسماء الله تعالى وأسماء صفاته إذا كانت حقيقة لزم أن يكون مماثلا للمخلوقين وأن تكون صفاته مماثلة لصفاتهم كان من أجهل الناس ،وكان أول كلامه سفسطة وآخره زندقة لأنه يقتضى نفى جميع أسماء الله وصفاته . وهذا هو غاية الزندقة والالحاد

وإن فرق بين صفة وصفة مع تساويهما فى أسباب الحقيقة والمجاز كان متناقضا فى قوله متهافتا فى مذهبه مشابها لمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض .

وإذا تأمل اللبيب الفاضل هذه الأمور تبين له أن مذهب السلف والأئمة فى غاية الاستقامة والسداد والصحة والاطراد وأنه مقتضى المعقول الصريح والمنقول الصحيح وأن من خالفه كان مع تناقض قوله المختلف الذى يؤفك عنه من أفك

خارجا عن موجب العقل والسمع مخالفا للفطرة والشرع والله يتم نعمته علينا وعلى سائر إخواننا المسلمين المؤمنين ويجمع لنا ولهم خير الدنيا والآخرة. انتهى .

(فائدة) فى منشإ هذا التعطيل .

وبين رضى الله عنه فى فتوى أخرى له فى الصفات مورد هذا التعطيل حيث قال رضى الله عنه . ثم أصل هذه المقالة إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة - أعني أن الله ليس على العرش حقيقة وإنما (استوى) استولى ونحو ذلك أول ماظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها . فتنسب مقالة الجهمية إليه . والجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم وأخذها طالوت من لبيد بن أعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم . وكان الجعد هذا - فيما قيل - من أهل حران . وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمروذ الكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين فى سحرهم وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهيا كل ومذهبهم فى الرب ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم إليهم . فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضا - فيما ذكره الامام أحمد وغيره - عن السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات . فهذه أسانيد الجهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين. والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين . ثم لما عربت الكتب الرومية فى حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان فى قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه فى قلوب أشباهم. ولما كان فى حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التى كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسى وطبقته وكلام الأئمة مثل مالك رضى الله

عنه وسفيان بن عيينة وأبى يوسف والشافعى وأحمد واسحق والفضيل بن عياض وبشر الحافى وغيرهم ـ فى بشر المريسى هذا كثير فى ذمه وتضليله . وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدى الناس مثل أكثر التأويلات التى ذكرها أبو بكر بن فورك فى كتاب (التأويلات) وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى فى كتابه الذى سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها فى كلام خلق غير هؤلاء مثل أبى على الجبائى وعبد الجبار بن أحمد الهمدانى وأبى الحسين البصرى وابن عقيل وأبى حامد الغزالى وغيرهم . وهى بعينها التأويلات التى ذكرها بشر المريسى فى كتابه . وإن كان يوجد فى كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضا . ولهم كلام حسن فى أشياء ، فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هى عين تأويل المريسى . وعلمنا ذلك بكتاب (الرد) الذى صنفه عثمان بن سعيد الدارمى أحد الأئمة المشاهير فى زمن البخارى ، صنف كتابا سماه (نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله فى التوحيد) حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسى بكلام يقتضى أن المريسى أقعد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته ثم ردها عثمان بن سعيد بكلام إذا طالبه العاقل الذكى علم حقيقة ما كان عليه السلف . فتبين له ظهور الحجة بطريقهم وضعف حجة من خالفهم . ثم إذا رأى الأئمة ـ أئمة الهدى ـ قد أجمعوا على ذم المريسية وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم وعلم أن هذا القول السارى فى هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسى ـ تبين له الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم قال رضى الله عنه : ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون فى أسماء الله وآياته وكل واحد من فريقى التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل . أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته

إلا ما هو اللائق بالمخلوق . ثم شرعوا فى نفى تلك المفهومات فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل . مثلوا أولا وعطلوا آخرا وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى . فإنه إذا قال القائل : لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا ، وكل ذلك محال . ونحو ذلك من الكلام فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا مايثبته لأى جسم كان على أى جسم كان . وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم . أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شىء من اللوازم الثلاثة كما يلزم سائر الأجسام . وصار هذا مثل قول الممثل : إذا كان للعالم صانع فإما أن يكون جوهرا أو عرضا إذ لايعقل موجود إلا هذان . أو قوله : إذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير أو الفلك إذ لايعلم الاستواء إلا هكذا . فإن كليهما مثل وكلاهما عطل حقيقة ماوصف الله به نفسه . وامتاز الأول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقى وامتاز الثانى بإثبات (استواء) هو من خصائص المخلوقين . والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به فكما نه موصوف بأنه بكل شىء عليم وعلى كل شىء قدير وأنه سميع بصير ونحو ذلك ولا يجوز أن نثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التى لعلم المخلوقين وقدرهم فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا نثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها .

واعلم أنه ليس فى العقل الصحيح ولا فى النقل الصحيح مايوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا لكن هذا الموضع لايتسع للجواب عن الشبهات الواردة عن الحق فمن كان فى قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير . انتهى كلامه .

ومن أحاط عقله بهذه الغرر علم براءة ساحة السلف مما رموا به من التجسيم . وفى هذه النفائس من الفوائد مايشفع لدى الواقف بطوله .

الثالث : يطلق العرش على معان : السرير ومنه آية (ولها عرش عظيم) والملك يقال : ثل عرشهم ـ وسقف البيت ومنه آية (وهى خاوية على عروشها) وحديث (كالقنديل المعلق بالعرش) ــ أو البناء ومنه (وما كانوا يعرشون)أى يبنون ومنه العريش وهو ما يستظل به . والعرش المضاف إلى الله تعالى لا يحد .

قال فى القاموس : العرش عرش الله تعالى ولا يحد . انتهى .

وقال الراغب : عرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم على الحقيقة ولذا لم يصح فى صفته حديث وكل ماروى فى ذلك فليس من مرويات الصحاح .

قال البيهقى فى كتاب (الأسماء والصفات) : وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم مجسم خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق فى الأرض بيتا وأمر بنى آدم بالطواف به واستقباله فى الصلاة وفى أكثر الآيات دلالة على صحة ماذهبوا إليه وفى الأخبار والآثار الواردة فى معناه دليل على صحة ذلك . انتهى .

وقال الحافظ الذهبي فى كتاب (العلو) : اعلم أن الله عز وجل قد أخبرنا ـ وهو أصدق القائلين ـ بأن عرش بلقيس عرش عظيم فقال : (ولها عرش عظيم) ثم ختم الآية بقوله : (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) فكان عرشها عظيما بالنسبة إليها ومانحيط الآن علما بتفاصيل عرشها ولا بمقداره ولا بما هيته . ثم قال فما الظن بما أعد الله تعالى من السرر والقصور فى الجنة لعباده . فما الظن بالعرش العظيم الذى اتخذه العلى العظيم لنفسه فى ارتفاعه وسعته وقوائمه وماهيته وحملته الحافين من حوله وحسنه ورونقه وقيمته ؟ اسمع وتعقل ما يقال والجأ إلى الإيمان بالغيب فليس الخبر كالمعاينة فالقرآن مشحون بذكر العرش وكذلك الآثار بما يمتنع أن يكون المراد به (الملك) فدع المكابرة والمراء فإن المراء فى القرآن كفر

آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . لا إله إلا الله الحكيم الكريم . لا إله إلا الله رب العرش العظيم . لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم . الحمد لله رب العالمين . انتهى كلام الذهبى رحمه الله تعالى .

الرابع : سئل الشيخ تقى الدين بن تيمية عليه الرحمة والرضوان - عن العرش : هل هو كرى أم لا فإذا كان كريا والله من ورائه محيط به بائن عنه فما فائدة توجه العبد إلى الله سبحانه حين الدعاء والعبادة فيقصد العلو دون غيره إذ لا فرق حينئذ بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التى تحيط بالداعى ومع هذا نجد فى قلوبنا قصدا يطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة فأخبرنا عن هذه الضرورة التى نجدها فى قلوبنا وقد فطرنا عليها .

فأجاب رحمه الله بقوله :

إن لقائل أن يقول : لم يثبت بدليل يعتمد عليه أن العرش فلك من الأفلاك المستديرة الكرية وإنما ذكره طائفة من المتأخرين الذين نظروا فى علم الهيئة فرأوا أن الأفلاك تسعة وأن التاسع وهو الأطلس محيط بها وهو الذى يحركها الحركة الشرقية وإن كان لكل فلك حركة تخصه . ثم سمعوا فى أخبار الأنبياء ذكر عرش الله سبحانه وكرسيه والسموات السبع فقالوا - بطريق الظن - إن العرش هو الفلك التاسع لاعتقادهم أنه ليس وراء ذلك شىء إما مطلقا وإما أنه ليس وراءه مخلوق . ثم إن منهم من رأى أنه هو الذى يحرك الأفلاك كلها فجعلوه مبدأ الحوادث . وربما سماه بعضهم الروح أو النفس وجعله بعضهم هو اللوح المحفوظ وبعض الناس ادعى أنه علم ذلك بطريق الكشف وذلك غير صحيح بل أخذه من هؤلاء المتفلسفة كما فعل أصحاب (رسائل إخوان الصفاء) . والأخبار تدل على أن العرش مباين لغيره من المخلوقات وأنه قبل السموات والأرض فقد ثبت فى صحيح البخارى أنه صلى الله عليه وسلم : كان الله ولم يكن شىء غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السموات والأرض - وأن له قوائم - كما

فى حديث أبى سعيد : فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش . وقد استدل من قال إنه مقبب بما رواه من قوله عليه الصلاة والسلام (وإن الله تعالى على عرشه وإن عرشه على سمواته وسمواته فوق أرضه هكذاوقال بأصابعه مثل القبة) وهذا لايدل على أنه فلك من الأفلاك ولا مستدير مثل ذلك . لكن لفظ القبة يستلزم استدارة من العلو لا من جميع الجوانب إلا بدليل منفصل . ولفظ الفلك يستدل به على الاستدارة مطلقا كما قال ابن عباس فى : (كل فى فلك) فى فلكة مثل فلكة المغزل . وأما لفظ القبة فإنه لايتعرض لهذا المعنى لابنفى ولا إثبات لكن يدل على الاستدارة من العلو .

واعلم أن العرش سواء كان هذا الفلك التاسع أو جسما محيطا به أو كان فوقه من جهة وجه الأرض محيط به أو قيل فيه غير ذلك فيجب أن يعلم أن العالم العلوى والسفلى بالنسبة إلى الخالق تعالى فى غاية الصغر .

كما قال تعالى :(وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون).

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال . يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض؟ وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول : أين الجبارون أين المتكبرون ؟ وفى لفظ : ويتميل رسول الله صلى الله عليه وسلم على يمينه وعلى شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفله شىء .

وفى رواية أخرى قال : قرأ على المنابر : والأرض جميعا قبضته يوم القيامة.. الآية قال : مطوية فى كفه يرمى بها كما يرمى الغلام بالكرة . ففى هذه الأحاديث

وغيرها المتفق على صحتها ما يبين أن السموات والأرض وما بينهما بالنسبة إلى عظمته عز وجل أصغر من أن تكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير فى يد أحدنا حتى يدحوها كما تدحى الكرة .

ثم قال فى الجواب : فلما وصف الله تعالى من نفسه وأسمائه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه كما سماه ولم نتكلف علم ما سواه فلا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف. وإذا كان كذلك فهو قادر على أن يقبضها ويدحوها كالكرة وفى ذلك من الإحاطة بما لا يخفى وإن شاء لم يفعل . وبكل حال فهو مباين لها ليس بمجانب لها . ومن المعلوم أن الواحد منا — ولله المثل الأعلى — إذا كان عنده خردلة إن شاء قبضها فأحاطت بها قبضته وإن شاء لم يقبضها بل جعلها تحته فهو فى الحالين مباين لها . وسواء قدر أن العرش هو محيط بالمخلوقات كإحاطة الكرة بما فيها أم قيل أنه فوقها وليس محيطا بها كوجه الأرض الذى نحن عليها[1] بالنسبة إلى جوفها وكالقبة بالنسبة إلى ما تحتها أو غير ذلك — فعلى التقدير يكون العرش فوق المخلوقات والخالق سبحانه فوقه والعبد فى توجهه إليه عز وجل يقصد العلو دون التحت .

وتمام هذا البحث بأن يقال : لا يخلو إما أن يكون العرش كريا كالأفلاك ويكون محيطاً وإما أن يكون فوقها وليس بكرى . وإن كان الأول — فن المعلوم — باتفاق من يعلم هذا — أن الأفلاك مستديرة كرية وأن الجهة العليا هى جهة المحيط وهو المحدود وأن الجهة السفلى هى المركز وليس للأفلاك إلا جهتان : العلو والسفل فقط — وأما الجهات الست فهى للحيوان فإن له ست جوانب : يؤم جهة فتكون أمامه ويخلف أخرى فتكون خلفه وجهة تحاذى شماله وجهة تحاذى يمينه وجهة تحاذى رأسه وجهة تحاذى رجليه . وليس لهذه الجهات فى نفسها صفة لازمة بل هى بحسب النسبة والإضافة . فيكون يمين هذا ما يكون يسار هذا ويكون فوق هذا ما يكون تحت هذا . لكن جهة العلو والسفل للأفلاك لا تتغير فالمحيط هو العلو والمركز هو السفل مع أن وجه الأرض التى وضعها الله

(١) كذا فى الأصل .

تعالى للأنام وأرساها بالجبال هو الذى عليه الناس والبهائم وغيرهما ، فأما الناحية الأخرى منها فالبحر محيط بها وليس هناك شىء من الآدميين وما يتبعهم ، ولو قدر أن هناك أحداً لكان على ظهر الأرض ولم يكن من فى هذه الجهة تحت من فى هذه الجهة ولا من فى هذه تحت من فى هذه. كما أن الأفلاك محيطة بالمركز وليس أحد جانبى الفلك تحت الاخر. ولا القطب الشمالى تحت الجنوبى ولا بالعكس وإن كان الشمالى هو الظاهر لنا بحسب بعد الناس عن خط الاستواء فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلا كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة وهو الذى يسمى عرض البلد . فكما أن جوانب الأرض المحيطة بها وجوانب الفلك المستدير ليس بعضها فوق بعض ولا تحته فكذلك من يكون على الأرض لا يقال إنه تحت أولئك وإنما هذا خيال يتخيله الإنسان وهو (تحت) إضافى . كما لو كانت نملة تمشى تحت سقف فالسقف فوقها وإن كانت رجلاها تحاذيانه وكذلك من علق منكوسا فإنه تحت السماء وإن كانت رجلاه تلى السماء ، وكذلك قد يتوهم الإنسان إذا كان فى أحد جانبى الأرض أو الفلك أن الجانب الاخر تحته . وهذا أمر لا يتنازع فيه اثنان ممن يقول إن الأفلاك مستديرة . وهذا كما أنه قول أهل أهل الهيئة والحساب فهو الذى عليه علماء المسلمين . كما ذكره أبو الحسين المنادى وأبو محمد بن حزم وأبو الفرج بن الجوزى وغيرهم وهو المأخوذ من قول ابن عباس وغيره . ومن ظن أن من يكون فى الفلك من ناحية يكون تحته من فى الفلك من الناحية الأخرى فى نفس الأمر فهو متوهم عندهم .
فإذا كان الأمر كذلك فإذا قدر أن العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان هو أعلاها وسقفها وهو فوقها مطلقا فلا يتوجه إليه وإلى ما فوقه الإنسان إلا من العلو . ومن توجه إلى الفلك الثامن أو التاسع مثلا من غير جهة العلو كان جاهلا باتفاق العقلاء فكيف بالمتوجه إلى العرش أو إلى ما فوقه ! وغاية ما يقدر أن يكون كرى الشكل والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها إحاطة تليق بجلاله فإن السموات السبع والأرض فى يده أصغر من الحمصة فى يد أحدنا . وأما قول القائل : إذا كان كريا والله من ورائه محيط بائن عنه فما الفائدة فى التوجه إلى العلو دون

التحت ومع هذا نجد فى قلوبنا قصد العلو ؟ فيقال : هذا إنما ورد لتوهم أن نصف الفلك يكون تحت الأرض وتحت ما على وجه الأرض من الآدميين والبهائم وهذا غلط . فلو كان الفلك تحت الأرض من جهة لكان تحتها من كل جهة فكان يلزم أن يكون الفلك تحت الأرض مطلقا وهذا قلب للحقائق ، إذ الفلك هو فوق الأرض مطلقا وأهل الهيئة يقولون : لو أن الأرض مخروقة إلى ناحية أرجلنا وألقى فى الخرق شىء ثقيل كالحجر ونحوه لكان ينتهى إلى المركز حتى لو ألقى من تلك الناحية حجر آخر لالتقيا جميعا فى المركز أى الذى هو النقطة المتوسطة فى كرة الأرض . ولو قدر أن انسانين التقيا فى المركز بدل الحجر لالتقت رجلاهما ولم يكن أحدهما تحت الاخر بل كلاهما فوق المركز وكلاهما تحت الفلك . وإذا كان مطلوب أحد ما فوق الفلك لم يطلبه إلا من الجهة العليا لأن مطلوبه من تلك الجهة أقرب لأنه لو قدر أن رجلا أو ملكا يصعد إلى السماء كان صعوده مما يلى رأسه ولا يقول عاقل إنه يخرق الأرض ثم يصعد من تلك الناحية أو يذهب يمينا أو شمالا ثم يصعد . ولو أن رجلا أراد مخاطبة القمر فإنه لا يخاطبه إلا من الجهة العليا مع أنه قد يشرق ويغرب فكيف بما هو فوق كل شىء لا يأفل ولا يغيب سبحانه وتعالى . وكما أن حركة الحجر تطلب مركزها بأقصر طريق وهو الخط المستقيم فالطلب الإرادى الذى يقوم بقلوب العباد كيف يعدل عن الصراط المستقيم ؟ .

مطلب فى حديث الادلاء :

وحديث الادلاء رواه أبو هريرة وأبو ذر قد رواه الترمذى وغيره من حديث الحسن عن أبى هريرة وهو منقطع فإن الحسن لم يسمع من أبى هريرة ولكن يقويه حديث أبى ذر المرفوع فإن كان ثابتا فمعناه موافق لهذا . فإن قوله عليه الصلاة والسلام : لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله إنما هو تقدير مفروض أى لو وقع الادلاء لوقع عليه لكن لا يمكن أن يدلى أحد على الله عز وجل شيئا لأنه

عال بالذات وإذا أهبط شىء إلى جهة الأرض وقف فى المركز . والمقصود بيان إحاطة الخالق سبحانه كما بين أنه يقبض السموات ويطوى الأرض ونحو ذلك مما فيه بيان إحاطته تعالى ولهذا قرأ فى تمام الحديث : هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم . وهذا كله على تقدير صحته . فإن الترمذى لما رواه قال : وفسره بعض أهل العلم بأنه هبط على علم الله . وبعض الحلولية والاتحادية يظن أن فيه ما يدل على زعمه الباطل من أنه سبحانه حال بذاته فى كل مكان إذأن وجوده وجود الأمكنة ونحو ذلك . وكذلك تأويله بالعلم غير مستقيم بل على تقدير ثبوته فالمراد به الإحاطة ونحن لا نتكلم إلا بما نعلم وما لم نعلمه أمسكنا عنه. وقد فطر الله تعالى الناس على التوجه فى الدعاء إلى جهة العلو وقال تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها . فجاءت الشريعة بالعبادة والدعاء بما يوافق الفطرة . وقد ثبت فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال: اذا إن قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه فإن الله تعالى قبل وجهه ولا يمينه فإن يمينه ملكا وليبصق عن يساره أو تحت رجله. وفى رواية : إنه أذأن يبصق فى ثوبه. وفى حديث أبى رزين المشهور : لما أخبر صلى الله عليه وسلم أنه ما من أحد إلا سيخلو به ربه فقال له أبو رزين : كيف يسعنا يارسول الله وهو واحد ونحن جمع ؟ فقال سأنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله تعالى : هذا القمر آية من آيات الله تعالى كلكم يراه مخليا به فالله أكبر . وفى الصحيحين: لينتهين أقوام عن إبصارهم فى الصلاة أو لاترجع إليهم أبصارهم . واتفق العلماء أن رفع المصلى بصره إلى السماء منهى عنه وروى محمد بن سيرين أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرفع بصره فى الصلاة إلى السماء حتى نزل : (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) فكان بصره لا يجاوز موضع سجوده . فهذا مما جاءت به الشريعة تكميلا للفطرة لأن الداعى المأمور بالذل لا يناسب حاله أن ينظر إلى ناحية من يدعوه . خلافا للجهمية الذين لا يفرقون بين العرش وقعر البحر وقد قال تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء » الآية ثم بين تأويل [الحجر الأسود يمين الله فى الارض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله تعالى وقبل

يمينه] وقال : قد ظنوا أن هذا وأمثاله محتاج إلى التأويل وهذا وهم لأنه لو كان هذا اللفظ ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه صريح فى أن الحجر ليس هو من صفاته تعالى . وتقييده بالأرض يدل على أنه ليس هو يده على الأطلاق فلا تكون اليد حقيقة . وقوله : [فكأنما صافح الله تعالى] الخ صريح فى أن المصافح ليس مصافحا له تعالى لأن المشبه ليس هو المشبه به .

إلى أن قال : فهذا كله بتقدير كرية العرش ؛ وأما إذا قدر أنه ليس بكرى الشكل بل هو فوق العالم من الجهة التي هى وجه الأرض وأنه فوق الأفلاك الكرية كما أن وجه الأرض الموضوع للأنام فوق نصف الأرض الكرى أو غير ذلك من المقادير التي يقدر فيها أن العرش فوق ماسواه فعلى كل تقدير لايتوجه إلى الله تعالى إلا إلى العلو مع كونه على عرشه مباينا لخلقه . وعلى ماذكرناه لا يلزم شيء من المحذور والتناقض . وهذا يزيل كل شبهة تنشأ من اعتقاد فاسد وهو أن يظن أن العرش إذا كان كريا والله تعالى فوقه كما تقتضيه ذاته سبحانه عن مشابهة المخلوقين ـ وجب (فيما عند الزاعم) أن يكون سبحانه كريا ثم يعتقد أنه إذا كان كريا فيصح التوجه إلى ما هو كرى كالفلك التاسع من جميع الجهات وهذا خطأ فإن القول بأن العرش كرى لا يجوز أن يظن أنه مشابه للأفلاك فى أشكالها وأقدارها أو فى صفاتها بل قد تبين أنه سبحانه أعظم وأكبر من أن تكون المخلوقات عنده أصغر من الحمصة فى يد أحدنا . فإذا كانت الحمصة مثلا فى يد الإنسان أو تحته أو نحو ذلك هل يتصور عاقل إذا استشعر علو الإنسان على ذلك وإحاطته بأن يكون الإنسان كالفلك ؟ فالله تعالى ـ وله المثل الأعلى ـ أعظم من أن يظن به ذلك . وإنما يظنه الذين لم يقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون . وإذا لم يكن كريا فالأمر ظاهر مما تقدم . وبهذا يظهر الجواب عن السؤال من وجوه متعددة والله تعالى أعلم .

وإنما أشبعنا الكلام فى هذا المقام لأنه من أصول العقائد الدينية ومهمات

المسائل التوحيدية وقد كثر فيه تدارك الآراء وتصادم الأهواء ولم يأت جمهور المتكلمين المأولين بشيء يعلق بقلب الأذكياء بل اجتهدوا فى إيراد التمحلات التى تأباها فطرة الله أشد الإباء فبقيت نفوس أنصار السنة المحققين مائلة إلى مذهب السلف الصالحين فإن الأئمة منهم كان عقدهم ما بيناه فلا تكن من الممترين والحمد لله رب العالمين .

الجزء السادس عشر صفحة ٥٦٧٢ :

سورة الحديد الآية ٤ :

(هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) .

« هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام » قال القاشانى : أى من الأيام الستة الألهية . وقيل : المعهودة - والله أعلم . « ثم استوى على العرش» قال ابن جرير : أى هو الذى أنشأ السموات السبع والأرضين فدبرهن وما فيهن ثم استوى على عرشه فارتفع عليه وعلا . « يعلم ما يلج فى الأرض » أى من خلقه كالأموات والبذور والحيوانات « . وما يخرج منها » أى كالزروع . « وما ينزل من السماء » أى من الأمطار والثلوج والبرد والأقدار والأحكام » . « وما يعرج فيها » أى من الملائكة والأعمال وغيرهما . « وهو معكم أينما كنتم » قال ابن جرير : أى وهو شاهد لكم أينما كنتم يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم وهو على عرشه فوق سماواته السبع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى (شرح حديث النزول) : لفظ المعية فى سورة الحديد والمجادلة فى آيتيهما ثبت تفسيره عن السلف بالعلم . قالوا : هو

معهم بعلمه . وقد ذكر الإمام ابن عبد البر وغيره : أن هذا إجماع من الصحابة ، والتابعين لهم باحسان لم يخالفهم أحد يعتد بقوله . وهو مأثور عن ابن عباس والضحاك ومقاتل بن حيان وسفيان الثورى واحمد بن حنبل وغيرهم . قال ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى هذه الآية : هو على العرش وعلمه معهم : وهكذا عمن ذكر معه . وقد بسط الإمام أحمد الكلام على المعية فى [الرد على الجهمية] ولفظ المعية فى كتاب الله جاء عاما كما فى هاتين الآيتين وجاء خاصا كما فى قوله تعالى [إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون] وقوله [إننى معكما أسمع وأرى] وقوله (لا تحزن إن الله معنا] فلو كان المراد بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص فإنه قد علم أن قوله « لا تحزن إن الله معنا » أراد به تخصيصه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار . وكذلك قوله « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » خصهم بذلك دون الظالمين والفجار . وأيضا فلفظ المعية ليست فى لغة العرب ولا شيء من القرآن أن يراد به اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى . كما فى قوله : « محمد رسول الله والذين معه » وقوله « فأولئك مع المؤمنين » وقوله « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وقوله «وجاهدوا معكم» ومثل هذا كثير . فامتنع أن يكون قوله « وهو معكم » يدل على أن ذاته مختلطة بذوات الخلق . وأيضا فإنه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم به . وقد بسط الكلام عليه فى موضع آخر وبين أن لفظ المعية فى اللغة — وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمعادية — فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه ويكون حكم معيته فى كل موطن بحسبه فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد . انتهى .

وقال الإمام موفق الدين بن قدامة المقدسى رضى الله عنه فى كتاب « ذم التأويل » : فإن قيل : فقد تأولتم آيات وأخبارا فقلتم فى قوله تعالى « وهو معكم أينما كنتم » أى بالعلم ونحو هذا من الآيات والأخبار فيلزمكم ما لزمنا ؟

قلنا : نحن لم نتأول شيئا وحمل هذه اللفظات على هذه المعانى ليس بتأويل لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره . وهذه المعانى هى الظاهر من هذه الألفاظ بدليل أنه المتبادر إلى الأفهام منها . وظاهر اللفظ هو ما يسبق إلى الفهم منه ، حقيقة كان أو مجازا . لذلك كان ظاهر الأسماء العرفية المجاز دون الحقيقة كاسم الراوية والظعينة وغيرهما من الأسما. العرفية . فإن ظاهر هذا المجاز دون الحقيقة وصرفها إلى الحقيقة يكون تأويلا يحتاج إلى دليل .

وكذلك الألفاظ التى لها عرف شرعى وحقيقة لغوية كالوضوء والطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج فإنها ظاهرها العرف الشرعى دون الحقيقة اللغوية وإذا تقرر هذا فالمتبادر إلى الفهم من قولهم « إن الله معك » أى بالحفظ والكلاءة ولذلك قال الله تعالى فيما أخبر عن نبيه « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » وقال لموسى « إننى معكما أسمع وأرى » ولو أراد أنه بذاته مع كل أحد لم يكن لهم بذلك اختصاص لوجوده فى حق غيرهم كوجوده فيهم ولم يكن ذلك موجبا لنفى الحزن عن أبى بكر ، ولا علة له .

فعلم أن ظاهر هذه الألفاظ هو ما حملت عليه فلم يكن تأويلا .

ثم لو كان تأويلا فما نحن تأولناه وإنما السلف رحمة الله عليهم الذين ثبت صوابهم ووجب اتباعهم هم الذين تأولوه . فإن ابن عباس والضحاك ومالكا وسفيان وكثيراً من العلماء فى قوله « وهو معكم » أى علمه . ثم قد ثبت بكتاب الله والمتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف أن الله تعالى فى السماء على عرشه ، وجاءت هذه اللفظة مع قرائن محفوفة بها دالة على إرادة العلم منها وهو قوله : « ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض » ثم قال فى آخرها « إن الله بكل شىء عليم » . فبدأها بالعلم

وختمها به ثم سياقها لتخويفهم بعلم الله تعالى بحالهم وأنه ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ويجازيهم عليه .

وهذه قرائن كلها دالة على إرادة العلم فقد اتفق فيها هذه القرائن ودلالة الأخبار على معناها ومقالة السلف وتأويلهم . فكيف يلحق بها ما يخالف الكتاب والأخبار ومقالات السلف ؟ فهذا لا يخفى على عاقل إن شاء الله تعالى وإن خفى فقد كشفناه وبيناه بحمد الله تعالى . ومع هذا لو سكت إنسان عن تفسيرها وتأويلها لم يحرم ولم يلزمه شيء فإنه لا يلزم أحداً الكلام فى التأويل إن شاء الله تعالى .

انتهى كلام ابن قدامة رحمه الله ؟

الفهرس

صفحة

الرد على الزنادقة والجهمية
لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل

كتاب خلق افعال العباد للامام البخارى

صفحة

صفحة

صفحة

الجزء الثانى

الجزء الثالث

ملحق من التفسير

المسمى : محاسن التأويل